اســـم الكتـــاب: سيدي علي الجمل

اســم المؤلــف: علي الجمل

تقديم وتحقيق: الدكتور محمد بن محمد المهدي التمسماني
جمع وإعداد: الدكتور محمد بن محمد المهدي التمسماني
بلــد النشــر: لبنان

الناشـــــــر: دار الكتب العلمية

رقـــم الطبعـــة: الاولى

تـــاريخ النشـــر: 2007

عـدد الصـفحات: 429 صفحة



سلسلة أعيان من شيوخ الشاذلية بالمغرب (8)

كتاب
سيدي علي الجمل
رضي الله عنه

مع وضع فهارس له، وترجمتين لسيدي علي الجمل

كتاب في أنوار الطريقة وأسرار الحقيقة

إعداد وكتابة وترتيب وتبويب

الدكتور محمد بن محمد المهدي التلمساني

دار الكتب العلمية

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 م

بيروت ـ لبنان

Title:
The Book Of
Sidi ' Ali Al - Jamal
Index and two biographies
Classification: Sufism & biographies
Author: Dr. Mohammad ben Muhammad al - Mahdi al - Tamsmani
Publisher: Dar - Al - kotob Al - ilmiyah
Pages: 439
Year: 2007
Printed In: Lebanon
Edition: 1st

الكتاب: **كتاب سيدي علي الجمل**
رضي الله عنه
التصنيف: تصوف وتراجم
المؤلف: الدكتور محمد بن محمد المهدي التمسماني
الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت
عدد الصفحات: 429
سنة الطباعة: 2007 م
بلد الطباعة: لبنان
الطبعة: الأولى

دار الكتب العلمية بيروت
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 م
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
2007 م - 1428 هـ

دار الكتب العلمية بيروت
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 م
بيروت - لبنان

Mohamad Ali Baydoun Publications
Dar - Al-Kotob - Al - Ilmiyah

الإدارة: رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
Ramel Al - Zarif, Bohtory Str, Melkart Bldg 1st Floor
هاتف وفاكس: 364398 - 366135 (9611)
فرع عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
Aramou Branch - Dar Al - Kotob Al - ilmiyah Bldg
هاتف: 12 / 11 / 5804810 +961
http://www.al-ilmiyah.com
Email: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

في التعريف بسيدي ومولاي علي الجمل، البحر الخِضَم، والجبل الأشم، وبكتابه القيم الباهر، ذي السر النادر

هويته

اسمه رضي الله عنه وأرضاه علي. اسم أبيه عبد الرحمن. نسبه شريف إدريسي حسني. كنيته أبو الحسن. لقبه: له لقبان مشهوران أحدهما الجمل والآخر الجمال، اشتهر بين الناس بلقب الجمل، وبين الملائكة بقلب الجمال. سبب تلقيبه بالجمل أنه كان ذات يوم سائرًا ببعض طرق فاس إذ وجد بها ناقة أو بعيرًا صغيرًا راقدًا فرفعه ووضعه خارج الطريق فلقب بالجمل لذلك. أصله من بني عمران الشرفاء أهل قبيلة بني حسان. انتقل والده أو جده إلى مدينة فاس، وبها ولد وتوفي سيدي علي الجمل رضي الله عنه وأرضاه. توفي رحمه الله عام ثلاث وتسعين ومائة وألف هجرية، ودفن بزاويته المتواجدة بحومة الرميلة المقابلة لزاوية سيدي أبي مدين الغوث بمدينة فاس، وقد عاش } أكثر من مائة سنة.

حياته

كان } في أول أمره وقبل اتصاله بشيخه سيدي العربي بن عبد الله مجالسًا ومرافقًا لأحد الملوك العلويين. كان } عالمًا كبيرًا ومجددًا عظيمًا، أحيي ما اندرس من سنن الطريق ومعالمها، وجدد ما انعدم من قواعدها وأسسها، وأظهر ما خفي من خصائصها وأحوالها. كان } برزخًا للعلمين: علم الباطن وعلم الظاهر، جامعًا بين المتكاملين: بحر الحقائق وبحر الشرائع. كان علمه أحلى من السكر وألذ، وعمله أمر من الحنظل وأشد، وفعله أقوى من قوله وأعظم. كان مهتمًا

بكتابة الواردات وتسجيلها، حريصًا على توثيق الإلهامات وتقييدها، ولهذا الشأن كانت الدواة والقرطاس لا يفارقانه، وكانت نكشف له المعنى وهي كالجبل فإذا لم تقيد رجعت كالجمل فإذا لم تكتب رجعت كالطير إلى أن تغيب. وكان شيخه سيدي العربي بن عبد الله يحضه على الكتابة ويقول له: يا ولدي لا تؤثر على الجلوس مع الأحباب شيئًا إلا الكتابة في الأوراق لأنها إذا فاتت لا تجبر. كان قدس الله سره قوي الاجتهاد والمجاهدة، كثير الذكر والعبادة، يؤثر العزلة على المخالطة والصمت على الكلام، لا يفتر لسانه عن الذكر ليلًا ونهارًا، كان مكثرًا للصيام ملازمًا للقيام. كان نفعنا الله ببركاته دائم السكر، دائم الصحو، جامعًا بينهما قويًا فيهما قوة عظيمة. كان من أهل التجريدين الباطن والظاهر، وعاش غوثًا جل عمره. كان يسأل الناس ويلح في السؤال، يريد بذلك هضم النفس لا جمع الفلس، والتذلل للحق لا التملق للخلق، ومخالفة الهوى لا ملاحظة السوى. كان يتستر ويخفي حاله فيتظاهر بالبخل فلا يطعم حبيبًا ولا عدوًا ولا قريبًا ولا بعيدًا. كان يصغر الحس ويقلل الكثير، سافر مرة إلى المشرق فأعطاه أحباؤه الكثير من الخيول والإبل والبقر والغنم وغير ذلك، فباع جميع ما أعطوه بفضة ثم صرفها ذهبًا ليصغر الحس ويقلل الكثير ثم وضع الذهب في خنشة، ورجع إلى أهله فقيرًا غريبًا كما خرج من عندهم. كان } مربيًا كبيرًا وطبيبًا روحيًا ماهرًا، يغرس فيثمر غرسه، ويعالج فيصح مريضه. كان قدس الله سره يجتمع برسول الله > وبأصحابه العشرة الكرام البررة المبشرين بالجنة يقظة لا منامًا.

شيوخه

من شيوخ سيدي علي الجمل سيدي عبد الله }: وهو رجل شريف كبير السن، حسن الوجه، نظيف الحالة، علي الهمة، كريم الأخلاق، من ناحية المشرق، وجده سيدي علي الجمل بمدينة تطوان عند بعض الناس بالدار لم يخرج ولم يدخل ولم يعرفه أحد. صاحبه سيدي علي الجمل سنتين، ولم ير كرمًا أكبر من كرمه } إذ هو قد تخلق باسم الله تعالى الكريم.

أما شيخه الذي عول عليه واعتمد عليه واستند إليه وأخذ عنه التجريد ظاهرًا وباطنًا، فهو الشيخ الإمام، الحبر الهمام، صاحب العلوم اللدنية، والمواهب الربانية، المستغرق في الحضرة الإلهية، المحلى بحلل الصمدانية، ذو الأخلاق الزكية، والأسرار القدسية، سيدي العربي بن عبد الله، نجل الولي الشهير سيدي أحمد بن عبد الله. ولد سيدي العربي بن عبد الله ضحوة يوم الأربعاء تاسع ذي القعدة سنة تسع وسبعين وألف هجرية، وتوفي سنة نيف وستين ومائة وألف. كان } رجلًا مهابًا معظمًا عند سائر الناس، لا يتكلم إلا فيما فيه فائدة دينية أو دنيوية، لا

يحب اللغو في الأقوال ولا اللهو في الأفعال. كان قدس الله سره لا يفرح بإقبال الدنيا ولا يحزن على إدبارها، ما تبعه أحد في شيء منها إلا تركه له من غير التفات إليه ولا إليها، همه كله مصروف في طلب مولاه، ما له إرادة سوى ما أراده مولاه. كانت له كتب عديدة كتبها بيده، مما كان يريد على قبله. من بين تلك الكتب كتاب أحصى فيه زهاء ثلاثة آلاف تجلي: هناك التجلي الذي كان يمكث فيه شهرًا، وتجلي يمكث فيه ثلاثة أيام، وتجلي يمكث فيه ليلة أو أقل. ندعو الله عز وجل أن ييسر لنا طريق العثور على هذه الكتب لتقربها أعين المحبين الصادقين والراغبين المخلصين، والله يجازي كل محسن خيرًا.

تلامذته

كان لسيدي على الجمل } تلامذة عارفون بالله كاملون، نذكر منهم مولاي العربي الدرقاوي وارث مقامه وحاله وجامعة بضاعة أسراره وكماله، وسيدي أبا القاسم الحلو دفين قبة سيدي علي الجمل وراء قبره، وسيدي محمد أمزاج كان من الأقوياء في الحس والمعنى، وسيدي أبا القاسم الوزير كان من أهل الاستغراق في الحقائق، والشريف الجليل سيدي عبد القادر العلمي دفين مكناسة الزيتون بزاويته المشهورة وله طائفة مذكورة، وسيدي المختار البقالي كان من أهل التصوف في وقته، وسيدي محمد الهواري كان من العلماء العاملين، وسيدي عمر الفاسي كان حجة المدققين، وسيدي أحمد الورززازي دفين تطوان خارج باب المقابر كان لا تأخذه في الله لومة لائم.

كتابه

ولسيدي علي الجمل رضي الله عنه وأرضاه كتاب وأي كتاب، كتاب يدل على مدى علو مقام صاحبه، ويفصح عن جلال قدره ومكانه، ويعرب عن عظيم رسوخه وتمكنه، ويخبر عن غزارة علمه ومعرفته، بين فيه } الحقيقة وأسرارها، وكشف فيه الطريقة وأهلها، وميز أحوال وتصرف أصحابها، وأبان حلل وألوان ذويها، فهو كما قال أحد الأفاضل: أسرار إلهية وحكم ربانية وحلل قدوسية ومواهب لدنية لم يكن للتدبير فيها صوغًا ولا مساغًا، خرجت من صفي الأفكار، مجلوة بحلة الأنوار، لا يشم روائحها إلا أهل الأسرار، ولا يفض خاتمها إلا المقربون الأبرار، ولا يحوم حماها أهل الغفلة والإصرار، ولا من قلبه محشو بالآثار أو مريض بالأغيار = أ هـ تصـ =.

قال سيدي أحمد البدوي زويتن - تلميذ مولاي العربي الدرقاوي - في رسائله





الكبرى: (وكان } - يعني مولاي العربي الدرقاوي - في بعض الأيام يتلو علينا بداره بالجبل كتاب مولاي علي الجمل رضي الله عنه وعنا به آمين ثم طواه وقال: ما مسطر هنا إلا العمل، وحكى لنا حكاية وقعت لمولانا علي } تأييدًا لكلامه } فقال لنا: أتاه شريف ليقتله فلم تتحرك فيه شعرة). ولأهمية هذا الكتاب وعظمته كان العارف بالله سيدي أحمد الخمسي } المعروف بترحاله وتجواله يصحبه معه ولا يفارقه سفرًا أو حضرًا.

غير أن هذا الكتاب كما يقول أحد الأفاضل [1] لم يخرجه واضعه ولا نقحه جامعه بل المنية حالت بينه وبينه، ولو أخرجه رحمه الله لرتبه ونقحه وفصله وبوبه والله أعلم.

يقول كاتب هذه المقدمة المتواضعة المحتشمة: قد قمت بتوفيق من الله وعون منه سبحانه وتعالى بترتيب هذا الكتاب ترتيبًا تناسبيًا، وتنسيه تنسيقًا موضوعيًا، وتبويبه تبويبًا تعريفيًا، جامعًا مواضعه ذات الدلالة المتقاربة والمعاني المتآخية بعضها إلى بعض لتتموضع في موضع واحد بدلًا من أن تكون متفرقة بين ثنايا الكتاب، مستمحيًا في تصرفي هذا وفي تجاوز قدري سيدي ومولاي وحبيبي سيدي علي الجمل رضي الله عنه وأرضاه إذ إنني غير مؤهل لمثل هذا العمل وبعيد كل البعد عن ذلك المرقى، وشتان ما بيني وبين تلك المراتب والمعالي، ولقد صدق من قال: لا يفهم كلامي إلا من وصل مقامي، وهيهات لمثلي أن يفهم أو يصل ومن أين لي أن أحاول أو أقارب.

على أننا ما أردت بهذا العمل إلا خدمة هذا الكتاب القيم الباهر، والتماس نفعه وبركته، واستسقاء غيثه وفضله، والتنور بنوره وسره. وقد أضفت إليه ترجمتين تترجمان لسيدي علي الجمل } إحداهما مقتبسة من أقوال تلميذه ووارثه مولاي العربي الدرقاوي والأخرى مقتبسة من كتاب النور القوي لسيدي ابن القاضي، وأثبت عقبها سند الطريق. هذا وقد رتبت مواضع الكتاب على حروف المعجم تسهيلًا وتقريبًا للقارئ. ثم ذيلت الكتاب بفهارس مهمة متعددة مختلفة. أخيرًا ختمت الكتاب بذكر بعض الأولياء الذين هم على حال وعلى مقام سيدي علي الجمل، وذكر بعض الأولياء المدفونين بزاوية سيدي علي الجمل.

أسأل الله تعالى أن يقع النفع بهذا الكتاب نفعًا تامًا كاملًا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتب هذه المقدمة

الدكتور محمد بن محمد المهدي التمسماني

الرباط 1999 م

(1) وهو سيدي عبد الرحمن البربوشي الرحماني.

مقدمة سيدي عبد الرحمن البربوشي الرحماني

قال سيدي عبد الرحمن البربوشي الرحماني [1]:

(الحمد لله الذي من على أوليائه بالذكر والتذكير، وفتق رتق ألسنتهم بما أكرموا به من التعبير، فانفجرت الأسرار من قلوبهم بلا تكليف ولا تدبير، وانهمرت الأنوار منهم بلا تعسف ولا تعسير، كرامة لهم وإذنًا من العليم الخبير. أحمد حمد من جذبته الصمدية لمهدها، وأرضعته لبان خمرها، وربته في حضرة عزها، فطوت شفعه في وترها، ومحت غينه بعينيها، مصونًا عن الأغيار، محفوفًا بالواحد القهار. وأشكره شكر من أبرزته الربوبية داعيًا إليها، ومتقلدًا سيف النيابة عنها، ونصبته برزخًا بين حقها وخلقها، فخرج بها منها، ولها لا معها، فليس له عن وجوده أخبار، ولا له مع غير الله قرار، فأسكرت من رحيقه حيها ورهطها، وأروت من عتيقه إبطاها، وطرزت بتواشيح كماله حضرتها، فروضها رياضها زاهر من طلعته، ومحفلها ومجلسها عابق من نبات أفكاره، فكان بذلك التاج لملكها، والتيمية لعقدها، والخليفة لأرضها، بل المخصوص بلواء المملكة في كونها، والمرضي للإمامة الكبرى في محرابها، وكيف لا وقد سوته بيديها، على صورة معناها المعهود، ونفخت فيه من روحها فبرز للوجود، فخضعت له الأكوان بالسجود، بإذن الملك المعبود، إذ هو بيت القصيد منع المقصود، فنعم الورد المورود، وحبذا الحامد والمحمود، ولقد جعلته للحس والمعنى، محتويًا على الفرع والمبنى، مشتملًا على الجلال والجمال، مترديًا بالنقص والكمال، ولا نقصان بحسب الحال، وإنما الكل كمال، فما أعظمه وما أفخمه إنسان، انطوت فيه الأكوان، وإن وسعته في العيان.

والصلاة والسلام على ذرة الوجود، سيدنا محمد المصطفى المحمود، نخبة الأكوان، وأصل الوجود، وعلى آله وصحابته أولي الفضل والجود، المحفوظين من الارتياب والجحود، المحفوفين بدوام الشهود.

وبعد، فهذه أسرار إلهية، وحكم ربانية، خرجت من صفي الأفكار، مجلوة بحلة

(1) سيدي عبد الرحمان البربوشي الرحماني هو تلميذ مولاي العربي الدرقاوي. أنظر ترجمته في كتاب « الطبقات » لسيدي بوزيان الغريسي، وفي كتاب « النور القوي في ذكر مولانا عبد الواحد الدباغ وشيخه مولانا العربي الدرقاوي » لسيدي ابن القاضي.

الأنوار، مؤذنة بالمواجهة وقرب المزار، تبرجت من الحضرة مخدرات أبكار، وتذيب النفوس بكشف الخمار، وتسحر العيون عند الأبصار، مكسوة بحلل القبول، محبوبة لأهل السير والوصول، مدامها بالرحمة محتوم، وسكرها بذكر الحبيب مختوم، تقر بها الأسماع، وتفر إليها الطباع، مشتملة على يواقيت غزر، وجواهر غزار، وخيرات حسان، مقصورات في الخيام، لم يطمثها إنس ولا جان، ولا صادها لسان، ولا سطرتها بنان، لا يشم روائحها إلا أهل الأسرار، ولا يفض خاتمها إلا المقربون الأبرار، ولا يحوم حماها أهل الغفلة والإصرار، ولا من قلبه محشو بالآثار، أو مريض بالأغيار، كما قيل: لا يفهم كلامي إلا من هو واصلي مقامي. وكذلك أهل الإنكار، يخال بينهم وبين تلك الأنوار، إذ لا يرى الجرائر الجفار، وبسببه عموا عن الأخيار، وفي التنزيل: ﴿ **قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ** ﴾ [فصّلت: 44]، فعلى كل حال وبكل اعتبار، هي مفصحة بجلالة قائلها، ومعرفة بواضعها، إذ كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذي منه برز، ومرشحة به، وكاشفة عن البعض منه، إذ اللسان لا يستقصي حقيقة الإنسان، ومن كان بالله فكيف يحصى أو يحد أو يستقصى، وأيضًا الولي كلمة الله وكلمة الله لا حصر لها ولا نفاد، ﴿ **قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا** ﴾ [الكهف: 109]. ومنبع هذه الأسرار وأصلها هو البحر الواسع، والقطب الجامع، بحر الصفا، ونجل المصطفى، الشيخ أبو الحسن، سيدنا ومولانا علي الملقب بالجمل، ابن عبد الرحمن بن محمد بن علي بن إبراهيم بن عمران بن عبد الغفار بن الحسن بن سليمان بن عبد الرحمن بن علي بن عبد الله بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن حسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء رضي الله عنهم أجمعين، المتوفى عشية السبت وليلة الأحد التاسع والعشرين من ربيع الأول عام أربعة وتسعين بتقديم الفوقية ومائة وألف، دفين زاويته بالرميلة من فاس المقابلة لزاوية سيدي أبي مدين الغوث نفعنا الله بجميعهما، فجزاه الله عن أهل الخمرة خيرًا في جمع هذا التأليف الذي لك أن تسميه باليواقيت الحسان في تصرف معاني الإنسان، أو التحقيق والبيان فيما انطوى عليه الإنسان، وغير ذلك مما يليق بجلالته، بين فيه } الحقيقة وأسرارها، وكشف فيه الطريقة وأهلها، وأحوالهم وحللهم وتصرفهم وتلونهم. وبالجملة فهو كل جمع على الله خمرة لأهل الحما، وشربة لأهل الظما، أتى فيه بعبارات رائقة، واصطلاحات غريبة لم يسبق إليها، ولا نسج لأحد على منوالها، مع أميته وعدم قراءته، فهي حلل قدوسية، ومواهب لدنية، أكرمت بها القلوب، في حضرة علام الغيوب، مطرزة بكلام الأكابر، مرصعة بمآثار المشايخ والمشاهير، لم يكن للتدبير فيها صوغًا

ولا مساغًا، ولا زاغ العقل فيها ولا طغى، غير أنه ما كذب الفؤاد ما رأى. كان الشيخ رحمه الله تكشف له المعنى وهي كالجبل، فإذا لم يبادر لتحصيلها وغفل عنها رجعت كالجمل، فإن لم يبادر أيضًا رجعت كالطير إلى أن تغيب، وكان لا تفارقه الدواة والكاغط فمهما وردت عليه معنى من المعاني حصلها. فهي فيوضات صادرة بحسب الوارد الرباني والوقت الصمداني، وجارة الوارد لا يتقيد بنوع ولا كيفية، ولا ينضبط بجنس ولا حيثية، لون الماء لون إنائه، وفي التنزيل: ﴿ **لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً** ﴾ [الأعراف: 187]، وفي الحكم: قل ما تكون الوردات الإلهية إلا بغتة صيانة لها أن يدعيها العباد بوجود الاستعداد. فلهذا لم يكن الكتاب فصولًا وأبوابًا ولا جاء في معنى مرتبًا، وأيضًا لم يخرجه واضعه ولا نقحه جامعه بل المنية حالت بينه وبينه، ولو أخرجه رحمه الله لرتبه ونقحه وفصله وبوبه والله أعلم. ولما كان مبنى الطريقة الشاذلية على الفناء والبقاء، والفناء عندهم أساس الطريق، استفتح كتابه بالكلام عليه فقال.

* * *

قال سيدي بوزيان الغريسي في كتابه « الطبقات » عند ترجمته لسيدي عبد الرحمن البربوشي الرحماني: (وبيدي من تآليفه } سلسلة المشايخ التي ألف، وفاتحة كتاب شيخنا سيدي علي [الجمل] التي ألف أجاد فيهما ما شاء وتعريفه به وتسميته لذلك الكتاب، فمن وقف على هذه الفاتحة يعرف حق مؤلفها وحق الكتاب التي ألفت لأجله، وله غير ذلك).

ترجمة سيدي علي العمراني، مقتبسة من أقوال مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنهما

قال مولاي العربي الدرقاوي } [1]: (قد من الله على عبده العربي بن أحمد الشريف الدرقاوي نزيل القبيلة الزروالية دفع الله عنها كل بلية، بمعرفة الشيخ الجليل الشريف الأصيل ولي الله تعالى أبي الحسن سيدي علي بن سيدي عبد الرحمن الحسني العمراني عام اثنين وثمانين ومائة وألف وكل بمدينة فاس، دفع الله عنها كل بأس، وبها توفي رحمه الله سنة ثلاث وتسعين ومائة وألف، وضريحه } بحومة الرميلة شهير نفعنا الله ببركاته، وأصله من بني عمران الشرفاء أهل قبيلة بني حسان ثم انتقل والده إلى مدينة فاس وبها توفي رحمه الله وقيل جده هو الذي انتقل إليها، وقد لقب } بالجمل والأصل في لقبه بالجمل أنه كان في حال صغره قويًا شديدًا وكان ذات يوم سائرًا ببعض طرق فاس إذ وجد بها ناقة أو بعيرًا صغيرًا راقدًا فرفعه ووضعه خارج الطريق فرآه بعض الناس حين فعل ما فعل فقال: هذا هو الجمل، فاشتهر حينئذ بالجمل عند أهل فاس فهذا هو السبب في لقبه بسيدي علي الجمل وأما هو فشريف حسني عمراني كما قلنا والله أعلم)، وقال [2]: (ختمت ستين سلكة بالركوع والسجود في طلب الشيخ عند ضريح مولاي إدريس الأصغر فلما ختمت سلكة الستين بكيت بكاء شديدًا ثم خرجت فرآني بعض الناس وهو في حانوته فقال: ما لك باكيًا؟ فقلت: أمرًا لا تعرفه، فنهرني وقال لي: ما لي لا أعرفه، فقلت: قد لعبت بي نفسي وطلبت من الله شيخًا يأخذ بيدي، فقال لي: ندلك على الشيخ ولكن لا تشاور فيه مع أحد ولا تذكره لأحد، ثم دلني على سيدي علي الجمل فإذا رجل خميل الذكر لا يذكره أحد، فمررت إليه وأخذت عنه)، وقال [3]: (وكان عادتي أن لا أقدم على أمر من الأمور جليلًا أو حقيرًا إلا بعد الاستخارة النبوية فاستخرت الله في تلك الليل فبت أخوض في صفاته كيف هو وكيف تكون ملاقاتي معه حتى لم يأخذني النوم تلك الليلة، ولما قصدته لزاويته بالرميلة التي بين المدن عدة الوادي لي من جهة

(1) بهذا الكلام افتتح الشيخ مولاي العربي الدرقاوي مقدمة رسالته.
(2) من كتاب سيدي محمد بوزيان في التعريف بشيخه مولاي العربي الدرقاوي.
(3) من خبطة سيدي ابن الخياط لرسائل مولاي العربي الدرقاوي.

القبلة شرفها الله وهي التي ضريحه بها الآن مشهور مقصود للزيارة فدققت الباب فإذا به قائم يشطب الزاوية إذ كان لا يترك تشطيبها بيده المباركة كل يوم مع كبر سنه وعلو شأنه فقال: إيش تريد قلت: أريد يا سيدي أن تأخذ بيدي لله، فقام معي قومة عظيمة ولبس الأمر علي وأخفى عني حاله وصار يقول: من قال لك هذا ومن أخذ بيدي أنا حتى آخذ بيدك وزجرني ونهرني وكل ذلك اختبار لصدقي، فوليت من عنده، فاستخرت الله تلك الليلة أيضًا فصليت الصبح وقصدته لزاويته أيضًا فوجدته على حاله شطب الزاوية } فدققت الباب ففتح لي وقلت: تأخذ بيدي لله فقبض على يدي، وقال لي: مرحبًا بك وأدخلني لموضعه بالزاوية وفرح بي وسر بي غاية الفرح غاية السرور، فقلت: له يا سيدي كم لي أفتش على شيخ فقال لي: وأنا أفتش على مريد صديق فلقنني الورد)، وقال [1]: (ولما أخذت عنه الورد وهو أستغفر الله مائة اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا مائة لا إله إلا الله ألف مرة وعند انتهاء كل مائة سيدنا محمد رسول الله > وعلى آله بعد صلاة الصبح وبعد صلاة المغرب ثم قال لي }: هذا عندنا من طريق أهل الظاهر السادات الناصريين رضي الله عنهم أجمعين، ثم لقنني الاسم الأعظم وهو الله من غير عدد وقال لي أيضًا: هو عندنا من طريق أهل الباطن السادات أولاد ابن عبد الله أخل المخفية بالمدينة الفاسية دفع الله عنها كل بلية، وحين فرغ من هذا قال لي: امش وجئ فكنت على ذلك كل يوم نجتمع به فيذكرني مع بعض الإخوان من أهل فاس نجاهم الله من كل باس)، وقال [2]: (كنت أعرف كيفية في ذكره وقفت عليها عند الشيخ الجليل سيدي الشاذلي } في بعض الكتب، وعلمني أيضًا أستاذي كيفية أخرى أقرب منها وأصوب والله أعلم وهي أن نشخص حروفه الخمس بين عيني وقت ذكره من غير أن نرسمها بحائط أو بحجر إنما نشخصها بين عيني فقط وهمها زهقت عنها رجعت إليها ولو زهقت عنها ألف مرة أو أكثر بالساعة رجعت إليها فأنتجت لي هذه الحالة فكرة عظيمة فكانت تأتيني بعلوم وهيبة دائمًا وأنا أتركها لها ولا أقف معها قط والبشرية إذ ذاك تضعف والنورانية تتقوى كل وقت حتى أتتني ذات ليلة بقوله تعالى: ﴿ **هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ** ﴾ [الحديد: 3]، فتركت قولها كما كانت عادتي معها قبل فلم تتركني هي بل قالت لي: هو الأول والآخر والظاهر والباطن، فقلت لها: إذ ذاك فأما الأول والآخر والباطن فقد عرفته حقًا وأما الظاهر فلا نرى ظاهرًا إل المكونات فقالت لي: لو كان المراد بالظاهر غير ما ترى لكان ذلك باطنًا ولم يكن ظاهرًا أو أنا أقول لك الظاهر والباطن، فهزمتني بسطوتها وغلبتني بعنايتها حتى سكت عن جاوبها إذ لم

(1) من مقدمة الشيخ مولاي العربي لرسائله.
(2) الرسالة 179 من رسائل مولاي العربي الدرقاوي.

تبق لي حجة قط عليها إذ تحققت بأن لا موجود إلا الله وليس في الأكوان إلا إياه والحمد لله والشكر لله. ثم أخبرت أستاذي بذلك ففرح بي غاية الفرح وسر بي غاية السرور وعاد يتكلم معي في التوحيد الخاص ولا يبالي وكان } يكثر من قول ولي الله تعالى المحقق الكبير سيد الششتري }:

انـــــــت انـــــــتَ انـــــــت * انـــــــت انـــــــتَ انـــــــت

الحبيـــــب مــــع المحبـــوب * والوصــــــــــال انــــــــت

انتهى.

مدي لي عمري مـد مـن زمـان وانا نريد ندري اش قــدر لمــن

حتـى إن رايت إننــــي انــــا هــو محبــوبي وانـا مـا دريت

ويكثر أيضًا من كلام شيوخ الطريقة المشارقة {:

انــا اشــك وانــت اســي ابيــاني * انــا انــت إذا فهمــت المعــاني

لاش نغيــــــــب عنـــــــــك * إذا ادريــت كيــف ترانـــي ...)

وقال [1]: (وكان } من أجل شيوخ الطريقة { دائم السكر دائم الصحو جامعًا بينهما وقويًا فيهما القوة الكبيرة والله على ما نقول وكيل، وكان أيضًا من أهل تجريد الباطن وتجريد الظاهر ومن أهل التوحيد الخاص كولي الله تعالى أبي الحسن الششتري ونظرائه من الأكابر { ونفعنا ببركاتهم)، وقال [2]: (ورأينا أيضًا سنة واضحة من سنن رسول الله > قد أحياها الشيخ الجليل أستاذنا } وهي حالة التجريد التي هي حال ساداتنا أهل الصفة الذين هم أصحاب رسول الله > وأحب الناس إليه {)، وقال [3]: (وكان أستاذنا } يقول: لو علم الناس ما في الاحتياج من الأسرار والخيرات لم يحتاجوا إلى شيء سوى الاحتياج، وكان يقول إنه يقوم مقام الاسم الأعظم)، وقال [4]: (وأستاذنا } قد كان يسأل القراريط بفاس البالي عمره الله من حانوت إلى حانوت كالمضطر الكبير مع أنه قد عاش غوثًا جل عمره وقد تعدى عمره ثمانين عامًا والله أعلم)، وقال [5]: (أستاذنا أبو الحسن سيدي علي الجمل } وأدرك هو رجلًا شريفًا كبير السن حسن الوجه نظيف الحالة عليّ الهمة كريم الأخلاق من ناحية المشرق واسمه عبد الله وجده بالمدينة التطوانية حرسها الله عند بعض الناس بالدار لم يخرج

(1) من مقدمة رسائل مولاي العربي الدرقاوي.
(2) الرسالة 158 من رسائل مولاي العربي الدرقاوي.
(3) الرسالة 105 من رسائل مولاي العربي الدرقاوي.
(4) الرسالة 139 من رسائل مولاي العربي الدرقاوي.
(5) الرسالة 81 من رسائل مولاي العربي الدرقاوي.

ولم يدخل ولم يعرفه أحد، قال لي }: فما رأيت كرمًا أكبر من كرمه } إذ هو قد تخلق باسم الله تعالى الكريم وقال لي: سبب ملاقتي به بركة زيارة مولاي عبد السلام بن مشيش نفعنا الله ببركاته وسمعت منه أنه صاحبه سنتين بالمدينة المذكورة حرسها الله، وأدرك أيضًا الشيخ سيدي العربي بن عبد الله الفاسي بحومة المخفية } وقد عرفه قبل أن يعرف الشريف المذكور ولكن لم يصح له من عنده شيء إذ كان مخلقًا باسم الله تعالى المانع فلذلك بحث على حاجته حتى وجدها عند الشريف المذكور ففتح الله عليه على يديه، ولما مات الشريف رجع هو إلى فاس مفتوحًا عليه كما قلنا فصحب حينئذ سيدي العربي بن عبد الله المذكور ست عشرة سنة والأسرار التي كان يرى منه قد كادت ألا تنحصر فما سمعته يذكره ثم لم يبك عليه والله على ما نقول وكيل)، وقال [1]: (وقد سمعت من الشيخ الجليل القدر الشريف أستاذنا أبي الحسن سيدي علي الجمل } أنه نقش ثلاثة أمداد قمحًا بوطي مصفر بوادي المالح بباب الجيسة فأخبر شيخه الشيخ الجليل أبا عبد الله سيدي محمد العربي بن عبد الله صاحب حومة المخفية بفاس البالي بعد ذلك فقال له: ما ازداد لك في الحس انتقص لك من المعنى، وكان أيضًا الشيخ أستاذنا سيدي على حاله لك تسع وتسعون قسمة من العز حين كنت سفليًا وقسمة واحدة من الذل والآن صارت عندك تسع وتسعون قسمة من العز حين كنت سفليًا وقسمة واحدة من الذل والآن صارت عندك تسع وتسعون قسمة من الذل وقسمة واحدة من العز)، وقال [2]: (كان واسعًا وكان ضيقًا وكان رطبًا وكان حرشًا وكان قويًا وكان ضعيفًا وكان غنيًا وكان فقيرًا وكان بحرًا لا ساحل له لأن علمه كان أحلى من السكر وعمله كان أمر من الحنظل إذ كان دائمًا يقول كلام ولي الله تعالى سيدي أبي المواهب التونسي }: من ادعى شهود الجمال قبل تأدبه بالجلال أرفضه فإنه دجال)، وقال [3]: (واعلم أني سمعت أستاذي يقول مرارًا متعددة من شق تونس إلى شق واد نون قيل يوجد اثنين من أهل هذا الفن وقيل لا والمدعون كثيرون والمخلصون قليلون وفي كتاب الله « وقليل ما هم »)، وقال [4]: (وأما العموم فهم كما قال أستاذنا الجليل لبعض صلحاء مدينة فاس دفع الله عنها كل بأس وقد كان يدعي الخصوصية الكبرى إذ قال له من أي فريق أنا عندك من فريق العموم أو من فريق الخصوص، فقال له: العموم أسيادي وأسيادك إذ هم لم يدعوا شيئًا، فقال له: لست عندك من العامة ولا من الخاصة فممن أنا عندك، فقال

(1) الرسالة 269 من رسائل مولانا العربي الدرقاوي.
(2) الرسالة 45 من رسائل مولانا العربي الدرقاوي.
(3) الرسالة 81 من رسائل مولانا العربي الدرقاوي.
(4) الرسالة 142 من رسائل مولانا العربي الدرقاوي.

له: أنت عندي من حمير مصر الطوال الآذان فلذلك لم أذكرهم ولم أرم شبكتي عليهم)، وقال [1]: وكان أستاذي } مستغرق الأوقات في رؤيته > يقظة ومنامًا، وقد ترجح لي والله أعلم أنه أقوى بما رأيت منه من الاستغراق في رؤيته > ومخاطبته إياه لأني صحبته أعوامًا عديدة ورأيت أيضًا وصفه لرسول الله > فيما ترك من الأذواق فبينه وبين سيدي المرسي فرق كبير، ومن أراد أن يعرف هذا من هذا فلينظر ما لسيدي ابن عطاء الله في أستاذه المذكور في كتابه لطائف المنن وما لأستاذنا في كتابه فإنه يرى إن شاء الله القوي منهما من الضعيف في رؤيته > والله سبحانه ذو القوة المتين وهو حسبينا إن قوينا شيخنا بشهوة أنفسنا إنما قويناه كما قواه ربنا واكتفاؤنا بعلم ربنا هو الذي حملنا على ما قلنا في شيخنا لا عدم اكتفائنا بعلم ربنا ولو سكتنا عما في علمنا من قوة أستاذنا في رؤيته خوفًا من أن يقال فينا ذلك منا من عدم اكتفائنا بعلم ربنا لكان أمرنا كذلك وحيث لم يكن كذلك قلنا في أستاذنا ما في علمنا وسواه قيل ذلك فينا أو لم يقل اكتفاء منا بعلم ربنا، وحملنا أيضًا على التعريف بقوة أستاذنا ما رأينا من أحوال الناس إذ هم لطف الله بهم لا يرون الفضل لمن حضر إنما يرونه لمن غاب ولو كان من أكبر أهل الفضل وهذا حال جهلهم والعياذ بالله)، وقال [2]: (كنت نرى تسعة أقسام من سيدي على رسول الله > والقسمة العاشرة كنت أراه فيها سيدي علي بن عبد الرحمن ولكني كنت فيها ضعيفًا جدًا والله على ما نقول وكيل، وليس ذلك باختياري ولا باختياره وإنما هو باختيار السميع البصير الذي أطلعني على حقيقته)، وقال مولاي العربي لتلميذه سيدي البوزيدي رضي الله عنهما [3]: (واعلم سيدي أن الحالة التي كان عليها شيخنا شيخ أهل وقته سيدي علي العمراني } حالة شريفة كبيرة غريبة قل من كان عليها من أولياء الله تعالى فإنه كان ظاهرًا للناس خفيًا عنهم بالزي الذي يتزيى به الناس وهو زي أولياء الله تعالى أهل التجريد واختفى عنهم بالسؤال الذي كان يسأل في الأسواق وبإظهار البخل فإنه كان لا يطعهم حبيبًا ولا عدوًا ولا قريبًا ولا بعيدًا إلا أنه كان لا يعرف أحدًا فوجد قلبه على الدوام بإسقاط الكلف وهم { مع ما به صلاح قلوبهم، وأنت يا سيدي نحبك أن تقلل من معرفة الناس بإطعامهم البلبول بالماء والملح كما كان > وكما كان الفقراء في الزمان المتقدم ليظهر الصادق من الكاذب والحبيب من العدو فكن يا سيدي على حال شيخنا } إذ لحاله سر كبير في الوقت الذي بأيدينا وغيره، وانظر ماذا يفعل الله بأهل الظهور واعتبر وتأمل في حالة الشيخ المذكورة تجدها كما تحب

(1) الرسالة 81 من رسائل مولانا العربي الدرقاوي.
(2) من كتاب سيدي محمد بوزيان في التعريف بشيخه مولاي العربي الدرقاوي.
(3) رسالة مولاي العربي الدرقاوي إلى تلميذه سيدي محمد البوزيدي.

وترضى من أولها إلى آخرها. كان } رئيسًا كبيرًا ماهرًا يمشي بأصحابه بالليل والنهار والبر والبحر مع العدو والحبيب ولا يخشى عليهم ولا على نفسه من شيْ، قدم مرة إلى المشرق كما علمت وأعطوه الأحباب الخيل الأحرار والإبل والقطائف والدواير والبقر والغنم وغير ذلك فباع كل ما دخل بيده وقبض حقه فضة وصرفها ذهبًا ليصغر الحس وجعل ذلك في خنشة وأتى إلى أولاده فقيرًا غريبًا كما مشى من عندهم وهذا مما يناسب حالنا الذي نحن عليه يا سيدي، ولذلك قلت لك: لا تأتينا إلا كما مشيت من عندنا)، وقال [1]: (ومنها أن أستاذي لما رأى صدقي في الطريق أمرني بخرق عوائد نفسي وقال لي }: نحن فكما نكتسب علم الحقيقة فكذلك نكتسب عملها)، وقال [2]: (واعلم رحمك الله أني أول ما استفدت من أستاذي } أن مكنني من سلتين مملوءتين بالطائفية فجعلتهما بيدي ولم نجعلهما على قفائي كأقراني ومع ذلك قد ثقل ذلك على نفسي وصعب حتى ضاقت منه غاية الضيق وتزعزعت وتروعت وتكدرت غاية الكدر حتى كدت أن أبكي منه والله لقد بكيت من أجل ما أصابني من الإهانة والذلة والاحتقار بسببه إذ كانت لا ترضى به ولا بمثله ولا تحط رأسها إليه أبدًا وكنت غائبًا عن كبرها وتجبرها وتخبثها وتعنتها ولا أعلم هل هي متكبرة أم لا ولا فقهني فقيه فيها من جميع من قرأت عليه وقد قرأت على كثير من الناس فبينما نحن معها في تلك الحيرة والمحنة إذا بالشيخ من أهل الكشف الكبير والسر الواضح الشهير وقد كوشف بكبري وكوشف بحيرتي ومحنتي فأتى إليّ وقبض السلتين من يدي ثم جعلهما لي على قفاي كأقراني الذين هم أحسن وجهًا وأحسن حالًا مني ولا يبالون بأنفسهم ولا يتكبرون ولا يتجبرون ولا يتخبثون وقال لي حين جعلهما على قفائي: هكذا قياس خير لتنفر شيئًا من الكبر، فانفتح لي إذ ذاك الباب وهديت منه إلى الصواب أي عرفت أهل الكبر من أهل التواضع وأهل الجد من أهل الهزل وأهل العلم من أهل الجهل ...)، وقال [3]: (آخر ما سمعت من الشيخ الجليل أبي الحسن سيدي علي الجمل العمراني }: تعرضوا لنفحات الله)، وقال مولاي العربي شارحًا لوصية شيخه [4]: (ومن شاء أن يتعرض لنفحات ربه فلا يكن مع نفسه على ما تشتهيه ويخف عليها وليكن معها على ما لا تشتهيه ويثقل عليها فإن مسافة الطريق يطويها وثمرة عمله يجنيها)، وقال أيضًا [5]: (وقد أردناك بارك الله فيك

(1) الرسالة 179 من رسائل مولاي العربي الدرقاوي.
(2) الرسالة 3 من رسائل مولاي العربي الدرقاوي.
(3) الرسالة 263 من رسائل مولاي العربي الدرقاوي.
(4) الرسالة 145 من رسائل مولاي العربي الدرقاوي.
(5) الرسالة 162 من رسائل مولاي العربي الدرقاوي.

أن تتعرض دائمًا لنفحات ربك وذلك بأن تقرن حركاتك وسكناتك بذكر ربك كما أمرك وبمحبة أهل الانتساب إليه والإحسان إليهم دائمًا إذ كان نبينا > لا يأوي إلى أحد مثل ما كان يأوي إلى الصفة الذين هم أصحابه > وأحب الناس إليه).



ترجمة سيدي علي العمراني الجمل رضي الله عنه مقتبسة من كتاب « النور القوي في ذكر شيخنا مولانا عبد الواحد الدباغ وشيخه مولانا العربي الدرقاوي » لابن القاضي رضي الله عنه

قال سيدي ابن القاضي نفعنا الله به:

(شيخ الطريقة وإمام أهل الحقيقة، قطب الأنام وغوث العالم، معدن الكيميا ونجم الثريا، الكبريت الأحمر والحجة الشهر، صاحب العلوم اللدنية والأحوال السنية، ذو المعارف الربانية والمواهب الإلهية، محي طريق الأكابر من الرجال ومجدد ما اندرس منها من المقامات وبلي من الأحوال، ينبوع الكمال الشريف الحسني أبو الحسن سيدنا ومولانا علي العمراني الملقب بالجمل بن مولانا عبد الرحمن بن مولانا محمد بن مولانا علي بن مولانا إبراهيم بن مولانا عمران بن مولانا عبد الغفار بن مولانا الحسن بن مولانا سليمان بن مولانا عبد الرحمن بن مولانا علي بن مولانا عبد الله بن مولانا إدريس بن مولانا إدريس بن مولانا عبد الله الكامل بن مولانا حسن المثنى بن مولانا الحسن السبط بن مولانا علي بن أبي طالب ومولاتنا فاطمة الزهراء بنت رسول الله >. كان والده } مستوطنًا ببني حسان في ناحية الجامع البيضاء ثم سكن فاس وولد له سيدي علي به فاستقر سكناه بفاس وبها تولى الولاية الكبرى وتوفي بها يوم السبت تاسع وعشر ربيع الأول سنة أربع وتسعين ومائة وألف في رواية وقيل ثلاث وتسعين على ما سيأتي إن شاء الله عند تلميذه مولانا العربي الدرقاوي، ودفن يوم الأحد في زاويته المقابلة لزاوية سيدي أبي مدين الغوث بحومة الرميلة من مدينة فاس دفع الله عنها كل باس)، وقال: (كان } من أشد الناس توكلًا على الله ومن أشدهم ثقة بالله إذ كانت عنده أو قال كان يعرف أربعة وعشرين طريقًا في الحكمة كل طريق منها تقيم دار الملك للساعي ومع ذلك كان يسأل القراريط بالأسواق ويده ترتعش لشدة كبر سنه } فإنه عاش ما يزيد على مائة سنة، وقد حكي لي ولده الشيخ أبو عبد الله ولي الله تعالى سيدي محمد الشريف أنه ولده وهو من مائة وثمان عشرة سنة وقيل عاش غوثًا ما يزيد على ثلاثين سنة،

وكان } من أهل التصوف في وقته حتى قيل إنه كان يزطط القوافل بهمته وربما كان يخرج لباب المدينة ويأخذ من أرباب القافلة درهمًا لكل حمل من أحمالها فيذهبون مع السلامة والعافية ويربحون في سلعتهم ويرجعون للبلد سالمين غانمين فاتفق يومًا من الأيام أن بعض أرباب القافلة تشطر معه في حمل من الأحمال لم يعطه درهمًا عليه فخرج فيهم اللصوص فلم ينهبوا لهم غير ذلك الحمل فشاع خبر ذلك في البلد فلم يتشطر معه بعد ذلك أحد. وقيل إن بعض الأولياء أتى من ناحية المشرق إلى مدينة فاس دفع الله عنها كل بأس فلقيه الشيخ سيدي علي الجمل وقال له: إنك مسجون في هذه البلدة وإن خرجت منها فإنك تخاف على رأسك فأقام ذلك الولي بمدرسة الصهريج بناحية جامع الأندلس مدة من الأيام لم يخرج منها إلا يوم الجمعة للصلاة فلقي الشيخ بعد ذلك وكلمه في شأن نظافة بدنه وثيابه فزاده يوم الخميس يخرج لوادي الزيتون ينظف بدنه وثيابه ثم يرجع لمحله من حينه فلم يزل كذلك ولم أدر ما فعل الله به بعد ذلك وقيل هذا الولي كان اسمه بدر الدين من ناحية طرابلس. وسمعت شيخنا مولانا عبد الواحد الدباغ يقول سمعت شيخنا مولانا العربي الدرقاوي يقول: إن بعض أهل التصوف ممن كانت له اليد الطولى في الحكمة والإطلاع على الكنوز أتى إلى شيخنا سيدي علي الجمل وأخذ عنه وسلب له الإرادة في نفسه وخرج عن جميع تصرفاته فكان شيخنا يقول في بعض الأحيان قم اسأل لنا شيئًا من الدراهم لنقضوا بها حاجة. وإياك أن تأتينا بشيء من ذلك السحت، يعني ما يخرجه بطريق الحكمة أو من الكنوز فكان ذلك الرجل يخرج للأسواق ويسأل مثل الفقراء ولا يلتفت إلى ما له من التصرفات إذ المراد من السؤال هضم الفلوس لا جمع الفلوس والتذلل للحق لا التملق للخلق ومخالفة الهوى لا ملاحظة السوى. ومن أراد أن يعرف مقام الشيخ سيدي علي الجمل في التحقيق وينظر علو مرتبته في الطريق فلينظر كتابه الذي ألفه فإنه عزيز الوجود قل من عثر على مشربه وصنفه وفيه من الفوائد خرق العوائد، سمعت شيخنا مولانا عبد الواحد الدباغ يقول سمعت شيخنا مولانا العربي الدرقاوي يقول لا يعرف سيدي علي إلا من كان سيدي علي أي لا يفهم كلامه إلا من وصل مقامه، وسمعته أيضًا يقول كان شيخنا سيدي علي فقيهًا كبيرًا عالمًا شهيرًا في علم الضدين أعني الحقيقة والشريعة والحرية والعبودية والجمع والفرق والسكر والصحو والسلوك والجذب والفناء والبقاء والبدايات والنهايات وما أشبه ذلك من علم الضدين)، وقال: (وخرج على يديه جماعة من المشايخ كلهم عارفون بالله كاملون راسخون في العلم بالله واصلون إلا أن منهم من تصدر للمشيخة ومنهم من لم يتصدر كما تقدم بيانه في ترجمة الشيخ مولانا العربي الدرقاوي، فالمشهور منهم عند الطائفة وارث مقامه وحاله وجامع بضاعة أسراره وكماله شيخ المشايخ المربي وقطب الأقطاب بفضل ربي

شيخ شيخنا مولانا العربي الدرقاوي } وقد تقدم ذكره، ومنهم الشيخ الجليل السيد أبو القاسم الحلوا دفين قبة الشيخ صاحب الترجمة وراء قبره وهذا هو الذي كان قد تولى خدمة دار الشيخ في جميع ما يحتاجون إليه وهو الذي اشترى موضع ضريح الشيخ وأوقفه عليه وعلى أولاده حسبما حدثني بذلك بعض أولاده، ومنهم الشيخ أبو عبد الله ولي الله تعالى سيدي محمد أمزاج كان من الأقوياء في الحس والمعنى حتى كان أهل وقته يضربون به المثل في الصحة وله حكايات عجيبة يطول ذكرها، وكان شيخ شيخنا مولانا العربي الدرقاوي يقول: أمزاج كان من أهل الرسوخ في اليقين لأنه كان لا يتحرك في قوته ولا في قوت أهله إلا عند الغروب، ويحكى عنه أنه كان ذات يوم على خرق العادة في سوق من الأسواق فمر به شيخه سيدي علي الجمل وأتاه من ورائه حيث لا يراه فقال له: ما حقيقتك؟ فقال له: من غير التفات: الله. فقال له الشيخ أيضًا: ما شريعتك؟ فقال له: أنا. فرجع الشيخ سيدي علي وهو يقول: الحمد لله الذي لم يجعل للشيطان عليه سبيلًا، سعت بعض الفقراء من أصحاب الشيخ مولانا العربي يقول إنه وقف على تأليف لهذا الشيخ المذكور. ومنهم الشيخ أبو القاسم الوزير دفين خارج باب الفتوح من مدينة فاس دفع الله عنها كل بأس وله قبة مشهورة كان } من أهل الاستغراق في الحقائق وله طائفة مشهورة وطريقة مذكورة. ومنهم الشيخ الجليل الماجد الأصيل ولي الله تعالى الشريف سيدي عبد القادر العلمي دفين مكناسة الزيتون بزاويته المشهورة وله طائفة مذكورة، كان } من أرباب الكشف يتكلم على الأسرار ويخبر غالبًا بما تجول فيه الأفكار كما رأيت ذلك منه عيانًا حين زرته قرب وفاته }، وقد كان يثني كثيرًا على شيخه سيدي علي الجمل ويقول: جمل ونعم الجمل. فقيل له يومًا: لماذا يا سيدي لم ترب المريدين على طريقه وتسيرهم على سيره مثل الشيخ مولانا العربي الدرقاوي فقال }: لم يأذن لي الشيخ في ذلك كما أذن لمولانا العربي، هكذا حدثني عنه بعض من أثق به. ومنهم الشيخ الجليل ولي الله تعالى سيدي المختار البقالي كان } مرافقًا للشيخ سيدي عبد القادر العلمي ومصاحبًا له في زيارة الشيخ سيدي علي الجمل، وكان من أهل التصرف في وقته وكان كثير الكرامات وخوارق العادات. ومنهم الشيخ الجليل أبو عبد الله سيدي محمد الهواري كان من العلماء العاملين ومن عباد الله الصالحين، وقد ولي القضاء بعد موت الشيخ فكان يحكم في القصر مدة من الزمان وقد تقدمت حكايته مع بعض الفقراء المتجردين من أصحاب الشيخ مولانا العربي الدرقاوي. ومنهم الشيخ الإمام الحبر الهمام خاتمة المحققين وحجة المدققين العالم العلامة النجم الثاقب الفهامة أبو حفص ولي الله تعالى سيدي عمر بن عبد الله بن عمر بن يوسف بن العربي بن أبي المحاسن



سيدي يوسف الفاسي }، كان } من العلماء العاملين ومن عباد الله الصالحين، وكان يدرس العلم مع الطلبة سائر الجمعة إلا يوم الخميس يقول للطلبة: هذا يوم جعلته لنفسي أتعلم فيه علمًا خاصًا من شيخي وهو علم الباطن وأنتفع فيه منه فكان } يوم الخميس يذهب إلى زاوية الشيخ ويعمر معه سائر يومه بالمذاكرة في العلم بالله وتارة يأتي بالشيخ إلى منزله وينتفع به، هكذا حدثني بعض من أثق به من أولاد عمه. ومنهم الشيخ الجليل الماجد الأصيل الفقيه الورع الذاكر الخاشع أبو العباس ولي الله تعالى سيدي أحمد الورزازي دفين تطوان خارج باب المقابر على يسار الخارج منها، كان } من أهل الجد في الدين ومن بعاد الله الصالحين لا تأخذه في الله لومة لائم ولا يبالي في كلمة الحق لا بجاهل ولا بعالم، ولما أخذ عن الشيخ سيدي علي الجمل قلت له: يا سيدي امحني وصلصلني ولا تترك مني إلا الفاتحة ثم اكتبني بما شئت، فقال له المحققون من الفقراء: ليته لو قال للشيخ لا تترك مني حتى الفاتحة ولكن بقية علم الظاهر لم تزل فيه فلذلك قال ما قال، فذكره الشيخ كثيرًا ثم قال له: لم نجد في جلدك ما ندبغ، فقال له: يا سيدي فكيف وقد أتيتك من بلدي بقصد المنفعة؟ فقال له الشيخ: قم جعلناك على قدم سيدنا عمر بن الخطاب } تقول الحق ولو كان مرًا، فبكى الشيخ الورزازي وقال له: يا سيدي فكيف أقول الحق في هذا الوقت وأسلم من إذاية الخلق وقد قاله الشيخ أبو محمد عبد السلام جسوس فمات بسببه؟ فقال له الشيخ: ذاك قال بنفسه فقتل لأجل نفسه وأنت إن شاء الله تقول الحق بربك فلا تخش أحدًا سوى ربك، فظهر له مصداق كلام الشيخ بعد ذلك إذ أتى السلطان الشريف الجليل أمير المؤمنين سيدنا محمد ابن مولانا عبد الله مدينة تطوان وكان الشيخ الورزازي هو الخطيب في المسجد الكبير وكان من عادته إن لا يبالغ في مدح السلطان كعادة أهل الزمان، فأتاه كبراء البلد فقالوا له: يا سيدي إن الأمير سيحضر خطبتك فنحبك أن تبالغ في مدحه وأن لا تقصر في مجده لعلمك بنفوس الملوك وما انطوت عليه من الغيرة وحب الرفعة فإنها تحب التعظيم والإجلال وتكره التقصير في جانبها والإهمال فوعدهم بذلك، فلما كان وقت الخطبة وبلغ محل تعظيم الأمير قال بعد أن صلى على النبي > وأدّى حق الخلفاء الراشدين وانصر عبدك هذا إن كان على حق وأشار بالعصا إلى الأمير فلم يؤاخذه الأمير بكلامه ولم يعاقبه على فعله فعلم أن كلامه كان بربه لا بنفسه، فلذلك لم يؤاخذ بسوء أدبه كما أخذ من تكلم بنفسه لعدم معرفته بربه وعدم استناده لمن يأخذ بيده، هكذا سمعته من شيخنا مولانا عبد الواحد الدباغ } مرارًا وهو يقول سمعته من شيخنا مولانا العربي الدرقاوي مرارًا، إلى غير هؤلاء من المشايخ الذين خرجوا على يد الشيخ مولانا علي الجمل }. سمعت شيخنا مولانا عبد الواحد

الدباغ يقول: كان يتبع الشيخ مولانا علي الجمل ما يزيد على ثمانية وعشرين رجلًا كلهم كانوا أولياء، وسمعته أيضًا يقول: سمعت شيخنا مولانا العربي الدرقاوي يقول: سمعت شيخنا مولانا علي الجمل يقول: نحن نسوق بالمائة وإذا خرج لنا منها رجل كامل نفرح به ونشطح إشارة إلى قلة أرباب الصدق في الطلب، قال تعالى: ﴿ **وَقَلِيلٌ مَا هُمْ** ﴾ [ص: 24]. فافهم، وأما شيوخ الشيخ مولانا علي الجمل } فإنه كان مرافقًا لبعض ملوك غربنا وهو أحد أولاد السلطان الشريف الجليل مولانا إسماعيل العلوي رحمه الله فلما انقضت مدته وقام غيره خاف سيدي علي على نفسه من عقوبة الأمير الثاني الذي قام بعد صاحبه فذهب مستأجرًا بزاوية أولاد ابن عبد الله بالمخفية وذلك قوله في كتابه: تقدمت لي معرفة أحد ملوك الظاهر كنت أرافقه وأجالسه قبل دخولي لهذا الفن ... إلخ كلامه، فتلقى بالشيخ الإمام الحبر الهمام صاحب العلوم اللدنية والمواهب الربانية المستغرق في الحضرة الإلهية المحلى بحلل الصمدانية المشهور بالجد والاجتهاد عند العارفين المعروف بالصدق في الأقوال والأفعال والأحوال عند الواصلين ذو الأخلاق الزكية والأسرار القدسية العارف بالله الكامل المحقق الواصل أبي عبد الله الشيخ سيدي محمد العربي ابن الشيخ الإمام القدوة الهمام أبي العباس العارف بالله سيدي أحمد ابن الشيخ الكامل العارف بالله الواصل أبيع بد الله سيدي محمد بن الفاضل الخير الأجل الحسيب الأصيل المبجل أبي عبد الله سيدي محمد بن عبد الله وبه اشتهروا الآن بمدينة فاس دفع الله عنها كل بأس، وسيدي محمد بن عبد الله هو ابن معن بفتح العين والميم معًا الأندلسي المحتد الفاسي الآباء والمولد القاطن بحومة المخفية من عدوة فاس الأندلس، ولد ونشأ والده بها ويعرف قديمًا بمعن والآن بابن عبد الله، وهو من ذرية يعقوب المنصور الموحدي ويعقوب كوفي الأصل من قيس عيلان بالمهملة ابن مضر كما ذكره جماعة من المؤرخين لدولتهم وهو الصحيح وأصله من خط حفيده الأمير أبي محمد عبد الواحد حسبما نقله ابن أبي زرع وغيره وقيل فيه شريف النسب حسني إدريسي من أبناء محمد بن القاسم بن إدريس، ولهذا القول بالشرف كان سلف سيدي العربي بن عبد الله يذكرون شرف نسبهم فيما بينهم ويمسكون عنه فيما بين الناس للقول الأول وهو أن يعقوب بن قيس عيلان. أوصى الشيخ سيدي محمد بن عبد الله جد الشيخ سيدي العربي أولاده أن لا يذكروا القول بالشرف بل يدخرونه للآخرة إن كان، وبالجملة فنسبهم على كل من القولين عربي كما بيَّن ذلك الشيخ الإمام أبو محمد سيدي عبد السلام القادري في المقصد. ولد الشيخ سيدي العربي بن عبد الله ضحوة يوم الأربعاء تاسع ذي القعدة سنة تسع بتقديم الفوقية وسبعين بتقديم السين وألف وتوفي سنة نيف وستين ومائة وألف حسبما ذكر ذلك الشيخ الجليل أبو محمد التاودي بن سودة في فهرسته إذ عرف به من جملة أشياخه

وذكره فقال: ومنهم الشيخ المهاب اللائح عليه آثار التخصيص والاقتراب أبو محمد سيدي العربي بن عبد الله نجل الولي الشهير سيدي أحمد بن عبد الله صاحب المخفية لقيته غير ما مرة متبركًا به ودعى له بخير وكان له أصحاب وأتباع خيار وإن لم يكثروا منهم سيدي محمد بن يونس والشريف سيدي علي الجمل وغيرهما ثم ذكر تاريخ وفاته } هـ. نشأ على بركة الله الشيخ سيدي العربي بن عبد الله في عفة وصيانة ومروءة وديانة وربى على أكمل تربية ودرب على التخلق بالأخلاق السنية يتأدب بآداب والده ويتجلى بأحوال جده مقتصرًا على الدار والزاوية لا يخالط غير أرباب الهمم العلية ولم يزل يعتني بتربية والده دائمًا يلقي له البال في التأديب والتهذيب ويتعاهده حتى بلغ في التربية أشده وحصّل في العلم بالله والمعرفة مراده وقصده، وقد أخبر عن شأنه وما يؤول إليه أمره من الصلاح وينتهي إليه مقامه من الفلاح وبشر والده ببصيرته الربانية وفراسته النورانية الشيخ الكامل العارف بالله الواصل قطب الدائرة أبو العباس الشريف سيدي أحمد اليماني } إذ قال فيه أي في سيدي العربي: أن فيه الخير وسيكون من الصالحين. كان } رجلًا مهابًا معظمًا عند سائر الناس لا يتكلم إلا فيما فيه فائدة دينية أو دنيوية ولا يحب اللغو في الأقوال ولا اللهو في الأفعال، وكان يعتريه الحال في بعض الأحيان فيقول لتلميذه سيدي علي قم يا ولدي هنا يحتاج الرجل ولده ليغيثه، فيقوم سيدي علي معه ويدخله خربة من الخرب ويمكنه من فأس وقفة ويقول له: سيدي احفر هنا لننقل هذا التراب من هذا المحل فيشتغل سيدي العربي يحفر ويملأ القفة وسيدي علي يرمي بإزائه حتى يتعب سيدي العربي غاية التعب ويرجع إلى حسه فيقول: علي يكفيك هذا يا سيدي، ويذهب به إلى الزاوية).

ملاحظة

سيدي ابن القاضي هو أحد تلامذة سيدي عبد الواحد الدباغ، وسيدي عبد الواحد الدباغ هو أحد تلامذة مولاي العربي الدرقاوي، رضي الله عنهم أجمعين.

سند الطريق

أخذ سيدي علي العمراني الجمل النسبة عن سيدي العربي بن عبد الله، عن أبيه سيدي أحمد بن عبد الله، عن سيدي قاسم الخصاصي، عن سيدي محمد بن عبد الله (الذي هو أب سيدي أحمد بن عبد الله)، عن سيدي عبد الرحمن الفاسي، عن أخيه سيدي يوسف الفاسي، عن سيدي عبد الرحمن المجذوب، عن سيدي علي الصنهاجي الدوار، عن سيدي إبراهيم أفحام، عن سيدي أحمد زروق، عن سيدي

أحمد الحضرمي، عن سيدي يحيى القادري، عن سيدي علي بن وفا، عن أبيه سيدي محمد بحر الصفا، عن سيدي داوود الباخلي، عن سيدي أحمد بن عطاء الله، عن سيدي أبي العباس المرسي، عن سيدي أبي الحسن الشاذلي، عن مولانا عبد السلام بن مشيش، عن سيدي عبد الرحمن المعدني، عن سيدي تقي الدين الفقير، عن سيدي فخر الدين، عن سيدي نور الدين، عن سيدي تاج الدين، عن سيدي شمس الدين، عن سيدي زين الدين القزويني، عن سيدي إبراهيم البصري، عن سيدي أحمد المرواني، عن سيدي سعيد، عن سيدي سعد، عن سيدي فتح السعود، عن سيدي سعيد الغزواني، عن سيدي أبي محمد جابر، عن سيدي الحسن السبط، عن أبيه مولانا علي كرم الله وجهه، عن رسول الله >.

ترتيب وتبويب كتاب
سيدي علي الجمل
نفعنا الله ببركاته

الاجتماع على الله

قال العارف الكامل المحقق الواصل سيدي علي العمراني الجمل نفعنا الله به: (سمعت الشيخ نفعنا الله به يقول: هل رأيتم النحل لماذا وُجِدَت بينهم تلك العسل؟ لأنهم مجتمعون على الله، لا تحاسب نحلة أختها في عمل ولا تحسدها في شيء فلذلك وجدت بينهم تلك العسل).

الاحتياج

قال }: (اعلم أن باب الخير هو الخير أو الوحلا أو الاضطرار وهما بمعنى واحد وهو شدة الاحتياج الكثير وهذا هو مفتاح الغيوب. من ظفر بهذا المفتاح فتحت له مخازن الغيوب كلها فلهذا قيل: الفاقة أعياد المريدين على ما احتوت عليه من الخير. لو عرف الإنسان فوائد الاحتياج ما احتاج إلى شيء سوى الاحتياج. قيل إن الاحتياج نسخة من اسم الله العظيم الأعظم). وقال: (اعلم أن أول ما يفعل بصاحب هذا الطريق، تسد عنه أبواب الظاهر حتى يرده مولاه إليه، أحب أم كره، ثم بعد ذلك يقع له الفتح بالمغيبات فتفتح له أبواب الغيوب، لأن شمس النهار لا تطلع إلا بعد ظلمة الليل، لأجل ذلك قيل: الفاقة أعياد المريدين، لأن العيد هو الذي يعود على أهله بالسرور والأفراح، كذلك شدة الفاقة إذا حصلت للمريد وكان من مع شيخ عارف بالله، وكان عند أمره ونهيه، لا يغيب عنه شيئًا مما يعرض له من الفاقة، والفاقة هي شدة الاحتياج، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، فإن ذلك علامة الفتح، وعلى قدر ما تعظم الفاقة وتشتد، على قدر ما يعظم الفتح ويجهر ويتبين، فصار على هذا، لا يوم على المريد أفضل من يوم تشتد عليه الفاقة في الظاهر أو في الباطن، فإذا كان الأمر هكذا وجب على المريد الصادق طلب الفاقة لا الفرار منها كما يقع لبعض المتفقرة، ويرحم الله القائل:

إن شكوت الهوى فما انت منا * احمل الصد والجفا يا معنا

تدعي مذهب الهوى ثم تشكو * دعواك في الهوى اين اينَ

لو وجدناك صابرًا لهوانا * لمنهناك كل ما تتمنى)

وقال: (اعلم ومما قال لي الشيخ رحمه الله قال لي: إذا توقفت في شيء أو

احتجت إلى شيء فاقصد معدنه أو اقصد أهله. إذا قصدت معدنه فإنه يلقيك مع أهله، وإذا قصدت أهله فإنهم يجمعونك مع معدنه، لأن كل شيء أهله في معدنه ومعدنه عند أهله)، وقال: (اعلم أن كل من يجتنبه الخلق لا بد أن يحتاجوا إليه وينحازوا إليه، أحبوا أم كرهوا، كما أن كل من يجتنب الخلق لا بد أن يحتاج إليهم وينحاز إليهم، أحب أم كره، لأن الوجود كله، كما أنه مفترق لا جمع فيه، كذلك هم مجتمع لا فرق فيه، وكما أنه مفتقر لا غناء له كذلك هو مغني لا فقر له، والأصل: الحق واحد قائم بنفسه لنفسه غني عن نفسه بنفسه)، وقال: (اعلم أن الوجود كله واحد، وكل مسألة في الوجود حقرتها ولم يعمل يدك معها، حتمًا يلجئك الحال إليها. الله تبارك وتعالى حكيم، ما خلق لك شيئًا في الوجود، منع الذرة حتى إلى أعلى شيء، إلا وأنت إليه في غاية الاحتياج، ما لم تحتج إليه اليوم تحتج له غدًا، فيجب على العاقل ألا يعقر شيئًا ولا يهمل شيئًا من الوجود، وهكذا)، وقال: (اعلم يا أخي احتل على ما تحتاج إليه أنت ثم بعد ذلك أولادك ثم بعد ذلك من دار بك من المساكين ثم بعد ذلك أبويك يعني والدين الدين ووالدين الطين وبالله التوفيق واستعن بالله واصبر والله معك).

الأحوال

قال: (اعلم أن صاحب الحال الوارد، حكمه حكم صاحب الجنون الذي يغمى عليه. أرأيت المغمى عليه في حال إغمائه، هل له تصرف في نفسه في حالة هجوم الجن الوارد عليه؟ لا تصرف له في نفسه حتى يفتر عنه تلك الحال، فلذلك أعذره الله ورسوله، كل ما فعل في تلك الحالة لا يؤاخذ به لأن الحكم للغالب عليه، وكذلك صاحب الأحوال لما غلبت عليه أحواله صارت هي المتصرفة فيه بما شاءت وكيف شاءت، فسقه عنه عند ذلك التكليف كما قال الشيخ أبو مدين }: (فقد رفع التكليف في سكرنا عنا). ومن قال بأن صاحب الأحوال لا يظهر أثرها عليه فقد كذب، لأن الأحوال ما وردت على أحد إلا ظهر عليه أثرها، إلا النبي > خصه الله تعالى من بين خلقه، هو منبع الأسرار والأنوار، والصالحون { إنما هم رشحات من بحور أنوار. خصه الله تعالى بهذه المزية العظمى، اجتمعت فيه الأحوال كلها ولم يغب فيه حال على حال، ورد على قلبه > ما لم يرد على قلب بشر، وهو > يعطي لكل ذي حق حقه ويوفي كل ذي قسط قسطه، كما قال القائل:

ما شرب الكاس واحتساه * إلا محب قد اصطفاه

يعني النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله).

الاختلاف

قال: (اعلم أن من جملة إتقان صنع الله في الإنسان، أن جعله مختلفًا في أقواله وفي أفعاله وفي أحواله وفي ذاته وفي صفاته وفي جده وفي هزله وفي خيره وفي شره وفي خلقه وفي خُلقه وفي ظاهره وفي باطنه وفي علوه وفي سفله وفي حسه وفي معناه إلى ما ليس له حصر، ومن ذلك الاختلاف أن جعله ترد عليه أحوال مختلفة: الخير فيها يتلفه عن الخير ويجمعه على الشر، وأحوال: الشر فيها يتلفه عن الشر ويجمعه على الخير، وأحوال أخرى بالعكس: الخير فيها يتلفه عن الشر ويجمعه على الخير، وأحوال: الشر فيها يتلفه عن الخير ويجمعه على الشر، إلى ما لا نهاية له وذلك لتعلموا أن الله على كل شيء قدير، وقال تعالى: ﴿ **وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ** ﴾ [هود: 118]. سبحان العليم الحكيم). وقال: (ومما قال لي الشيخ رحمه الله قال لي: يا ولدي الإنسان كما هو محتاج لصلاح الأرواح، محتاج لصلاح الأشباح. الإنسان لا تقوم ذاته ولا صفاته إلا بالاختلافات قال تعالى: ﴿ **وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ** ﴾ [هود: 118]. الروح لا تقوم إلا بصحة الجسم، والجسم لا يقوم إلا بصحة الروح. الذات تصلح من أقواتها، وتفسد من أقواتها، والروح تصلح من أقواتها، وتفسد من أقواتها. أقوات الذات: الأكل والشرب. فساد الذات في أكل طعام واحد على الدوام، وصلاحها في أكل كل ساعة طعام غير الذي كان قبله. وأقوات الروح: الكلام والشم والنظر والسمع والبصر ولمس اليد وسير الرجلين وجماع الفرج، هذه سبعة جوارح. إذا اختلفت أقوات الروح بها فذلك علامة صحتها، وإذا استمرت على حال واحد فذلك فسادها وهكذا). وقال: (اعلم أن صاحب حالة واحدة مقيد مسجون ولو كانت باختياره وإرادته، وأحرى إن كانت قهرًا أو جهلا)، وقال: (اعلم أن الإنسان في ذاته عالمين عالم ظاهره وعالم باطنه. سبحان من صنعه وأتقن صنعه وجعله مولاه مختلفًا من كل جهة، ومن جملة ذلك الاختلاف أن كل ما ترى في ظاهره، ففي باطنه ضد ذلك، وكل ما ترى في بواطنه، ففي ظواهره ضد ذلك، ولا يظهر فيه حال، إلا ويتبعه ضده، قال تعالى﴿ **وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ** (118) **إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ** ﴾ [هود: 118 - 119]، وقال: (اعلم ومن جملة الاختلاف الذي جعل الله في الإنسان أن من كان جماله في باطنه هو الذي يكون جلاله في ظاهره، والذي يكون جماله في ظاهره هو الذي يكون جلاله في باطنه، فصاحب الجلال الظاهري والجمال الباطني له تسع وتسعون قسمة مع الحق وقسمة مع الخلق، وصاحب الجمال الظاهري والجلال الباطني له تسع وتسعون قسمة مع الخلق وقسمة واحدة مع الحق، ومن هنا قيل الإقبال على الخلق هو الإدبار عن الحق، والإقبال على الحق إدبار عن الخلق). وقال: (اعلم أن صاحب الفناء، ذل أفعاله هو سبب عز أقواله، بذلك تجده مملوكًا في ملكه. عز الفناء مؤسس على ذل الأفعال،

كما أن عز البقاء مؤسس على ذل الأقوال، والفاني بلا ذل في أفعاله، لا عز له في أقواله، كما أن الباقي بلا ذل في أقواله، لا عز له في أفعاله، ومن ثبت فناؤه ثبت بقاؤه، ومن لم يثبت فناؤه لم يثبت بقاؤه، وعز الأقوال لا يكون حتمًا إلا مع ذل الأفعال، كما أن عز الأفعال لا يكون حتمًا إلا مع ذلك الأقوال، وعز الأقوال مع عز الأفعال اجتماعهما محال، كما أن ذل الأقوال مع ذل الأفعال اجتماعهما محال، وذلك لأن الاختلاف لا بد منه، به قامت بنية الإنسان، قال تعالى: ﴿ **وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ** ﴾ [هود: 118]، ولو عدم الاختلاف من بنية الإنسان لاختل من حينه واضمحل وتلاشى. سبحان من خلق الإنسان في أحسن تقويم وجعله مختلفًا من جميع جهاته، وأقواله قول خلاف قول، وأفعاله فعل خلاف فعل، وذاته عضو خلاف عضو، وصفاته صفة خلاف صفة، وأحواله حال خلاف حال، ومقاماته مقام خلاف مقام، وأوقاته وقت خلاف وقت، وطعامه طعام خلاف طعام، وإرادته إرادة خلاف أرادة، إلا ما لا يعلم حده من الاختلافات التي ما احتوى عليها إلا من خلقها فيه بحكمته وقدرته سبحانه)، وقال: (ذكر بعض أوصاف نفس الفقير، من أهل الظاهر والباطن: أولهم أصحاب الأفعال الظاهرية كثير الصمت وإذا تكلم يتكلم بكلام جلالي مظلم، كما أن صاحب الأقوال الظاهرية قليل الفعل وإذا فعل يفعل فعلًا جماليًا منورًا، وصاحب الأفعال الباطنية كثير الصمت وإذا تكلم يتكلم بكلام جمالي منور، كما أن صاحب الأقوال الباطنية قليل الفعل وإذا فعل يفعل فعلًا جلاليًا مظلمًا، كأن صاحب الأفعال الظاهرية جمالي الظاهر جلالي القلب، وكأن صاحب الأفعال الباطنية بالعكس جلالي الظاهر جمالي القلب، لأن الاختلاف لا بد منه: أقوال أهل الباطن خلاف أقوال أهل الظاهر، وأفعال أهل الظاهر خلاف أفعال أهل الباطن، والباطن خلاف الظاهر، والظاهر خلاف الباطن، والذات خلاف الصفات، والصفات خلاف الذات، وألوان الظاهر خلاف ألوان الباطن، وألوان الباطن خلاف ألوان الظاهر، والأقوال مختلفة بعضها خلاف بعض، والأفعال مختلفة بعضها خلاف بعض، والذات مختلفة بعضها خلاف بعض، والصفات مختلفة بعضها خلاف بعض، قال تعالى: ﴿ **وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ** ﴾ [هود: 118]، وقال جل من قائل: ﴿ **وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ** ﴾ [الرُّوم: 22]. سبحان من خلق الإنسان وفضله على كثير من خلقه، وجعله هو قطب المملكة الربانية وعليه المدار مما أودع فيه من الأنوار والأسرار. خلق الأشياء كلها من أجله، وجعله أميرًا عليها لما خصه بخلافته وبمناجاته. ظهر فيه بكمال الظهور حتى لم يخف على أحد من أوليائه وأحبائه، كما خفي فيه بكمال البطون حتى لم يظهر لأحد من طغاته وأعدائه. سبحان من حكم فعدل، وأعطى فتفضل، سبحان الحكيم العليم)، وقال: (سمعت منه أيضًا قال لي: يا ولدي اقصد العمل الذي يحضر ويغيب ولو كان يظهر للناس أنه قبيح، واترك العمل

الذي تدوم فيه ولو يظهر لك وللناس أنه مليح. انظر الإنسان لو كانت بنيته تقوم بالشبع دون الجوع ما عرضه مولاه للجوع أبدًا، كما أن الجوع يظهر للناس أنه أقبح القبائح، ولو كانت بنية الإنسان أيضًا تقوم بالطاعة دون المعصية ما عرضه مولاه للمعصية، مع أنه هو الذي أمر بالطاعة وشكرها، ونهى عن المعصية وذمها. صار كل ما في الوجود من الأشياء لا يقوم إلا بضده، أحب أم كره، ودوامك في الشيء حتمًا يجمعك بضده أحببت أم كرهت، لأن الإنسان ما دام في فعل الخير إلا انقلب ذلك الخير شرًا، ولا دام أيضًا في فعل شر إلا انقلب ذلك الشر خيرًا، لأن الإختلاف لا بد منه، ومن أراد أن يكون على حال واحد لا يجد ذلك لأنه أراد شيئًا لم يخلقه الله تعالى، قال تعالى: ﴿ **وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ** ﴾ [هود: 118]، وقال جل من قائل: ﴿ **وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ** ﴾ [الرُّوم: 22]. ولكن شتان بين أهل الاختلاف القهر وأهل الاختلاف الاكتسابي)، وقال: (اعلم أن حقيقة البشرية هو أنك ما رفعت أحدًا إلا وضعك وما وضعته إلا رفعك ولا أحسن لأحد إلا أساء إليك وبالعكس ولا عظمت أحدًا إلا حقرك وبالعكس ولا قربت أحدًا إلا بعدك وبالعكس وهكذا إلى ما لا نهاية له، وهذا من غاية الإتقان لأن الأشياء كلها مقرونة في أضدادها وبذلك قام الوجود يعني بين الاختلافات، قال جل من قائل: ﴿ **وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ** ﴾ [هود: 118]، هذه حكمة الله في خلقه، وبذلك الاختلافات نجى من نجي وهلك من هلك، وزيادات الوجود كلها بين هذه الاختلافات، وهذا لا يعرفه إلا عارف بالله أو حكيم من حكماء النفوس، قال بعضهم:

بـــين طلـــوع ونـــزول * تخبلــــت الغـــــزول

افنـــى مـــن لـــم يكـــن * وابقـــى مـــن لـــم يـــزل)

الاختيار والقهر

قال: (اعلم ومن أسمائه تعالى القهار، ومن جملة قهره سبحانه أن جعل الإنسان ترد عليه أحوال يسلكها وهو كاره لها، ولا يقدر أن ينقذ نفسه منها ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ** ﴾[الأنفال: 24]، وذلك أن مولاك أعرف منك بما يصلح لك، قال تعالى: ﴿ **وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ [البقرة: 216]، ﴿ **وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ** ﴾ [المؤمنون: 71]، صدق الله العظيم). وقال: (اعلم ومما قال لي الشيخ رحمه الله قال لي: يا ولدي لا تختار حالًا مع حال، أنت مع ما أقامك مولاك، وإذا كان ولا بد من الاختيار اختر الضيق على التاسيع، يعني الضيق في الظاهر هو عين التاسيع في الباطن. انظر قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ** (1) **وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ** (2) **لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ** ﴾ [القدر: 1 - 2 - 3]. قال بعض

المفسرين: القدر هو الضيق)، وقال: (اعلم أن كل ما هو حكمة اختيارًا فهو شريعة، وكل ما هو قدرة قهرًا فهو حقيقة، وكل ما تغرسه شريعة اختيارًا لا يثمر لك إلا حقيقة قهرًا. مثله أنك إذا غرست الذل اختيارًا في ظاهرك شريعة فإن ثماره تكون عزًا حقيقة قهرًا، وإذا غرست العز في ظاهرك اختيارًا شريعة فإن ثماره تكون ذلًا حقيقة قهرًا، لأن أفعال العبد كلها شرائع اختيارًا، وأفعال المولى كلها حقائق قهرًا، مع أنه في الحقيقة الكل فعله تعالى لكن من فضله تعالى خلق الفعل ونسبه إليك وجعل فعلك يوجد فعله، إن غرستها حسنة ينبتها هو لك حسنة، وإن غرستها سيئة ينبتها هو لك سيئة، وحكم على نفسه بقوله: ﴿ **وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ** ﴾ [إبراهيم: 34]. جعل غرس الخير والشر بيدك لتكون حجتك عليك). وقال: (اعلم أن كل من لم يأت لباب مولاه حكمة اختيارًا، لا بد أن يأتي لبابه قدرة قهرًا. من لم يجب داعي الإحسان، حتمًا يجيب داعي السلطان. الحكمة حكمته تعالى، نسبها الحق لخلقه هبةً وفضلًا منه عليهم، وإن كان في الحقيقة هو الفاعل بها منه به إليه، كذلك القدرة قدرته تعالى نسبها الحق لنفسه عدلًا منه به إليه، كأن الحكمة شريعة والقدرة حقيقة، والحكمة والقدرة كلهم أوصاف الحق).

الإرادة

قال: (اعلم أن الوجود كله سائر على قواعد الإرادة أي إرادة الحق، ومن إرادة الحق إرادة عبيده، وإن فتشت الوجود لم تجد فيه عشبة ولا حصاة ولا أصغر من ذلك ولا أكبر سائرًا على غير الإرادة، ولكن تجد الأشياء مستقرة على إرادة فاعلها أعني الحكيم سواء كان الحكيم حقيقيًا أو مجازيًا، ومهما عرضت إرادة أخرى فإن الأشياء تنقلب على حكمها سواء كانت هذه الإرادة عرضت من صاحب الإرادة الأولى أو من غيره. حاصله: الأشياء كلها، علوية أو سفلية، سائرة على سير الإرادة ولا ينقلب حكمها إلا إذا أدخلت عليها إرادة أخرى فإن تلك الإرادة التي دخلت من أجلها تنقلب الأشياء على حكمها في الحين، سواء كانت إرادة الحكيم الحقيقي أو إرادة الحكيم المجازي وهو العبد، وفي الحقيقة الكل حق وليس هناك غيره، ألا كل شيء ما خلا الله باطل).

الاستشفاع

قال: (وسمعته أيضًا يحكي أن الشيخ أبا الحسن الشاذلي ذهب يستشفع لأحد من الملوك في حاجة أحد من الناس ثماني عشر مرة، وفي كل مرة يستشفه له فيها فلم يقضها له ويرجع حتى أكمل ثمانية عشر مرة فقضاها له).

الاستواء

قال: (اعلم أنه إذا استوى في الفقير المتوجه إلى الله، الحس والمعنى، حتى يكونا عنده سواء فإنه يصير يقتل الوجود، علوي وسفلي، كما يقتل الحزم. واستواء الحس والمعنى هو استواء العز والذل، والخير والشر، والقبض والبسط، والمدح والذم، والعطاء والمنع، والسعة والضيق، والعدو والحبيب، والقرب والبعد، والجلال والجمال، والإقبال والإدبار، والعلو والدنو، والملك والمملوك، إلى ما لا نهاية له من الأضداد).

أسماء الحق

قال: (اعلم أن الأسامي كلها كل ما يطلق عليه الاسم كلها أسماء الحق في العالم العلوي والسفلي).

اسم الله العظيم الأعظم

قال: (اعلم أن رجلًا من الصالحين طلبه تلميذه أن يعلمه تلميذه اسم الله العظيم الأعظم، قال له الشيخ: اسم الله العظيم الأعظم هو إذا قلت لك: أوقف أوقف وإذا قلت لك: اجلس اجلس)، وقال: (اعلم أن الولي إذا امتحت إرادته بحيث يصير لا إرادة له إلا ما يبرز في الوقت، فإذا اطمأن الولي في هذا الحال فإنه يصير هو كلمة الله التي لا نفاذ لها، وهو اسم الله العظيم الأعظم، ويصير يقول للشيء كن فيكون، ما اهتم بشيء إلا وجد بين يديه بأمر الله تعالى)، وقال: (اعلم أن اسم الله العظيم الأعظم في الإنسان، به فضله الله تبارك وتعالى على كل ما خلق، وذهب جمهور الحكماء العارفين بالله العالمين بأحكام علم النفس إلى أن الله تعالى جعل هذا الاسم الشريف في الإنسان مكتوبًا بقلم القدر، عنده في التوجه، لأجل ذلك صار التوجه سؤالًا لا يرد، قال تعالى: ﴿ **وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ** ﴾ [إبراهيم: 34]، والسؤال الحقيقي هو السؤال بالفعل، وأما السؤال بالقول فيصح إن صاحبه الفعل، بخلاف سؤال الفعل فيصح صاحبه القول أم لا، ولكن القول مثل النوار يرجى له الثمار لأجل ذلك قبل ولم ينكر، كما قال القائل:

لكن سر الله في صدق الطلب * كم ريئ في اصحابه من العجب

والصدق في الطلق هو الفعل بصدق القول، والفعل: هو التوجه بالذات لا السعي فيما طلب الإنسان)، وقال: (اعلم أن اسم الله الأعظم جعل الله تبارك وتعالى في الذل، من سأل به أعطي ومن دعى به أجيب. مهما تذللت لمولاك أو

للمخلوق إذا شاهدت فيه مولاك، نفسك أو جنسك، استجيب لك في الحين، قال تعالى: ﴿ **ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً** ﴾ [الأعراف: 55]، وقال جل من قائل: ﴿ **أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ** ﴾ [النمل: 62]. قرن الإجابة مع الاضطرار لأن مع الاضطرار يقع الذل، ومع الذل يكون العز، لأنك مهما قابلت مولاك بالذل غمسك في العز، ومهما قابلت مولاك بالعز غمسك في الذل، ومهما توجهت بالذل لمولاك في شيء إلا قضاء الله تبارك وتعالى حاجتك من عندهم في الحين، من غير تعطيل ولا تعب ولا نصب، لأن توجهك إليهم به هو توجهك إليه بهم. حجبت عنهم به، فنيت الآثار، وبقي المؤثر، قال ابن عطاء الله: محال أن تشهده وتشهد معه غيره، وقال أيضًا: تحقق بأوصافك يمدك بأوصافه).

الاشتغال

قال: (اعلم أن المشتغل ببدنه لا يشتغل بقلبه، كما أن المشتغل بقلبه لا يشتغل ببدنه، جرت سنة الله بذلك، سواء كان شغل البدن خيري أو شري، أو شغل القلب خيري أو شري. إذا توجهت إلى الحس سكنت المعاني، وإذا توجهت إلى المعاني سكن الحس، والإنسان مشتغل أبدًا على الدوام إلا أنه تارة في الحس وتارة في المعنى، وتارة في الظاهر وتارة في الباطن، وتارة في اليقظة وتارة في النوم، وتارة مع نفسه وتارة مع جنسه، وتارة في الحيوانات وتارة في الجمادات، وتارة في الدنيا وتارة في الآخرة). وقال: اعلم أنك لا تفعل مع أهل الدنيا خيرًا حتى تتهيأ لملاقاة الشر الذي يكافئونك به، ولا تفعل معهم شرًا أيضًا حتى تتهيأ للخير الذي يكافئونك به. جرت عادة الله تعالى في عامة خلقه: ما فعلت معهم خيرًا إلا جازوك بالشر، ولا فعلت معهم شرًا إلا جازوك بالخير، والصواب هو الإعراض عنهم حتى لا تفعل معهم خيرًا ولا شرًا، ولا تشتغل إلا بمولاك، لأن إقبالك عليهم، كان لخير أو لشر، هو إدبارك عن مولاك، قال في الحكم: إقبالك على الحق إدبارك عن الخلق، لأن الخلق ليسوا محتاجين لخيرك ولا لشرك. اترك الخلق لمن خلقهم حتى نفسك، واشتغل به فذلك عين النجاة والفلاح، وحقيقة هذا الأمر أن كل ما يشغلك عن مولاك فهو صنم، لأن الاشتغال بالمخلوق دون الخالق هو الشرك الخفي، قال تعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** (56) **مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ** ﴾ [الذاريات: 56 - 57]، وقال جل من قائل: ﴿ **وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى** ﴾ [طه: 132]، وجل الناس خذلوا من جهة هم الرزق وخوف الخلق، نسأل الله السلامة والعافية)، وقال: (اعلم أن

كل من حيل بينه وبين مولاه، ما حجبه عنه إلا الاشتغال بالمخلوق وكثرة الخوض فيه، يرحم الله القائل:

هــم فـــي هـــوى المحبـــوب * ولا تبـــــــــــــــــــالي

وأصدق بيت قالته العرب: « ألا كل شيء ما خلا الله باطل »، وقال صاحب الحكم: « إقبالك على الخلق إدبارك عن الحق »، وقال تعالى: ﴿ **قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ** ﴾ [الأنعام: 91]، وقال تعالى: ﴿ **وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ** ﴾ [العنكبوت: 45]، وقال تعالى: ﴿ **فَمَاذَا بَعْدَ الحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ** ﴾ [يونس: 32]. وقال تعالى: ﴿ **وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الغُرُورِ** ﴾ [الحديد: 20]، وقال تعالى: قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿ **فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الغَرُورُ** ﴾ [لقمان: 33]، فلا تشغلنكم الدنيا بكثرة الخوض فيها عن الله. وقيل: من اشتغل بما لا يعنيه فاته ما يعنيه لأن الحجاب الأول هو الدنيا. وكل من استعذب لذيذ الخوض فيها ووقف معها فهو مغرور مخذول محجوب)، وقال: (اعلم يا أخي أن الاشتغال بالمحبوب هو نهاية الخير والمنى والمطلوب. إذا اشتغلت الناس بالعبادة اشتغل أنت بالمعبود، وإذا اشتغلت الناس بالمحبة اشتغل أنت بالمحبوب، وإذا اشتغلت الناس بالدعاء اشتغل أنت بالمدعو له، وإذا اشتغلت الناس بالأعداء اشتغل أنت بمحبة الحبيب، وإذا اشتغلت الناس بمكابدة النفوس اشتغل أنت بمحمد العروس، وإذا اشتغلت الناس بتصفية الباطن اشتغل أنت بالظاهر والباطن، وإذا اشتغلت الناس بالعمل اشتغل أنت بمن لم يزل، وإذا اشتغلت الناس بطلب النجاة من النار اشتغل أنت بمورد الأسرار، وإذا اشتغلت الناس بطلب الجنة اشتغل أنت بمن حكم على خلقه بالفنا، وإذا اشتغلت الناس بالأنعام اشتغل أنت بالباقي على الدوام، وإذا اشتغلت الناس بالنجاة من الشيطان اشتغل أنت بالملك الديّان، وإذا اشتغلت الناس بطلب الكرامات اشتغل أنت بلذيذ المناجاة، وإذا اشتغلت الناس بتكرار الأوراد اشتغل أنت بمولاك الجواد، وإذا اشتغلت الناس بكثرة المجاهدة اشتغل أنت بنور المشاهدة، وإذا اشتغلت الناس بالاجتهاد في الوصال اشتغل أنت بمشاهدة الجمال، وإذا اشتغلت الناس بالترتيب اشتغل أنت بالحبيب، وإذا اشتغلت الناس بالمتمتع والإنعام اشتغل أنت بمسببها على الدوام، وإذا اشتغلت الناس بخرق الحجب اشتغل أنت بعلام الغيوب، وإذا اشتغلت الناس بطلب الزيادة اشتغل أنت بتخليص العبادة، وإذا اشتغلت الناس بواردات القلوب اشتغل أنت بالحبيب المحبوب، وإذا اشتغلت الناس بالمعارف والعلوم اشتغل أنت بمراقبة الحي القيوم، وإذا اشتغلت الناس بوقائع أهل الطريقة الجأ إليه في كل حقيقة ودقيقة، وإذا اشتغلت الناس بانتظار النقص والكمال انظر أنت لسابقة الأزل).



أشعار

- من كلام شيخ شيوخنا سيدي عبد الرحمن المجذوب نفعنا الله بالجميع:

امنـــاين جيـــت يـــا ذا الـــروح * الهادمـــــــا روحانيـــــــا

الســـــاكنا فــــي ابســــاط العـــز * احوالهـــــــا ربانيـــــــا

راع مـــن الـــنفس جهـــدك * صـــبح او مـــس عليهـــا

لعلهـــــا تـــــدخل بيـــــدك * اتعـــــود تصـــطاد بهـــا

- انظر يا أخي هذه الأبيات وتأملها، التي قالها شيخ شيوخنا سيدي عبد الرحمن المجذوب نفعنا الله به، تجد فيها والله دواء ما يقع لك من جفاء الأحبة الذين لم تكن تظن صدور ذلك منهم، ولكن أين تجد أحب الأحباب إليك تحد أعدى الأعداء إليك، موضع الخير: القوى والكمال والصدق، وموضع الشر: القوى والنقص والكذب. ما طلع شيء وظهر إلا وتجد ضده طالعًا معه مقرونًا فيه، طلوعه على قدر طلوعه. قال المجذوب في هذه الأبيات المشار إليها قبل:

بالمســـــكنا ناخـــــد الثــــار * ونرقـــــد للـــــي جفـــــاني

ونصـــــبر لتعـــــواج الايـــــام * حتـــــى يـــــواتيني ازمـــــاني

وقال أيضًا:

نرقـــد علـــى شـــوك الطلـــح * ونضـحك فـي وجـه مـن نعـاد

ونرمـــي كعبتـــي فـــي الطـــرح * ونجـــــري حتـــــى نفـــــادي

- ومما حكي عن الحسين بن منصور الحلاج رحمه الله أنه لما حكم عليه بالزندقة وسجن ليقتل أنشد يقول:

حبيبـــــي غيـــــر منســـــوب * إلـــى شـــيء مـــن الحيـــف

دعـــــاني ثـــــم حيـــــاني * كفعـــل الضـــيف بالضـــيف

فلمـــــا دارت الكـــــؤوس * دعـــــى بـــــالقطع والســـيف

فهـــذا حـــق مـــن يشـــرب * مـــع اثنـــين فـــي الصـــيف

- اعلم من بعض كلام ابن عربي الحاتمي قال:

الـــرب ربـــد والعبـــد حـــق * يـــا ليـت شـعري مـن المكلـف

إن قيـــل عبـــد والعبـــد ميـــت * او قيـــل رب انـــى يكلـــف

فأجابه العارف بالله سيدي عبد الرحمن الفاسي بقوله:

نعـــم بحـــق إثبـــات عبـــد * بنعـــت فـــرق معـــه يكلـــف

والعبـــد ميـــت بغيـــر رب * لســـر عـــون منـــه يكلـــف

- لسيدي أبي المواهب التونسي رحمه الله:

عليـك يـا سـيد الاكـوان اجمعهـا * تحيـة الله مـا دامـت لنـا الـنعم
مـن فاتـه منـك وصـل حظـه النـدم * ومـن تكـن همـه تسـمو بـه الهمـم
ونـاظر فـي سـوى معنـاك حـق لـه * يقـتص مـن جفنـه بالـدمع وهـو دم
والسـمع إن جـال فيـه مـن يحدثـه * سـوى حـديثك امسـى وقـره الصـمم
فمـا المنـازل لـولا ان تحـل بهـا * ومـا الـديار ومـا الاطـلال والخـيم
لـولاك مـا شـاقني ربـع ولا طلـل * ولا سعت بي إلـى نحـو الحمـا قـدم
فـي كـل جارحـة عـين اراك بهـا * منـي وفـي كـل عضـو بالثنـاء فـم
فـإن تكلمـت لـم انطـق بغيـركم * وكـل قلبـي مشـغوف بحـبكم
اخـذتم الـروح منـي ملاطفـة * فلسـت اعـرف غيـرًا مـذ عـرفتكم
نسـيت كـل طريـق كنـت اعرفهـا * إلا طريقـا تـؤديني لـربعكم

- من كلام أحد من أهل الحقيقة قال:

نعمـــل اعمامًـــا مـــن المـــا * وانشـــدها شـــد مايـــل
او نلـــبس مـــن الـــثلج بزنـــوص * إذا احمـــــات لقوايـــــل
او نشـــعل مـــن الـــريح قنـــديل * وامـــن الضـــباب افتايـــل
يـــا تائهًـــا فـــي مهمـــه عـــن ســـره * انظـر تجـد فيـك الوجـود باسـره
انـــت الكمـــال طريقـــة وحقيقـــة * يـــا جامعًـــا ســـر الإلـــه باســـره
مـــن لـــم يعـــش بـــين اقـــوام يســـر * بهـم فـدهره ابـدًا هـم واحـزان
واخبـث العـيش مـا للنـاس فيـه اذى * وبسـط الجنـان مـع الاعـداء نيـران
واطيـب العـيش مـا للـنفس فيـه هـوى * سـم الخيـاط مـع الاحبـاب ميـدان
لا يمـــدح النـــاس ســـوى ميـــت * ومـــن نئـــا عـــنهم ومـــن بانـــا
لـــو مـــات إبلـــيس علـــى ظلمـــه * لقيـــل احســـن مـــا كانـــا
فنعنـا بنـا عـن كـل مـن لا يريـدنا * وإن كملـت اخلاقـه ونعوتـه
لعـــداوة مـــن عاقـــل ذي فطنـــة * احلـى واعـذب مـن صـداقة جاهـل
ساكتم علمـي عـن ذوي الجهـل طـاقتي * ولا انثـر الـدر النفـيس علـى البهـيم
فـــإن قـــدر الله الكـــريم بلطفـــه * ولاقيـت اهـلا للعلـوم والحكـم

بـذلت علـومي واسـتفدت علـومهم * وإلا فمخـــزون لـــدي ومكـــتم
فمـن مـنح الجهـال علمًـا اضـاعه * ومـن منـع المسـتوجبين فقـد ظلـم
تقـــدم الارذال مـــن طبعهـــا * تصـــد الافاضـــل عـــن نفعهـــا
إذا انكــر الجهــال حــالي بقــولهم * وقـالوا طـروس الفقـه تشـهد بالنقل
اقــول لهــم إن العلــوم مواهــب * خصائصها تغني عن النقل والقتل
ومقعـد قـوم قـد مشـى مـن شـرابنا * واعمـــى ســـقيناه ثلاثـــا فابصـــرا
واخـرس لـم ينطـق ثمـانين حجـة * ادرنـا عليـه الـراح يومًـا فـاخبرا
واخـــر بـــين النـــاس لا يعرفونـــه * ســقي قطــرة مــن خمرنــا فتحيــرا
وميـت دعـى السـاقي بـه فاجابـه * وســـبح للصـــهباء يومًـــا وكبـــرا
فلــو عــاين الرهبــان ســرعة بعثــه * لصــلوا لــه مثــل المســيح واكثــرا
فخمرتنـا التقـوى وعاصـرها الحجـا * ولا تحسبنها خمر كسرى وقيصرا

الأشياء وأضدادها

قال: (اعلم أن حكمة الله في هذا العالم أعني عالم الحس كلها محصورة في علم أحكام الأضداد، ومن ذلك العلو كامن في النزول، والنزول كامن في العلو، والظلمة كامنة في النور، والنور كامن في الظلمة، والعز كامن في الذل، والذل كامن في العز، والحياة كامنة في الموت، والموت كامنة في الحياة، والخير كامن في الشر، والشر كامن في الخير)، وقال: (اعلم أن كل من أراد أن يغلب يُغلب، وكل من أراد أن يُغلب يَغلب، وكل من أراد أن يَملك يُملك، وكل من أراد أن يُملك يَملك، وكل من أراد أن يتعظم يحقر، وكل من أراد أن يحقر يتعظم، وكل من أراد أن يكبر يصغر، وكل من يريد أن يصغر يكبر، وكل من أراد أن يعز لا بد له أن يذل، وكل من يريد أن يذل لا بد أن يعز. حاصله: الأشياء الكاملة في أضدادها، وأوصاف الكمال كامنة في أوصاف النقص، وأوصاف النقص كامنة في أوصاف الكمال، والكل كمال ولا نقص). وقال: (اعلم أن هذا الوجود قائم بالأشياء وبأضدادها، خلق الله من كل زوجين اثنين الشيء وضده، ومن جملة ذلك خلق الله تبارك وتعالى العلم والجهل، العلم لا يظهر إلا بالجهل، والجهل لا يظهر إلا بالعلم، ومهما وصفت نفسك بالعلم حصلت على الجهل، ومهما وصفت نفسك بالجهل حصلت على العلم، وكذلك سائر الأشياء مهما وصفت نفسك بشيء أو فعلته حصل لك ضده، أحببت أم كرهت، مثل الجوع والشبع، صاحب الجوع لا بد له أن يشبع، وصاحب الشبع لا بد له أن يجوع، أحب أم كره)،

وقال: (اعلم أن الخلق على قدر ما تريهم النور يرونك الظلام، وعلى قدر ما تريهم الظلام يرونك الضوء. مهما قابلتهم بشيء قابلوك بضده، وعلى قدر الضد يكون الضد)، وقال: (اعلم إياك أن تدهش إذا اشتد ضيقك. على قدر ما يعظم الضيق يعظم التاسيع. وعلى قدر ما يوسع الشر يوسع الخير، وعلى قدر ما يشتد التعب توسع الراحة، وأوصيك أيضًا لا تتكبر ولا تتجبر وكن مع مولاك كالميت مع مغسله)، وقال: (قال جل من قائل: ﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ** (1) **وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ** (2) **لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ** ﴾ [القدر: 1 - 2 - 3]. انظر وتأمل إن كنت ذا فهم، فإنك تجد عظم الأشياء لا تخرج إلا من عظمها: النور العظيم لا يخرج إلا من الظلمة العظيمة، والتاسيع العظيم لا يخرج إلا من الضيق العظيم، والعز العظيم لا يخرج إلا من الذل العظيم، والقرب العظيم لا يخرج إلا من البعد العظيم، والبسط العظيم لا يخرج إلا من القبض العظيم، والعطاء العظيم لا يخرج إلا من المنع العظيم، والربح العظيم لا يخرج إلا من الخسران العظيم، والجمع العظيم لا يخرج إلا من الفرق العظيم، وكذلك بالعكس في هذه الأمور كلها وغيرها مما لا نهاية له. سبحان من جعل الأشياء كلها كامنة في أضدادها، بحكمته وقدرته تعالى. سبحان العظيم الحكيم، الرؤوف الرحيم)، وقال: (اعلم أنه كما أن مفتاح العلويات هي السفليات، ومفتاح العز هو الذل، ومفتاح السفليات هو العلويات، ومفتاح الذل هو العز، ومفتاح الحقيقة هي الشريعة ومفتاح الشريعة هي الحقيقة، ومفتاح الفساد هو الصلاح، ومفتاح الصلاح هو الفساد، ومفتاح القرب هو البعد، ومفتاح البعد هو القرب، ومفتاح الممات هو الحياة، ومفتاح الحياة هو الموت، ومفتاح الغنى هو الفقر، ومفتاح الفقر هو الغنى، ومفتاح الجوع هو الشبع، ومفتاح الشبع هو الجوع، ومفتاح الكبر هو الصغر، ومفتاح الصغر هو الكبر، ومفتاح الوصل هو الهجر، ومفتاح الهجر هو الوصل، ومفتاح التاسيع هو الضيق، ومفتاح الضيق هو التاسيع، ومفتاح المليح هو القبيح، ومفتاح القبيح هو المليح، ومفتاح الجمع هو الفرق، ومفتاح الفرق هو الجمع، إلا ما لا نهاية له من الأضداد، كل ضد مفتاح لضده، كذلك الجلال الكامل هو مفتاح الجمال الكامل، والجمال الكامل هو مفتاح الجلال الكامل، وهذا الوجود وما فيه جعله الله تبارك وتعالى راحل أبدًا من ضد إلى ضده، قاطن أبدًا إما في الضد وإلا في ضده، هكذا تجد أكبر ما في الوجود كما تجد أصغر ما في الوجود، وأعظم ما في الوجود وأحقر ما في الوجود، حكم الصغير كحكم الكبير، وحكم الكبير كحكم الصغير، سبحان الحكيم العليم)، وقال: (حكمة أصلية وهي أن مفتاح الأشياء هي أضدادها. إذا أردت أن تملك كبار الأشياء عليك بأصغرها، وإذا أردت أن تملك صغار الأشياء عليك بأكبرها. أعلى شيء يجر أدنى شيء، وأدنى شيء يجر أعلى شيء، كأن الأمر مرتبط



بعضه ببعض)، وقال: (سمعت الشيخ نفعنا الله به يقول: مفاتيح الأشياء كلها هو التمسك بأضدادها على الدوام، بموافقة أهل الفن والقرب إليهم)، وقال: (اعلم أن العبد شرفه على عظم ذله، كما أن الحر شرفه على قدر عظم عزه، يعني العبيد يتفاوتون في الشرف على قدر عظم نزولهم، كما أن الأحرار يتفاوتون في الشرف على قدر عظمهم في علوهم وارتفاعهم، مع أن العبد إذا انتهى في نزوله وذله يصير يفعل فعل العزيز في علوه وعظمته، وكذلك الحر إذا انتهى في صعوده وعزه وعلوه فإنه يصير يفعل فعل الذليل في نزوله وذله. صار حينئذ مفتاح العز هو الذل، كما أن مفتاح الذل هو العز، ومفتاح الحرية هي العبودية كما أن مفتاح العبودية هي الحرية، ومفتاح الحقيقة هي الشريعة، كما أن مفتاح الشريعة هي الحقيقة، ومفتاح البواطن هي الظواهر، كما أن مفتاح الظواهر هي البواطن، إلى ما لا نهاية له من الأضداد، إذ كل شيء هو مفتاح لضده، كما قال الششتري في بعض كلامه في هذا المعنى: « ظهورك هو كان السبب في زوالك ». انظر كيف قرر الظهور هو مفتاح البطون، وكلام الناس في علم النفس في هذا المعنى كثير)، وقال: (سمعت الشيخ نفعنا الله به يقول: « الفقير هو الذي رأس ماله مَعان ». قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾ [فاطر: 28]، ولهذا قلنا: إن العلم نور، والعمل ظلمة، مع أن العلم لا يقوم من غير عمل، كما أن العمل لا يقوم من غير علم، لكن النظر للغالب: إذا كان العلم غالبًا على العمل فلذلك مقام أهل المشاهدة وهم الملوك، وإذا كان العمل غالبًا على العلم فذلك مقام أهل المجاهدة وهم العبيد، والملك لا يقوم من غير ملك، والملك لا يقوم من غير ملك، كما أن النور لا يقوم من غير ظلمة، والظلمة لا تقوم من غير نور. سبحان من جعل الأشياء قائمة بأضدادها، كامنة في أضدادها. من أراد شيئًا فعليه بالتمسك بضده، كأن مفتاح الأشياء هي أضدادها، وهذا القياس لا يثب به إلا من خاص بحر المعاني واجتمع مع أهله)، وقال: (ومما قال لي أيضًا نفعنا الله به: يا ولدي ما من أمر قدمت على فعله وجمعت فيه الشيء وضده إلا كان طوع يديك، وإياك إذا فعلت فعلاً افعله وافعل ضده معه لأنه ما اجتمع شيئان في أمر إلا قام بإذن الله تعالى)، وقال: (اعلم أن الفساد والصلاح منبع عنصرهما واحد، وهو اختلاط الأشياء بأضدادها، وذلك أنه ما كان تخليطه عن علم بقانون الحكمة وقانون القدرة فهو صلاح، وما كان تخليطه عن جهل بقانون الحكمة وقانون القدرة فهو فساد، قال تعالى: ﴿ **يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ** ﴾ [الرعد: 4]. ولو حققت ودققت العلم لوجدته هو عين الجهل، كما لو حققت ودققت الجهل لوجدته هو عين العلم، لأنه كما أن العلم دليل على الذات وهو حجاب عنها، كذلك الجهل دليل على الصفات وهو حجاب عنها، إذ لا يحجبك عن الذات إلا الصفات، كما أنه لا يحجبك عن الصفات إلا الذات، ولا ثم

إلا ذات وصفات، والثالث محال، والمحال هو الذي لم يخلقه الله ولم يكونه سبحانه وتعالى. سبحان من أظهر الحقيقة في الحقيقة بالحقيقة، كما أخفى الحقيقة في الحقيقة بالحقيقة. لما أظهرها فيها ظهرت حتى لم تخف على أحد، ولما أخفاها فيها خفيت حتى لم تظهر لأحد. سبحان القادر الحكيم)، وقال: (اعلم أن الله خلق كل شيء، وكل شيء خلق له ضده، وكل ما انعقد لا يحله إلا ضده، وكل ما جهل لا يعلم إلا بضده، وكل ما انحل لا ينعقد إلا بضده، وكل ما علم لا يجهل إلا بضده، وكل ما فسد لا يصلح إلا بضده، وكل ما صلح لا يفسد إلا بضده، وكما أن إيجاد الأشياء لا يكون إلا باقتران الأضداد، كذلك إعدامها لا يكون إلا باقتران الأضداد، وكما أن حياة الأشياء كان بين اقتران الأضداد، كذلك موتها لا يكون إلا باقتران الأضداد، وكما أن القرب لا يكون إلا بين اقتران الأضداد، كذلك البعد لا يكون إلا بين اقتران الأضداد، وكما أن المحبة لا تكون إلا بين اقتران الأضداد، كذلك البغض لا يكون إلا بين اقتران الأضداد، كذلك جرت عادته لا يعدمه إلا بين اقتران الأضداد، والذي يعذب به يرحم به إن شاء، حكمته في قدرته، وقدرته في حكمته، سبحان الحكيم العليم)، وقال: (اعلم أن الموضع الذي عظم فيه الخير، عظم الشر فيه، والموضع الذي عظم فيه الربح، عظم فيه الخسران، والموضع الذي قربت فيه الأحباب، قربت فيه الأعادي. أين هو حبيبك، ثم هو عدوك، يعني: كل موضع وجدت فيه الحبيب فيه تجد العدو، وموضع قوي فيه النور، قويت فيه الظلمة هو موضع القرب هو موضع البعد، وموضع العطاء هو موضع المنع، وموضع الضيق هو موضع الوسع، وموضع الشدة هو موضع الرخاء، وموضع العبيد هو موضع الموالي، وموضع الذل هو موضع العز، وموضع القوة هو موضع الضعف، وموضع الفقد هو موضع الوجد، وموضع الفرق هو موضع الجمع. العارف إذا رأى الأشياء، ويتحقق أن الأشياء كلها كامنة في أضدادها، صارت الأشياء وأضدادها واحد، لا فرق فيها، وإذا تحقق عنده هذا المقام وثبت، لم يبق بعده إلا الاستغراق في عين بحر الوحدة، وذلك عين المقصود، وهذا الاستغراق هو المعبر عنه بالفناء. نسأل الله بفضله وإحسانه أن يجعل لنا نصيبًا مع أهل هذه المراتب العالية، إنه على كل شيء قدير)، وقال: (اعلم أن الفلوس تربط النفوس، كما تربط النفوس الفلوس، وكذلك النفوس تربط النفوس، وكذلك الفلوس تربط الفلوس. كأن الوجود كله بعضه كفؤًا لبعض مع أنه واحد، اختلفوا وافترقوا حتى لم يكن فيه جمع، واختلفوا واجتمعوا حتى لم يكن فرق. صار جمعه هو عين فرقه، وفرقه هو عين جمعه، وذاته هي عين صفاته، وصفاته هي عين

ذاته، وقربه هو عين بعده، وبعده هو عين قربه، وفناؤه هو عين بقاؤه، وبقاؤه هو عين فنائه، ووجوده هو عين عدمه، وعدمه هو عين وجوده، وذله هو عين عزه، وعزه هو عين ذله، وطلوعه هو عين نزوله، ونزوله هو عين طلوعه، إلى ما لا ينتهي من الأوصاف. سبحان من جعل الأشياء كامنة في أضدادها بحكمته)، وقال: (ومما قل لي أيضًا رحمه الله قال لي: يا ولدي كل من يملي عليك بالظاهر قابله بالباطن تغلبه وتملكه، وكل من يملي عليك بالباطن قابله بالظاهر تغلبه وتملكه، لأنه لا يسحق الضد إلا ضده، والكلام أنثى، والجواب ذكر)، وقال: (اعلم أنه لا يظهر شرف الصفات إلا إذا وجدت عقب وجود الذات، عند ذلك يظهر شرفها ويرفع قدرها: مثل الكلام بعد الصمت، والطعام بعد الجوع، أو الرخاء بعد الشدة، أو العطاء بعد المنع، أو الراحة بعد التعب، أو السعة بعض الضيق. وأما إذا وجدت الصفات بلا ذات فتهان ويهان من أتى بها ولا يعبؤ بها ولا يدرى لها قدر ويزدرى بها كما يزدرى بكثرة الكلام دون صمت، والطعام دون الاحتياج إليه، والرخاء دون الشدة، وكثرة العطاء دون المنع، والراحة دون التعب، والسعة دون الضيق. الأشياء لا يعرف قدرها إلا بوجودها مع أضدادها، وإلا فتهان ويهان من أتى بها)، وقال: (اعلم ومن الأضداد: الخوف المزعج والشوق المقلق، والعلم والجهل، والعطاء والمنع، والمدح والذم، والخير والشر، والمر والحلو، والذل والعز، والغنى والفقر، والضعف والقوة، والعجز والقدرة، والحبيب والعدو، والصيف والشتاء، والماء والنار، والصحة والسقم، والحياة والموت، والصغر والكبر، والغضب والرضى، والكرم والبخل)، وقال: (اعلم أن هذا الوجود قائم بالأشياء وبأضدادها. العارفون { لما ظهرت لهم الحكمة في الأشياء، ظهرت لهم الحكمة في أضدادها، لأن الإنسان مصنوع بأقواله وبأفعاله، بذاته كلها من الأضداد، ومهما تعطل فيه أخذ الضدين أشرف على الهلاك، فالواجب على العاقل أن يعرف حكمة الوجد، وحكمة الفقد، ويعرف حكمة العطاء، وحكمة المنع، ويعرف حكمة النعمة، وحكمة النقمة، وحكمة القبض، وحكمة البسط، وحكمة الحبيب، وحكمة العدو، وحكمة الحضور وحكمة الغياب، وحكمة الظهور وحكمة الخفاء، وحكمة الجوع، وحكمة الشبع، وحكمة الفقر، وحكمة الغنى، إلى ما لا ينحصر من الأضداد التي قام بها هذا البشر بحكمته)، وقال: (اعلم أنه ما اعتدل الضدان في أحد، إلا اختل عقله وفسد، واضمحل بدنه، قال تعالى: ﴿ **وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا** ﴾ [النساء: 129]، يعني أن الاعتدال بين الضدين غير ممكن، ومهما اعتدلا ظهر فيه الفساد في الحين في عقله وبدنه، والإنسان قائم بالأضداد في ظاهره وفي باطنه، ولكن إذا اعتدل فيه الأضداد، يُهلك، وإذا كان أحد الأضداد ولم يكن معه ضده، فالإنسان يُهلك أيضًا، وإذا اجتمع الضدان في إنسان، وكان أحدهما غالبًا على الآخر، فذلك هو

كمال الإنسان في ذاته وعقله، وإذا أردت تحقيق هذا الأمر فانظر في الإنسان وتأمله فإنك تجده نسخة من الوجود، وانظر في الوجود أيضًا وتأمله فإنك تجده حكمه حكم الإنسان من غير زيادة ولا نقصان. أما تنظر الوجود، مهما اجتمع فيه الضدان: الحرارة والبرودة في زمن الربيع يقع بذلك كثرة الأمراض في الناس، قال بعض العارفين بالله الحكما: مهام اجتمع الضدان إلا ظهر أحد الناكرا عند اقتران الحادث بالحدث يخلق الله أمرًا ثالثًا، مع أن الربيع لا يكون فيه الاعتدال إلا يوم واحد، ولكن قرب الاعتدال حكمه حكم الاعتدال، والإنسان خلقه الله تعالى من الوجود كما خلق الوجود من الإنسان، فبذلك صار الإنسان تتلون طبيعته ودمه بتلون هواء الفصول: فصل الربيع: الدم، وفصل المصيف ينقلب الدم صفراء، وزمن الخريف تنقلب الصفراء سوداء، وزمن الشتاء تنقلب السوداء بلغمًا، وهكذا، كل فصل يتلون الإنسان بتلون هوائه، وهذه الأضداد التي ذكرنا في الإنسان كذلك هي في الوجود. انظر زمن الصيف هو زمن الحر ولكن البرد معه، ولو كان الحر من غير برد لمات الناس حرًا، وانظر زمن الشتاء هو زمن البرد ولكن الحر معه، ولو كان البرد من غير حرارة لمات الناس بردًا، ولكن الحكم للغالب في الوقت، وزمن الاعتدال مثل الربيع والخريف: ففيه يقع للناس كثرة الأمراض والموت أكثر من الفصول الأخرى لا محالة وذلك من أجل الاعتدالات)، وقال: (اعلم أن كل ذل فهو عز، وكل عز فهو ذل، وكل ليل فهو نهار، وكل نهار فهو ليل، افهم وحقق هذه العبارة إن حققتها تجدها في الأمور كلها، في الوجود، وفي الإنسان، في الذات وفي الصفات، في أعلى شيء وفي أدنى شيء. مثاله في الذوات كالصمت فهو ذل وهو عز من حينه، ومثاله في الصفات كالكلام هو عز وهو ذل من حينه، وهذا القياس لا يفهمه إلا صاحب تحقيق وتدقيق، وقليل ما هم، لأن أغراس الحس تغرس وترجى حتى تنبت وتثمر بعد حين، وأغراس المعاني حين تغرس تنبت وتثمر من حينها من غير أجل. أغراس الحس أغراس أهل الفلوس، وأغراس المعاني أغراس أرباب النفوس. غرس النفس ينبت في الحين، كن فيكون، وغرس الفلس ينبت ويثمر بعد حين، وذلك لأن الفِلس جعله الله عبدًا للنفس. عالم الفلس عالم العبودية، وعالم النفس عالم سر الربوبية. مَن كانت همته رائعة في عوالم النفس هو مَلِك من الملوك، ومن كانت همته رائعة في عوالم الفلس فهو مملوك للملوك. وهذا الذل الذي عبرنا عليه هنا إشارة للعبودية، والعز إشارة للملك. والأشياء كامنة في أضدادها: تغرس العبودية وهي الذل تجد نفسك حرًا مليكًا من حينك، وبالعكس تغرس الحرية وهي العز تجد نفسك عبدًا مملوكًا من حينك، لا زائد. ومن كمال كرمه تعالى عليك أن جعل مفتاح الأمور كلها بيدك: ثمار ما قد غرست تجني. منك تخرج الأمور، وعليك تكون خيرياتها وشرياتها).

أضمن لك

قال: (سمعت الشيخ سيدي العربي يقول راويًا أنه سمع والده يقول لأصحابه: « أنا ضامن النجاة لمن غرق ولم يتخبط ». والمراد والله أعلم بعدم التخبط: عدم الانتصار للنفس، لأن من لم ينصر نفسه ينصره الله لا محالة)، وقال: (ومما سمعت من سيدي العربي نفعنا الله به وبكلامه يقول: من يضمن لي معيشته من دنياه أضمن له الوصول إلى جميع المقامات)، وقال: (وسمعت الشيخ } يقول: طلبني رجل في الخصوصية وحرص علي فيها فقلت له: اضمن لي عدم الاهتمام بالرزق أضمن لك أن تصل إلى المقامات كلها ولكن بمداومة الجلوس معي).

الاعتماد على الله لا إلى الطاعة

قال: (اعلم أنه لو كانت المعاصي مثل زبد البحر، وكانت هي سبب ذكر العبد لله، أين زبد البحر من ذكر الله؟ قال تعالى: ﴿ **وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ** ﴾ [العنكبوت: 45]. لأجل هذا قالوا: من عصى وذكر الله أفضل ممن لم يعص ولم يذكر الله. أين هي معصية العبد في ذكر الله تعالى، لأن العبد الصادق ما له اعتماد على الطاعة وإن عملها وكان مأمورًا بفعلها، كما أنه لا اعتماد له على المعصية وإن تركها وكان مأمورًا بتركها، وإنما اعتماده على الله بلا علة حكم، جل حكم الأزل أن ينضاف إلى العلل، لأن الله تعالى فعال لما يريد، ربما يرحم عبده بالمعصية إن شاء ذلك، وربما يعذبه بالطاعة إن شاء ذلك، وبالعكس، ولا ظلم. إذا كان الأمر هكذا، كيف يعتمد العبد على طاعته، أو على معصيته، بل لا يكون اعتماد العبد إلا على من خلقه، وخلق طاعته ومعصيته، وهو الله تعالى).

الأفعال والأقوال

قال: (اعلم أن الأقوال كلها أسماء للفنون، وليست هي الفنون، كما أن الأفعال كلها هي الفنون. وليست أسماء الفنون هي الفنون، وإنما الأسماء مخبرة بالفنون، والأفعال هي الفنون. الأقوال معاني وهي مخبرة بالحسيات، والأفعال حسيات، وهي لا تقوم إلا بالمعاني. الأقوال علوم، وهي أسماء العمل، والأفعال عمل، والعمل من غير علم جهل وضلال)، وقال: (اعلم إذا أردت أن يقابلك الخلق بالفعل حتى نفسك فقابلهم به فإنهم يقابلونك به، وكذلك إذا أردت أن يقابلك الخلق بالقول حتى نفسك قابلهم به فإنهم يقابلونك به، وكل ما عدى القول فهو فعل، وكل ما عدى الفعل فهو قول حتى الصمت من الفعل، إلا أن القول مع نفسك يكون باطنيًا معنويًا بالقلب

ويكون ظاهريًا، ومع الخلق لا يكون القول إلا ظاهريًا باللسان فقط، من قابلته بالصمت حتمًا يقابلك بفعل آخر، ومن قابلته بالقول حتمًا يقابلك بقول آخر، بهذا جرت عدة الله في خلقه، وفي بعض الأوقات يكون الأمر على خلاف هذا وهو أن من قابلته بالفعل قابلك بالقول، ومن قابلته بالقول قابلك بالفعل، ولكن الوجه الأول هو الغالب، والكل صحيح)، وقال: (اعلم أن من أراد الأفعال عليه بغرس زريعة الأفعال وهي ظواهر الفرق، فإن زريعة الفرق أثمارها هي الأفعال، وكذلك من أراد العلوم والأقوال عليه بغرس زريعة الأقوال وهي بواطن الجمع، فإن زريعة الجمع أثمارها هي العلوم والأقوال، والفرق بين العلوم والأقوال: العلوم هي ما ترى بالعين، والأقوال هي ما يسمع بالأذن ويقال باللسان، وكذلك الفرق بين الأعمال والأفعال: الأعمال شرائع وأغراس الأفعال حقائقها وأثمارها. صار غرس الفرق أثماره الأفعال، وغرس الجمع أثماره العلوم، وإن كان ربما يثمر الفرق بالعلم في بعض الأوقات، وربما يثمر الجمع بالأفعال في بعض الأوقات، لكن هذا نادر والحكم للغالب كما قال الشاعر:

ثمـــار مـــا قـــدر غرســـت تجنـــي * وهـــــذه عـــــادة الزمـــــان

وهاتان الغرستان غرسة الفرق وغرسة الجمع كل واحدة منهما لها أهل وغرسة لا يعرفون الأخرى، وإن كانت غرسة الأفعال لا تقوم إلا بغرسة العلوم، وغرسة العلوم لا تقوم إلا بغرسة الأفعال، ولكن كثير من تعلقت هممهم بواحدة يردون الأخرى ولا يشعرون بأنفسهم ولا بها، حبك للشيء يعمي ويصم الحديث، ولا يجمع بين ودودهما باثنين ومعرفتهم إلا عارف بالله كامل المعرفة وقليل ما هم، وأين هو الذي لا يحجبه فرقه عن جمعه، ولا جمعه عن فرقه، ولا فناؤه عن بقائه، ولا بقائه عن فنائه، ولا بعده عن قربه، ولا قربه عن بعده، ولا علمه عن عمله، ولا عمله عن علمه، ولا جلاله عن جماله، ولا جماله عن جلاله، ولا ذاته عن صفاته، ولا صفاته عن ذاته، وهذه المنازل كلها في الأصل هي منزلتان سميت بهذه الأسماء وليس لها حد ولا حصر وهي لا تجمع إلا لمن جعله الله برزخًا بين بحرين بحر الشريعة وبحر الحقيقة. نسأل الله تعالى أن يفتح أبصارنا ويكشف لنا عليهم حتى لا نجهلهم في وسط الخلق لأنهم هم خلائف الله في الأرض رضي الله عنهم أجمعين)، وقال: (اعلم أنه كما أن الأفعال قد تنقض الأقوال، كذلك الأفعال الباطنية تنقض الأفعال الظاهرية، والحكمة عند اقتران الباطن بالظاهر، وإذا اقترنا فالباطن يغلب الظاهر لا محالة)، وقال: (ما فعلت ما قلته، وما قلت ما فعلته، وقولك هو الدليل على عدم فعلك، فعلك هو الدليل على عدم قولك، لأن الفعل ينقض القول، كما أن القول ينقض الفعل)، وقال: (اعلم أن الأخبار دليلة على عن المخبور عنه، لأن الفعل ينقض القول، كما أن القول ينقض الفعل. القول باللسان دليل على عدم العيان، إذ لو حصل العيان لبطل



القول باللسان، وليس العيان كالخبر، وليس الخبر كالعيان. الأخبار تثبيت لها بالسمع، والعيان مبطل للأخبار والسؤال. الأخبار مخبرة بالحال للمبتدئين، والعيان مرتع الكمال من الرجال)، وقال: (اعلم أن التعبير على المقام لا يكون إلا عند الاستشراف على المقام، وأما إذا حصل المقام في المقام الفعل على كل حال ينقض الكلام)، وقال: (اعلم أنه يجب على صاحب التدلي يعني الهبوط أن يتنزه عن الخلق في هبوطه بأقواله وأفعاله، كما تنزهت أفعاله عن أفعال العامة، كذلك تنزهت أقواله عن أقوال العامة. إذا كان منزهًا بأقواله دون أفعاله كلا شيء، وإذا كان منزهًا بأفعاله دون أقواله كلا شيء)، وقال: (اعلم أنه لمّا كان القول علوي لأنه ورد من حضرة الملك وهي القلب في الباطن، وإنما كان الفعل سفلي لأنه ورد من حضرة الملك وهي القلب في الباطن، وإنما كان الفعل سفلي لأنه ورد من حضرة المملكة وهي ظواهر الجوارح. حضرة الملك وهي القلب جمع، وحضرة الملك وهي ظواهر الجوارح فرق، والجمع مالك على الفرق، والفرق ملك عند الجمع. ولما كانت الأشياء كامنة في أضدادها صار الملك وهو القول هو الملك بنفسه، كما صار الملك وهو الفعل هو الملك بنفسه، حتى كان اسم الملك هو الملك بنفسه، واسم الملك هو الملك. من أراد شيئًا فعليه بضده فهو ذلك. الفعل أدنى من القول وصاحبه أعلى من صاحب القول، والقول أعلى من الفعل وصاحبه أدنى من صاحب الفعل. صاحب القول مالك عند نفسه مملوك عند جنسه، وصاحب الفعل مملوك عند نفسه مالك عند جنسه. إذا أردت أن تملك الجمع عليك بالقول، وإذا أردت أن تملك الفرق فعليك بالفعل)، وقال: (اعلم أن الأفعال في الحقيقة كلها سفلية وذلك لأنها من بلاد الحس، وما ظهر فيها من العلويات ما أصابها إلا من قربها من المعاني، وكذلك الأقوال بعكس ذلك: الأقوال في الحقيقة كلها علوية وذلك لأنها من بلاد المعاني، وكل ما ظهر فيها من السفليات ما أصابها إلا من قربها من الحس. مثلها في الإنسان كالجسد مع الروح، الجسد ميت ولكن صار حيًا بقربه للحياة وهي الروح، والروح حية ولكن صارت ميتة بقربها للميت وهو الجسد، كذلك حكم الأفعال مع الأقوال. والحكمة جعلها الله تتبع بين مقابلة الشيء مع ضده تظهر الزيادات كلها. إذا تقابل صاحب الأقوال وصاحب الأفعال وكانت الأفعال علوية والأقوال علوية صاحب الأفعال يغلب لأن الأفعال أصلها من بلاد الدنو والأقوال أصلها من بلاد العلو، وإذا تقابل صاحب العلو وصاحب الدنو صاحب الدنو يغلب، وكذلك إذا تقابل صاحب الأقوال وصاحب الأفعال وكانوا سفليين: صاحب الأفعال يغلب أيضًا على كل حال، وإذا تقابل صاحب الأفعال وصاحب الأقوال وكان صاحب الأفعال علوي وصاحب الأقوال سفلي صاحب الأقوال يغلب، وإذا تقابل صاحب الأقوال وصاحب الأفعال وكان صاحب الأفعال سفلي وصاحب الأقوال علوي صاحب الأفعال يغلب من باب أولى وأحرى، وكذلك إذا

تقابل صاحب أفعال وصاحب أفعال وكان واحد أفعاله سفلية والآخر أفعاله علوية صاحب الأفعال السفلية يغلب، وكذلك إذا تقابل صاحب أقوال وصاحب أقوال وكان واحد قوله سفلي والآخر قوله علوي: السفلي يغلب على كل حال، وإذا تقابل صاحب أفعال وصاحب أفعال وكانوا كلهم علويين: الذي تكون معنويته أقوى من الآخر هو الذي يغلب، وكذلك إذا تقابل صاحب الأقوال وصاحب الأقوال وكانوا كلهم سفليين: الذي يكون حسه أقوى من الآخر هو الذي يغلب. سمعنا أن الشيخ سيدي أحمد بن عبد الله نفعنا الله به كان يقول: إذا اقترن ريح سفلي وريح علوي في الوقت فالريح السفلي يغب، قال تعالى: ﴿ **وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ** (5) **وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ** ﴾ [القصص: 5 - 6]. استخلص لنا من هذه المعاني كلها أن صاحب الأفعال السفلية التي تكون ناشئة عن علم وضمير حسن لا يغلب أبدًا وهو يغلب أبدًا كل من تقابل معه فهو مغلوب في يده أحب أم كره، وهذه الحالة هي التي قالوا فيها: نفس الملوك وحالة المساكين، وهي التي كانوا عليها الجمهور من الأكابر نفعنا الله بهم).

الأقوياء

قال: (اعلم أن المخزن كالأسد يبهت من لقيه من الخلق ويفجعه ويتلفه عن عقله بنتن رائحته، إلا الأقوياء من الرجال الذين لا يعبؤون بوجوده ولا بعدمه وإن كان أعلى من الجبل، وهم العارفون بالله { وذلك لأنهم يشهدون مولاهم في كل حال، مولاهم هو العظيم، ومهم تجلى لهم العظيم يصغر لديهم كل عظيم من الخلق ويذهب ويتلاشى ولا يبقى إلا الحق)، وقال: (اعلم أن الجمع له علوم ومناجاة، كما أن الفرق له علوم ومناجاة، ومن حصل على لذيذ مناجاة الجمع لا يستطيع مباشرة الفرق وأهله إلا القليل، وكذلك من حصل على لذيذ مناجاة الفرق لا يستطيع مباشرة الجمع وأهله إلا القليل، لأن الأمر عظيم، ولا تجتمع المناجاتان إلا في الأقوياء من الرجال كسيدي يوسف الفاسي وأمثاله نفعنا الله بهم. سمعت شيخنا سيدي العربي، عن أبيه سيدي أحمد، عن جده سيدي محمد بن عبد الله نفعنا الله به قال: كان سيدي يوسف الفاسي نفعنا الله به يقرئ في مجلسين مجلس الجمع ومجلس الفرق كل يوم، وكل مجلس بأهله، وإذا جاء رجل من أهل الفرق فجلس بين يديه مع أهل الجمع يقول له: قم واجلس مع أصحابك حتى آتيكم إلى مجلسكم، وإذا جاءه رجل من أهل الجمع فجلس بين يديه مع أهل الفرق لا يدعه أيضاً بل يقول له: قم فاجلس مع أصحابك حتى آتي إليك، لأن الجمع واصل والفرق قاطع، قال تعالى: ﴿ **وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا**



وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾ [فاطر: 12]. كان } لا يحجبه فرقه عن جمعه كما لا يحجبه جمعه عن فرقه، وقيل إنه أخذ في القطبانية ثلاثًا وعشرين عامًا. رزقنا الله محبته وأفاض علينا من بركاته).

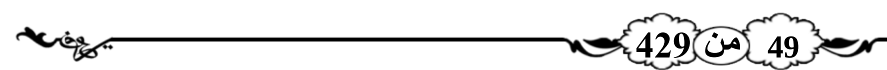
الله واحد

قال: (اعلم أن الله تبارك وتعالى واحد في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله، اجتمع حتى لم يكن فيه فرق، وافترق حتى لم يكن فيه جمع، ولكن جمعه هو الدليل على فرقه، وفرقه هو الدليل على جمعه)، وقال: (اعلم أن صاحب الشرائع، ولو بلغ فهمه ما بلغ، محتاج لصاحب الحقائق، لا يقوم أمره إلا به، أحب أم كره. وكذلك صاحب الحقائق، ولو بلغ فيها ما بلغ، محتاج لصاحب الشرائع، لا يقوم أمره إلا به، أحب أم كره، هكذا جرت سنة الله في خلقه، وذلك لتعلموا أن الله واحد لا ثاني له ولا ضد ولا شبيه له. كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان)، وقال: (اعلم أن الحسيات اثنان: الأشياء وأضدادها، وكذلك المعنويات اثنان: الأشياء وأضدادها، والكل منهما، وجود الشيء تارة يكون سبب فقدان ضده، وتارة يكون وجوده سبب وجود ضده، وذلك لأنه من عادته تعالى في خلقه في الحسيات والمعنويات: الذي يعذب به يرحم به إن شاء والذي يرحم به يعذب به إن شاء، وحتى ذلك الإيجاد خلق له ضده وهو الفقد، تارة يرحم عبده بالوجد وتارة بالوجد يعذبه، وكذلك الفقد تارة يعذب عبده به وتارة بالفقد يرحمه، وذلك كله دليل على أن الوحدانية كلها لله وحده، لا تأثير لشيء من مخلوقاته إلا به، ورب الحسيات هو رب المعنويات، وحكم الحسيات هو حكم المعاني، وعلاج المعاني هو علاج الحسيات، إلا أن المعاني جمع، والحسيات فرق، وجمع الجمع يجمع الجميع، وحق الجمع يجمع الجميع، وحق الجمع يجمع ما يجمع ويفرق ما يفرق: حق لحق في حق. بحق الحق ينطق بالحق. والحق يفعل بالحق. والحق يبصر بالحق. والحق يسمع بالحق. في حضرة الحق بالحق). وقال: (ومما أوصاني به الشيخ رحمه الله ونفعنا به: يا ولدي كل من قال لك شيئًا ورأيته يعظمه لك فقل له: هذا نصف الشيء وبقي النصف الآخر، لأن كل ما خلق الله في هذا الوجود جعل منه اثنين، وذلك ليتفرد هو جل ثناؤه بالوحدانية، ولا يكون واحدًا وحده إلا هو جل ثناؤه، لا ثاني له ولا ضد له ولا شبيه له ولا نظير له ولا شريك له ﴿ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ [يونس: 18]. لا إله إلا هو ولا معبود سواه). وقال: (اعلم أن من إتقان صنع الله، صنع الله في هذا الوجود، أن جعله قائمًا بين اثنين، قال تعالى: ﴿ **وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ** ﴾ [الذاريات: 49]، وذلك لتفرد الوحدانية لله الواحد الأحد جل ثناؤه وتقدست صفاته وأسماؤه، وجعل لكل

شيء ضدًا، وكل شيء عاشقاً لضده طالبًا له، ومهما وقع الوصول بين تلك الأضداد قام الوجود وظهر بينهم كالمرأة مع الرجل مهما التقيا وجد بينهما الولد ﴿ **فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ** ﴾ [النحل: 4]، وكالشتاء مع الصيف مهما التقيا وجدت بينهم سائر الأثمار، وكالصفراء والبلغم مهما التقيا في الإنسان قامت ذاته وصحت، وإن غلب واحد على الآخر هلك واضمحل).

بالله

قال: (اعلم أن الوعدة منها ما يكون بالله ومنها ما يكون لله. ما كان بالله يقضى في الحين على كل حال، وما كان لله يقضى ولكن بعد حين. الوعدة التي تكون بالله، هي التي تكون في الحين، فعلها لا يفترق مع قولها، إذا كانت هكذا تخرج النتائج في الحين، بين القول والفعل. والوعدة التي تكون لله هي التي تكون بالقول، إلى أمد تقضى ولكن بعد حين. وشتان بينما هو بالله وما هو لله. كأن ما هو لله شرائع لأنها مع المخلوق، وما هو بالله حقائق لأنها مع الحق، ولا شك، لأن فعل الشارع رطب، وفعل الحقائق قريب قوي متين)، وقال: (اعلم أن المتكلم بالله ينفد كلامه في الحين، والمتكلم لله ينفد كلامه بعد حين، والمتكلم بنفسه كلامه مردود لا ينفد أبدًا)، وقال: (اعلم أن رجلًا واحدًا إذا كان بالله يعدل الحقيقة كلها، ورجلًا إذا كان بنفسه، مقامه من الحقيقة مقام ورقة من شجرة من الوجود. والذي بنفسه مع الذي بربه، هو أن من نزل نفسه في موضع ودامت فيه لا يجد نفسه إلا فيه، يحكم له به الله والعباد ونفسه. ومن نزل نفسه بالله ودام على ذلك فهو بالله، ومن نزل نفسه ودام فيها يجد نفسه بنفسه)، وقال: (اعلم أن رجلًا مشتغلًا بالله، ورجلًا مشتغلًا بكلام الله، صاروا كلاهما مشتغلين بالله لا فرق بينهم، اللهم إن كان المشتغل بكلام الله مشتغلًا بلسانه دون قلبه فالمشتغل بالله أفضل منه، وإذا كان المشتغل بالله مشتغلًا بلسانه دون قلبه فالمشتغل بكلام الله أفضل، لأن قارئ القرآن والمصلي والذاكر كله بمعنى واحد، والخير كله جمع في هذه الثلاثة أشياء، وهؤلاء أبواب الوصول إلى الحق، ومن لم يصل بواحدة منهم لم يصل أبدًا، والذكر باللسان شريعة وبالقلب حقيقة، والشريعة لا بد من الحقيقة، والحقيقة لا بد لها من الشريعة، والجمع بينهما هو الحق، والصواب، لأن كل شريعة حقيقة ولا ينعكس الأمر. الشريعة مبنية، والحقيقة معنية. الشريعة من عين الحكمة، والحقيقة من عين الحكم، وهو تعالى متصف بالقدرة والحكمة، فكلاهما وصف الرب والكل منهما متعلق بالوجود يتعين على الإنسان اعتباره ولا يصح نفيه بمقابله، فإثبات أحدهما دون الآخر نقص في النظر وزلة في الإدراك، فلازم إثبات الجميع لثبوتهما وإلا فهو ضلال أو قريب منه اعلموا وكل ميسر لما خلق له. قوم



حجبوا بالشريعة عن الحقيقة، وقوم حجبوا بالحقيقة عن الشريعة، وقوم جعلوا الشريعة بابًا والحقيقة إيابًا أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون. لولا الفقد ما عرف قدر الوجد، ولولا المنع ما عرف قدر العطا، ولولا الضيق ما عرف قدر الوسع، ولولا البدع ما عرف قدر السنة، ولولا الخبيث ما عرف قدر الطيب، ولولا النقم ما عرف قدر النعم، ولولا المنكر ما عرف قدر المعروف، ولولا العدو ما عرف قدر الحبيب، ولولا الغيب ما عرف قدر الحضور).

مع الله

قال: (إذا أردت أن تكون عبدًا عبد لله حقًا، فكن عبدًا لعبيد الله حقًا، تجد نفسك عبدًا لله حقًا، وإذا أردت أن تكون صادقًا مع الله فكن صادقًا مع عباد الله فذلك هو الصدق، وإذا أردت أن تكون متواضعًا لله فكن متواضعًا لعباد الله فذلك التواضع لله، وإذا أردت أن تكون فرحًا بالله فكن فرحًا بعباد الله، وإذا أردت أن تكون محسنًا لله فكن محسنًا لعباد الله فذلك هو إحسانك لله، وإذا أردت أن تكون شاكرًا لله فكن شاكرًا لعباد الله فذلك هو شكرك لله، وإذا أردت أن تعظم الله فعظم عباد الله فذلك هو تعظيمك لله، هذا لعباد الله خصوصًا وعمومًا. وإذا تكبرت على عباد الله فأنت متكبر على الله، وإذا كذبت على عباد الله فأنت كاذب على الله، وإذا تجبرت على عباد الله فأنت متجبر على الله، وإذا أسأت الأدب على عباد الله فقد أسأت الأدب على الله، وإذا غضبت على عباد الله فأنت غاضب على الله، وإذا بخلت على عباد الله فأنت بخيل على الله، وإذا أسأت لعباد الله فأنت مسيء لله، وإذا حقرت جانب عباد الله فأنت محقر لجانب الله، وإذا تعززت على عباد الله فقد تعززت على الله. حاصله: شغلك مع الله هو شغلك مع عباد الله، وشغلك مع عباد الله هو شغلك مع الله، من غير زيادة ولا نقصان، لأنه لا موجود في الحقيقة إلا الله ولا في الوجود إلا الله، والآيات من كتاب الله والأحاديث من كلام النبي > التي تصدق هذا المعنى كثيرة).

من أمثلة سيدي أحمد بن عبد الله

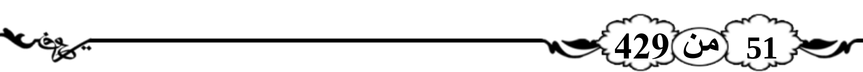
قال: (سمعت الشيخ سيدي العربي يروي عن أبيه أنه كان يقول: مثل الذي يؤذي أهل النسبة كمثل الذي يدخل يده في الغيران. الغار الذي وجد يدخل يده فيه، كلما أخرج يده سالمة يقول: لا فائدة في هذا الغار، حتى يقوى على ذلك ويستأنس به، فيصادف غارًا فيه ثعبان وهو يظن أنه مثل تلك الغيران التي تقدمت، فيدخل يده فيه كعادته فيهلك من حينه. نفعنا الله به وبأبيه آمين)، وقال: (اعلم أنه لا يكون الفقير فقيرًا حتى يكون الكون كله بمنزلة أعضائه يعني الأكوان ومن فيهن وما احتوت عليه ما

حبسته من عضو إلا شعر بك، قال الشيخ سيدي أحمد بن عبد الله } لبعض أصحابه: من ذهب له شيء في السوق ووجده في الصندوق هل فقد شيئًا أم لا؟ قالوا: لا، قال: كذلك صاحب الباطن ما ترك شيئًا من الظاهر إلا وجد أعظم منه في الباطن. الناس يظنون أنه فقد ما وجد، وهو يعرف أنه وجد أكثر مما فقد).

أمثلة سيدي العربي بن عبد الله

قال: (سمعت من الشيخ نفعنا الله به يقول: كلمة الرجل مثل بنته، والرجل لا يزوج بنته إلا من يبر بها ويحن إليها)، وقال: (ومما أخبرني به الشيخ } قال: يا ولدي الكلام مثل أجناس الطيور، والطير الذي نصبت به، يأتيك جنسه)، وقال: (وقال لي أيضًا رحمه الله: النفس مثل حبة الزرع، أنت تدفنها في أقبح الأشياء، مثل الغبار في المزابل، وهي تصلح ويكثر خيرها، يعني إذا كان قصدك الله: كل ما يكثر جلال النفس في الظاهر، يكثر جمالها في الباطن وعلى قدره)، وقال: (ومما سمعته } يقول: النفس في الإنسان، مثل الشعرة البيضاء في اللبن، إذا فتشته لم تجدها في اللبن، وهي كامنة فيه

)، وقال: (وسمعته يقول: المصيبة إذا نزلت بالمسكين كجمرة نار سقطت على ماء، والمصيبة إذا نزلت بالفاجر كجمرة نار نزلت على كتان يابس) وقال: (وسمعته يقول: المصيبة إذا نزلت على المسكين كجمرة نار سقطت على أرض مزلج بالزليج، إذا لم تجد ما يشعلها تنطفئ من حينها وتصير رمادًا. وإذا نزلت المصيبة بالفاجر، كأنها جمرة نار في هشيم يابس، مثل الكتان وما يشبهه، تنزل كجمرة تحرق الدار وما والاها)، وقال: (ومما سمعت الشيخ } يقول: نحن مثل الزقاق، يجوز علينا البر والفاجر، والمسلم والكافر، والمحسن والمسيء، ولا نبالي، في الحق عندنا سواء، لا ننهر هذا، ولا نكثر البر بهذا دون الآخر. من حازنا منهم تعطوه واجبه)، وقال: (اعلم ومما قال سيدي العربي، نفعنا الله به، لبعض أصحابه قال لهم: يا أولادي مثلي ومثلكم كرجل جاءني وعنده بهيمة مريضة ضعيفة وقال لي: يا سيدي أردت منك أن تعالج معي هذه البهيمة وكل نصف منفعتها، فجعلت أعالجها وهي تستريح شيئًا فشيئًا، فلما رآها صحت وبرأت حل رباطها وذهب بها، وترك لي رباطها، أي قسم معي: هو خرج بالبهيمة، وأنا خرجت بالرباط، هذه سيرتنا مع كثير ممن عرفنا من الناس، وهذا الفعل لا يضرنا نحن لأن عملنا لله، وإنما لا يتأتى منه الذي فعله، قال تعالى: ﴿ **فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ** (7) **وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ** ﴾ [الزلزلة: 7 - 8]، أي لا ينفعه الله بما حصل له)، وقال: (وقال لي أيضًا: صاحبي يكون بالقشر في ظاهره مثل الفكرون، والذي يلعب لا يثقر والذي يثقر لا يلعب)، وقال: (سمعت الشيخ نفعنا الله به يقول:



طريقتنا هذه مثل الماء، يسقى به الحلو وينبت ويصلح، ويسقى بـه المر وينبت ويصلح. الزرايع كلها إن سقيتها بـه تنبت سواء كان زرعًا حلوًا أو مرًا)، وقال: (وقال لي أيضًا: الحيوانات كلها مهما غابت في الماء ماتت، والحوت مهما يخرج من الماء يموت. كذلك نحن في طريقتنا هذه، كل ما يموت بـه الخلق نحيى به نحن، وكل ما يضر الخلق ننتفع بـه نحن. الموت فيه حياتي، وفي حياتي قتلي)، وقال: (ومن جملة ما قال لـه قال لـه: والله يا ولدي إن طريقتنا هذه للبادئ المتوجه إلى الله، كمن هو مقيد بحبل متين موثق بـه، وهذا الطريق كأنها سكين مطحونة تقطع بها تلك الأحبال كلها)، وقال: (وسمعته يقول: مثل المريد مع الشيخ مثل الناظر في المرآة، إذا توجه إليها بوجهه أسود لا يظهر لـه فيها إلا الأسود، وإذا توجه إليها بوجهه أبيض لا يظهر له فيها إلا الأبيض، كذلك المريد إذا نظر في الشيخ وتوجه إليه بعين الكمال لا يجد فيه إلا غاية الكمال، وإذا توجه إليه بعين النقص لم يجد فيه إلا النقص، وهكذا ما تكامل النظر في الشيخ يوجد الكمال في الشيخ)، وقال: (ومما قال لي الشيخ: (مثل المريد مع الشيخ، مثل البيضة مع الدجاجة، كما أن البيضة لا تصلح ويخرج منها الفرخ إلا بتحضين الدجاجة عليها، فلو كانت البيضة خارجة عن جناح الدجاجة بعيدة من ريشها ولو شيئًا قليلًا لا تصلح، كذلك المريد لا يصلح حاله ويظفر بما ظفر بـه شيخه أو بعضه إلا بتحضين الشيخ بحيث لا يفارقه ولا تفترق ركبته مع ركبته حتى يفترقا بالموت أو بإذن الظاهر، ويهمتها بالمعاني في الباطن، فتظهر النتيجة بين الحس والمعنى. كذلك المريد لا تظهر فيه النتائج إلا بتحضين الشيخ عليه في الظاهر، وبهمتها بالمعاني في الباطن، فتظهر النتيجة بين الحس والمعنى. كذلك المريد لا تظهر فيه النتائج إلا بتحضين الشيخ عليه في الظاهر، وبهمته في الباطن، فلذلك وجبت عليه الصحبة كما صارت شرطًا في حقه)، وقال: (اعلم ومما قال لي الشيخ رضي الله عنه ورحمه الله: يا ولدي الفقير المريد المعتزل من الخلق، شغله مع قلبه، كالذي ينقش في حجر. والمريد المختلط مع الخلق، لا يصفى باطنه أبدًا، كالذي ينقش على الماء، لا يستقر له شغل أبدًا)، وقال: (ومما سمعت سيدنا يقول: المريد الفقير الذي يكون مختلطًا مع الخلق يسفون منه السر مثل العلق الذي يسف دم الإنسان. لا ينجو في مخالطة الخلق إذا حكم عليه بها الحال ولم يجد سبيلًا للفرار إلا إذا كان ساكتًا ماسكًا لسانه، وبعد هذا قل من ينجو منهم. العز في الفرار منهم، العز في الفرار منهم)، وقال: (ومما قال لي الشيخ }: يا ولدي الفقير هو الذي يكون مثل من ضربه الجمل بركلا، لا تجده إلا مشتغلًا بنفسه أي بالضربة التي في جنبه، شغلته نفسه عما سواه)، وقال: (وسمعته يقول: الفقير ما يكون فقيرًا حتى يكون مثل العظم الراشي ما يطمع فيه كلب)، وقال: (سمعت من الشيخ نفعنا الله بـه يقول: أهل الفقر الذين لم يحصلوا على نتائجه، أتدري لماذا لم يحصلوا عليها،

فقلت: لا أدري، فقال لي: مثلهم في ذلك، كمثل الحية، من قبض الحية من ذنبها، مهما التفتت فيه برأسها لسعته إلا إذا كان ناجعًا فإنه يرميها وينجي رأسه. وأما أهل الفقر الذين حصلوا على نتائجه، مثلهم كمثل الذي أخذ الحية من رأسها، فهو لا يخاف من ذنبها. ورأسها هو الذلة والافتقار، ومن عود نفسه عليها حاز نتائج الفقر، ومن لم يعود نفسه عليها لم تحصل له نتائج الفقر ولو وصل ما وصل، ولا تتعود نفس الإنسان الذلة حتى يصطحب مع أرباب الفن ويكون عبدًا لهم، هذا إن ساعده الحال بملاقاة أحد منهم، وقليل ما هم)، وقال: (وسمعته يقول: مثل الفقير في أموره كمن يصطاد بالأسد، الأشياء كلها تخاف منه وهو لا يخاف من شيء)، وقال: (ومما سمعت الشيخ رحمه الله يقول: المريد إذا مات شيخه، مثل من هو سائر مع الخبير، إذا مات له الخبير يجب عليه أن يعمل خبيرًا آخر ليسير معه. وأما من يقول: إن الشيخ الميت يكفيه، إنما ذلك من قلة علمه أو من كثرة جهله)، وقال: (ومما سمعت الشيخ ؓ يقول: العين لا تسقي قريبها وإنما ينتفع بها البعيد منها أكثر، جرت عادة الله بهذا، كذلك الولي أكثر ما ينتفع به البعيد، وأكثر ما يحرم خير الولي قرابته، كما قال القائل: الذي يزورني لا يسأل عني جيراني)، وقال: (وكنت مع الشيخ، نفعنا الله به، جالسًا معه على شاطئ نهر وهو يتحدث معي فقال لي: يا ولدي الماء في الأرض بمنزلة الدم في الإنسان)، وقال: (اعلم أن العلم مثل المال، مهما يحركه صاحبه يزيد: سمعته من الشيخ رحمه الله)، وقال: (سمعت من الشيخ نفعنا الله به أنه قال: مثل صاحب الكرم في الناس كمن طلى نفسه بالعسل، الناس كلهم تشتهيه وتحبه لأن الكريم محبوب عند الله، ومن أحبه اللص حتمًا يحبه الخلق كلهم على كل حال)، وقال: (وسمعته أيضًا يقول: الخلق مثل ثياب الإنسان، لا يستغني عنهم أحد إلا في الأوقات التي يريد الإنسان أن يتجرد لحاجة حتى يفرغ منها ويرجع إلى حوائجه إلى الخلق)، وقال: (وقال لي أيضًا: الدنيا مع الآخرة، كالنساء الضرائر، إذا حضرت واحدة، غارت منها الأخرى ونفرت)، وقال: (اعلم قال لي الشيخ ؓ: من أعظم ما أوصيك يا ولدي إياك والكلف إياك والكلف إياك والكلف في شأن نفسك وفي شأن غيرك، وإذا زحمتك ولا بد كلفة اغفل عنها وارقد على ظهرك، لأن الكلف مثل الحمل ما تنزل إلا على ظهر الإنسان، إذا رقدت على ظهرك استرحت منها، صارت هي على الأرض وأنت مضطجع عليها، وهذا من أعظم ما أحذرك منه، والله يوفقك وإيانا. كان > ما اجتمعت له أمران إلا اختار أيسرهما، كذا صح في الآثار)، وقال: (ومما قال لي الشيخ ؓ: إذا كنت في الأنوار، وأرادوا أهل الظلمة أن يصلوك بإذاية لا يقدرون عليك، لأن الظلمة لا تدرك النور ولكن ترجع إذايتهم عليهم، كمن سل سيفًا وأراد أن يضرب رجلًا عن يساره وغمض عينه فضرب وأخطأ الرجل وضرب نفسه، كذلك

صاحب الظلمة إذا أراد أن يضرب صاحب النور بظلمته. الظلمة لا تصيب النور، وإذا ضرب لا يصيب إلا ظلمة نفسه بظلمة نفسه)، وقال: (ومما قال لي الشيخ نفعنا الله به قال لي: شغلنا هذا مثل الذهب، هو ينحك وهو يزيد شرفًا)، وقال: (ومما سمعت الشيخ نفعنا الله به يقول: الفقير أولًا حاله حال الذي يوقد نارًا في الأعواد الخضراء، أو لا يحصل له التعب بالدخان والكفوس والمزنا، حتى تشتعل النورانية، ينقلب ذلك الدخان كله نورًا فتحصل له الراحة ويطوى عليه المكان حتى تظهر له كل خفية، ويقضي به ما أراد إذا صبر أولًا لمشقة الدخان).

أمثلة سيدي علي الجمل

قال: (اعلم أنه كما أن أهل الله سائرون لا مقام لهم، كذلك أهل المخلوق سائرون لا مقام لهم، إلا أن مثل أهل الله وأهل المخلوق في اجتهادهم، كاجتهادهم النحلة وشغلها، واجتهاد الزنبور وشغله. ولكن انظر نتيجة النحلة ونتيجة الزنبور، ولأن رب النور هو رب الظلمة، وعبد الله نوراني وعبد المخلوق ظلماني، وكما أن صاحب النور زائد في نورانيته، كذلك صاحب الظلمة زائد في ظلمانيته، وكما لا وقوف لصاحب النور، كذلك لا وقوف لصاحب الظلمة)، وقال: (مثلها - أي مثل الروح - في ذلك كالنحلة إذا افترقت على جبحها وتلفت عنه فإنها تطلب رائحة العسل أين ما استنشقته، ومقصودها في طلبها العسل الوصول لجبحها، كذلك الروح مقصودها في طلب العز والعلو الوصول لحضرة العز والعلو والكبرياء والعظمة والجمال والشرف لأن هذا منزلها ومنه وردت وإليه تعود)، وقال: (الفقير الكامل مثل النحلة التي ترعى النوار أينما وجده وكيفما وجده، كما ترعى الورد والزهر والسوسان، ترعى نوار الدفلة ونوار المطرون، لأنه صاحب معاني، والمعنى الذي تحصل عليه من الورد هي التي تحصل من نوار الدفلة)، وقال: (اعلم لا يكون الفقير فقيرًا حتى يكون مثل الماء: الموضع السفلي إليه يسير، والموضع العلوي لا يطلع إليه، إلا إذا طلع إليه قهرًا: هذه صفة الفقير الصادق في أحواله)، وقال: (اعلم أن الفقير مثل الحمام، إذا كان سخنًا كثيرًا ولا فيه برد لا عبرة به، وإن كان باردًا كثيرًا ولا فيه سخونة لا عبرة به أيضًا، وإذا كان جامعًا بين السخونة والبرودة: نعم ذلك هو كلمة الله التي لا نفاد لها وذلك هو ليلة القدر السامية وهو الوارث نور النبوءة)، وقال: التجريد للفقير، كالتشحير للذهب والفضة، إذا شحرت في النار لا يبقى فيها دنس، كذلك الفقير المتجرد للحقائق، فإن الحقائق تصفيه ظاهرًا وباطنًا حتى لا تترك فيه دنس، مثل التصفية للذهب والفضة. والله ما وجدنا شيئًا للمريد أعلى مرتبة من التجريد، يتجرد المريد الصادق من النقائص كلها، وبالله التوفيق، ولكن مع شيخ عارف يرشده)، وقال:

(اعلم أن الفقير المتوجه، مثله إذا تكلم على الدنيا، كالذي يحرك نجاسة في ملأ من الناس، أو كالذي يكشف عورته في وسط السوق والناس ينظرون. الفقير حسبه حمقه على الله تعالى، وسفاهته الكلام على الدنيا فضلًا عن التحرك فيها بالفعل، وهو أسفه وأسْفه وأسفه)، وقال: (اعلم أن الولي مثل الأمير لا يأوي إلا لسرادقات عزه وهي العزلة عن أبناء جنسه، إلا من يكون مثله من أهل فنه)، وقال: (اعلم أن الولي مثل الزرع، لا يحصل له الكمال حتى يأخذ حسابه من الشتاء والصيف، ثم تحصل له المرتبة الثالثة وهي مرتبة الكمال. مرتبة الشتاء هي مرتبة الظواهر، ومرتبة الصيف هي مرتبة البواطن، ومرتبة الكمال هي مرتبة الاعتدال، ظهر فيها الحق تخضع له رقاب أهل السماوات وأهل الأرضين، بل يخضع له كل شيء في العوالم كلها، وفي المغيبات كلها)، وقال: (اعلم أن الولي مثل الكامون، ما يفوح حتى بندق، إما بمعترض يلومه في أحواله، وإما بمريد يخرقه بمحبته لأن المحبة نار ما نزلت على حجاب إلا أحرقته، وإلا أخًا في الله يكون سالم القلب منصتًا إلى الحق فلهؤلاء الثلاثة تفوح رائحة الولي وتظهر كراماته، وإن لم يكن واحد من هذه الثلاثة فإنه لا يظهر عليه أثر، إلا إذا كان مغلوبًا غلبت عليه أحواله)، وقال: (اعلم أن الولي مثل الجمرة، إذا كان مع فحم من غير شعيل انجلى نورًا وتقوى حتى يشتعلوا منه تلك الفحم ويصيرون مثله أو أعظم منه، ولو كانت تلك الجمرة في مائة ألف فحمة أو أكثر لشعلوا كلهم منها، وإذا لم تجد الجمرة فحمًا وبقيت وحدها يقل نورها ويضعف حتى كأنها لم تكن، ولماذا لم تشعل في شيء آخر دون الفحم لأن الفحم مهيئ لها وهي مهيأة إليه، الجمرة تشعل الفحم والفحم يشعل الجمرة، كذلك الشيخ مع المريدين، ولكن إذا كان الولي الممثل بالجمرة لم يثبت كماله يقع له مثل النار إذا انطفى نورها لم يبق فيها بعد ذلك إلا الرماد والسواد، وإذا كان الولي الممثل كاملًا عن أهل فنه ولم يجد ما يتقد به يعني من الفحم فإنه يصير مثل حجر الزناد في ظاهره حجر بارد مثل الحجر أي بشر مثل البشر لا يرى عليه إلا ما يرى على أبناء جنسه والنار كامنة في باطنه، لو ظهر نور باطنه واحتاجت عليه أهل المشرق وأهل المغرب لشعلوا منه، وهو مثل حجر ملقى في وسط الطريق يطأه بقدمه كثير من الناس أي من جهله وجهل حكمته. صار من ظفر به أي فتح الله تبارك وتعالى بصيرته حتى عرفه واصطحب معه كمن ظفر بشيء يشور الوجود كله. الولي العارف بالله هو اسم الله العظيم الأعظم)،، وقال: (اعلم أن أهل طريقتنا هذه في عالم النفوس بمنزلة الحدادين من عالم الوجود، كما أن الحدادين في عالم الوجود يطبخون الحديد بالنار الحسية وإذا لم تكن نار لا سبيل لهم لخدمة الحديد، كذلك نحن نطبخ حديد النفوس بالنار المعنوية وهي التعظيم وإذا لم يكن تعظيم فلا سبيل لنا لخدمة حديد النفوس. إن وجد التعظيم نصنع من النفوس ما شئنا، وإن لم يوجد

تعظيم بطلت خدمة النفوس، والتعظيم إن فقد لا سبيل لإيجاده إلا بالمرافقة، وإن لم يكن تعظيم ولا مرافقة فالباب مسدود والعياذ بالله، نسأل الله السلامة)، وقال: (اعلم أن صاحب طريقتنا هذه مثل الكثناوي، على قدر ما يسود لونه على قدر ما يسوى ويغلى سومه، وعلى قدر ما يبيض لونه على قدر ما ترخص قيمته ويبخس سومه) وقال: (اعلم أن أهل طريقتنا مثل سراق الليل، ما داموا واحدًا أو اثنين، أمرهم مستور، وأما ثلاثة فمخاطرة، وأما إذا كانوا أربعة يقوم عليهم جميع الخلق بالصياح من كل جانب حتى لا ينجو برؤوسهم إلا إذا نجاهم الله)، وقال: (اعلم أن الصغير للتعلم، بينه وبين الكبير فرق عظيم، لأن الصغير رأسه راطب سريع الميل للخير والشر، والكبير بخلاف ذلك رأسه شديد لا يميل للخير إلا بالمشقة العظيمة، وإذا مال لا يرسخ في عقله التعلم مثل الصغير إلا القليل من الناس. الصغير مثل الآنية الطينية، قبل تطييبها في النار، تكون زلافة، فإذا أردت أن تعجنها وتردها غرافًا فإن ذلك هين لأنها لم تدخل النار. والكبير مثل الآنية التي طبخت في النار، لا تقبل صنعة أخرى ولو سحقتها في المهراس)، وقال: (اعلم أن مثل المريد المتعلم كالشجرة الصغيرة الرطبة الرقيق عودها، هي التي قبل اللقمة إذا لقمها الجنان، وأما الشجرة الغليظة الذي فخر عودها لا تقبل اللقمة. كذلك المريد المتعلم لا يقبل التعلم إلا إذا كان صغيرًا رطبًا متوجهًا صادقًا، فإذا كان هكذا فإنه يقبل الزيادة والنقصان، أي يقبل ما يزيد فيه الشيخ وما ينقص منه. وأما إذا كان على ضد هذه الأوصاف يعني كبر سنه وغلظت نفسه واطمأنت بما سكن فيها وسكنت فيه فإنها لا تتعلم أبدًا، ومن أراد تعليمها فكمن أراد أن يجني من الشوك العنب)، وقال: (تربية العامة للمريد بمنزلة القالب للبلغة أو الشاشية، وتربية أهل الخصوصية له بمنزلة الصانعين لتلك الشاشية أو البلغة)، وقال: (اعلم أن المريد المكتفي بنفسه أو بعقله أو بعلمه، كمن سافر من غير رفقة في بلاد الخوف وهو لا يعرف الطريق، لا تسأل عن ما يصيبه من المصائب)، وقال: (اعلم أن معرفة أهل الله، مثلها كأنها شخص بروح، إذا أطعمته وسقيته وخضيته صار زائدًا في كل وقت، وكل ساعة تمر عليه زيادة بعد زيادة. وإذا غفلت عنه وفرطت فيه فإنه ينقص شيئًا فشيئًا وربما مات. كذلك معرفة أهل الله، لأنه من لم يكن في زيادة فهو في نقصان لا غير)، وقال: (اعلم أن المريد لا ينبغي له أن يكون بين يدي الشيخ ساكتًا. العلم لا يتعلمه مستحيي ولا متكبر، لأن المريد الساكت بين يدي الشيخ كالصبي الذي لا يتكلم، لا يدري والداه ما به، لأن الدواء لا ينزل إلا على الداء، وإذا تكلم الإنسان بدائه يجد من يرشده إلى دوائه)، وقال: (اعلم أن مثل الشيخ مع المريد، كمثل البقرة مع ولدها، لا يمكن أن يظفر أحد بلبنها إلا بسبب ولدها، لأنه إذا قصدها ولدها ورقت كبدها عليه وعطفت، أرخت ألبانها، فحصل النفع للناس بفضالة ولدها، ولولا ولدها ما انتفع

أحد بلبنها. كذلك الشيخ الكامل إذا كان له مريد صادق حسن الظن به لا يبغي به بدلًا ولا يرى في الوجود أحدًا أعلى مرتبة عند الله منه، فإذا كان المريد في هذه الحالة فإن الشيخ يعطف عليه قلبه لا محالة، وإذا عطف قلبه وحن عليه الشيخ، تبرز منه، بسبب ذلك المريد، أقوال وأفعال وكرائم وعوالم وعلوم وأسرار، ينتفع بها المريد وغيره في حياته وبعد موته)، وقال: (اعلم أن المريد في ملاقاته، مع الشيخ، مثل الصبي مع أمه، بنفس ما تنزله في حجرها يتكون اللبن في ثديها، وسبب ذلك هو قربه منها، ولولا قربه منها لم تجد في ثديها لبنًا. كذلك الشيخ، بسبب جلوس المريد بين يديه يتكون اللبن في ثدي الشيخ، ولولا قرب المريد من الشيخ ربما لم يكن ذلك). وقال: (اعلم أن مثل الجلال كالثوب الغليظ، يعني ثوب الصوف، ومثل الجمال كالثوب الرهيف، مثل الديباج وما يشبهه. ومثل الشيخ المربي كالمرأة التي تربي الأطفال، من وصفها تتجرد من ثيابها الرهيفة، وتلبس ثياب الصوف أو ما يشبهه حين تتوجه لتربية الأطفال ومباشرتهم. وكذلك الشيخ المربي للمريدين، من وصفه يتجرد من ثياب الملك وهي ثياب الجمال، ويطرحها حوله، ويلبس ثياب الصوف الغليظة وهي ثياب الجلال، ليتفرغ لتربية المريدين. وكما أن المرأة أيضًا لا تربي أولادها في الثياب الرهيفة وإنما تربيهم في الثياب الغليظة من الصوف أو ما يشبهها، وذلك هو الذي يناسب الأفراخ في حال الطفولية، حتى إذا شبوا وكبر سنهم أي زادوا إلى المقام الذي بعده وهو مقام يشبه مقام بلوغ الأطفال أي الصيام، وهو مقام الفناء، فحينئذ يلبسهم الشيخ ما يناسب ذلك المقام مما هو أشرف من ثياب التربية، حتى إذا انتقلوا أيضًا للمقام الذي بعده وهو مقام الكحولة وصاروا رجالًا، وهو مقام البقاء بعد الفناء، فحينئذ يلبسون ثياب الملك، من أنواع الذهب والفضة والديباج وما أشبه ذلك، وترفع على رؤوسهم التيجان، ويصيرون ملوكًا أي خلائف الله في أرضه. قال في القوانين: من ادعى شهود الجمال قبل تأدبه بالجلال ارفضه فإنه دجال)، وقال: (مثل صاحب الفناء، مثل الفخارة الملقين في بيت النار تطبخ، لا تدري هل تخرج منه صحيحة أو معيبة، فصاحب الفناء بمنزلة ابن العشرين سنة، وصاحب مقام البقاء بمنزلة ابن الأربعين سنة)، وقال: (اعلم أن هذا الفناء الذي يترجم به أهل هذه الطريقة الشاذلية مثله كالموت، من غير زيادة ولا نقصان)، وقال: (اعلم أن مثل العامي الذي يلقي نفسه في الخصوصية، كمثل من كان من عامة الناس ثم إنه ادعى الملك، هذا لا يقدر عليه إلا الأقوياء من الرجال، كذلك الخصوصية)، وقال: (اعلم أن هذه النعوت التي كتبنا ووصفنا في شأن الخصوصية

كلها، مثلها في الخصوصية، كالذي يصور مكة في الكاغيد لمن لم يراها، أي يصور مثالها في ورقة من كاغيد ويصور طريقها، وما يسرع فيه طلابها، السير إليها من أخبار طرقها ومياهها، وبأخبار من وصل إليها كيف كان سبب وصوله، ومن انقطع عنها وتوقع عن الوصول إليها كيف كان سبب انقطاعه وتعطيله، ليزداد الناس يقينًا وشوقًا وعشقًا ورغبة في طلبها. والمراد بمكة هنا: الحضرة القدسية الإلهية. قال الشيخ ابن الفارض رحمه الله:

ولـولا شـذاها مـا اهتـدينا لحانهـا * ولـولا سـناها مـا تصـورها الـوهم

وقال بعض أهل الحكمة: « ما فيك خرج من فيك » وقال آخر: « وكل إناء بالذي فيه يرشح »)، وقال: (الذكر مثله كالكيمياء، لو أضفت شيئًا يسيرًا منها إلى الكثير من المعادن لصار كله ذهبًا ساطعًا من تلك الإضافة، كذلك لو جمع الفاني بأجمعه وأضيف إلى الباقي لصار كله باقيًا، ولو أضيف الباطل كله إلى الحق لصار كله حقًا، ولو أضيف الناقص كله للكامل لصار كله كاملًا)، وقال: (اعلم أن مثل صاحب الأذكار وصاحب الأفكار، مثل الصانع مع المسبب، لأن التجار الكبار لا يكونون من أهل والصنائع وإنما يكونون من أهل الأسباب. قالوا: درهم التجارة خير من عشرة إجارات، لأن الدنيا لا تكثر إلا عند أهل التجارات، وإذا كان أحد من أهل الصنائع تملك الدنيا، لا يكون إلا ناقصًا بالنسبة لأهل التجارات، وبهذا جرت عادة الله في أرضه)، وقال: (مثل الشريعة في الحقيقة، مثل اللواء في وسط الجيش، يعني الشريعة هي اللواء، فحينئذ الحقيقة، ما دام اللواء مستقلًا في وسط الجند، والجند منصور، ومهما انكسر اللواء انكسر الجند. صارت الشريعة هي روح الحقيقة)، وقال: (اعلم أن الحقائق بمنزلة الأشجار، والشرائع بمنزلة الثمار، والشرائع أيضًا تنبت منها الحقائق كما تنبت الأشجار من الثمار) وقال: (مثل من تحقق ولم يتشرع كمن بنى أساس دار من غير دار، ومثل من تشرع ولم يتحقق كمن بنى دارًا بغير أساٍ، ومثل العارف بالله الذي تحقق وتشرع أو تشرع وتحقق كمن بنى أساس الدار في باطن الأرض حتى فرغ منه ثم بنى جدار الدار فوق ظاهر الأرض. وأما من بنى أساس الدار من غير دار فإنما بنى أساس الخراب، وكذلك من بنى الدار من غير أساس فإنما بنى الخراب، وكذلك من بنى الدار من غير أساس فإنما بنى الخراب. والإشارة للدار إلى الإسلام قولًا وفعلًا)، وقال: (اعلم أن الحقيقة مثل الإشارة، والإشارة مثل الأسد، مهما قابلته ولم تحمل عليه وترميه، يحمل عليك ويرميك. إن رميته ملكته وتصرفت فيه، وإن رماك ملكك وتصرف فيك وبك، يرحم الله القائل: نوخ جملك وارفد من ذا المسك الفواح)، وقال: (اعلم أن صاحب الحقائق إذا انتهى وكملت حقائقه، تصير عنده الشرائع، مثل الماء البارد للعطشان في زمن المصيف، فإذا حصلت له هذه المرتبة يكون من أهل مقام « أرحنا بها يا بلال)، والكامل في الحقائق حتمًا لا يكون إلا عاشقًا



للشرائع مشتاقًا لها ولأهلها، وكذلك الكامل في الشرائع حتمًا لا يكون إلا عاشقاً للحقائق مشتاقًا لها ولأهلها)، وقال: (اعلم أن الإنسان من جملة كماله أن جعله مرصدًا لتجلياته، ومن جملة تجلياته: تجلي الحس وتجلي المعاني، وهذه التجليات إنما هي واردات تترادف على الإنسان، متواترة شيئًا فشيئًا، وهي لا تدوم ولا ترتبط ولا تنحصر أبدًا، جارية على الإنسان كمياه النهر. الماء الذي يأتي، ينصرف ولا يعود أبدًا ولا ينفد أبدًا، راحل قاطن أبدًا. كذلك جعل الله التجليات ترد على الإنسان وترحل أبدًا ولا تنفد أبدًا. ومن أراد أن يقف معها، أو أراد هو أن تقف هي معه، فهو أراد أن يفعل شيئًا لم يخلقه الله تعالى، كم جاء إلى نهر قوي وأراد حصره فإنه لا يقدر ولو أعانه عليه جميع الخلق. قال صاحب الحكم: أورد عليك الوارد لتكون به عليه واردًا)، وقال: (ما زاد في مادة الظاهر نقص من مادة الباطن، وما زاد في مادة الباطن نقص من مادة الظاهر، وهكذا، لأجل هذا المعنى، تجد أهل القلوب إذا أرادوا تقوية بواطنهم يخربوا ظواهرهم. مثله كمن له قسمة ماء، وله قدوسان، واحد يمينًا، والآخر شمالًا. إذا سد قادوس اليمين يرجع الماء لقادوس اليسار، وإذا سد قادوس اليسار يرجع الماء لقادوس اليمين. رزق واحد: تارة يكون معاني وتارة ينقلب حسيات)، وقال: (اعلم أن الوجود كله كرجل واحد، وأنت بمنزلة إصبع من ذلك الرجل. إذا ملكت ذلك الإصبع، وهو نفسك، ملكت الوجود بأسره وغلبته وقهرته طوعًا أو كرهًا حتى تكون تتصرف في الوجود بأسره بما تريد ولا يكون فيه إلا ما تريد. وإذا غلبك ذلك وهو نفسك، يغلبك الوجود بأسره ويملكك ويقهرك طوعًا منك أو كرهًا حتى يكون الوجود يتصرف فيك بما يريد كيف يريد. إذا ملكت نفسك فالوجود كله عبدك، وإذا ملكتك نفسك فأنت عبد الوجود، والنفس حتمًا لا تملك إلا بمعرفة العارفين بالله وبصحبتهم وبمجالستهم على الدوام، وقال: (اعلم أن النفس بمنزلة الرعية، والإنسان أمير عليها، ومن شأن الرعية مع الأمير: إذا لم يجر عليها جارت عليه)، وقال: (اعلم أن الساخي بنفسه وبفلسه، مع الساخي بنفسه دون فلسه، مع الساخي بفلسه دون نفسه، مثلهم كأنهم سائرون في الطريق. الساخي بنفسه وفلسه راكب على ظهر فرس مانع، والساخي بنفسه دون فلسه كأنه سائر على رجليه بلا مركوب، والساخي بفلسه دون نفسه كأنه أرسل فرسه مع الرفقة أعانهم به ولم يسير معهم بنفسه. الأول واصل مستراح، والثاني واصل متعوب، والثالث بطال غير واصل لكن مجازى على إعانته وإكرامه لأهل نسبة الله تعالى على كل حال، وهو إن دام على سخاوة الفلس مع أهل نسبة الله يرجى له أن يتبع نفسه بفلسه وما ذلك على الله بعزيز)، وقال:

(اعلم أن الباطن من الظاهر، بمنزلة مرآة مقابلة للإنسان، يعني الظاهر إنسان والباطن مرآة، والمرآة مقابلة للإنسان، كما أن الإنسان مقابل للمرآة، والذي يفعله الظاهر يفعله الباطن من

غير زيادة ولا نقصان، كما أن ما يفعله الرجل تفعله المرآة من غير زيادة ولا نقصان)، وقال: (الوجود مثل المرآة، ما قابلته بشيء إلا قابلك به، وأين ما طرحت نفسك ثم تجدها)، وقال: (الكون مثل المرآة، ما قابلتهم بشيء إلا قابلوك به أي بتلك الشيء بنفسه، إذا نظرتهم بالله نظروك بالله، وإذا نظرتهم بنفسك نظروك بأنفسهم)، وقال: (اعلم أن الخلق من الأرض، ومثل الأرض، وحكمهم حكم الأرض. كما أن الأرض، الذي تغرس فيها هو الذي تجنيه منها، كذلك الخلق الذي تغرس فيهم هو الذي تجني منهم، من غير زيادة ولا نقصان. الزيادة منك والزيادة منهم، والنقص منك والنقص منهم)، وقال: (الخلق مثل الأرض، أينما حفرت الماء تجد الماء، إلا أن بعض المواضع الماء فيها قريب، وبعضها الماء فيها بعيد. كذلك سر الربوبية في كل مخلوق، أطلبه من والاك منهم تجده، إلا أن أقوامًا تجده فيهم ظاهرًا جليًا، وأقوامًا تجده فيهم باطنًا خفيًا، والحق تعالى هو الظاهر الذي ظهر في أهل الظواهر، وهو الباطن الذي بطن في أهل البواطن)، وقال: (اعلم أن المخزن كالأسد، يبهت من لقيه من الخلق ويفجعه ويتلفه عن عقله بنتن رائحته، إلا الأقوياء من الرجال الذين لا يعبئون بوجوده ولا بعدمه وإن كان أعلى من الجبل، وهم العارفون بالله {، وذلك لأنهم يشهدون مولاهم في كل حال، ومولاهم هو العظيم، ومهما تجلى لهم العظيم، يصغر لديهم كل عظيم من الخلق ويذهب ويتلاشى ولا يبقى إلا الحق)، وقال: (مثل المخزن كالشجرة العظيمة، لا يمكن للنجار أن يظفر بها ويتصرف فيها إلا إذا جاء من أسفل، كذلك المخزن لا تظفر به وتتصرف فيه بمشيئتك إلا إذا جئته من أسفل، ولا شك أن الريح السفلي يغلب الريح الفوقي على كل حال)، وقال: (الكلام على الدنيا مثل النار أصغره يحرق)، وقال: (اعلم أن القول مثل النار، والفعل مثل الثلج. الفعل يطفئ القول كما يطفئ الثلج النار، والقول يذوب الفعل ويحله كما تحل النار الثلج، وصاحب التجريد إذا لم يملك التصرف بالأضداد حتى يكون يسخن البارد بالسخون ويبرد السخون بالبارد ما زال متعلمًا)، وقال: (مثل الذي يتقدم للكلام في الجماعة، كالخبير الذي يتقدم أمام القوم وهم في بلد لا يعرفونها. إذا كان عارفًا أرشد نفسه وأرشد القوم، وإذا كان جاهلاً أتلف نفسه وأتلف القوم)، وقال: (الجلوس مع الفقير الجاهل مثل أكل السم الخارق للأشباح. الفقير الجاهل الراضي عن نفسه هو أشد بعدًا من الله من العامة بأضعاف كثيرة. العامي مثل الفخارة الجديدة تقبل كل ما يلقى فيها، والفقير الجاهل مثل الفخار الذي ملئ بالقطران لا يقبل العسل ولا يصلح للطيبات)، وقال: (الجلوس مع الفقير الجاهل، هو للأرواح مثل أكل السم الخارق للأشباح)، وقال: (اعلم أن صاحب القريحة في الأمور، مثله كالعود الأخضر أينما

غرسته ينبت وينمو وتظهر نتائجه من الأزهار والأثمار وغير ذلك. والذي تجده خاليًا من القريحة في الأمور، مثله كالعود اليابس، محال أن تصدر منه الزيادة، وإذا لم تصدر منه الزيادة فعلى كل حال يصدر منه النقص، وقد قالوا: من لم يكن في ازدياد فهو في نقصان. ومن شأن الأعواد إن ييبسوا ولم يبق فيهم خضرة كان انتهاؤهم إلى النار)، وقال: (اعلم أن الجذب والسلوك، مثلهما كالأشجار. شجرة الجذب لها عروق وفروع، وكذلك شجرة السلوك لها عروق وفروع، وكل عرق وفرع منهما له أثمار. عروق الجذب هي العلوم اللدنية الغيبية، وأثمار فروع الجذب هي أن يكون صاحبها بأمر الله تعالى يقول للشيء كن فيكون، والكل مواهب. وكذلك عروق شجرة السلوك تثمر بالعلم الظاهر، وفروعه تثمر بالعمل الظاهري. ولا تفاوت أهل السلوك مع أهل الجذب إلا أن أهل السلوك عبادتهم من وراء حجاب، وأهل الجذب ما بينهم وبين الله حجاب منه إليهم ومنهم إليه)، وقال: (اعلم أن الحق لا يظهر إلا إذا اقترنت الأضداد واستوت وتوازنت، فعند ذلك يلوح الحق، وإذا لاح الحق وظهر فإن الباطل يضمحل، والباطل لا يجتمع مع الحق أبدًا كما أن الظلام لا يجتمع مع الضوء أبدًا. مثال ذلك كالميزان إذا استوت الكفتان وهما ضدان فإن الحق يظهر عند استواء العمود)، وقال: (اعلم أن الجمع مثل الرجل، والفرق مثل المرأة، والله تبارك وتعالى قال: ﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ** ﴾ [النساء: 34]، وصارت عادة الله في خلقه: إذا كان الحكم للرجل على المرأة لا بد أن يحضر الخير كله، وإذا كان الحكم للمرأة على الرجل لا خير في الجميع. كذلك إذا كان الحكم للجمع على الفرق يحضر الخير كله عند صاحب هذا الحال، وإذا كان الحكم للفرق على الجمع فصاحب هذا الحال لا يرى خيرًا ولا يجد راحة).

الإمداد

قال: (اعلم إنه ما أحببت شيئًا إلا أمدك مولاك به منه. انظر قول الششتري رحمه الله:

مـن ايلـوا محبـوب ايـرى عجـب * صـــفات الحـــق تجلـــى لـــو

وذلك لأن كل ما تطلب، طلبت إياه به منه، وأنتَ وهو سواء، علمت ذلك أم جهلته. هذا من جهته لا من جهتك. وأما من جهتك فشتان ما بين العالم والجاهل: ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [الزُّمر: 9]، وقال: (اعلم أن أهل الظاهر مهما اجتمعوا على أمر إلا أمدهم الله به وفيه، وأهل الباطل مهما اجتمعوا على أمر إلا أمدهم الله به وفيه. إن كانوا من أهل الخير أمدهم الله بالخير، وإن كانوا من أهل الشر أمدهم الله بالشر، وإن كان واحد من أهل الخير والآخر من أهل الشر

يمدهم الله بخيره وشره: لكن إذا غلب صاحب الخير على صاحب الشر انقلب الشر خيرًا، وإذا غلب صاحب الخير انقلب الخير شرًا. وإذا كان الإنسان وحده يمده الله تعالى بما في ضميره خيرًا كان أو شرًا، لكن مادة الجنس أقوى من مادة النفس في الخير أو في الشر: ما أفلح من أفلح إلا بصحبة من أفلح ولا خسر من خسر إلا بصحبة من خسر، ويد الله مع الجماعة بمادة الخير أو بمادة الشر، كل جماعة ترزق بما اجتمعت عليه. نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل الخير ويجمعنا معهم بفضله وإحسانه).

أنا

قال: (اعلم أن كل من قال أنا من قبل أن يعرف حكم أنا. هو أنا. ما أنا هو، فهو شيطان ملعون مطرود، لأن الشيطان لعنه الله حين أمره الله تعالى بالسجود لآدم قال: أنا، فكان ذلك سبب لعنه وطرده من رحمة الله، وكذلك وقع لفرعون حيث قال: أنا، بغير علم، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى، وكان ذلك له هو سبب خزي الدنيا والآخرة، نسأل الله السلامة)، وقال: (وسمعته أيضًا رحمه الله يقول، قال: كنت أجالس رجلًا من الصالحين، يعني من شيوخهم نفعنا الله بهم، نتحدث معه شهرًا، ولم أسمعه أبدًا يقول: أنا، ولا يذكر نفسه أبدًا بخير ولا بشر).

الإنسان

قال: (انظر يا أخي، ما أكرم هذا الآدمي على الله، حتى قال فيه الصادق المصدوق: « إن الله خلق آدم على صورته » الحديث. ومن كمال خلقته أن جعل له ظاهرًا وباطنًا، باطنه جمع، وظاهره فرق، كما خلق هذا الوجود وجعل له ظاهرًا وباطنًا باطنه جمع وظاهره فرق، وجعل فرقه ينشأ عن جمعه، وجمعه ينشأ عن فرقه)، وقال: (سبحان من خص هذا الإنسان بما خصه به، ومن جملة ما خصه به أن جمع فيه الأوصاف كلها)، وقال: (اعلم سبحان من خص هذا الإنسان بما خصه ومن جملة ما خصه به: أنك تجده صغيرًا كبيرًا، قريبًا بعيدًا، ميتًا حيًا، ذليلًا عزيزًا، سفليًا علويًا، عاجزًا قادرًا، ساكتًا متكلمًا، جاهلًا عالمًا، فاعلًا مفعولًا، مبسوطًا مقبوضًا، بخيلًا كريمًا، مظلمًا منورًا، واسعًا ضيقًا، والدًا مولودًا، وليس والد ولا مولود، مفروقًا مجموعًا، حارًا باردًا، مقبلًا مدبرًا، نائمًا يقظًا، قويًا ضعيفًا، محسنًا مسيئًا، مقرًا ناكرًا، غالبًا مغلوبًا، مانعًا معطيًا، قائمًا جالسًا، ساكنًا متحركًا، غائبًا حاضرًا، حسيًا معنويًا، عاقلًا أحمق، صادقًا كاذبًا، حقًا باطلًا، ظالمًا مظلومًا، حبيبًا عدوًا، ظاهرًا باطنًا، صالحًا فاسدًا، بارًا فاجرًا، غنيًا فقيرًا، عالمًا متعلمًا، ذكرًا أو أنثى، عبدًا حرًا،

فاعلًا بنفسه، مفعولًا به، ضاحكًا باكيًا، فرحًا غاضبًا، راحلًا قاطنًا، صانعًا مصنوعًا، مدبرًا وهو مدبر، شاكرًا مشكورًا، ذاكرًا مذكورًا، حاكمًا محكومًا عليه، قاهرًا مقهورًا، ناظرًا منظورًا، هو الخير وهو الشر، هو الربح وهو الخسران، هو المالك وهو المملوك، وهو المتصرف وهو المتصرف فيه، وهو المعظم وهو المحقر، وهو المكيف المحصور، وهو الذي لا يكيف ولا يحصر، وهو الذي عرف نفسه، وهو الذي جهل نفسه، وهو الذي رأى مولاه وأقره بوحدانيته، وهو الذي حجب عن مولاه وكفر بربوبيته، وهو الحجاب، وهو المحجوب، وهو القابض، وهو المقبوض، وهو الطالب وهو المطلوب، وهو الحبيب وهو المحبوب، وهو الذي من أجله وجد الوجود، وهو الذي من أجله يعدم الوجود، ولولاه ما كان النعيم المقيم، ولولاه ما سعر الجحيم. هو عريس المملكة، وهو أميرها، وهو خديمها وذليلها وحقيرها. حاصله: لو ألفت في الإنسان ألف ألف مجلد فيما خصه الله به لم أحص ذلك، والكلل فضل منه عليه، قال تعالى: ﴿ **وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا** ﴾ [النحل: 18]، وقال: (اعلم أن الإنسان لا يخلو من أن يكون محبًا، أو محبوبًا، أو لا محبًا أو لا محبوبًا. فإن كان محبًا وجب عليه أن ينحاز لمحبوبه على أي حالة كان، وإن كان محبوبًا استلزم أن يحبه محبوبه على أي حالة كان هو، وإن كان في وقت ليس محبًا ولا محبوبًا، ربما يكون ذلك عيب فيه، والعيب يرده لمولاه، ومهما رجع لمولاه فذلك عين الصواب)، وقال: (انظر إن كنت ذا بصيرة وفهم، أليس الإنسان نسخة من الوجود؟ من سرته إلى فوق: عالم المعاني، وسرته إلى أسفل: عالم الحسيات. انظر جوارح عالم المعاني من الإنسان تجدها تنطق وترى وتسمع وتشم وتحس، وانظر جوارح عالم الحسيات من الإنسان تجدها صم بكم عمي بذلك. كأن العالم العلوي وهو عالم المعاني، عالم الملك، جوارحه ملوك على أهل العالم الحسي السفلي، وبذلك كأن العالم السفلي وهو عالم الحسيات، عالم الملك جوارحه مماليك لأهل العالم العلوي، وهكذا في عالم الوجود، أهل العالم السفلي وهم الذين غلبت حسياتهم على معنوياتهم، وظلمتهم على نورانيتهم أولئك هم المماليك. وأهل العالم العلوي وهم الذين غلبت معانيهم على حسياتهم ونورانيتهم على ظلمانيتهم هم الملوك، والملوك مالكون للمماليك، والمماليك مملوكون للملوك. إن كانت ذات كل واحد من الجميع محتوية على ملك وملك، لكن الحكم للغالب: من غلب ملك على ملكه فهو ملك للمماليك، ومن غلب ملكه على ملكه فهو مملوك للملوك، هكذا جرت سنة الله في خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلًا)، وقال: (اعلم أن أهل الظواهر وأهل البواطن، كلهم أهل شرائع طالبين للحقائق، أي من المتوجهين لطلب الحق، إلا أن أهل الظواهر شرائعهم جلالية لنفوسهم جمالية للخلق، وأهل البواطن بالعكس

شرائعهم جمالية لنفوسهم جلالية للخلق، وجرت عادة الله في خلقه أن الحقائق تبرز على وفق الشرائع كما قال القائل:

ثمـــار مـــا قـــد غرســـت تجنـــي * وهـــــذه عـــــادة الزمـــــان

كأن الشرائع أصول، وكأن الحقائق فروع، وثمار هذا من كرمه تعالى الذي تفضل به على عبده الآدمي، وخصه بهذه المزية العظمى من دون ما عداه من مخلوقاته تعالى حيث جعل الأمور كلها، أمور النفس وأمور الوجود وما حوى الوجود، لا تبرز إلا على وفق إرادة الآدمي: خيرياتها وشرياتها: وإن كانت إرادة الخلق في الحقيقة لا تبرز إلا على وفق إرادة الله بلا شك، ولكن الظواهر اقتضت أن الحق جل ثناؤه لم تبق للعبد حجة عليه، حيث أعطاه العقل، وحكم جل ثناؤه على نفسه بقوله تعالى: ﴿ **وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا** ﴾ [إبراهيم: 34]، وقال جل من قائل: ﴿ **سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ** ﴾ [الأنعام: 139]، وقال: (اعلم أن أول ما يبرز الإنسان من بطن أمه إلى الدنيا يكون حقيقة بلا شريعة، ثم بعد ذلك هو يزيد في العمر وهو يترقى للشرائع، الحقائق تخرج، والشرائع تدخل أي تسكن فيه شيئًا فشيئًا حتى تزحق الحقيقة ولا تبقى إلا الشريعة المحضة، ثم بعد ذلك يرجع إلى الحقيقة بالشريعة حتى تستوي فيه حقائقه وشرائعه، فعند ذلك ينتهي، فهذه هي مرتبة الكمال، ما بعدها إلا الانتهاء في الأمور كلها ظاهرًا وباطنًا، وبالله التوفيق)، وقال: (اعلم أن الإنسان في حال صغره، الأشياء خيرياتها وشرياتها كلها متشوقة إليه مهيأة للظفر به، من كل فرق، في كل وجهة، لا تبرح حتى يأخذ ما طاب له منها، ويتخلق به ويدوم عليه حتى يبلغ أشده وينعقد بدنه وعقله عليه، فحينئذ كل عضو منه يأخذ من تلك الحالة حسابه، ويختم عليه بختم لا ينفك أبدًا سرمدًا، لا في دنياه ولا في آخرته، لأن المرء يموت على ما عاش عليه ويبعث على ما مات عليه. وإن كان ما دام في الدنيا والأشياء كلها خيرياتها وشرياتها متشوقة إليه عاشقة أي طامعة فيه، لكن إذا بلغ الأربعين سنة لا يرجع عما شب إليه مؤلوفاته، إلا القليل وذلك نادر والنادر لا حكم له، وفي هذا المعنى قالوا: تعليم الصغار كالنقش على الحجر، وتعليم الكبار كالنقش في البحر)، وقال: (ومما قال لي الشيخ }: يا ولدي إذا أصبحت الأشياء كلها تطلبك خيرياتها وشرياتها، إذا كنت مالك الأشياء تأخذ خيرياتها وتعرض عن شرياتها، وإذا كانت الأشياء مالكة لك: إذا غلبت عليك خيرياتها أهلكتك وأتلفتك عن مولاك وإذا غلبت عليك شرياتها أهلكتك وأتلفتك عن باب مولاك، لأن الإنسان عروس المملكة، والأشياء كلها عاشقة له أي كل ما في الوجود من الأشياء كلها مملوكة لك لأن الأشياء كلها إنما خلقت لهذا الإنسان)، وقال: (اعلم خلق الله تبارك وتعالى هذا الآدمي وجعله عروس مملكته، وخلق الأكوان كلها من أجله كرامة

له وجعلها عاشقة له. الأكوان الظاهرة والباطنة كلها مشتاقة إليه، إذ توجه لظواهر الأشياء خدمته وظفرت به واستولت على مجامع قلبه وافتخرت به على البواطن فتصير عند ذلك البواطن تابعة له والظواهر مالكة له، وإذا غفل عن الظواهر التفت إلى البواطن أخذته وظفرت به وافتخرت به على سائر الظواهر فتصير عند ذلك الظواهر تابعة له ولا حكم لها إلا أنها عاشقة له مشتاقة إليه تقتفي رائحته)، وقال: (اعلم يا أخي أنك مهما دخلت منزلًا من منازل السير شرعيًا أو حقيقيًا فإن ملك المنزل يطلبك أشد من طلبك إياه ويمدك بأسراره وأنواره ولا يهدأ عنك حتى تعرف به ويعرف هو بك ويظهر آثاره عليك وآثارك عليه، هذا في المنازل كلها، إلا أن هذا الإنسان معشوق المملكة الربانية ما مال إلى شيء إلا وجد ذلك الشيء مشتاقًا إليه أكثر من اشتياق الإنسان إليه، « من تقرب إلي شبرًا تقربت إليه ذراعًا » فافهم).

الإنسان والوجود

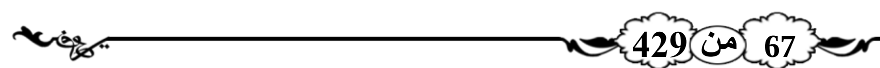
قال: (اعلم أنه ما تخلص باطنك من المكونات ملئ بالمكون ونشأت المحبة بينك وبين سائر المكونات، وما ملئ باطنك من المكونات خرج منه المكون ونشأ البغض بينك وبينه اثر المكونات، ومهما صفت معاملتك مع الخلق عطفت عليك الحكم والسلطان عليه، ولا حكم له عليك: هذا إن كنت له فإنه يكن لك كل شيء، وإذا كنت به كان بك كل شيء)، وقال: (اعلم أنه ما خلق الله جسد الإنسان إلا لأجل الروح، ومهام غابت الروح هلك الجسد وفنى وتلاشى، كذلك خلق الله الوجود لأجل الإنسان ولو غاب الإنسان لهلك هذا الوجود وفنى وتلاشى. خلق الله الجسد كرامة للروح، كما خلق هذا الوجود كرامة للإنسان، فضلًا ورحمة منه. بحانه من لا يحصر جوده وكرمه، الكريم المتعال)، وقال: (اعلم أن حدث السن وحدث العقل، لا تجد صفاته إلا غالبة على ذاته، وشامخ السن وشامخ العقل لا تجد ذاته إلا غالبة على صفاته. حدث السن مكسو بكسوة حضرة الربوبية، وهي كسوة العز والعلو، وهي تغرس صاحبها في الذل والدنو، أحب أم كره، وشامخ العقل مكسو بكسوة حضرة العبودية، وهي كسوة الذل والدنو، وهي تغرس صاحبها في العز والعلو، أحب أم كره. غرس الصفات عز، يثمر بأثمار الذات ذل. وغرس الذات ذل، يثمر بأثمار الصفات عز، هكذا في الإنسان، وهكذا في الوجود. كأن الأشياء كامنة في أضدادها في الوجود، كذلك الأشياء كامنة في أضدادها في الإنسان. الإنسان نسخة الوجود، والوجود نسخة الإنسان. الإنسان ملك على الوجود، والوجود مملوك للإنسان. ملك الإنسان قائم بمملكة الوجود، ومملكة الوجود قائمة بملك الإنسان. ما شاء الإنسان

كان في الوجود، وما شاء الوجود لا يكون في الإنسان. تصرف الإنسان في الوجود، كتصرف القلب من الإنسان، والقلب بيت الله في الإنسان، وهو بين أصابع الرحمن، يتقلب في كل حال وفق إرادة الملك الديان)، وقال: (اعلم أن حقيقة الإنسان كحقيقة أحوال الوجود، وحقيقة أحوال الوجود كحقيقة أحوال الإنسان، حرفًا حرفًا، من غير زيادة ولا نقصان. فأحوال الوجود قامت بالأضداد، كالشتاء والمصيف نعني به الحرارة والبرودة، كل حالة لا تقوم إلا بالأخرى معها، ولو كانت حالة واحدة لاضمحل الوجود، ولكن لا بد أن يكون الحكم لواحدة على الأخرى أي التي تكون في الوقت غالبة يكون لها الحكم على الأخرى، ولو كانت معها لا تفارقها ولا تقوم إلا بها، كما أن في المصيف يكون الحكم للحرارة، مع أن البرودة لا تفارقها، ولو كان في المصيف الحرارة من غير برودة لاضمحل الوجود ومن هو فيه وتلاشى بالحر، وكما أن في الشتاء يكون الحكم للبرودة، مع أن الحرارة لا تفارقها، ولو كان في الشتاء البرودة من غير الحرارة لاضمحل الوجود ومن فيه وتلاشى بالبرودة. كذلك الإنسان كل فصل وكل وقت يكون فيه الحال وضده، ولكن الحكم للغالب في الوقت، لأن وجود الوجود ما قام واستوى إلا بالأشياء وأضدادها أبدًا، ولو كان فيه حال واحد طرفة عين لهلك الوجود وعدم. كذلك الإنسان ما قام واستوى وجوده إلا بالأشياء وأضدادها أبدًا، ولو كان فيه حال واحد طرفة عين لهلك الإنسان وعدم واضمحل، وهكذا فإن الإنسان كما قلنا أولًا نسخة من الوجود، والوجود نسخة من الإنسان. قيل إن عالم النفوس هو العالم الأكبر، وعالم الوجود نسخة منه، لأن عالم النفوس له الحكم على عالم الوجود، ولا حكم لعالم الوجود على عالم النفوس، وذلك لما عظمه وشرفه حيث قال: « لن تسعني أرضي ولا سمائي ويسعني قلب عبدي المؤمن ». هذا هو الدليل على شرفه عليه)، وقال: (اعلم أن حقيقة الإنسان وحقيقة الوجود، حكمهما كأنه واحد، من غير زيادة ولا نقصان. وإن فتشتهما في الأصل وجدتهما حقيقة واحدة، وحكمهما يرجع إلى خمسة أقسام: أولها: إما أن تكون حرارتهما على قدر برودتهما فهذه منزلة الاعتدال، وإما أن تكون حرارتهما من غير برودة، وإما أن تكون برودة من غير حرارة، وإما أن تكون حرارة وبرودة لكن الحرارة أقوى من البرودة، أو تكون حرارة وبرودة أيضًا ولكن البرودة أقوى من الحرارة. أما القسم الأول وهو قسم الاعتدال وهو الذي ذمه الله تعالى في قوله: ﴿ **مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ** ﴾ [النساء: 143]، فزيادة هذا القسم زيادة سفلية. والقسم الثاني وهو حرارة من غير برودة، زيادته أيضًا سفلية. والقسم الثالث برودة من غير حرارة، زيادته أيضًا سفلية. والقسم الرابع وهو ترجيح الحرارة على البرودة، وهو مذهب أهل الباطن، زيادته علوية. والقسم الخامس هو ترجيح البرودة على الحرارة، هو مذهب أهل

الظاهر، وزيادته علوية. أما الثلاثة جرت عادة الله بها في الوجود: منزلة الاعتدال، ومنزلة الترجيح الأول، ومنزلة الترجيح الثاني. وأما منزلة الحرارة فقط، ومنزلة البرودة فقط، ما جد في شيء إلا عدم)، وقال: (اعلم أنك إذا خفت من الوجود وغلبك الوجود فخوفك منه أصلي وغلبته لك أصلية، وإذا غلبت الوجود وخاف منك الوجود فغلبتك له أصلية وخوفه منك أصلي. يرحم الله الششتري في قوله:

اغلبهـــــا بـــــالرجلى والتيـــــارة * تعـــد تخـــاف منـــك يـــا زعـــيم

وحاصل هذا الكلام أنك إذا كنت بالله تغلب كل شيء ويخاف منك كل شيء ويكون بمرادك وعند أمرك ونهيك، وإذا كنت بنفسك غلبك كل شيء وخفت من كل شيء، وأين من يخاف منه كل شيء منع الذي يخاف من كل شيء. الثاني مملوك للوجود، والأول مالك للوجود، وشتان بين المالك والمملوك)، وقال: (اعلم ومما يدلك على الوجود كله واحد، وأنت هو ذلك الواحد، إلا إذا اهتممت بشيء في باطنك ولم يعلم بطويتك سواك، فإن الوجود كله لا يقابلونك إلا بما اهتممت به خيرًا كان أو شرًا)، وقال: (اعلم أنك ما تهيأت لشيء إلا تهيأ لك ذلك الشيء كان ظاهرًا أو باطنًا، ولا طلبت شيئًا إلا طلبك، ولا نكرت شيئًا إلا نكرك، ولا أقبلت على شيء إلا أقبل عليك، ولا أعرضت عن شيء إلا أعرض عنك، ولا أحببت شيئًا إلا أحبك، ولا كرهت شيئًا إلا كرهك هو، وحاصله: الوجود مثل المرآة، ما قابلته بشيء إلا قابلك به، وأين ما طرحت نفسك ثم تجدها، قال تعالى: ﴿ **وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ** ﴾ [إبراهيم: 34]، وعنه > : « **إن الله يرزق العبد على قدر همته** »، أو كما قال. النفس مثل النحلة: البلدة التي رتعت فيها، من طعمها تتعشى، وبه تروح في مخلبها إلى جبحها)، وقال: (اعلم أنك إذا توجهت للوجود بظاهرك ظلمة وبباطنك نورًا فإن الوجود يقابلك كما قابلته ظواهره ظلمة وبواطنه نورًا، وإذا قابلته بعكس هذا الأمر يعني بظاهرك نورًا وببواطنك ظلمة فإن الوجود يقابلك كذلك أيضًا، أي بما قابلته يقابلك، ومن جملة ذلك لبس الثياب الجميلة جمال للخلق جلال لنفسك كذلك يقابلك الخلق يدفعون الجمال إليك والجلال لأنفسهم، وكذلك لبس الثياب الرثة جلال للخلق جمال لنفسك كذلك يقابلك الخلق يدفعون الجلال إليك والجمال لأنفسهم كأن الوجود مرآة بما تقابله يقابلك)، وقال: (اعلم أنك إذا تواضعت للوجود وملكته نفسك، فإن الوجود يتواضع إليك ويملكك نفسه، فيكون طوع يديك تفعل به ما تريد. وإذا تعاظمت على يده يفعل بك ما أراد. صار ملك الإنسان في عبوديته، وعبودية الإنسان في ملكه، قال تعالى: ﴿ **سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ** ﴾ [الأنعام: 139]. انظر قول الشاذلي رحمه الله: واجعلنا عبيدًا لك في جميع الحالات، لأن الوجود يتلون بتلونك كما



تتلون المرآة بتلونك إذا قابلتها، وذلك لأن الوجود منك، وأنت منه، والوجود أنت، وأنت الوجود)، وقال: (اعلم أنك إذا أقررت للوجود أنه منك وأنت منه، فإن الوجود يقر لك أنك منه وهو منك، فإذا حصل هذا الإقرار بينك وبينه، فإن الوجود كله يصير عندك بمنزلة أعضائك يتحرك بتحرك همتك ويسكن بسكونها، فإذا صار الأمر هكذا يصير الوجود فوقي وسفلي كله واحد، وأنت ذلك الواحد. قال الششتري رحمه الله في بعض كلامه:

إذا شعرت بالوجود قد لاح في ذاتك * هو دس ولازم الجحود هدك صفاتك

واضرب بترسك العقود والق عصاتك

لأن هذا الوجود خلقه الله تبارك وتعالى منك، وخلقك منه، يعني كانت نشأته منك في عالم الحقيقة، كما كانت نشأتك منه في عالم الشريعة، لكن فضلك وكرمك عليه حيث جعلك أميرًا عليه وجعله تابعًا لهمتك وأمرك وإرادتك. جعلك الله تحكم عليه، ولا يحكم عليك. الوجود كله مرآة مقابلة لك: أحوالك أحواله، وأقوالك أقواله، وأفعالك أفعاله، من غير زيادة ولا نقصان. إذا عطفت عليه وأقررت له بقربه منك، عطف عليك وأقر لك بقربك منه. وإذا أبعدته منك ونكرت قربه، بعدك ونكر قربك منه)، وقال: (اعلم أن الوجود في الحقيقة هو منك وأنت منه، يعني على قدر ما تكون أنت منه يكون هو منك، وعلى قدر ما تكون هو عبدًا له يكون هو عبدًا لك، وعلى قدر ما تكون أنت سيده يكون هو سيدك، وعلى قدر ما تعظمه وتشكره يعظمك ويشكرك هو على قدر ذلك، وعلى قدر ما تحتقره وتذمه يحتقرك هو ويذمك، وعلى قدر ما تنفق وتتكرم على الوجود ينفق هو عليك ويتكرم عليك، من غير زيادة ولا نقصان، وعلى بخلك عليه يكون بخله عليك قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ** ﴾ [محمد: 38]، وعلى قدر حبك له يكون حبه علك، وعلى قدر بغضك له يكون بغضه لك، وعلى قدر إقرارك له يكون إقراره لك، وعلى قدر إنكارك له يكون إنكاره لك، وعلى قدر صدقك معه يكون صدقه معك، وعلى قدر إحسانك معه يكون إحسانه معك، وعلى قدر إساءتك له تكون إساءته لك، وعلى قدر ذلك له يكون ذله لك، وعلى قدر عزك عليه يكون عزه عليك، إلى ما ليس له نهاية من هذه الأمور. كأن الأمور كلها منك تخرج، وعليك تعود، خيرياتها وشرياتها. كأن الأمور كلها بيدك، والحق هو أنها كلها بيدك من جهتك التي قابلت بها الربوبية، والحق أيضًا هو أنه ليس بيدك شيء منها أي من جهتك التي قابلت بها العبودية. وكل إنسان له هاتان الوجهتان: وجهة الربوبية ووجهة العبودية، وهو كالمرآة إذا قابلته العبودية ظهر عليه آثارها أحب أم كره، وإذا قابلته الربوبية ظاهر عليه آثارها أحب أم كره. ولكن العموم صاروا عمومًا لأنهم جاهلون بذلك يردونه ولا يعرفون حكمه، من أجل ذلك منعوا من

نفحاته. والخصوص نفعنا الله بهم صاروا خصوصًا لعلمهم بذلك وعملهم به، يردونه على معرفة وعيان فحصلت لهم نفحاته عاجلة وآجلة، شموا الأنوار وأكلوا الأثمار. رزقنا الله محبتهم وجعلنا من المتعلقين بأذيالهم في الدنيا والآخرة، بفضله وإحسانه).

أهل البدايات وأهل النهايات

قال: (اعلم أن تنوير الظاهر، ضامن لإيجاد مواهب العمل، وهو سبب في تظليم البواطن، وكذلك العكس: تنوير البواطن ضامن لإيجاد مواهب العلم وهو السبب في تظليم الظواهر، وإلا فتنوير الظواهر حتمًا لا يكون إلا على قدر تظليم البواطن، وكذلك العكس: تنوير البواطن حتمًا لا يكون إلا على قدر تظليم الظواهر، وهذا القياس يحكم به على أهل البدايات. وأما أهل النهايات الذين استوى نفعهم بالظلمات والنور، وهم الذين صاروا عبيدًا لله في جميع الحالات حقًا، فهؤلاء لا ينكرون ظلمة ولا نورًا، ولا يفرحون لنور ولا يحزنون لظلمة، وإنما فرحهم بخالق النور والظلمة، قد امتحت نفوسهم بشهود مولاهم، بحيث صارت إرادتهم هي إرادة مولاهم وأفعالهم هي أفعال مولاهم وأقوالهم هي أقوال مولاهم، إذا قاموا قاموا بالله، وإذا قعدوا عدوا بالله، وإذا ناموا ناموا بالله، وإذا استيقظوا استيقظوا بالله، وإذا تحركوا تحركوا بالله. ومفتاح هذه المنزلة العظمى هي كثرة المرافقة لأهل الله وكثرة النظر إليهم والتخلق بأخلاقهم، يكون ذلك استعمالًا حتى يصير حقيقة. أولًا تفنى فيهم عن نفسك، ثم بعد ذلك تفني في مولاهم عنهم وعن أنفسهم، ومن لا فناء له في أولياء الله لا فناء له في الله. جرت عادة الله في خلقه أنه ما أفلح من أفلح إلا بصحبة من أفلح)، وقال: (اعلم أن جمال الحقيقة في مقام النهاية، أساسه هو جلال الشريعة في مقام البداية. كما أن جلال الشريعة في مقام نهاية النهايات، أساسه هو جمال الحقيقة في مقام النهايات: أي على قدر ما يأخذ المريد من جلال الشريعة في البدايات، على قدر ذلك يأخذ من جمال الحقيقة في النهايات وعلى قدر ما يأخذ من جمال الحقيقة في النهايات على قدر ما يأخذ من جلال الشريعة في نهاية النهايات. ومن لا جلال له في بدايته لا جمال له في نهايته، كما أن من لا جمال له في نهايته لا جلال له في نهاية نهايته، يقول صاحب القوانين في هذا المعنى: من ادعى شهود الجمال قبل تأدبه بالجلال ارفضه فإنه دجال)، وقال: (اعلم مبتدئ بدايته على أصلها، أفضل من منتهي خصوصيته لا أصل لها)، وقال: (اعلم أن البدايات إذا لم تكن على شبه النهايات فهي فساد، وذلك لأن النهايات حتمًا لا تكون على شبه البدايات، وإذا كانت البدايات فسادًا وخرابًا على كل حال تكون النهايات مثلها، فلذلك وجب على الشيخ: أول ما يباشر به المريد ينزله في منازل أهل النهايات كما قال في الحكم: « من أشرقت بدايته



أشرقت نهايته ». وقولنا ينزله في منازل أهل النهايات يعني بذلك الاعتدال والتوسط في الأمور كلها لقوله > : « **أفضل الأمور أوسطها** »، والتوسط في الأمور هي منزلته > ومنزلة الصحابة كلهم والخلفاء الراشدين والتابعين وتابع التابعين والسالكين على منهجهم من خاصة العارفين رضي الله عنهم أجمعين. العارف: أول ما يأمر به المريد، التوسط في العمل والسير على السنة والجماعة، لأن السنة بها تكون البدايات وإليها تكون النهايات، لأنه إذا أمره بكثرة العمل يعظم خوفه وذلك هو التعطيل، وإذا أمره بقلة العمل يعظم رجاؤه وذلك أيضًا تعطيل، وإذا أمره بالسير على قواعد السنة يحصل التوسط والاعتدال في الرجاء والخوف وذلك هو المطلوب في البدايات وهو المقصود في النهايات، لأن الباطن سائر على سير الظاهر، كما أن الظاهر سائر على سير الباطن. على قدر تقوية أفعال الظواهر يتقوى الخوف وبالعكس، على قدر تقوية الباطن يتقوى الرجاء وبالعكس).

أهل الظاهر وأهل الباطن

قال: (اعلم أن صاحب الظاهر تمده الأكوان كلها وهي تطلبه، وصاحب الباطن بالعكس هو يمد الأكوان كلها ويطلبها. صاحب الظاهر هو بالأكوان، وصاحب الباطن الأكوان به، وشتان بين من يكون هو بالأكوان وبين من تكون الأكوان به)، وقال: (اعلم أن الظاهر كأنه أخذ تسع وتسعين قسمة من العمل وقسمة من العلم، والباطن بالعكس كأنه أيضًا أخذ تسعة وتسعين قسمة من العلم وقسمة من العمل، والتصرف ما هو إلا عند أربع فرق من الناس: فرقتان أهل علم الظاهر وأهل عمل الظاهر، وفرقتان أهل علم الباطن وهو علم الأذواق، وفرقة أهل عمل الباطن وهم أهل التجريد. وإن شئت قلت: أهل حس الظاهر، وأهل معاني الظاهر، وأهل حس الباطن، وأهل معاني الباطن: هؤلاء الأربع فرق هم أهل التصوف في الوجود، لا أحد سواهم)، وقال: (اعلم أن صاحب الباطن، لماذا خص بتسمية الباطن، مع أن الباطن لا يقوم إلا بالظاهر. وصاحب الظاهر لماذا خص بتسمية الظاهر مع أن الظاهر لا يقوم إلا بالباطن. وذلك لأن صاحب الباطن مشتغل بالله بباطنه وهو قلبه، ومشتغل بالمخلوق بظواهره وهي نفسه. وصاحب الظاهر مشتغل بالله بظواهره وهي جوارحه، ومشتغل بنفسه ببواطنه وهو قلبه. وشتان بين من تفرد قلبه لله وظواهره خراب، وبين من اشتغلت ظواهره بالله وقلبه خراب « **ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب** » الحديث)، وقال: (علامة صاحب الظاهر أنه يؤثر ظاهره على باطنه يعني يقنع بما وجد من البواطن والظواهر، كلما يجد منها يطلب الزيادة. وعلامة صاحب الباطن بالعكس يؤثر باطنه على ظاهره



يعني يقنع بما وجد من الظواهر والبواطن كلما وجد منها بطلب الزيادة، وهكذا لأن صاحب الباطن اعتماده كله على الغيب، وصاحب الظاهر اعتماده كله على ما يحبس في يديه، مع أن صاحب الغيب لا بد له من الظواهر، وصاحب الظواهر لا بد له من الغيبيات، ولكن الحكم للغالب)، وقال: (اعلم أن أهل الظاهر قصدوا الباطن فوجدوا الظاهر، وأهل الباطن قصدوا الظاهر فوجدوا الباطن كأن الأشياء كامنة في أضدادها، لأجل هذا المعنى تجد أهل الظاهر إذا رأوا واحدًا من أهل الباطن يعشقوه ولكن لا يقدرون على صحبته، وكذلك أهل الباطن إذا رأوا واحدًا من أهل الظاهر يعشقوه ولكن لا يقدرون على صحبته، والله تعالى هو الظاهر الباطن، وهذا القياس لا يعرفه إلا عارف بالله أو من أخذه عن عارف بالله. صار على هذا القياس هؤلاء طلبوا الظاهر طاع لهم الباطن حتى صار طوع أيديهم يفعلون به ما أرادوا، وهؤلاء طلبوا الباطن طاع لهم الظاهر حتى صار طوع أيديهم يفعلون به ما أرادوا وهكذا)، وقال: (اعلم أن أهل الظواهر ظواهرهم في بواطنهم، كما أن أهل البواطن بواطنهم في ظواهرهم. كأن أهل الظواهر هم أهل البواطن، وكأن أهل البواطن هم أهل الظواهر. جرت عادة الله أن الأشياء كامنة في أضدادها، من أجل ذلك تخالف التعبير، ربما يعبر أهل البواطن بالظواهر على بواطنهم، وربما يعبر أهل الظواهر بالبواطن على ظواهرهم)، وقال: (اعلم أن أهل الظاهر غرسوا الجمع نبت لهم الفرق، وأهل الباطن غرسوا الفرق فنبت لهم الجمع، وهكذا جرعت سنة الله تعالى في خلقه ﴿ **يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ** ﴾ [الرُّوم: 19]. من عرف عرف، ومن جهل جهل، ومن أحب أحب، ومن كره كره، سبحان الحكيم العليم)، وقال: (اعلم أن صاحب الظواهر، ظواهره كلها كمال إلا لسانه نقص، إن سكت سكوته نقص، وإن تكلم لا تبرز عباراته إلا ناقصة. كما أن صاحب الباطن بالعكس، ظواهره كلها نقص إلا لسانه كمال، إذا تكلم كلامه كلام، وإن سكت سكوته لا يبرز إلا عن الكمال، لأن اللسان باطني، والكلام ترجمان باطني ألف الله به بين الظاهر والباطن. ولما كان الكلام باطني، صار لا يبرز إلا مكسوًا بكسوة الباطن، ولا يخلو إذا كان الظاهر كمالًا لا يكون الباطن إلا نقصًا، وإذا كان الباطن كمالًا لا يكون الظاهر إلا نقصًا، هكذا جرت عادة الله في خلقه)، وقال: (اعلم أن صاحب الظاهر لا يعقب إلا في الظاهر، وأما في الباطن لا عقب له، وصاحب الباطن لا يعقب إلا في الباطن وأما في الظاهر لا عقب له، والشرائع تحيي، والحقائق تفني، وهكذا)، وقال: (حكمة: كأن أهل الظاهر أهل أقوال لكثرة أقوالهم وضعف أفعالهم، وكأن أهل الباطن أهل أفعال لكثرة أفعالهم وضعف أقوالهم، وكأن الأقوال تطلق على الظواهر كلها، وكأن الأفعال تطلق على البواطن كلها، مع أن الظواهر لها أقوال وأفعال ولكن الحكم فيها للأقوال لا للأفعال، والبواطن لها أقوال وأفعال ولكن

الحكم فيها للأفعال لا للأقوال، لأجل هذا المعنى تجد الظاهر قطعه بعد حين كقطع الأقوال، وتجد الباطن قطعه في الحين، وتأمل كقطع الأفعال الآجلة للظاهر، والعاجلة للباطن)، وقال: (اعلم أن أهل الظاهر يكتمون أفعالهم خشية الفساد ويجهرون أقوالهم لقصد الصلاح، وأهل الباطن يكتمون أقوالهم خشية الفساد ويجهرون أفعالهم لقصد الصلاح. كأن أهل الظاهر شرائعهم أقوال وحقائقهم الأفعال، وأهل الباطن شرائعهم الأفعال وحقائقهم الأقوال، والحقائق لا بد أن تكتم، والشرائع لا بد أن تظهر. أهل الظاهر حرفتهم حقائق الأفعال، صارت عندهم الأقوال كالماء البارد للعطشان، كما أن أهل الباطن حرفتهم حقائق الأفعال، صارت عندهم الأقوال كالماء البارد للعطشان، كما أن أهل الباطن لا يستريحون إلا في الأفعال، وكل من يكتم ما يجهر أو يجهر ما يكتم فذلك هو التخليط والتخليط فسق. ما بعد السر إذا اجهار إلا خلاء الدار. سمعت هذا الكلام من الشيخ نفعنا الله به)، وقال: (اعلم أن صاحب الباطن، لو كانت عنده تسعة وتسعون قسمة من الفعل لاحتاج لأكثر من ذلك، وقسمة واحدة من القول لوسعته تلك القسمة. وصاحب الظاهر بالعكس، لو كانت عنده تسعة وتسعون قسمة من القول لاحتاج لأكثر من ذلك، وقسمة واحدة من الفعل لوسعته تلك القسمة. والقول هنا بمعنى العلم، والفعل بمعنى العمل، وهذا دليل على أن صاحب الظاهر محتاج إلي العلم كثيرًا، وصاحب الباطن محتاج إلى العمل كثيرًا، لأنهم كلهم دائرون على الكمال. العمل عند صاحب الباطن شريعة، والعلم عند صاحب الظاهر شريعة، وكل من تحفظ على شريعته ولازم التمسك بها يبلغ بها كل ما يريد في حقيقته، ولا تقف زيادته حتى تملكه حقيقته، فإذا ملكته فهو مقطوع يعني تقف زيادته. كأن الشرائع رأس مال، والحقائق ربح، قال الشاعر:

مــــــا يعــــــــدم فضـــــــــل * مــــــن ابقـــــالو راس المــــال

وما احتاج صاحب الظاهر على قسمة من الفعل، وصاحب الباطن على قسمة من القول، إلا أن الأشياء لا تقوم إلا بأضدادها)، وقال: (اعلم أن صاحب الباطن على قدر ما يعظم جلاله في الظاهر يعظم جماله في الباطن، وصاحب الظاهر بالعكس على قدر ما يعظم جلاله في الباطن، يعظم جماله في الظاهر. ينبغي لطالب طريق الباطن أن يتخلق بما يليق به في طريقه وبالله التوفيق. الكلام جمالي والصمت جلالي)، وقال: (اعلم أن الأجر على قدر المشقة: من ذل نفسه ظاهرًا جهرة عيانًا أعني من المتوجهين لله يفتح عليه كذلك فتحًا ظاهرًا جهرة عيانًا، ومن ذل نفسه باطنًا خفية لا يفتح عليه إلا كذلك باطنًا خفية. كما أن الأسد لا يلد إلا الأسد، والذئب لا يلد إلا الذئب. كما أن أهل الظاهر عندهم ذل النفوس خفية كذلك لا يحصل لهم عز النفوس إلا خفية، وأهل

الباطن عندهم ذل النفوس جهرة كذلك عز النفوس لا يحصل لهم إلا جهرة، وشتان ما بين الفرقة الأولى والثانية، وشرف باطن الإنسان على ظاهره كشرف السماء على الأرض)، وقال: (اعلم أن الوصل ليس هو التعشق إلى الوصل، كما أن الواصل ليس هو المتعشق إلى الوصل. أهل الظاهر أهل تعشق إلى الوصل، وأهل الباطن أهل الوصل بنفسه. كأن أهل الظاهر أهل صفات، وأهل الباطن أهل ذات، والذات حس، والصفات معنى، والتعشق معنى من معاني الصفات، والوصل حس من الحسيات)، وقال: (اعلم أن صاحب الظاهر عبوديته بالذات إن دام فيها فتحت له بها كنوز الصفات، وصاحب الباطن بالعكس عبوديته بالصفات إن دام فيها فتحت له بها كنوز الذات. صاحب عبودية الذات باق، مشرف على فناء، وصاحب عبودية الصفات فان، مشرف على بقاء. صاحب عبودية الذات قوله الفناء وفعله البقاء، لأنه لو قال ما فعل. وصاحب عبودية الصفات قوله البقاء وفعله الفناء، لأنه لو فعل ما قال. والفناء والبقاء مقامان يتزاحمان عليك، واحد يطرد الآخر أبدًا، لا ثالث لهما. وإن شئت قلت: مقامان موجودان في الإنسان أبدًا، لا تقوم ذاته إلا بهما جميعًا. إلا أنه تارة يكون الفناء ملكًا والبقاء مملوكًا فيكون حينئذ الحكم للملك وهو الفناء، لا للمملوك وهو البقاء، فيسمى صاحب هذا الوصف بالفاني في بقائه. وتارة بالعكس يكون البقاء ملكًا والفناء مملوكًا فيكون حينئذ الحكم للملك وهو البقاء، لا للملوك وهو الفناء، فيسمى صاحب هذا الوصف بالباقي في فنائه. الأول وهو الفاني في بقائه: فناؤه في ظواهره وبقاؤه في بواطنه، لأن الحكم للذي ظهر عليه في الوقت وهو الفناء، لا للذي بطن وهو البقاء. والثاني وهو الباقي في فنائه: بقاؤه في ظواهره وفناؤه في بواطنه، لأن الحكم أيضًا للذي ظهر عليه في الوقت وهو البقاء، لا للذي بطن وهو الفناء. والفناء ذل وهو موت، والبقاء عز وهو حياة، وهما كما قلنا مجموعان في الإنسان أبدًا، لا محيد للإنسان عنهما: إن كان فناؤه في ظاهره وهو ذله وموته، حتمًا بقاؤه في باطنه وهو عزه وحياته، وإن كان بقاؤه في ظاهره وهو عزه وحياته، حتمًا يكون فناؤه في باطنه وهو ذله وموته. هكذا جرت سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلًا ولن تجد لسنة الله تحويلًا)، وقال: (اعلم أن بساط أهل الظاهر اللقم، وبساط أهل الباطن الكلام)، وقال: (اعلم ومما نقل من بعض تكاليف العارف بالله سيدي عبد الرحمن الفاسي نفعنا الله به قال: لا تجعلوا أهل الظاهر حجة على أهل الباطن، فمن نسبهم إلى الجهل فهو أحق به، لأن كذب بما لم يحط به علمًا، ولقد قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ** ﴾ [الإسراء: 36]، فمن اعترض عليهم من غير ذوق حالهم فقد تعدى طوره وجهل قدره.

خيانة اهل الحب ان يظهروا الشكوى * وان يسئموا من صحبة الضر والبلوى

ومن لم يجد هجر الحبيب كوصله * فما ذاق من طعم الغرام سوى الدعوى

أهل الله وأهل الدنيا

قال: (اعلم أن أهل الله هم في علم ليس أهل الدنيا فيه، وأهل الدنيا هم في علم ليس فيه أهل الله. جعلنا الله عبيدًا لساداتنا أهل الله، وعبوديتنا تكون منا محبة وشوقًا لهم لا قهرًا، إذ القهرية حاصلة لكل أحد. ومن جملة ما يجب على من طلب محبة ساداتنا: ألا يمتع نظره من أهل الدنيا ولا ينظر إلا في أهل فنه، ولا يمتع سمعه من أهل الدنيا، ولا يمتع أهل الدنيا من كلامه، والكلام معهم هو أقبح كل شيء، ولا يشم روائحهم، ولا يجلس مجالسهم، لأنه إذا ترك ما ذكرناه من النظر وما بعده فقد أبطل خلتهم، ويفعلها مع أهل الله تصح خلته لهم وإذا صحت فالمرء على دين خليله، الحديث. وليس ثم إلا أهل الله وأهل الدنيا فقط، لا ثالث لهما، فمهما فاتتك رفقة هؤلاء حصلت لك رفقة هؤلاء لا زائد. جعلنا الله من رفقاء عباده الصالحين العارفين به، بفضله وإحسانه آمين).

أهل الله وأهل الرئاسة الظاهرة

قال: (اعلم أن الأمير وأتباعه وأتباع أتباعه، كلهم كرجل واحد، والقطب وأتباعه وأتباع أتباعه كرجل واحد أيضًا. ومهما تعاقد رجل من أهل الرياسة الظاهرية مع رجل من أهل الله بشيء، أو على شيء، فعقدهما صحيح ويشمل أهل الله كلهم ويشمل أهل الرياسة كلهم. وكذلك إذا خان رجل من أهل الرياسة رجلًا من أهل الله في العهد، حكم ذلك واحد، كأن أهل الرياسة كلهم خانوا الله تعالى. هذا قياس صحيح، مأخوذ من الحقيقة)، وقال: (اعلم أنه ما تلاقى اثنان، واحد من أرباب البواطن وواحد من أهل الرياسة الظاهرية، إلا ويظهر بينهما أمر عظيم، وذلك لأنهم أضداد، ولا شك أنه عند ملاقاة الأضداد تظهر الأمور العظام: إما جلالية أو جمالية)، وقال: (اعلم أن ملك الظاهر ملوك، وأهل ملك الباطن ملوك، وهما ضدان لبعضهما بعضًا، ومهما التقيا على خير فخيرهما لا حد له ولا حصر، ومهما التقيا على شر فشرهما لا حد له ولا حصر، وخيرهم في موافقتهم، وشرهم في مخالفتهم، ومساعفتهم لا تكون إلا إذا خضع أحدهما للآخر فعند ذلك يحصل خيرهم، وشرهم يحصل بعدم انقياد واحد للآخر يعني إذا قال واحد هكذا وقال الآخر بخلافه، فذلك هو الشر بنفسه. والعارف بالله من أهل الباطن لا يترك أهل الظاهر ولا يتنافر معهم لئلا يمنع خيرهم، ولا يدخل في أيديهم ولا يملكونه أبدًا: إذا كان هكذا يحصل له خيرهم، ويفوته شرهم ولا يصيبه، ولا يوجد هذا الوصف إلا في الأقوياء العارفين بالله، وقليل ما هم، لأنه ليس

الشأن في ترك النحل لأجل لدغه وإنما الشأن فيمن ملك النحل وأكل شهده وفاته لدغه)، وقال: (اعلم أن الخلق كلهم ملوك، كل واحد مالك على نفسه بسلطان عقله. من ملكهم حصل على خيرهم، ومن ملكوه حصل على شرهم، فمن جاءهم ملكوه، ومن جاءوه ملكهم، فمن عشقهم ملكوه، ومن عشقوه ملكهم، فمن طلبهم ملكوه، ومن طلبوه ملكهم. والحكيم العارف بالله لا يتركهم لئلا يمنع خيرهم، ولا يدخل في أيديهم لئلا يملكوه فيصيبه شرهم، بل حصل خيرهم، ولم يجدوا سبيلًا لينالوه بشرهم، وهذا الوصف لا يكون إلا في الأقوياء الحكماء العارفين بالله، نفعنا الله بهم)، وقال: (اعلم أن رؤساء الوقت هم الوقت، والوقت هو رؤساؤه. رؤساء الباطن هم الأولياء العارفين بالله وأتباعهم، ورؤساء الظاهر هم الملوك وأتباعهم. ومهما اجتمع رجل من ملوك الباطن مع رجل من ملوك الظاهر يبقى الوجود بين أيديهم مثل قطعة من عجين بين يدي خباز يصنع بها ما أراد. كذلك إذا اجتمع واحد من ملوك الظاهر وواحد من ملوك الباطن وتوافقا يبقى الوجود بين أيديهما كالعجين يصنعان منه ما أرادا. وملوك الظاهر لا يقوم ملكهم ويثبت ويكمل إلا بموافقة أهل الباطن، وكذلك ملوك الباطن لا يقوم ملكهم ويثبت ويكمل إلا بموافقة أهل الظاهر، لأن أهل الظاهر أهل فرق، وأهل الباطن أهل جمع، ولا يقوم الشيء إلا بضده)، وقال: (اعلم أن أهل الباطن ملكهم مقسوم على مائة قسمة، تسع وتسعون قسمة في الغيب، وقسمة واحدة في الخلق. إن كانت قسمة أهل الباطن في الخلق قد حازوا فيها ملوك الظاهر فإن ملكهم يكمل ويلوح مثل الشمس لأن ملكهم صار حقيقة جامعًا بين باطن وظاهر. أهل الباطن ملكهم الأصلي أخذوه من غير وسائط، والظاهر أخذوه بملكية رؤسائه، لأن من ملك الملوك أولى وأحرى أن يملك الخادم، العبد وما ملك لسيده. وإن كان ملوك الباطن قد حازوا في تلك القسمة أطراف الناس وضعفاءهم فإن ملكهم لا يكمل بل يصير ضعيفًا لا تظهر نتائجه. وكذلك ملك أهل الظاهر مقسوم على مائة قسمة، منها تسع وتسعون قسمة في الخلق، وواحدة في الغيب، فإن كانت تلك القسمة في أهل الغيب، لأهل الظاهر، وقد حازوا فيها أهل ملك الباطن، فإن ملك أهل الظاهر يكمل ويلوح كما تلوح الشمس لأن ملكهم صار جامعًا بين ظاهر وباطن. الظاهر هو ملكهم الأصلي، والباطن أخذوه بملكية رؤسائه. وإن كان أهل الظاهر قد حازوا أطراف أهل الباطن في القسمة التي خرجت لهم في الباطن، يعني بالأطراف ضعفاء أهل الباطن، فإن ملكهم لا يكمل بل يكون ناقصًا ضعيفًا لا تكمل نتائجه كأنه ليس بملك، وذلك لأن الضد لا يقوم إلا بضده. كما أن الشتاء لا يقوم إلا بالصيف، والصيف لا يقوم إلا بالشتاء. كذلك ملك الظاهر لا يقوم إلا بملك الباطن، كما أن ملك الباطن لا يقوم إلا بملك الظاهر)، وقال: (اعلم أن صاحب الباطن لا يكمل ملكه ويستوي قائمًا حتى يقهر

أهل زمانه من أرباب وقته، وأرباب وقته هم أهل العلم الظاهري وهم الفقهاء، وأهل العمل الظاهري وهم أهل الرياسة الظاهرية. فإذا ملك هاتين الفرقتين فالوقت وقته، من أحب أحبَ ومن كره كره، سواء كان ملكه لهم شوقًا ومحبة، أو قهرًا وخوفًا، لأن الأشياء لا يظهر شرفها إلا بعد اقترانها بأضدادها. كذلك صاحب الباطن لا يظهر شرف علمه حتى يقترن علمه الباطني مع علم أهل وقته الظاهري، فعند ذلك تتميز الأشياء بأضدادها. وكذلك العمل، لا يظهر شرف عمل صاحب الباطن حتى يقترن مع عمل أهل الرياسة من أهل وقته، فعند ذلك إذا كان باطنه مؤسسًا على قواعد الحقيقة فإنه يغلب كل واحد، ولا يغلبه أحد، لأن الحق لا يغلبه غالب ولا ينجو من حكمه هارب، ﴿ **وَقُلْ جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ إِنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا** ﴾)، وقال: (الولي من خضعت له رقاب خصوص العوام من أهل وقته، ومن لم تخضع له خصوص العوام من أهل وقته فليس بولي، ولو ادعى ما ادعى. وخصوص العوام هم أهل الرياسة وأتباعهم، لأن أهل الرياسة لهم نورانية عظيمة جلالية ممزوجة بجمال، وأهل الله لهم نورانية عظيمة جمالية ممزوجة بجلال، وصاحب النور الجلالي مع صاحب النور الجمالي، يملك القوي منهما الضعيف على كل حال. فإذا كان الولي نورانيته قوية ملك صاحب الرياسة فيصير صاحب الرياسة مملوكًا والولي ملكًا، وإذا كان صاحب الرياسة نورانيته أقوى من نورانية الولي ملك الولي فيصير الولي مملوكًا وصاحب الرياسة ملكًا، والولي إذا كان مملوكًا لا ولاية له. والولي حقًا يملك الوجود بأسره ولا يملكه هو إلا الله. وإنما قسنا هنا نورانية الولي مع نورانية صاحب الرياسة الظاهرية لأنهم كلهم في الأصل لله وفي الله وبالله، وما ثم إلا الله، لأجل ذلك صار القوي يغلب الضيف منهما. من غلبت نورانيته نورانية أهل رياسة وقته يخضع له أهل الرياسة، وإذا خضع له أهل الرياسة خضع له أهل وقته كلهم. ومن غلبت نورانية أهل رياسة وقته على نورانيته فهو عامي من العوام، أحب أم كره)، وقال: (سمعت الشيخ نفعنا الله به يقول: لا يباشر المخزن من الفقراء إلا من ملك التصرف بالدرجة الرابعة، وإن باشره وهو لم يملك التصرف بها فهو غريق. والتصرف يكون بالدرجة الأولى، وبالدرجة الثانية، وبالدرجة الثالثة، ولا يملك التصرف بالدرجة الرابعة إلا الأقوياء الفحول من الأولياء الذين ملكوا التلون بالأطوار يعني أطوار الحقيقة، لأن صاحب أطوار الحقيقة يتطور مع كل واحد على طوره، كما قال بعضهم: ولي الله الكامل يتطور بجميع الأطوار ليقضي سائر الأوطار)، وقال: (اعلم أن صاحب الملك الظاهري لا يثبت ملكه ويستقيم تصرفه، حتى يكون عبدًا لملوك الباطن، مملوكًا لهم عند أمرهم ونهيهم، فعند ذلك يصير يتصرف في ملكه كما يشاء. وكذلك صاحب الملك الباطني أيضًا لا يثبت ملكه ويستقيم تصرفه حتى يكون عبدًا لملوك الظاهر مملوكًا لهم عند أمرهم ونهيهم، فعند



ذلك يصير يتصرف في ملكه كيف يشاء، صار صاحب الباطن مملوكًا لصاحب الظاهر في ظاهره، وصاحب الظاهر مملوكًا لصاحب الباطن في باطنه. صاحب الظاهر لا يقوم ملكه إلا بموافقة مقابلة وهو ملك الباطن، وصاحب الباطن لا يقوم ملكه إلا بموافقة مقابله وهو ملك الظاهر. هذا لا غناء له عن الخضوع لهذا، وهذا لا غناء له عن الخضوع لهذا)، وقال: (اعلم أن ملوك الظاهر هم الذين يتصرفون بالظاهر، وملوك الباطن هم الذين يتصرفون بالباطن، وكما أن أهل الظاهر لهم خلائف وأعوان وشرط، كذلك أهل الباطن لهم خلائف وأعوان وشرط، وأهل الظاهر لا يثبت ملكهم ولا يستقيم أمرهم إلا بموافقة أهل الملك الباطني، وكذلك أهل الباطن لا يثبت ملكهم ولا يستقيم أمرهم إلا بموافقة أهل الظاهر وهكذا، وهذا الارتباط أصلي أزلي قديم، وهذا مما يدلك أن الملك لله وحده، ولا في الوجود إلا الله. كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان)، وقال: (من ذل الظاهر: العزلة ومنه الصمت ومنه قلة الالتفات بالبصر إلى الخلق ومنه قلة الخروج إلى الأسواق ومنه قلة الاحتياج إلى الخلق وقلة الاعتماد عليهم، حتى نفسك من الخلق إلا ما تزداد به إقبالًا على فنك مثل ملوك أهل الحقيقة أو ملوك أهل الدنيا. ملوك أهل الحقيقة يدلونك على الله وتدلهم عليه. وملوك أهل الدنيا تدخلهم بالله وتخرج منهم بالله وبنسبة الله، إذا عرفت كيف ترافقهم بالله، وإلا فالبعد منهم أولى، وحسبك مرافقة ملوك الحقيقة إن وجدتهم وقليل ما هم، لأنه لا يباشر ملوك الدنيا من الفقراء إلا من كمل تهذيبه ولا يكمل تهذيب الفقير إلا إذا كان بالله لا بنفسه كما قال ابن الفارض رحمه الله: « ومن لم يفته الهوى فهو في جهل »، لأن الذي يكون بالله يأكل من الأشياء ولا تأكل منه الأشياء، ويأخذ الأشياء ولا تأخذه الأشياء، ويتصرف في الأشياء ولا تتصرف فيه الأشياء، والذي يكون بنفسه ربما يكون بعكس هذا، مع أن ملوك الدنيا هم رأس الأشياء فلذلك قلنا لا يباشرهم من الفقراء إلا من يعلم من نفسه أنه بالله فإذا كان هكذا فيأخذهم ولا يأخذونه، فقد يباح له ذلك وربما يجب عليه وجوبًا لأجل مصلحة المسلمين، وإن لم يكن كما وصفنا وقدم نفسه لمعرفتهم فهو مخذول مخدوع خدعته نفسه، لأن ملوك أهل الدنيا أهل علو وارتفاع، وأهل الله أهل الدنو والانخفاض، والنفوس المظلمة تعشق الارتفاع وتؤثره على الانخفاض، بخلاف النفس التي تكون بالله فالعلو والانخفاض عندها على حد سواء، فلذلك كانت أمور ملوك الدنيا لا تقوم إلا بموافقة أهل الله، والسفلي يده على العلوي بلا شك)، وقال: (اعلم أن ملوك الظاهر سطوتهم الخوف والهيبة، وملوك الباطن سطوتهم الشوق والمحبة. ملوك الظاهر سطوتهم بالسيف القاطع، وملوك الباطن سطوتهم بالنور الساطع. ملوك الظاهر ملكهم على ظواهر الخلق وظواهر الوجود، وملوك الباطن ملكهم على غيب النفوس وغيب الوجود. ملوك الظاهر ملكهم على

الفرق بالخلق، وملوك الباطن ملكهم على الجمع بالحق. ملوك الظاهر ملكهم كن باللسان كان، وملوك الباطن ملكهم كن بالاهتمام كان. ملوك الظاهر ملكهم بالعلويات، وملوك الباطن ملكهم بالسفليات، ولا شك أن الرياح السفليات جعلها الله تعالى حاكمة على الرياح العلويات، قال تعالى: ﴿ **وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ** (5) **وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ** ﴾ [القصص: 5 - 6]، وقال: (اعلم أنه كما أن القرب لملوك المعاني فيه شرف وعز، كذلك القرب لملوك الحس فيه شرف وعز، لا ترجيح بين ملوك المعاني وملوك الحس. ملوك المعاني تصرفهم بالنور الساطع، وملوك الحس تصرفهم بالسيف القاطع. أهل النور الساطع لا يقوم أمرهم حتى يتوافقون مع أهل السيف القاطع، وكذلك أهل السيف القاطع لا يقوم أمرهم حتى يتوافقون مع أهل النورس الساطع. الكمال من أهل النور الساطع لا تجدهم أبدًا إلا متعطشين لأهل السيف القاطع وذلك لعلمهم أن ملكهم لا يقوم كماله إلا بهم، وكذلك أهل السيف القاطع الكمال منهم لا تجدهم إلا أبدًا متعشقين لأهل النور الساطع وذلك لعلمهم أن ملكهم لا يقوم كماله إلا بهم. أهل السيف القاطع تصرفهم بالظواهر، وأهل النور الساطع تصرفهم بالغيب، والظاهر لا يقوم إلا بالغيب، كما أن الغيب لا يقوم إلا بالظاهر. أهل الظاهر العمل عندهم غالب على العلم، وأهل الغيب العلم عندهم غالب على العمل، مع أن أهل الظاهر أهل علم وعمل، وأهل الغيب كذلك أهل علم وعمل، ولكن الحكم للغالب. أهل الظاهر عاملون بالظاهر وبالغيب ولا يعلمون إلا القليل، لأن العمل ظلمة، وأهل الغيب عالمون بالغيب وبالظاهر ولا يعلمون إلا القليل، لأن العلم نور. كأن أهل الظاهر يسمعون فيعملون، وأهل الغيب يرون فيعملون. وليس من رأى فعمل كم سمع فعلم، ولا من سمع فعمل كم رأى فعلم. كأن عمل هذا لا يقوم إلا بعلم هذا، وعلم هذا لا يقوم إلا بعمل هذا. العلم له تأثير عظيم، والعمل له تأثير عظيم، والعلم للعمل، كما أن العمل للعلم، والتوفيق بالله)، وقال: (اعلم أن صاحب الظاهر ملكه كن فيكون، فإنه لا يخفى على أحد وتخضع له جميع الرقاب خصوصًا وعمومًا. وكذلك صاحب الباطن إذا كمل ملكه بكن فيكون فإنه لا يخفى على أحد وتخضع له جميع الرقاب خصوصًا وعمومًا، وذلك لأن الله خلق الظلمة والنور، وكما جعل التأثير للنور، جعل التأثير للظلمة. قال تعالى: ﴿ **كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا** ﴾ [الإسراء: 20]. ومن خصائص صاحب الظاهر أن الجهل مصحوب معه لا يفارقه لأن الغالب عليه الظلمة، والظلمة كأنها شجرة ثمارها الجهل، ولب الجهل النكران. ومن خصائص صاحب

الباطن أن العلم لا يفارقه لأن الغالب عليه النور، والنور أيضًا كأنه شجرة ثمارها العلم ولب العلم: التسليم والإقرار وهو عدم الإنكار. ما اتخذ الله من ولي جاهل إلا وعلمه)، وقال: (اعلم أنه كما أن أهل المخزن ملوك على العامة، والعامة رعية لهم. كذلك أهل التجريد ملوك على أهل السلوك، وأهل السلوك رعية لهم. أهل المخزن ملوك العامة، وأهل التجريد ملوك الخاصة. أهل المخزن كانوا ملوكًا بحقيقة ظلمانية، بشرية فرق. وأهل التجريد كانوا ملوكًا بحقيقة نورانية جمع روحانية. صاحب التجريد كمن ملك بلاد يحرثها وهي على السقي، يحرث فيها أبدًا ما شاء. وصاحب السلوك كمن يحرث في بلاد البعل، لذلك كان صاحب التجريد ملكًا وصاحب السلوك مملوكًا. وكذلك المخزن مثله كمن ملك بلاد السقي، والعامة كمن يحرث بلاد البعل، لذلك صار المخزن ملكًا والعامة مماليك. صار حكم صاحب المخزن هو حكم صاحب التجريد، كلهم أهل حقائق، إلا أن صاحب التجريد ملكه بالله، وصاحب المخزن ملكه بالمخلوق، وإن كان في الحقيقة الكل بالله ولله)، وقال: (أعلم أن أهل الرياسة أهل الملك الأصغر، وأهل الله هم أهل الملك الأكبر، والملك الأصغر نسخة من الملك الأكبر، كما أن الملك الأكبر حكمه حكم الملك الأصغر، وإن حققت تجد الملك الأكبر والأصغر ملك واحد، إلا أنك إذا نظرت من قبل الفرق وجدتهما اثنان، وإن نظرتهما من قبل الجمع وجدته واحدًا، وذلك مما يدلك على عظمة الحق، أنك تجد الحقيقة أكبرها كأصغرها وأصغرها كأكبرها، من الذرة على صغرها إلى الوجود على كبره، وكذلك ما بينهما، حكم البعض كحكم الجميع، وحكم الجميع كحكم البعض، والبعض داخل في الجميع، كما أن الجميع شامل للبعض. كمال الذرة ككمال الوجود، وكمال الوجود ككمال الذرة، والكل كمال واحد، ولا ثم إلا الواحد، والذرة داخلة في الوجود، كما أن الوجود شامل للذرة. سبحان العظيم الكريم، القادر المقتدر، العظيم الجواد، الواسع المتعال)، وقال: (اعلم أن صاحب الحقيقة ينبغي له أن لا يكون كلامه وخطابه وإشارته إلا مع أهل الرياسة، تقول العامة: الثور لا يحرث إلا مع قرينه. أهل الحقائق أهل رياسة باطنية غيبية، وأهل المخزن أهل رياسة ظاهرية حاضرية، وبالجملة كلهم أهل حقائق، إلا أن حقيقة المخزن نسبت للمخلوق ومن ذلك صارت ظلمانية، وحقيقة أهل الله نسبت إلى الله من ذلك صارت نورانية، وفي الأصل: الكل بالله ولله ولا ثم إلا الله، والجود كله بين أهل رياسة ظاهرية وأهل رياسة باطنية فقط: كل ما اتفقوا عليه واجتمعت كلمتهم عليه كان الوجود كله تابعًا لهم. أهل الحقائق في الوجود بمنزلة الرأس من الجسد، وأهل الشرائع أعني شرائع العامة وشرائع الخاصة بمنزلة الجوارح. ولا شك أن الرأس لا يقوم أمره إلا بالجوارح، كما أن الجوارح لا يقوم أمرها إلا بالرأس، ولكن الخطاب والأمر والنهي للرأس على

الجوارح، والجوارح ما لها حكم على الرأس، فكأن الرأس سلطان والجوارح خدام. كذلك أهل الحقائق جعلهم الله ملوكًا أحرارًا، كما جعل أهل الشرائع مماليك عبيد، وإن كانت حرية أهل الحقائق أخذت من عبودية أهل الشرائع، كما أن عبودية أهل الشرائع أخذت من حرية أهل الحقائق، لكن كل واحد يحكم له بمرتبته في الوقت. وأهل الشرائع أيضًا على قسمين: أهل شرائع الخاصة وأهل شرائع العامة. أهل شرائع العامة هم أهل الحرف والصنائع، وهم خدام لأهل الحقائق الظلمانية. وأهل شرائع الخاصة هم أهل العلم الظاهر وأهل العمل الظاهر، هما خدام لأهل الله تعالى نفعنا الله بالجميع)، وقال: (واعلم أن الخلق مقسومون على قسمين: قسمة أهل فلوس وقسمة أهل نفوس، وأهل النفوس أيضًا ينقسمون على قسمين أيضًا. القسمتان من أهل النفوس هما الملوك: ملوك الظاهر وملوك الباطن، كأنهم أخوان ولكن في أحكامهم فقط. ملوك الظاهر ظلمانيون لا يشاهدون إلا نفوسهم وحظوظها، وملوك الباطن نورانيون لا يشهدون إلا الله ولا يعرفون شيئًا سواه. ملوك الظاهر سائرون بالحقائق العلوية، ما دمت لهم فهم ملوك، ومهما تجلى الحق بأضدادها وهي الحقائق السفلية انكشفوا وافتضحوا لأن ملكهم عاري باطل وهو يشبه الحق وليس بحق. وملوك الباطن يسيرون بالحقائق العلوية والسفلية، قال تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ** ﴾ [الزُّخرف: 84]، حازوا الخير بالأشياء وبأضدادها من أجل ذلك دام سرورهم وأفراحهم، لا ينقطعون أبدًا من محبوبهم، عرفوا محبوبهم على كل حال، فبذلك صاروا ملوكًا حقًا، ملكًا لا يحول ولا يزول. وأما القسمتان من أهل الفلوس، فهما أهل الأجور: الأسباب الدنيوية والأخروية، لأنهم كلهم أهل أعمال، وهم كأنهم عبيد لأهل النفوس، خدام لهم. صار صاحب النفس ملكًا وصاحب الفلس مملوكًا، وإن كانوا في الأصل كلهم جنس آدم ــــ، الملك والمملوك ولكن بينهما فرق عظيم، لا يعرف الفرق الذي بينهما إلا صاحب المعرفة بالله)، وقال: (اعلم أن ملوك الحقيقة حقًا هم العارفون بالله، كما أن ملوك الشريعة الدنيوية هم العاملون بالمخلوق، وإن كان الكل في الحقيقة بالله، ولكن العارفين بالله أطلق عليهم العارفون بالله لأنهم لا حجاب بينهم وبين الحق، فنيت نفوسهم بشهود الحق فلم يبق لنفوسهم نسبة في أقوالهم ولا في أفعالهم ولا في إرادتهم، ولما فقدت نسبة المخلوق فقدت أوصافه وثبتت نسبة الله وأوصافه، فلذلك قيل في ملوك الحقيقة العارفون بالله، ولم يقل في ملوك الشريعة الدنيوية العاملين بالله وإنما قيل فيهم العاملون بالمخلوق، وذلك لأنهم محجوبون بظلمة الأفعال فهي التي حجبتهم عن مشاهدة الحق، ولما حجبوا عن الحق لم يجدوا في أيديهم إلا المخلوق، فلذلك لم يبق للحق نسبة في أقوالهم ولا في أفعالهم ولا في إرادتهم، ولما فقدت نسبة الحق

منهم فقدت أوصافه وثبتت نسبة المخلوق وهو العبد وثبتت أوصافه، فلذلك قيل في ملوك الشريعة الدنيوية: العاملين بالمخلوق. وملوك الشريعة هؤلاء الذين ذكرناهم أهل الرياسة الدنيوية، لا أهل علوم الشريعة الدينية. وملوك الحقيقة الذين ذكرنا أيضًا هم أهل العلم بالله الأغنياء بالله، لا الفقراء الجاهلون بالله أهل علوم الشريعة، أهل ظاهر مجازي لا حقيقي. كما أن الفقراء الفاعلين بلا علم، أهل باطن مجازي لا حقيقي. وأهل الباطن الحقيقي هم ملوك الحقيقة المذكورون أولًا، كما أن أهل الظاهر الحقيقي هم ملوك الدنيا المذكورون أولًا أيضًا. وما بقي منع الخلق فهم مماليك لأحد الأربعة فرق: منهم من هو مملوك لملوك الحقيقة وهم العارفون بالله، ومنهم من هو مملوك لملوك الشريعة الدنيوية وهم أهل الرياسة الظاهرية، ومنه من هو مملوك لأهل علم الشريعة الدينية وهم أهل علم الظاهر، ومنهم من هو مملوك للفقراء العاملين بلا علم وهم الجاهلون بالله، ولا زائد. وهذه الفرقة الرابعة وهم الفقراء، من كان منهم غير راض عن نفسه تابع لأثر العارفين من غير إنكار على أحد من أهل الله ولا من غيرهم يرجى له أن يدخل في زمرة العارفين بالله إذا دام على ما ذكرنا، ومن كان منهم راض على نفسه مستكفيًا بمأمورات هواها منكرًا على أهل نسبة الله أو على غيرهم فهو أضل من العوام بمائة ألف ضعف بل بأكثر وأكثر من ذلك. وجدت عند الشيخ زروق في بعض شروحاته على الحجم، نفعنا الله به، قال أوصى عارف بعض أصحابه قال له: يا ولدي احذر صحبة ثلاثة أصناف من الناس أولهم: الجبابرة الغافلون، ثانيهم: القراء المداهنون، وثالثهم: المتصوفة الجاهلون. وأنا عندي المتصوفة الجاهلون أقبح من الفرقتين الأولتين لأن الفرقتين الأوليين إذايتهما للخلق كالسم القاتل بعد حين، والمتصوفة الجاهلون بمنزلة السم القاتل من ساعته).

الباطن

قال: اعلم أن الباطن يوجد بما يوجد به النوم، ويفقد بما يفقد به النوم. كما أنه بكثرة الكلام في المكان يذهب النوم عن النائم ولا يجده، كذلك إذا كثر الكلام بين يدي صاحب الباطن يذهب باطنه فلا يجد له أثرًا، وكما أن النوم أيضًا يوجد مع العزلة، كذلك الباطن يوجد مع العزلة لصاحب الباطن. وكما أن النوم يذهب عن صاحبه بكثرة الفرح أو ضده وهو كثرة الهم والنكد، كذلك صاحب الباطن إذا عرض له فرح كثير أو نكد كثير يذهب له باطنه فلا يجد له أثر. ومما يبطل النوم أيضًا إذا كان بصاحبه وجع في بدنه يذهب عنه به النوم، كذلك صاحب الباطن إذا كان ببدنه وجع فإن باطنه يذهب حتى لا يجد له أثرًا. حاصله: كل ما يبطل به النوم يبطل به الباطن، حكمة الله. انظر كلام الششتري رحمه الله تعالى حيث قال في بعض قصائده في شأن الباطن:

فلـــي محبـــوب إنمـــا هـــو غيـــور * تـــــراه يطلـــــل كطيــــر حــــدور

إن راى فــــــي قلبــــــي شـــــــيئا * امتنــــــــــــــع ان يـــــــــــــزور)

البخيل والكريم

قال: (اعلم أن البخيل كلامه مر ولو كان حقًا، والكريم كلامه حلو ولو كان باطلًا)، وقال: (سمعت من الشيخ نفعنا الله به أنه قال: مثل صاحب الكرم في الناس كمن طلى نفسه بالعسل، الناس كلهم تشتهيه وتحبه، لأن الكريم محبوب عند الله ومن أحبه الله حتمًا يحبه الخلق كلهم على كل حال، والبخيل مبغوض عند الله حتمًا يبغضه الخلق كلهم. إن الله آخذ بيد الساخي حيث ما عثر، أو كما قال الحديث. والسخاوة على قسمين: سخاوة النفس وسخاوة الفلس. صاحب سخاوة الفلس يملك ظواهر الوجود بأسره، وصاحب سخاوة النفس يملك بواطن الوجود بأسره وبواطن المغيبات.

صاحب الفلس تصرفه حاضر بالظواهر، وصاحب النفس تصرفه حاضر في الظواهر كما يتصرف بالباطن في غيب المغيبات)، وقال: (ومما قال لي سيدنا: يا ولدي كل من رأينا وشهدنا من الرجال ما كان عملهم مبني إلا على السخاء، لأن القدرة الربانية كالمرآة ما قابلتها بشيء إلا قابلتك بتلك الشيء الذي قابلتها به، كادت أن تكون نسخة منك، كما قال بعضهم: أقبح من كل قبيح صوفي شحيح. قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ** ﴾ [محمد: 38]، وقال بعض الصالحين: الصيام تجلد والصلاة عادة، إن أردت أن تجرب الناس فجربهم في هذا يعني الفلس، لأن الطريق طريق الجود والكرم من الله، وطريق الإحسان لا تكون مبنية إلا على الجود والإحسان، فكيف يا أخي تطلب أفضل ما عند الله بأقبح ما عندك والله تبارك وتعالى يقول: ﴿ **سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ** ﴾ [الأنعام: 139]. ومثل هذا كمن غرس الشوك ويطمع أن يجني منه العنب، كما قال القائل:

ثمـــار مـــا قـــد غرســـت تجنـــي * وهـــــــذه عـــــــادة الزمـــــــان

مـــن بـــات منـــه الـــورى فـــي امـــنٍ * بـــات منـــع الـــدهر فـــي امـــان

خـــذ الحـــديث الصـــحيح عنـــي * كمـــــا يـــــدين الفتـــــى يـــــدان

كيف تطلب الكرم وأنت لم تتكرم، كيف تطلب الرحمة وأنت لم ترحم، قال > : « **إنما يرحم الله من عباده الرحماء**»، وقال > : « **ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء** »).

البسط والقبض

قال: (اعلم أن البسط له أهل، والقبض له أهل. أما أهل البسط إذا قابلهم القبض يزيدون به بسطًا على بسط، وأهل القبض إذا قابلهم البسط يزيدون به قبضًا على قبض. صار القبض عند أهل البسط هو عين البسط، والبسط عند أهل القبض هو عين القبض)، وقال: (اعلم أن من آفات الظاهر البسط، كما أن من آفات الباطن القبض، وذلك لأن البسط نور في الباطن ظلمة في الظاهر، كما أن القبض نور في الظاهر ظلمة في الباطن، لأن الظلمة هي عين ذات الحسيات، كما أن النور هو عين صفات المعاني، ولا شك أن الذات هي مدخل الصفات، كما أن الصفات هي مدخل الذات).

البقاء

قال: (اعلم أن مقدم البقاء هو مقام الملك بالله، وهو مقام خاصة الخاصة، وهو مقام الراحة بعد الشقاء والربح بعد الخسران، وهو مقام العبودية لله بلا علة والنظر إليه بلا واسطة، وهو مقام التفريق بعد الاجتماع، والتواضع بعد الارتفاع، والعجز بعد القدرة، والأدب لله بالله بعد التمكين في الحضرة الإلهية. صاحب هذا المقام راسخ في العلم والعمل، واقع في شهود الحق في الجلال والجمال، بتحقيق المقامات والأحوال، قال أبو المواهب التونسي في قوانينه: من وصل البقاء آمن من الشقاء).

التجريد

قال: (ومما قال لي سيدنا ألا أخبرك يا ولدي والله لولا أني أعلم أنك تصدقني فيما أقول لك ما أخبرتك: حالتك هذه يعني التجريد هو الإكسير الأحمر الذي لا شيء في الوجود أعظم منه ولا أشرف منه ولا أقرب منه)، وقال: (ومما سمعت من الشيخ سيدي العربي نفعنا الله به قال لي: يا ولدي لو رأيت لك شيئًا أعلى من التجريد وأقرب وأنفع منه لأخبرتك به ولكن هو عند أهل هذه الطريق بمنزلة الإكسير الذي قيراط منه يقلب ما بين الخفقين ذهبًا، كذلك التجريد في هذه الطريق)، وقال: (اعلم أن التجريد هو التجريد من الدنيا ظاهرًا حسًا لا معنى، لأن التجريد معنى لا يحصل نفعه حتى يحصل التجريد الحسي، وإذا لم يحصل التجريد الحسي وإن حصل التجريد المعنوي لا يُعبأ به ولا فائدة فيه، ولا يلتفت إليه ولا يحكم به إلا إذا ظهر الحسي « أمرت أن أحكم بالظواهر والله يتولى السرائر »، لأن الظواهر هي التي تثبت وهي التي تنفي، فمن ثبت له شيء في الظاهر فهو ثابت، ومن لم يثبت له شيء فليس بشيء، وإن كان

الباطن هو أساس الظاهر وعليه يبنى)، وقال: (اعلم أن التجريد بحر لا ساحل له، وهو لا يقوم إلا على وجهين: باطني وظاهري. أما من جهة الباطن فما له إلا حقيقة واحدة وهي تسمى بحقيقة الحقائق، وأما من جهة الظاهر فحقائقه على عدد الحصى. من حاز منه أي من التجريد حقيقة باطنية وحقيقة ظاهرية واستمر عليها حتى حصل له ثمارها فإنه يملك الوجود بأسره حتى يكون يتصرف في الملك العلوي والسفلي، يكون بأمر مولاه يقول للشيء كن فيكون. قال بعض العارفين خطابًا للحق تعالى:

ومـــــن يكـــــن عنــــــده نســــك * يصـــــير فـــــي الخلـــق كــــالعلم)

وقال: (التجريد باطنه علم، وظاهره عمل، وكثيرًا ما رأيت فقراء وقتنا يأخذون التجريد عملًا من غير علم ظاهر ومن غير علم باطن، وذلك أنهم رأوا أشياخهم يفعلون شيئًا ففعلوه اقتداء بأشياخهم وهم لا يدرون مقاصد أشياخهم في ذلك الفعل، والله تبارك وتعالى لا يعبد إلا بالعلم، ولا يحل لامرئ أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه، قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾ [فاطر: 28]. وإن قدم على شيء بصحبة العارفين بذلك الفن فلا بأس به، لأنه صار كمن سافر في بلاد لا يعرفها مع الخبير الذي يعرفها فلا بأس به)، وقال: (اعلم أن الإنسان ما تجرد من الحس إلا واجهته المعنى، ولا تجرد من المعنى إلا واجهته الحسيات، أحب أم كره، علم أو جهل، سواء كان تجرده قهرًا أو اكتسابًا. إلا أن من تجرد وهو عالم أو عن إذن عالم يحصل على خير تجريده ويفوته شره، ومن تجرد وهو جاهل حكم تجرده إذا أصابه خيره تلف فيه وإذا أصابه شره تلف فيه: هذا حكم الظاهر. وأما حكم الباطن فهو إذا طلبت الحسيات طلبتك المعاني، وإذا طلبت المعاني طلبتك الحسيات)، وقال: (تقدمت لي معرفة أحد من ملوك الظاهر كنت أرافقه وأجالسه قبل دخولي لهذا الفن، ومما رأيت عندهم إذا أراد أحد أن يكون من الخدام، أول ما يقف بين يديهم يتزيى بزي عبيد الأروى ويتجرد ويقف بين يدي الملك، يسمون ذلك التجريد بعقدة الأروى، فكل من رآه الملك متجردًا بعقدة الأروى فذلك علامة على أنه أراد خدمة الملك. فلما اصطحبت مع أهل الباطن ورافقتهم وجدت ذلك عندهم: كل من أراد أن يدخل حضرة الباطن أول فعل يحتاج أن يفعله أن يتجرد بتجريد عقدة الأروى يعني كما يخرق العادة من نفسه. طالب حضرة الملك الظاهري حتى يفهمه أهلها أنه أراد أن يكون عبدًا لهم فيقربونه. صار التجريد كما هو شرط في طلب الحضرة الظاهرية في الفرق، كذلك هو شرط في طلب الحضرة الباطنية في الجمع، لا زائد. وكل من تحقق ذله في طلب شيء تحقق عزه بالظفر به، ومن يخطب الحسناء يصبر على البذل، قال الشاعر: « لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبر! »).



وقال: (اعلم أن التجريد لا يكمل لصاحبه حتى يكون لصاحبه حتى يكون نفسًا ودينًا ودنيا، وعلامة كمال صاحبه أنك تجده لا ينكر أحدًا من مخلوقات الله، يقرهم في أقوالهم وفي أفعالهم وفي أحوالهم حتى نفسه، ولا يرى الوجود كله وما حوى إلا في غاية الإتقان وغاية الكمال، وهذا المقام هو المكنى عندهم بالفناء، فإذا كمل للعبد المتجرد هذا المعنى فعند ذلك ربما يصير حينئذ بأمر الله تعالى يقول للشيء كن فيكون).

التجريد والأسباب

قال: (اعلم أن المتوجهين إلى الله على فرقتين: أهل أسباب وأهل تجريد. أهل الأسباب أهل شرائع، وأهل التجريد أهل حقائق. أهل الشرائع أعني الذين غلبت عليهم الشرائع، وأهل الحقائق أعني الذين غلبت عليهم الحقائق. أهل الأسباب مشتغلون بسببين: يتسببون سببًا لقوت الأرواح وسببهم فيه هو الأذكار، ويتسببون سببًا آخر لقوت الأشباح وربما كان سببهم فيه سبب أهل الدنيا. وأهل التجريد تجردوا من كل شيء واشتغلوا بمشاهدة ذات الحق وصفاته، أهل الدنيا. وأهل التجريد تجردوا من كل شيء واشتغلوا بمشاهدة ذات الحق وصفاته، فكفاهم مولاهم ما سواه وتولى أمورهم سبحانه بنفسه. لما كان تلفهم فيه كان خلفهم عليه. وتجردوا أيضًا من الأسباب. واشتغلوا بلذيذ مناجاة المسبب، فكفاهم شأن الأسباب، وصار ينوب عنهم في أمورهم كلها، رزقنا الله محبتهم بفضله وإحسانه)، وقال: (اعلم أن أهل الأسباب سلكوا ذلهم بالصفات، وجدوا عزهم بالصفات. وأهل التجريد بالعكس سلكوا ذلهم بالذات، وجدوا عزهم بالذات. أهل الأسباب لما كان ذلهم معنوي صار اجتهادهم حسي، وأهل التجريد لما كان ذلهم حسي صار اجتهادهم معنوي، وصاحب الاجتهاد الحسي مقبوض أبدًا، وصاحب الاجتهاد المعنوي مبسوط أبدًا، وصاحب الاجتهاد المعنوي مبسوط أبدًا وذلك لأن صاحب الاجتهاد المعنوي مجموع أبدًا فلذلك دام سروره وبسطه، وصاحب الاجتهاد الحسي مفروق أبدًا فلذلك دام حزنه وقبضه)، وقال: (اعلم أن التجريد مر النوار، حلو الأثمار، والأسباب حلو النوار مر الأثمار. « **حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات** » الحديث. كأن التجريد جمع، والأسباب فرق. قال الجيلاني: وجمعك صله إن فرقك قاطع)، وقال: (اعلم يكفيك في التجريد أن صاحبه موصول لا ينقطع وليس بينه وبين مولاه حجاب، ويكفيك في الأسباب أن صاحبها مقطوع أبدًا لا يوصل، وعلى قدر تقوية التجريد يضعف الحجاب، وعلى قدر تقوية الأسباب يعظم الحجاب، وعلى قدر ضعف الأسباب يضعف الحجاب ويضمحل. الحاصل أن صاحب التجريد مع مولاه أبدًا، وصاحب الأسباب مع المخلوق أبدًا. وما زاد من جهة الحق نقص من جهة الباطل، وما زاد من جهة الباطل نقص من جهة الحق. والحق هو الله، والباطل هو المخلوق. قال تعالى:

﴿ **اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ [البقرة: 257]. ألا كل شيء ما خلا الله باطل، والباطل هو الطاغوت. حكي أن رجلًا من العباد قال: كنت منفردًا لعبادة مولاي في مغارة، وكانت قريبة من المغارة شجرة، فاستوحشت يومًا فقربت من الشجرة لأسمع صوت طائر أتأنس به، فحجبت من أجل ذلك عن مقامي أربعين يومًا: قال الششتري رحمه الله في بعض كلامه:

عنـدي محبـوب إنمـا هـو غيـور * تراه ايطلل في قلبي كطير احدور

إن راى فـي قلبـي شـيئًا امتنـع ان يـزور

ترجمة سيدي العربي بن عبد الله نفعنا الله ببركاته

قال سيدي علي العمراني الجمل }: (اعلم أنه كان شيخ شيوخنا سيدي أحمد اليماني، نفعنا الله به، من أهل التجريد ظاهرًا وباطنًا، أما الباطن فلا إشكال، وأما ظاهرًا فكانت حقيقته في يده. وشيخنا سيدي العربي نفعنا الله به كان من أهل التجريد أيضًا ظاهرًا وباطنًا، أما باطنًا فلا إشكال، وأما ظاهرًا فكانت حقيقته في لسانه)، وقال: (اعلم أن شيخنا ووسيلتنا إلى الله تعالى سيدي العربي شرفنا الله تعالى بذكره كانت فيه ثلاثة خصال لم أرها في غيره في وقتنا هذا: كان عاشقًا غير معشوق أبدًا، وكان لا ينكر من الخلق حالًا من أحوالهم أبدًا، وكان صاحب حقائق مختلفة لم يغلب فرقه على جمعه ولم يغلب جمعه على فرقه)، وقال: (اعلم أن الشيخ سيدي العربي نفعنا الله به كانت له كتب عديدة كتبها بيده، مما كان يرد على قلبه. سمعته يتكلم على كناش من تلك الكتب قال: هذا الكناش حصيت فيه ثلاثة آلاف تجلي تنقص أقل من مائة، قال: فيه التجلي الذي كنت أمكث فيه ثلاثة أيام، وفيه من كنت أمكث فيه شهرًا، وفيه من كنت أمكث فيه ليلة أو أقل من ليلة. وكان } ما رأيته يتكلم في شأن الدنيا عند الاضطرار إليها أكثر من ثلاث كلمات قط، وكان } لا يفرح بإقبال الدنيا ولا يحزن على إدبارها، ما تبعه أحد في شيء منها إلا تركه له من غير التفات إليه ولا إليها. وكان }لا يتكلف كلفة أبدًا، ولا يأمر أحدًا بكلفة، ولا يحضر مع أهل الكلف، ما له إرادة سوى ما أراد الله في الوقت. وكان } يؤثر معرفة المساكين والفقراء المنسوبين إلا الله عن معرفة أهل الدنيا. كان رحمه الله قانعًا من الدنيا بما وجد منها، همته كلها مصروفة في طلب مولاه أبدًا، وكان } في السخاء أكرم من السحاب المرسلة، وكان }لا يتكلم بكلام ولو بمزاح في الوجود كله إلا كان، وكان جل كلامه في شأن الدنيا كأنه مزاح، يقبضها مزاحًا ويدفعها مزاحًا، وكان } لا ينكر



الخلق حالًا من أحوالهم، ولا يأمر أحدًا بالانتقال عن حال وجده فيه بل يقره عليه ويحضه على الاجتهاد والرجولة فيه. وكان } مشغولًا في باطنه من قلة كلامه على الدنيا حتى كان الكثير من أهلها ينكروه، وكان } لا يعبأ بإنكارهم ولا بإقرارهم، وكان } مطلوبًا غير طالب، معشوقًا غير عاشق في الأمور كلها، غنيًا بالله عن جميع الخلق، عن محسنهم وعن مسيئهم. وكان لا يؤثر عن الجلوس مع أهل فنه شيئًا، هو أحب إليه من أولاده وماله ومن الدنيا وما فيها. وكان } صاحب أحوال: في بعض الأوقات نجد فيه حلمًا عظيمًا وتاسيعًا عظيمًا، وفي بعض الأوقات كأنه أسد، ما تكلم في أحد بخير إلا أغناه، ولا تكلم في أحد بشر إلا أفناه، كلمته لا يردها مولاه في خير ولا في شر، كأنها كورة خرجت من مدفع من يد رام يضرب الحبة بل أسرع وأسرع. وكان } كل يوم نسمع منه علومًا جديدة طرية لم نسمعها منه بالأمس، ما سمعنا منه علمًا يومًا ورجع إليه غدًا منذ عرفناه قط إلا الآن إلا أنه كل يوم علم جديد لا يشبه ما قبله، وكأنه } الحقيقة عنده كأنها دقيق والشريعة كأنها مِلح، ولكن يتصرف بالحقائق السفلية كما يتصرف بالحقائق العلوية، كأنه كما قيل « يمني وعسري مسرح »، يخدم الهبوط كما يخدم الطلوع، ويخدم الطلوع كما يخدم الهبوط، يأخذ حاجته كيف ما وجدها، وهذه الحالة لم نجدها في وقتنا هذا في غيره، كأنه برزخ بين بحرين: بحر الحقائق وبحر الشرائع)، وقال: (اعلم ومما سمعت من الشيخ نفعنا الله به يقول ؛ قال بعض الناس: احض لقمتك تستجاب دعوتك، وأنا أقول: احض كلمتك تستجاب دعوتك مع الله ومع العباد)، وقال: (ومما سمعت من الشيخ رضي الله عنه ورحمه يقول: قال بعض العارفين: « لو أتاني عربي بدوي يبول على ساقيته لوصلته إلى الله من حينه »، وأنا أقول: لو أتاناي يهودي أو نصراني لوصلته إلى الله من حينه. سمعت هذا منه في حال عظيم ورد عليه)، وقال: (اعلم كان الشيخ } يعتريه الوجد العظيم في بعض الأحوال حتى لا يقدر على كتمانه، وكان إذا عرض له، كثيرًا ما يلتفت إلي ويقول لي: الله أكبر قال > : « أنا خزانة العلم وعليَّ بابها »، سمعتها منه مرارًا. وكان } يقول لي: والله لولا أني أخرج بقصد ملاقاتك لم أخرج من داري لأحد، يعني به أصحابنا. وكان } إذا رأى مجموعة من الأوراق التي أكتبها يطالعها، فإذا رأى فيها علمًا رقيقًا نفيسًا يأمرني أن نسخها وندفع النسخة منها إليه)، وقال: (اعلم أن حاصل ما اجتمع عليه نظر شيخنا رضي الله عنه ونفعنا به أن طالب طريقتنا هذه يستعين بالله على مجاهدة نفسه حتى يخالف كل ما هم عليه العامة من الأمور المباحات التي ليس في تركها عقاب ولا في فعلها عقاب، لأن صاحبنا مثل الأمير لا يباشر العامة إلا برفع همته عن كل ما هم عليه. أرأيت أن الأمير لو اختلط معهم في



أسواقهم وفي بيعهم وفي شرائهم هل تصح له خصوصية الملك؟ لا تصح له خصوصية بل يكون من جملتهم، وإنما حصل له العز باختصاص أحواله عما هم عليه واعتزاله منهم، لأن من أراد أن تصح له خصوصيته من بين الناس لا بد أن يصنع بنفسه خلاف ما هم عليه الناس)، وقال: (وسمعته يقول: نحن قوم لا نعرف العادة وإنما عندنا كل شيء خرق العادة)، وقال: (وسمعته يقول: صاحبنا إذا يعمل ما يعملها إلا كبيرة، لأن الكبيرة يحضر فيها الكبار، والذي يفعل الصغيرة هو الذي يفعل الكبيرة)، وقال: (وسمعته يقول: صاحبنا كأنه معاش يعشق بنت السلطان، ما يكون بحال ولد السلطان الذي يعشق بنت زرزاق)، وقال: (وسمعته يقول: صاحبي هو الذي يكون حيلي لأني ما كنجلس مع أصحابنا إلا نتعلم الحيال)، وقال: (اعلم قال سيدي العربي رحمه الله: صاحبي هو الذي اتكتف ابشعرا. وقال لي أيضًا: صاحبي يكون بالقشر في ظاهره مثل الفكرون، والذي يلعب لا ينتقر، والذي ينتقر لا يلعب)، وقال: (ومما وقع لسيدي امحمد لفضيلي مع شيخنا سيدي العربي نفعنا الله به، ستة أشهر وهو يطلبه في شيء من الحقائق، والشيخ يقول له: حسبك المجيء إلينا. ما زال يكرر عليه طلب الزيادة، والشيخ نفعنا الله به لا يزيده شيئًا عن: حسبك المجيء إلينا، حتى قال له يومًا: يا ولدي أنت تطلب الكلفة وطريقتنا هذه طريق عدم الكلفة)، وقال: (وسمعته أيضًا قال لرجل من أصحابنا كان يأتي إلى الشيخ وكان من أشرف قومه وكان بعض النوبات يجده وبعض النوبات لا يجده، فقال له الشيخ: يا ولدي مجيئك إلينا وجدتنا أم لم تجدنا به تظفر بحاجتك إذا دعيت عليه لأن ذلك هو المطلوب منك والمقصود هو الله تعالى « **من تقرب إلي شبرًا تقربت إليه ذراعًا** » الحديث، وقال: (ومما سمعته أيضًا يقول: قال لني يا ولدي الناس كلما التقيا المريد مع الشيخ لا بد أن يكلفه بشيء طلبًا لبيان صدقه، ونحن كلفتنا لأصحابنا هو أن نأمرهم بترك الكلف، يكفينا في صاحبنا مجيئه إلينا، لأن صاحبنا كالأمير يملك الوجود كله بكلمة ويتصرف في الوجود كله بكلمة، كلمة واحدة من لسانه تغني، وكلمة واحدة من لسانه تفقر)، وقال: (ومما قال لي الشيخ } قال لي بعض الصالحين: « جربنا اللي يجيء ويجيب مع اللي يجيء ولا يجيب شيئًا، عيينا نعمل هذا قد هذا فلم يكن ذلك ». قال سيدي العربي وأنا أقول: صاحبنا اللي يأتي إلينا، وصاحبنا اللي لا يأتي إلينا، أحببنا أن نجعلهما سواء فلم يكن ذلك)، وقال: (اعلم أنني رأيت الشيخ نفعنا الله به، كثيرًا ما يداوي نفسه والناس، يداوي جل علل ظواهر الجسد بالزيت، وبواطن الجسد باللبن أو الكسكس مع اللبن، وكنا نرى لهذين الدواءين الزيت واللبن سرًا عظيمًا في الشفاء حين يأمر بهام، وكنا لا نشك أن الشفاء في نطقه لا في الزيت واللبن، وكان يستند رضي الله

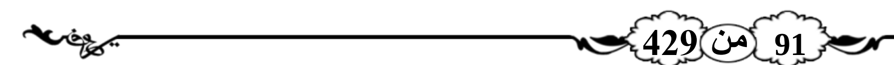
عنه في التداوي بالزيت لدعاء النبي > : « **بارك الله في الزيت أكلًا ودهنًا ونورًا في البيت** » أو كما قال، وباللبن، على أن والده كان كثيرًا ما يداوي المرضى به فيشفيهم الله تعالى، وهو كان يتأسى بسنة أبيه في ذلك)، وقال: (ومما سمعت سيدي الشيخ العربي رحمه الله يقول لإنسان قال له: يا سيدي كنت قبل اليوم في حالة مرضية واليوم شعرت بقساوة زيدت في قلبي ولا أدري ما السبب في ذلك، قال له: يا ولدي أصابك ذلك من مخالطة الموتى، قال له: يا سيدي وما الموتى؟ قال له: الموتي هم أهل الدنيا ولا أقول لك يا ولدي إنك قصدتهم أو قصدت مخالطتهم ولكن دخولك عليهم ودخولهم عليك أصابتك الإذاية من نفسهم مثل المرأة إذا دخلت على رجل بيتًا يؤذيه دخولها عليه ولو كان كارهًا لها كذلك أنت، والآن إذا أردت الدواء فعليك بصحبة أهل الله الذين يتهمونهم الناس بالكذب في دعوتهم، اصحبهم فإنك تداوي ويرد الله عليك أكثر مما كان عندك وبالله التوفيق. قيل لأحد من الصالحين إني أحبك، قال ذلك الصالح: وماذا أنفقت علي، المحبة من غير إنفاق نفاق)، وقال: (ومما قال لي الشيخ ويقول لي: كيف بك يا سيدي أنت ممن يعرف فلانًا وأمثاله، فأجابه سيدي العربي بأن قال له: يا فلان ما فاتتك في الدنيا لذة مثل معرفة رجل تعرفه لله، ولو كان معاشًا أو سلطانًا. لو حصلت لك هذه المزية لعرفت ما عرفت الرجال ولذقت ما ذاقت الرجال، ولكن منعت ذلك لحبك للدنيا، الله يكون لنا ولك)، وقال: (قال لي الشيخ يا ولدي والله ما ظفرنا بكمية النفس حتى عرضت علينا كمية الفلس فأبيناها ـ يعني كمية الذهب)، وقال: (وسأل سيدي العربي رجل من أصحابه ذات يوم قال لي: يا ولدي لولا الفقر من الدنيا ما استقام لنا شيء، ولكن لما أراد الله بنا خيرًا أمدنا بالفقر منها، وذلك سنة الله في خواص عباده من الأنبياء والصالحين ينزع الدنيا من أيديهم حتى تمتلئ قلوبهم نورًا ويقينًا وعلمًا، ثم بعد ذلك إذا ردهم إليها لا تضرهم ولو كانت أمثال الجبال لا تزيدهم إلا خيرًا وعونًا على ما في أيديهم لأنها تصير عندهم بحسب التبع، لا تلج قلوبهم أبدًا وإنما منزلتها ظواهرهم فقط، وأما قلوبهم فقد ملئت علمًا وحكمة وختم عليها بخاتم التوحيد المجرد في القلب المفرد، لا ينفك ختمها أبدًا. ولو كانت الدنيا في أيديهم أولًا ما استقام لهم شيء من ذلك لأن القلب إذا كان فارغًا لا يمتلئ إلا بما في اليد وهي الدنيا، وإذا تمكنت الدنيا من القلب لا يدخل عليها شيء من أسرار الأولياء أبدًا إلا القليل من الناس، وهذا القليل لا يستقيم لهم ذلك إلا

إذا أخذوا من جهة الصحبة لأحد من العارفين بالله الماهرين في معالجة النفوس إن وجودا وقليل ما هم، وإلا فلا، قال الشُشتري: « عندي محبوب إنما هو غيور، تراه ايطلل في قلبي مطير احدور، إن رأى في قلبي شيئًا امتنع أن يزور » لأنه مهما دخل في القلب توهم السوى أخرج الحق منه)، وقال: (اعلم ومما وقع لي مع الشيخ نفعنا الله به أنه كان جالسًا في الزاوية ونحن معه وكان من عادته نفعنا الله به أنه لا يطيق كثرة الكلام على الدنيا إلا كلمة أو كلمتين لا زائد، ولا يسمع كلمتين من كلام الدنيا ويصبر إلا شفقة وحلمًا على المتكلم إذا كان من أصحابه يأمره أن يبدل الكلام وإذا كان ممن يستحي منه يترك الجلوس ويذهب وكنا نعرفه بهذه الحالة، فبينما نحن معه ذات يوم إذ جلس معه أناس يتكلمون على الدنيا وهمومها صبر شيئًا قليلًا ثم قام من عندنا وخرج على الباب فلما رأيت ذلك بقيت شيئًا قليلًا وخرجت أتبع أثره حتى وجدته فوق سطح الزاوية وهو مضطجع على ظهره وغطى رأسه ووجهه كأنه نائم، فلما أحس بي قريبًا منه كشف على وجهه وقال لي: اجلس، فجلست فكان أول ما تكلم لي به أن قال: الخلا أو لا عمارات سوا، قلت: نعم يا سيدي، ثم قال: يا ولدي صاحب الحكمة لا تدوم له حكمته إلا إذا لم يجالس غير أهل فنه أي أهل حكمته وأما إذا اصطحب معه غير أهل حكمته أو جالسهم فإن الحكمة تذهب له ولا يجد منها شيئًا أحب أم كره، وإنما تركنا الكلام على الدنيا لأن الكلام عليها يؤدي إلى القبض ونحن يا ولدي القبض لا يصلح بنا ولسنا من أهله ولا ممن يجالس أهله)، وقال: (كنت جالسًا مع الشيخ نفعنا الله به فسأله رجل فقال: يا سيدي طريقتكم هذه ما سمعنا من قال بها من الناس، أخبرني أي طريق هي؟ فأجابه الشيخ بأن قال له: طريقتنا هذه هي الطريق التي كان عليها النبي > وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وكافة الصحابة رزقنا الله محبتهم، طريقتنا هذه طريق التجريد من الدنيا والزهد فيها والنبي > هو إمام الزاهدين وقدوة المحققين. ومن جملة ما قال له، قال له: والله يا ولدي إن طريقتنا هذه للبادئ المتوجه إلى الله كمن هو مقيد بحبل متين موثق به وهذا الطريق كأنها سكين مطعونة تقطع بها تلك الأحبال كلها، ولا وجدنا طريقًا أسرع منها وأنفد وأقرب وأبلغ في الطرق كلها من الطريقة الشاذلية التي تقوم عليها الساعة ولا تنقطع أبدًا، نفعنا الله برجالها وجعلنا في زمرتهم في الدنيا والآخرة بفضله وإحسانه)، وقال: (اعلم أنه كتب سيدي العربي بن عبد الله إلى تلميذه مولاي علي بن عبد الرحمن العمراني الشريف الحسني كتابًا وجاوبه عليه ومن كلامه في جوابه بعد السلام عليكم يا سيدي بلغني مسطورك وقرأته وفهمت معناه وما أشرت إليّ جزاك الله عنا خيرًا قولك هو الحق لكن يا سيدي والله ما حملني على ما ذكرت لي من ارتكابي للشرائع وتقديمها على الحقائق إلا أني نظرت إلى الحقائق فوجدتها معاني وأقوال،

والأقوال علوية سماوية وهي من الصفات، ونظرت الشرائع فوجدتها حسيات وأفعال، والأفعال سفلية أرضية، ولا شك أن صاحب السفليات يده فوق صاحب العلويات، لأن العقليات وصف العبد والعلويات وصف الرب، صار أشرف المقامات للعبد حين يتصف بما يليق بذله من السفليات، والرب تعالى يتصف بما يليق بجلاله وجماله من العلويات، فلما ظهر لي هذا الأمر وتيقنته علمت أن شرف الأفعال على الأقوال كشرف العبودية على الحرية للإنسان، وفهمت نصيحتك إليّ لما كنت ترشدني على الأفعال وتحضني عليها وتذكر لي شرفها على الأقوال، وسمعت منك أيضًا مرارًا وأنت تخبرني بأن الشرائع بعد الحقائق أشرف من الحقائق، والفعل يلد الفعل، كما أن القول يلد القول، وأنا يا سيدي والله أعلم أني لم يبلغ قدري أن أكن أهلًا أن أجاوبك لأني لا أعرف ولا أعلم إلا ما علمتني وحسنتني ما علي إلا فضلك ومكافأتك على الله تعالى وعلى نسبة النبي > والسلام عليكم).

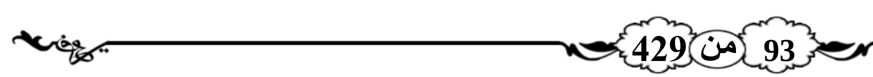
ترجمة سيدي علي العمراني الجمل نفعنا الله ببركاته

قال }: (اعلم وفقني الله وإياكم يا إخواني لا تنكروا فضل العوام، والله ما فتح إلي الباب إلا على يد رجل عامي جاهل من عوام المسلمين فأتت له أيام كان يرافق فيها أحد العارفين، فلما اجتمعت مع ذلك العامي مصادفة من غير قصد، وكنت ذلك الوقت واقفًا بلصق الباب أدق عليها ليلاف ونهارًا صباحًا ومساء، فلما أراد الله أن يفتحها إليّ اجتمعت مع ذلك العامي بقرب الباب وفي يده المفتاح وهو لا يدري ما الباب وما المفتاح، ألهمني الله تبارك وتعالى إليه فمددت يدي لنأخذه على أني أقيسه على الباب هل تفتح أم لا، فدفعه إليّ وهو زاهد فيه لا يعرف له قدرًا، فأدخلت المفتاح في الباب فانفتح الباب فدخلت في الحين فكنت أول نهاري مع العوام وآخر نهاري مع الخصوص، فلما دخلت سبحت وقلت: ﴿ **الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ** ﴾ [فاطر: 34]، فالمنة لله ولرسوله >، وأصل ذلك كله أني كنت أكثر زيارة الشيخ مولانا عبد السلام بن مشيش نفعان الله به وبأمثاله، وهذا الباب الذي ذكرنا هو باب الفناء الذي ليس للداخل عنه محيد، ولا ننكر فضل المربي الذي ربانا بعد الدخول جزاه الله عنّا خيرًا، جمعنا الله تبارك وتعالى به بعد الدخول)، وقال: (اعلم أنني أول ابتداء أمري كنت أصوم السنة بعد السنة وأقوم من الليل نحو نصفه وكانت عندي أوراد بالليل وأوراد بالنهار، فأوراد الليل كنت أصلي ركعات بالقرآن حزبًا في كل تسليمة، وأوراد النهار كانت عندي عشرين ألفًا من الذكر كل صباح ملقوطة من الأسماء وغيرها كنت أتمها قريبًا من الزوال، وكنت إذا أتممت أورادي لا يفتر لساني عن الذكر ليلًا ونهارًا، وكنت أوثر العزلة على الخلق ولا أقدر



على كثرة الكلام معهم، وبقيت مدة من ثلاث سنين وأنا على تلك الحال، فأول ما فتح لي الباب وأنا جنب بالحمام: ظلمة الجنابة وظلمة الحمام، فما شعرت بنفسي حتى أشرقت أنوار باطني على ظلمة ظاهري، هذه أول فجأة فجأت الحق حقًا، وتجلى البر الساقي وقال لي: أنا سيدك هل عرفتني، قلت: نعم يا مولاي وكيف لا أعرفك يا مولاي وأنا بك قد عرفتك فحياني وأدناني وسقاني وهنأني وقال لي: افرح وأبشر أنت من أحبائي وأصفيائي وأوليائي وندمائي في قرب حضرتي ﴿ **فَادْخُلِي فِي عِبَادِي** (29) **وَادْخُلِي جَنَّتِي** ﴾ [الفجر: 30]. فهذه أول ثمرة جنيتها من باطني كأني غرست جنانًا وهذا أول طعمه، فلما وقع لي هذا الأمر وأنا في هاتين الظلمتين ظلمة الجنابة وظلمة الحمام ألهمني الله تبارك وتعالى فعلمت أن عمارة الباطن لا تكون إلا بتخريب الظاهر لأن الإنسان ليس له إلا مادة واحدة ما تقوت من جهة الظاهر إلا ضعفت من جهة الباطن ولا تقوت من جهة الباطن إلا ضعفت من جهة الظاهر، والعارف هو الذي ملكه الله تعالى نفسه ورزقه أي العلم بالحكمة الأزلية حتى صارت الحكمة طوع يديه تقوية الظاهر بيديه وتقوية الباطن بيديه، فصار عندي من ذلك اليوم باطني يتقوى وظاهري يضعف حتى علمني الله تبارك وتعالى ما لا كنت أعلم من علم الظاهر كما أجني من ثمار الباطن علمًا وعملًا، والحمد لله على فضله وجوده وإحسانه القديم)، وقال: (اعلم أنك إذا أردت ورود الحسيات عليك أكثر من المعاني، وإذا أردت ورود المعاني عليك أكثر من الحسيات، جرت عادة الله تعالى يخرج الأشياء من أضدادها ﴿ **يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ** ﴾ [الرُّوم: 19]. ما كان سبب دخولي إلى المعاني في ابتداء أمري إلا أني أكثرت من أفعال الحس ودمت عليها أكثر من ثلاث سنين فما شعرت إلا والمعاني أقبلت علي وأحاطت بي من كل جانب حتى استغرقت فيها، فما زلت كذلك إلى الآن فوجدت نفسي في بحر لا ساحل له لا يعلم حده إلا الله سبحانه الحكيم العليم)، وقال: (اعلم أنه مما من الله به علي في أول ابتدائي أن تفضل علي بالذكر، ثم استخرج لي من الذكر الحضور، ثم استخرج لي من الحضور العلم أي علم الإلهام، ثم استخرج لي من العلم الغيبة عما سوى الله، ثم استخرج لي من الغيبة عما سواه المعرفة بالله، ولا علينا إلا فضل سادتنا الذين أيدنا الله بهم ورافقونا في هذه الأحوال كلها، جازاهم الله عنا خيرًا، أرشدونا ونصرونا وأذبونا وهذبونا، ما علينا إلا فضلهم، جعلنا الله من السالكين على منهجهم القويم، وأماتنا على محبتهم آمين بفضله وإحسانه)، وقال: (ومما قال لي رضي الله عنه ونفعنا به - أي شيخه سيدي العربي بن عبد الله - قال لي: يا ولدي إذا طول الله عمرك ودمت في هذه الحقائق سترى إن شاء الله أين تصل بهم، وسترى من خوارق العادة في الظاهر والباطن ما ليس له حد ولا حصر)، وقال: (اعلم أن هذا الأمر الذي وقع بيني وبين

سيدي العربي نفعنا الله به، حكمة الله ظهرت فيه ولم تشفق مني ولا منه رغمًا على أنفي وأنفه، لا راد لحكمه تعالى ولا معقب لأمره، سبحان الحكيم العليم)، وقال: (ومما وقع لي يومًا مع الشيخ سيدي العربي نفعنا الله به أنه جاءني يومًا إلى القرويين وهو يريد صلاة العصر، أعني عني، ووقف يصلي العصر مع سارية من سواري المسجد، فجلست أنا قريبًا منه، فلما فرغ من صلاته قمت إليه وجلست بين يديه، فكان أول ما تكلم لي به قال لي: يا ولدي هذا الأمر الذي أراك تطلب لا ينال إلا بما أراك تفر منه وهو الذل أحببت أم كرهت، لا سبيل له سوى هذا، لا سبيل له سوى هذا، لا سبيل له سوى هذا)، وقال: (ومما قال لي الشيخ نفعنا الله به لما رآني تخلقت بشيء من العلويات: يا ولدي هذا الشأن الذي أنت فيه اليوم خيره بمنزلة شأن من مائة شأن من الذي كنت فيه يعني من السفليات. كأن الشيخ نفعنا الله به أعلمني أن الحال السفلي الذي كنت فيه كان يصلني منه مائة خير، والحال الذي رآني فيه من العلويات يحصل لي منه خير واحد، لأن السفليات أطول، والعلويات فروع وثمار، ومفاتح الأشياء هي أضدادها.الفقير الصادق أقل أحواله يكون ثلثاه سفليات، والثلث الواحد علويات، هذا حال الضعفاء الذين ضيعوا رأس المال. يقول أهل الأسباب الدنيوية: لا يعدم فضل من يبقى له رأس مال)، وقال: (ومما قال لي الشيخ } لما رآني أخذت في التجريد قال لي: حالتك هذه يا ولدي اجتمعت فيها حالتان: الظهور والخفاء، وقال لي: ما أخبرتك بهذا الأمر إلا لننتفع بأخبار حالك هذا إن شاء الله)، وقال: (أعلم أنه لما أدخلني الشيخ نفعنا الله به بلاد الأفعال، أول ما أمرني به التجريد من الثياب، ثم بعد ذلك أمرني بالسعاية في الأسواق، ثم بعد ذلك أمرني أن أنفق من ذلك ليلتي بالمعروف وأتصدق بما يبقى ولا أدخر يومي لغد ولا أبيت ومعي درهم أملكه على وجه الأرض. فلما حصلت على هذه الثلاثة منازل واستقررت فيهن، ما بقي لي بعدهن إلا والنتائج قد أشرقت ظاهرًا وباطنًا حسًا ومعنى. المنة لله ولسادتنا الرجال شرفنا الله بذكرهم آمين)، وقال: (اشتكيت على الشيخ فقلت له: يا سيدي رأيت نفسي ضعيفًا من جهة القول قويًا من جهة الفعل وخفت أن يتعذر أمري من أجل ذلك. قال لي: أحمد الله على ذلك واعرف منته عليك فيك، ولو جعل الله القوة التي جعل فيك في الفعل في القول لأهلكك العامة لأنك إذا سلمت من أهل الرياسة لا تسلم من علماء الشرائع)، وقال: (ومما قال لي سيدنا الشيخ سيدي العربي نفعنا الله به قال: يا ولدي بنفس ما أسمع صوتك تنادي علي من باب الدار يا العربي مثلت نفسي في تلك الساعة كامرأة سمعت صوت ولدها صاح في المهد، بنفس ما سمعت صوته يوجد الحليب في ثديها لترضعه مع كونها قبل استماع صوته لا حليب كان في ثديها ولكن بسبب استماع



صوت ولدها يوجد الله الحليب في ثديها ما ترضعه، كذلك أنا بنفس ما أسمع صوتك نجد ما أرضعك به من العلم بالله)، وقال: (منذ عرفت الشيخ رحمه الله ما فرحت قط مثل ثلاث فرحات. أولها: جاء رجل إلى الشيخ فلم يجده فجلس يرجوه حتى جاء الشيخ نفعنا الله به فسلم عليه وجلس بين يديه وجعل يتحدث مع الشيخ والشيخ يحدثه وأنا جالس معهما فقال له الرجل: يا سيدي كنا نأتوا إليك ولا نجدوك فقال رحمه الله: إن أتيت إلي ولم تجدني هذا يقضي لك كل ما نقضيه أنا لك، وأشار إلي بيده رحمه الله. ويومًا آخر كنت جالسًا ولا معنا أحد، وكان الشيخ رحمه الله في تلك الساعة اعتراه حال عظيم فعطف علي، مثل الرجل أذا عطف على ولده، ورفع عمامته من فوق رأسه وقال لي: هات رأسك، فمددت رأسي وجعلها لي على رأسي كما كانت على رأسه. ويومًا آخر كنت جالسًا معه صباحًا في الزاوية قبل أن يأتوا أصحابنا الذين كانوا يجلسون معنا كل يوم مع الشيخ، والشيخ رحمه الله يتحدث معي حتى قال لي: يا ولدي لو ما كنا نأتي كل يوم إليك بقصدك هذا الموضع لم نأت لأحد من هؤلاء الناس - يعني الذين يجلسون معنا - جلوسي ها هنا كله لأجلك. هذه الثلاثة مرات ما فرحت قط مثلها لاعتناء الشيخ بي، ونفسي كانت عنده أحقر من ذلك، فعلمت أن الله تعالى قد تفضل علي بخاطر الشيخ أو ملكت ملك الأكاسرة، ما فرحت به مثل ذلك. وحكى لي الشيخ رحمه الله أن جده سيدي امحمد بن عبد الله نفعنا الله به كان يجلس في الزاوية وكان الناس يأتون إليه كثيرًا حتى تمتلئ الزاوية ويجعل الناس طريقًا من باب الزاوية إلى الشيخ طريقًا في وسط الناس يسلك الناس منها إلى الشيخ، وكان الشيخ سيدي امحمد بن عبد الله يقول في بعض الأوقات لأصحابه يا ولدي لولا رجل أو رجلان نجلس من أجلهما في هذه الزاوية ما فتحنا بابها)، وقال: (ومما وقع لي مع الشيخ، شرفنا الله بذكره، ذات يوم جئت إليه صباحًا كما كانت عادتي فصادفته نفعنا الله به خارجًا من باب الدار، فلما رآني تبسم ضاحكًا، فسلمت عليه وقبلت طرفه، وسار قاصدًا الزاوية وأنا من وراء ظهره حتى دخلنا الزاوية فجلس وجلست بين يديه، فكان أول ما تكلم به أن قال لي هل عرفت لم ضحكت حين أقبلت على باب الدار؟ قلت: لا يا سيدي، قال: أردت أن أتكلم لك بكلام لا تظن أني أقوله لك. قلت: وما ذاك يا سيدي؟ كل ما يخرج من عندك حسن. قال لي: هذا المجيء الذي تجيء إلينا لا تجيء. قلت: وكيف يا سيدي؟ قال لي: الفائدة التي كنت تجيء إلينا تطلبها ظفرت بها أنت والحمد لله، ما عندنا عندك، وما عندك عندنا، ولماذا تبقى تمشي وتجيء إلينا صباحًا ومساء؟ فلما سمعت هذا الكلام نزل بي أمر عظيم لا أقدر على وصفه، واشتد بي البكاء وأنا أخفيه حتى غلبني وما قدرت على كتمه فجعلت أشهق وأبكي حتى عاينت الهلاك من نفسي، وهو نفعنا الله به يصبرني ويقول لي: والله



يا ولدي ما قلت لك هذا الكلام حتى عاينته منك وعرفت أنك لا تحتاج إلي، وقلت له يا سيدي والله لا أقدر أن أغيب عنك حيًا ولا ميتًا، فقال لي: أما أنا فقد ذكرت ما هو علي حق أن أذكره إليك وإذا أردت أن تأتي إلينا من باب المحبة فافعل، قلت له: يا سيدي كيف بكلام سيدي أبي مدين حين قال: (وإن غبتم عنا ولو نفسًا متنا)، قال لي: قالها على العروة الوثقى والدرة البيضاء، قلت له: يا سيدي والله إلا أنت العروة الوثقى والدرة البيضاء، قال لي: افعل ما شئت)، وقال: (اعلم أنني كنت أخرج من منزلي أريد الزاوية فتشرق على قلبي أنوارها وأنا في منزلي، وكنت أيضًا أخرج من منزلي وأنا أريد حاجة من أمور الدنيا فتشرق على قلبي ظلمة أعرفها من نفسي فأسير مستغرقًا فيها حتى أصل تلك الحاجة. كأن الأمر موكول بالاهتمام، ولا يفهم هذا إلا بصفاء مرآة القلب)، وقال: (اعلم أني ما اشتغلت باسمي إلا حجبت عن ذاتي، ولا اشتغلت بذاتي إلا حجبت عن اسمي، لأن اسمي من جملة صفاتي، ولا يحجبني عن صفاتي إلا ذاتي، ولا يحجبني عن ذاتي إلا صفاتي، وشريعتي تحجبني عن حقيقتي، وحقيقتي تحجبني عن شريعتي، ولا تقوم شريعتي إلا بحقيقتي، كما لا تقوم حقيقتي إلا بشريعتي، واجتماعي يحجبني عن فرقتي، وفرقتي تني عن اجتماعي، ولا يقوم اجتماعي إلا بفرقتي، كما لا تقوم فرقتي إلا باجتماعي، وحسي يحجبني عن معناي، ومعناي تحجبني عن حسي، ولا يقوم حسي إلا بمعناي، ولا تقوم معناي إلا بحسي، وفقدي يحجبني عن وجدي، ووجدي يحجبني عن فقدي، ولا يقوم فقدي إلا بوجدي، كما لا يقوم وجدي إلا بفقدي، وقربي يحجبني عن بعدي، وبعدي يحجبني عن قربي، ولا يقوم قربي إلا ببعدي، كما لا يقوم بعدي إلا بقربي، وفقري يحجبني عن غنائي، وغنائي يحجبني عن فقري، ولا يقوم فقري إلا بغنائي، كما لا يقوم غنائي إلا بفقري، فافهم وتأمل واعرف وهذه بعض أوصافي)، وقال: (اعلم سيدي أن مما تفضل به علي مولاي جل ثناؤه أن جعلني أغدر نفسي وأغدر من يغدرني، وأغدر من لم يغدرني لماذا لم يغدرني، وأذكر نعمته علي أيضًا أن جعلني أتطور بجميع الأطوار لأقضي سائر الأوطار: تارة أكون وليًا وتارة أكون أميًا وتارة أكون ملكًا وتارة أكون مملوكًا وتارة أكون حرًا وتارة أكون عبدًا وتارة أكون رجلًا وتارة أكون امرأة وتارة أكون كهلًا وتارة أكون صبيًا وتارة أكون عابدًا طائعًا زاهدًا وتارة أكون غافلًا عاصيًا راغبًا وتارة أكون صديقًا وتارة أكون زنديقًا وتارة أكون في أعلى عليين وتارة أكون في أسفل سافلين وتارة أكون ملك أهل الخصوصية وتارة أكون قائد أهل اللصوصية وتارة أكون ألد وأربي وتارة مولودًا متربيًا وتارة أكون من أهل الأحوال والمقامات وتارة أكون من أهل الخمر في الخانات وتارة أكون راسخًا في اليقين وتارة أكون من ضعفاء المسلمين وتارة اسرح في الملأ الأعلى وتارة أسرح في الأرض السابعة السفلى وتارة يكون الكون في قبضتي

وتارة أخسأ في ذلتي وتارة أتصرف في العوالم كلها وتارة لا أقدر على نفسي أن أنقذها وتارة صفتي صفة المجنون وتارة من أهل الفنون والسكون وتارة من أهل المعارف والأسرار وتارة أخوض في ظلمة الأغيار وتارة أكون عالمًا للعلماء وتارة أكون ممن يسفك الدماء وتارة أقهر الجبابر بسطوتي وتارة أشبه اليهود بذلتي وتارة أقطف أنوار الفكر في خان حضرة وتارة أرقص بالأشواق في وسط الأزقة: هذه بعض أوصاف صفاتي)، وقال: (اعلم ومما من الله علي أن أدخلني جنتين: جنة حقيقتي وجنة شريعتي. إذا كنت في جنة حقيقتي أجد العرش العظيم وما حوى كله في قبضتي، والكون العلوي والسفلي أتصرف فيهما بحكمتي ومشيئتي. وإذا كنت في جنة شريعتي أتعنم في عشقي وشوقي وخضوعي وذلي في عبوديتي، وأتبختر في اضطراري وعجزي وضعفي وتملقي على أبواب أحبتي. وكمال المنة علي أن لا أرجح شريعتي على حقيقتي ولا حقيقتي على شريعتي)، وقال: (اعلم ومما تفضل علي مولاي، منة منه، أن جعل لي عالمين: عالم الحس وعالم المعنى، وجعلني فيهما كالعريس معشوقًا لهما، مشتاقان إلي، من ظفر بي منهما دون الآخر يفتخر ويباهي الآخر، وهما عند أمري ونهيي. إذا التفتت إلى عالم الحس بادر لامتثال أمري وأمدني بكل ما أردت واشتهيت من غير عطلة، وإذا التفتت إلى عالم المعنى كذلك يبادر لامتثال أمري ونهيي ويمدني بما أردت من غير تعطيل حتى غدت مني مادة الغيب كمادة الحاضر ومادة الحاضر كمادة الغيب وأنا بينهما متخير، أنا أمير وهما جنودي، وذلك من فضل الله تعالى وجوده، لا خير إلا خيره، ولا فضل إلا فضله، لا رب غيره، ولا معبود بالحق سواه)، وقال: (والله لو طلبوني أهل السماوات السبع وأهل الأرضين السبع، في ساعة واحدة، لقضى الله تبارك وتعالى حوائجهم في تلك الساعة جميعًا)، وقال: (اعلم أن مما وقي لي في بعض سلوكي أنه ورد علي حال من الأحوال تجلت لي صفات الحق جل ثناؤه في نفسي وفي جميع الخلائق فصرت أعشق نفسي وأعشق الخلق بأسرهم، كل من رأيته رجلاً أو امرأة، شيخًا أو صبيًا أعشقه، حتى اتهموني بعض سخفاء العقول بالفسوق والزندقة، وهم لا يدرون ما بي ولكن عبروا علي بما في بواطنهم، وصرت أيضًا أعشق الحيوانات والأنهار والأشجار والطيور والسماء ونجومها والأرض وأشجارها. كل من رأيته من الخلق بشرًا أو جمادًا أعشقه والحق عليه حتى أن بعض الخلق لا يشك أني فاسق من شدة اللحاحة والعشق، حتى صرت أحب من يحبني وأحب من لا يحبني، ومن يعرفني ومن لا يعرفني، لأني كنت أشهد ذاتي قد ملأت الوجود علوي وسفلي، والخلق كلهم أبعاض مني، مثل أعضائي وجوارحي، وعشقي إياهم ظهر لي أني لا أعشق إلا ذاتي وصفاتي، وأنا لا أتكلم بشيء من ذلك، ولكن شهود أحوالي أنبأت من يعرف ذلك لا يخفى عليه، ومن لا يعرف يظن أني عاشق)، وقال (اعلم علمني الله

وإياك أني ما وجدت حبيبًا في الوجود يعادل نفسي، هي أحب الأحباب إلي، وهي منبع الخيرات، ومنبع الأسرار والأنوار، ولا وجدت خيرًا في الوجود إلا خيرها، وما احتجت على شيء والتفت إليها إلا وجدته بين يدي أقرب من طرفة عين، فيها دوائي وبها شفائي، ومنها ابتدائي وإليها انتهائي، بها طلبي وهي مطلبي، وهي شربي ومنها مشربي، منها غنائي وهي غنائي، ومنها فنائي وفيها فنائي، هي خيرتي وفيها حضرتي، وهي شربي وبها سكرتي)، وقال: (اعلم أنه كان شيخ شيوخنا سيدي أحمد اليماني، نفعنا الله به، من أهل التجريد ظاهرًا وباطنًا، أما الباطن فلا إشكال، وأما ظاهرًا فكانت حقيقته في يده. وشيخان سيدي العربي، نفعنا الله به، كان من أهل التجريد أيضًا ظاهرًا وباطنًا، أما باطنًا فلا إشكال، وأما ظاهرًا فكانت حقيقته في لسانه. وأنا عبد الله من الله علي من بركة معرفة هؤلاء الرجال، سادتنا أهل المخفية شرفنا الله بذكرهم، ولكن سيدي منهم وسندي وأستاذي هو سيدي العربي ابن العارف بالله سيدي أحمد بن عبد الله نفعنا الله بالجميع أخذت عنه التجريد ظاهرًا وباطنًا، أما باطنًا فلا إشكال، وأما ظاهرًا ففي أربعة جوارح: في لساني وفي رأسي وفي رجلي وفي ظهري، هذه أربع حقائق. ومع رجل آخر، أخي في الشيخ، أخذ على شيخنا سيدي العربي التجريد ظاهرًا وباطنًا، باطنًا لا إشكال، وظاهرًا أخذ منه حقيقة في عينه، وهو يتصرف الآن. والتجريد باطنه علم وظاهره عمل)، وقال: (اعلم علمك الله أنه بينما أنا في مشاهدة الحق إذ سرقتني نفسي واشتاقت إلى الجنة، فأمر الجليل جل جلاله رضوان خازن الجنة أن يفتح لي الباب ويدخلني إياها لنأكل من أثمارها ونشرب من أنهارها وننكح أبكارها ونشاهد ما أعد الله لعباده المخلصين، ففعل وفتح لي باب الجنة فدلت فرأيت فيها ما يعجز الواصفون عن وصفه « ما لا عين رأيت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر »، ومن جملة ما رأيت أني بعدما دخلت الأبواب واستشرفت على قصور الجنة وأشجارها وأنهارها، والحور العين تستشرف من القصور كأنهن اللؤلؤ والمرجان، وإذا أنا بشجرة في باب القصر الذي قابلني طالعة على ساق واحد حتى استوت وتفرعت أفراعًا وأغصانًا وأوراقًا وثمارًا، ما رأيت مثل حسنها وزينتها واختلاف ألوانها وأثمارها، ورقة لا تشبه ورقة، وثمرة لا تشبه الأخرى، طولها خمسمائة عام، وعرضها كذلك، ومكتوب على ساقها وعلى كل فرع وعلى كل ورقة وعلى كل ثمرة: مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله، وكل خط مكتوب بقلم لا يشبه الآخر،وكل غصن وكل ورقة وكل ثمرة لها صوت يغني بألحان لا يشبه الآخر ليس صوت الأغصان كصوت الأوراق، ولا صوت الأوراق كصوت الثمار، وكل صوت وورقة وثمرة لا تشبه أختها، فأكلت من أثمارها وشربت من مائها، فإذا أخذت ثمرة نبتت أخرى مكانها، وكل ثمرة لا يشبه طعمها طعم الأخرى ولا لذتها ولا نغمتها، فسألت عند ذلك رضوان وقلت له: يا أخي

لمن هذه القصور وهذه الأنهار وهذه الأشجار؟ قال لي: هذا بعض ما أعد الله لرجل من أهل لا إله إلا الله محمد رسول الله > وعلى آله وأصحابه. فلما رأيت نفسي قد ركنت لذلك، تركت الجنة ونعيمها وزخرفها، ورجعت إلى العالم الأسنى، فلما رجعت إلى مشاهدتي كما كنت أولًا، نسيت الجنة كأني وددت لم أدخل الجنة ولم أنحط إليها، لما وجدت من لذيذ المشاهدة، صرت كأني كنت مسجونًا واسترحت بمشاهدة مولاي، فجعلت أستغفر من ذلك فغفر لي مولاي وأقبل علي وقربني إلى حضرته، وخاطبني خطاب الحبيب لأحبائه)، وقال: (اعلم أني وقعت مني هفوة وعصيت مولاي أي غفلت عنه فأخرجني ربي من جنة المشاهدة والعيان وأدخلني في جنة النعيم والرضوان أي سجنني فيها، فلما دخلتها واستشرفت على قصورها وأنهارها وأشجارها وسمعت أصوات ألحان الغصون فذكرني أصواتهم في حضرة مولاي، فتبت واستغفرت ورغبت إلى الباب فوجدته غفارًا لمن تاب، فأقبل علي بوجهه الكريم وسكاني من خمرة القديم، في حضرة رضاه وقربه أدناني وسقاني وقربني واجتباني)، (وقال: (اعلم أن مما خصني به مولانا من فضله وجوده وإحسانه أن جعلني ما ذكرت النبي > بفكر أو بذكر إلا وجدته معي وأنا بين يديه جهرة حسًا لا معنى، يحدثني > بعلوم المغيبات وآخذ عنه علوم الظاهر وعلوم الباطن، وأصحابه الكرام جالسون معي بين يديه > رضي الله عليهم أجمعين. هذا مما تفضل علي به الكريم جل ثناؤه وتقدست صفاته وأسماؤه والحمد لله على ذلك، فصرت آخذ العلم والعمل من عين العلم والعمل، والجود والكرم من عين الجود والكرم، والصدق والتصديق من عين الصدق والتصديق، والحق والتحقيق من عين الحق والتحقيق، فبه أرقص وبه أغني، وفيه فنا فناء فني، فهو ذكري وشهودي وفكري، وهو شرابي ومدامي وخمري) ، وقال: (اعلم يا أخي أن أصحابي يأتوني على أنواع، بعضهم اشتدت عليه البرودة يأتي إلي يطلبني السخونة، وبعضهم اشتدت عليه السخونة يأتيني يطلبني في البرودة، وكل منهم لا يخرج من عندنا إلا مملوء بما طلب، على أحسن هيئة)، وقال: (وقال لي أيضًا - أي سيدي العربي - يا ولدي لا تنكر شيئًا من أحوالك التي أقامك الله فيها).

التعظيم

قال: (اعلم أن أهل الظاهر ما استقام ملكهم واستوى إلا بالأدب والتعظيم للخلق ومع الخلق. وكذلك أهل الملك الباطني ما استقام ملكهم واستوى إلا بالأدب والتعظيم للملك الحق. صار حكمهما واحدًا، ولكن هذا للخالق، وهذا للمخلوقين، وما كان لله دام واتصل، وما كان لغير الله انقطع وانفصل)، وقال: (اعلم يا أخي شتان بين من عرف الله تعالى في كل شيء، وبين من عرفه في شيء دون شيء، يعبر عن

هذا المعنى بحصول التعظيم، لأقوام في كل شيء بكل شيء لكل شيء وهم العارفون، وآخرون حصل لهم التعظيم في شيء دون شيء أو في شيء دون أشياء. صار التعظيم به تكون البدايات وإليه تكون النهايات، والناس فيه على مراتب ومقامات، كل واحد أخذ منه على قدر ما فتح له. وإلا فما التعظيم؟ وما المعظم للتعظيم؟ وما الذي يعظم؟ وما الذي لا يعظمه؟ لكن أهل مكة أعرف بشعابها، والكلام مع أهله).

التكليف

قال: (قوم يجدون التكليف في التكليف، وقوم لا يجدون الراحة من التكليف إلا في التكليف، والتكليف حقًا عندهم هو عدم التكليف).

التلون

قال: (اعلم أن وجود أثمار الأفعال هي الموجبة لفقد أثمار الأقوال، وكذلك وجود أثمار الأقوال هي الموجبة لفقد أثمار الأفعال، وذلك لأن المادة واحدة لكن تارة تظهر أفعالًا وحسيات وتارة تتلون فتظهر أقوالًا ومعاني، والمراد بالأثمار هنا بمعنى المواهب يعني مواهب العلم ومواهب العمل التي ترد على أخل الخصوصية من حضرة الغيوب من عنصر المشاهدة والعيان وهي ترد كما قلنا تارة ترد عليهم أقوال وعلوم وتارة ترد عليهم أفعال وأعمال، وهذا التلون من كمال حسنها وبهائها، قال الششتري: « وغايتي في الحب أن أتلون »، وهي التي تسمى بالواردات، وتسمى أيضًا بالمعارف، وتسمى بالأذواق، وهي لا توجد إلا بتخليص التوحيد من عين اليقين أو حق اليقين. أهل عين اليقين بالله وأهل حق اليقين لله ولا زائد)، وقال: (اعلم أنه مما يدلك على كمال شرف أصول الأشياء، إن كنت تفهم، هو تلونها في الأحوال، كل وقت تتطور بطور، خلاف ما كان قبله، وذلك لأن الأصل شريف عظيم كبير كريم حليم، إلى ما لا ينحصر من كمال شرف أصله، قال الششتري في بعض كلامه: وغايتي في الحب أن أتلون، وقال ابن الفارض في بعض كلامه في الحضرة:

يقولون لي صفها فانت بوصفها * خبير اجل عندي باوصافها علم

صفاء ولا ماء ولطف ولا هوا * ونور ولا نار وروح ولا جسم

نفعنا الله بهم أجمعين، هذا سواء تفرقت أو اجتمعت. العارف باجتماعها حصل على خير تفريقها، والجاهل بافتراقها تلف عن خير جمعها)، وقال: (اعلم أن القدرة ما ظهرت بكمالها إلا بين وجود وعدم، في جميع الحسيات والمعنويات. كأن كمال

الوجود نصف ظهورها، وكمال العدم النصف الآخر، ومهما ظهر كمال الوجود وكمال العدم في شيء فذلك هو كمال ظهور القدرة، ومهما ظهر الوجود لا يظهر بعده إلا العدم، وكذلك ما ظهر العدم إلا ويظهر بعده الوجود، ولا يدري التصرف بالوجود والعدم إلا من حصلت له المحبوبية وقليل ما هم، لأن العرف عند المحققين هو أن الأشياء كلها لا تخرج إلا من أضدادها، لأن أصل الأصول في الحقيقة هو تلونها، لأجل هذا المعنى تجدهم { لا يستقرون في حالة واجدة لا في أقوالهم ولا في أفعالهم ولا في أحوالهم، لأنهم سائرون على مراد الحق فيهم لا على مرادهم، وذلك من كمال الأدب الذي حصل لهم في المشاهدة التي لم يبق معها أثر لشيء، لا تراهم أبدًا إلا راحلين قاطنين غائبين حاضرين ﴿ **وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ** ﴾ [النمل: 88]، وقال: (اعلم أن الحقيقة لها أصول وفروع، وحقيقة أصولها وفروعها هو التلون، والتلون اسم وصفات، والصفات هي عين الذات، والذات هي عين الصفات. صارت كما كملت بداية البدايات بالتلون، كذلك ما كملت نهاية النهايات إلا بالتلون. والتلون حاصل على كل حال، من لم يأته طوعًا يأته كرهًا، وشتان بين من سلكه عارفًا به ومن سلكه تالفًا فيه)، وقال: (سمعت الشيخ نفعنا الله به يقول: ليس منا من لم يتلون)، وقال: (سمعت الشيخ نفعنا الله به يقول: يا أسفي على الجاهل الذي لم يعرف شيئًا، ويا أسفي على العالم الذي لم يعمل شيئًا، ويا أسفي على العالم العالِم الذي لم يجمع بين فضل العلم وفضل الجهل، وبين خير العلم وخير البطلان، فمن وصل هذا المقام طوبى له، حق له الهناء، وهذا المقام يسمى بمقام التمكين بالتلون. يقول الششتري رحمه الله: وغايتي في الحب أن أتلون)، وقال: (ومما قال لي الشيخ رحمه الله ونفعنا به، قال لي يا ولدي: جلت في بلاد التوحيد، فلم أجد فيها شيئًا أقرب وأوسع وأنفع وأسرع في السير من التلون. من خصائصه: أنه هو عنصر الزيادة كلها، وما دامت مناجاة العارفين مع مولاهم إلا بالتلون، كما أن نعيم الجنة ما دام لأهلها إلا بالتلون، وزيادة المعاني لا تكون إلا بالتلون المعنوي، وكذلك زيادة الحس لا تكون إلا بالتلون الحسي. ومن بعض كلام الششتري رحمه الله قال: وغايتي في الحب أن أتلون. وقيل في بعض الأشعار: (تلون فإن لذة الهوى في التلون)، وقال: (اعلم أنه من الناس من تقابله بالجد فيقابلك بالهزل، وإذا قابلته بالهزل قابلك بالجد. ومن الناس من هو بعكس هذا إذا قابلته بالجد قابلك به، وإذا قابلته بالهزل قابلك به. والعارف يتلون مع كل واحد على لونه، والتلون صفة من صفات الكمال نفعنا الله بهم، قال الششتري: وغايتي في الحب أن أتلون. وقال بعض العارفين {: ولي الله الكامل يتطور بجميع الأطوار ليقضي سائر الأوطار)، وقال: (اعلم أن وصف الكرم في ظاهر الإنسان يستوجب

وصف البخل في باطنه وهذا وصف أهل الظواهر، وكذلك وصف البخل في الظاهر يستوجب وصف الكرم في الباطن وهذا هو وصف أرباب القلوب من أهل البواطن. والتلون: تارة بخلًا أو كرمًا في الظاهر، وتارة كرمًا أو بخلًا في الباطن: هذا وصف الكمال من أرباب التمكين والرسوخ في مقامات اليقين. وكل من توجه إلى الله من طريق فرق الظواهر فإن فرق الظواهر يرفعه لجمع البواطن. وكذلك من توجع إلى الله من طريق جمع البواطن، فإن جمع البواطن يرفعه لفرق الظواهر، وهذا حتمًا لا محيد عنه. قال تعالى: ﴿ **فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَحْوِيلًا** ﴾ [فاطر: 43]. وقال: (اعلم أن صاحب الأحوال التي تكون بالله، تصير أحواله عنده: خيرياتها وشرياتها كلها كأنها مطايا يتعاون بها ويركب عليها، وبها يسير في كل وقت إلى الحق. خيرياتها كأنها خيل شقر، وشرياتها كأنها خيل دهم، وهو في كل وقت يسير لسيده، راكبًا على فرس، خلاف الذي ركب قبله. إذا ركب الأدهم يسبي العقول بحسنه وجماله، وتارة أخرى يركب الأشقر حسنه كالذي قبله أو أعظم، وتارة الأشهب حسنه أيضًا كالذي قبله أو أعظم، وتارة يركب الأحمر، وتارة الأصفر، وهو يتبختر على المراكب ويلونها على كل لون وعلى كل وصف، حتى يصير لا يرجع لونًا على لون، يعني لا يرجح حالًا على حال، كلهم في غاية الحسن وغاية الجمال وفي غاية الإتقان، وذلك لأنهم وردوا من حضرة الكمال فلذلك تحاشوا عن النقص، ولا يتوهم فيهم النقص إلا من لا عقل له. يرحم الله سيدي عبد القادر الجيلاني حيث قال في بعض كلامه:

وكــل قبــيح إن نســبت لحســنه * اتتـك معـاني الحسـن فيـه تسـارع

يكمــل نقصـــان القبــيح جمالـــه * فمـــا ثـــم نقصـــان ولا ثـــم باشـــع

نفعنا الله بالقائل وبأمثاله).

الجذب

قال: (وسمعت الشيخ نفعنا الله به يقول: المجذوب الحقيقي يطمع في الخلق كلهم وليس طمعه إلا في مولاه، ويتذلل لجميع الخلق وليس تذلله إلا لمولاه)، وقال: (اعلم ومما سمعت من الشيخ نفعنا الله به وهو يتكلم مع أحد من أصحابه فقال له: يا ولدي، الجذب يتعلمه أهله مثل الصنعة، ونهاية الجذب يعلمها الإنسان من نفسه حين يقول للشيء كن فيكون، وذلك نهاية الجذب « **لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت ...** » الحديث. قال بعض المفسرين: النوافل هي الحقائق العلوية والسفلية)، وقال: (اعلم أن أهل الجذب على فرقتين: فرقة أهل الجذب القهري وفرقة أهل الجذب الاختياري. أهل الجذب القهري تفتحه عليهم القدرة قهرًا وتغلقه عليهم



إن شاءت قهرًا، خمرتهم حاكمة عليهم بإرادتها لا بإرادتهم، وهذا الجذب القهري يكون بسبب معرفة أهله ويكون بلا سبب. والفرقة الثانية وهم أهل الجذب الاختياري يفتحونه بأيديهم اختيارًا اكتسابًا ويغلقونه بأيديهم اختيارًا اكتسابًا، وهذا الوصف لا يجده طالبه إلا بمرافقة أهله فقط، أهل هذا الوصف حاكمون على خمرتهم بإرادتهم لا بإرادتها. وشتان بين من يكون مالكًا لخمرته وبين من يكون مملوكًا لها. ومن كان جذبه قهرًا في بدايته لا يكون إلا قهرًا في نهايته، ومن كان جذبه اختيارًا في بدايته لا يكون إلا اختيارًا في نهايته، لأن البدايات مجلى النهايات)، وقال: (اعلم أن أهل الملك هم المجاذيب في الظاهر والباطن. أهل الظاهر لهم مجاذيب وهم ملوكهم، كما أن أهل الباطن لهم مجاذيب وهلم ملوكهم. مجاذيب العامة وهم أهل الظاهر، هم أهل الملك والرياسة، بالجذب حصل لهم الملك على العامة، والجذب هو الخروج عن عوائد العامة، ولولا الخروج عن عوائد العامة ما حصل لهم الملك عليهم. ومجاذيب الخاصة وهم أهل الباطن، هم أهل التجريد والملك والرياسة على خاصة الناس وهم الصالحون، والتجريد في الخصوصية هو الخروج عن عوائد أهل الخصوصية، ولولا خروجهم عن عوائد الخصوص ما حصل لهم الملك عليهم. صار ملوك العامة هم مجاذيب العامة، وملوك الخاصة هم مجاذيب الخاصة، وحقيقة الجذب هو الخروج عن العوائد، ولا بد لك من شيخ يريك سلوكها، وبالله التوفيق).

الجذب والسلوك

قال: (اعلم أن صاحب السلوك أعني المريد، أول مرتبة تحصل له: إقبال الخلق عليه، وهي أكبر المصائب والبلايا. وأول ما يرد على صاحب الجذب في بدايته: إنكار الخلق له بأجمعهم حتى يفر منه القريب والبعيد، وهذه أيضًا من أكبر المصائب وأعظم البلايا. « **حفت الجنة بالمكاره** » الحديث. وقال: (اعلم أن أهل الجذب على فرقتين: أهل جذب قهري في بدايته ونهايته، وفرقة أخرى أهل جذب يغرسونه في بدايته اختيارًا يثمر لهم في نهايته قهرًا. أهل الجذب الذي يكون في بدايته قهرًا وفي نهايته قهرًا قد حازوا فضل الجمع وفاتهم فضل الفرق، وأهل الجذب الجامعوا بين الاختياري والقهري قد حازوا فضل الحضرتين: فضل حضرة الجمع وفضل حضرة الفرق، لأن شرف المجذوب يعظم على قدر صحوه مع سكره. من صحوه ربع سكره فهو أشرف ممن صحوه ثمن سكره. ومن كان صحوه نصف سكره فهو أشرف ممن كان صحوه ربع سكره. ومن كان صحوه أقل من سكره بربع فهو أشرف ممن كان صحوه نصف سكره. ومن كان صحوه مستو مع سكره فهو أشرف ممن كان سكره أقوى من صحوه. والصحو يتجزأ بالنصف والثمن والربع مثلًا، والسكر لا يتجزأ،

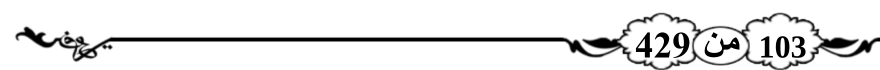
ولذلك كان الصحو فرقًا، والفرق لا يجتمع، وإذا اجتمع انقلب حكمه فيصير جمعًا. والسكر جمع، والجمع لا يفترق، وإذا تفرق انقلب حكمه فيصير فرقًا. وأشرف أهل الجذب هو الذي يكون صحوه على قدر سكره، وسكره على قدر صحوه، هو يزيد سكرًا وهو يزيد صحوًا، يأخذ من حضرة الجمع ويدفع لحضرة الفرق، كما يأخذ من حضرة الفرق ويدفع لحضرة الجمع، فلا جمعه يصده عنف فرقه، ولا فرقه يصده عنف جمعه. رأيت عند الشيخ ابن عطاء الله في بعض رسائله قال: قال أبو بكر الصديق } لعائشة رضي الله عنها لما نزلت براءتها من الإفك على لسان رسول الله > : يا عائشة اشكري رسول الله >، فقالت: والله لا أشكر إلا الله تعالى. دلها أبو بكر } على المقام الأشرف مقام البقاء المقتضي لإثبات الآثار، وقد قال الله تعالى: ﴿ **أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ** ﴾ [لقمان: 14]. وقال صلوات الله عليه وسلامه: « **لا يشكر الله من لم يشكر الناس** ». وكانت رضي الله عنها في ذلك الوقت مصطلمة من شاهدها، غائبة عن الآثار، فلم تشهد إلا الواحد القهار).

الجفاء والصفاء

قال: (وقال أيضًا ذكر الجفاء في زمن الصفاء جفاء)، وقال: (وسمعته أيضًا يقول: ذكر الصفاء في الجفاء صفاً، وذكر الجفاء في الجفاء صفاء).

الجلال والجمال

قال: (اعلم أن الجلال الظاهر عند أهل حكمة النفوس، سأذكر ما تيسر منه إن شاء الله. أول الجلال الصمت، وضده من الجمال الكلام، ومن الجلال أيضًا عدم الضحك والبكاء، وضده من الجمال الضحك، ومن الجلال أيضًا الوقوف والجلوس، وضده من الجمال المشي، ومن الجلال أيضًا غض البصر، وضده من الجمال النظر، ومن الجلال أيضًا غض السمع، وضده من الجمال السمع، ومن الجلال أيضًا النوم، وضده من الجمال اليقظة، ومن الجلال أيضًا العري من الثياب، وضده من الجمال لبس الثياب، ومن الجلال أيضًا لبس الثياب الرثة، وضده من الجمال لبس الثياب الرفيعة، ومن الجلال أيضًا المشي بالحفا، وضده من الجمال لبس النعلين، ومن الجلال أيضًا العزلة من الخلق، وضده من الجمال الاجتماع مع الخلق، ومن الجلال أيضًا ضرب النقاب، وضده من الجمال تعرية الوجه، ومن الجلال أيضًا البخل، وضده من الجمال الكرم)، وقال: (اعلم أن كل جمال لا بد أن يتبعه جلال، إن يفعل اختيارًا فإنه يكون رطبًا هنيًا، وإن لم يفعل اختيارًا أتى قهرًا، والجلال إذا كان قهرًا كان شديداً. وكذلك الجلال لا بد أن يتبعه جمال، إن فعل اختيارًا كان جمالًا رطبًا هنيًا



وإلا أتى قهرًا على كل حال. وذلك أن كل شيء لا يقوم إلا بضده، وما خلق الله سبحانه شيئًا إلا خلق ضده مقرونًا معه: من أتاه طوعًا فذلك، وإلا أتاه قهرًا رغمًا على أنفه. سبحان العليم الحكيم). وقال: (اعلم جرت عادة الله في خلقه: كل ما يشرق جلاله في أوله يشرق جماله في آخره، وكل ما يشرق جماله في أوله يشرق جلاله في آخره. هذا عند أهل الظاهر، وأهل الباطن كلهم فيه سواء، إلا أن طرقهم وألوانهم مختلفة. حسنات هؤلاء سيئات هؤلاء، وهكذا)، وقال: (اعلم أن الحقائق السفلية على قسمين أصلية ومجازية، وكذلك الحقائق العلوية على قسمين أصلين ومجازية، وذلك أنه كل ما يظهر على الحسيات من الجمال فهو مجازي، وكل ما يظهر على المعنويات من الجلال فهو مجازي، ووكل ما يظهر على المعاني من الجمال فهو أصلي، وكل ما يظهر على الحسيات من الجلال فهو أصلي، وذلك لأن المعاني كلها جمالية في الأصل وما ظهر على المعاني من جلال فإنما أصابها من قربها للحسيات، وكذلك الحسيات كلها جلالية في الأصل، وما ظهر على الحسيات من جمال فإنما أصابها من قربها من المعاني. سبحان من جعل النور لا يقوم إلا بالظلمة، كما جعل الظلمة لا تقوم إلا بالنور. سبحان الحكيم العليم)، وقال: (اعلم سبحان من هيأ أقوامًا لخدمته وأقامهم فيها، وهيأ أقوامًا لمحبته وأقامهم فيها. أهل الخدمة تجلى لهم الحق بصفة الجلال والهيبة فصاروا مستوحشين من الخلق، قلوبهم شاخصين لما يرد عليهم من حضرة الحق، قد نحلت أجسامهم واصفرت ألوانهم وخمصت بطونهم وبالشوق ذابت أكبادهم وقطعوا الدياجي بالبكا والنحيب واستبدلوا الدنيا بالمجاهدة في الدين ورغبوا في جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين. وأهل المحبة تلجى لهم الحق تعالى بصفة الجمال والمحبة وسكروا بخمرة لذيذ القربة شغلهم المعبود على أن يكونوا من العباد والزهاد، اشتغلوا بالظاهر والباطن فحجبوا عن كل ظاهر وباطن، زهدوا في التنعم والإنعام، واشتغلوا بمشاهدة الملك العلام)، وقال: (اعلم أن صاحب الجلال الكامل يملك الوجود بأسره، وكذلك صاحب الجمال الكامل يملك الوجود بأسره، لأن الجليل هو الجميل، والجميل هو الجليل. ولا يدخل الفساد على الإنسان إلا من الفسق، والفسق هو التخليط. وكل وجهة وفيت لها حقها كاملًا توفيك حقك كاملًا، وكل وجهة لم توف لها حقها كذلك هي لا توفي لك حقك. الوجود كالمرآة، بما تقابله يقابلك، لا زائد. إن قابلته بالكمال قابلك به، وإن قابلته بالنقص قابلك به، من غير زيادة ولا نقصان).

الجماعة

قال: (الجماعة رحمة، والفرقة عذاب).

الجمال

قال: (اعلم أن صاحب مشهد الجمال له جنتان: جنة الذات وجنة الصفات، وهو رابع فيهما أبدًا، إلا أنه تارة في هذه وتارة في هذه. جنة الذات في غيب الغيوب، وجنة الصفات في ظواهر الحجب. جنة الذات جنة العيان، وجنة الصفات هي جنة العرفان. جنة الذات جنة القرب والتحقق، وجنة الصفات جنة البعد والتعسف. جنة الذات: جنة الفناء بالصفات والبقاء بالذات في الذات، وجنة الصفات: جنة الفناء بالذات والبقاء بالصفات في الصفات).

الجمع

قال: (اعلم أن أهل الجمع، عندهم في مذهب الجمع، ما عندهم حدوث ولا عدو ولا بداية ولا تمام، كما قال الغزالي رحمه الله: ما في الإمكان أبدع مما كان. هكذا المستغرقين في مشاهدة الحق جل ثناؤه، رضي الله عنهم ونفعنا بهم آمين. كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان).

الجمع والفرق

قال: (اعلم أن نملة من أصغر النمل، تفصيلها تفصيل الوجود، وحكمها حكم الوجود. من جملة تفاصيل الوجود أنه قائم بين جمع وفرق، وما من حيوان يمشي في الأرض، ولا طائر يطير في الهواء، والإنسان والنباتات كلها، إلا وتجد ذلك الحيوان أو الإنسان أو الطائر أو النبات قائمًا بين جمع وفرق. والفرق والجمع في النملة في صغرها وضعفها، والجمع والفرق في الوجود مع اتساعه وكبره وعظمه وهو الجمع الأكبر والفرق الأكبر الذي احتوى على كل جمع وعلى كل فرق. يرحم الله القائل:

يـــا عجبًـــا كيفـــي يعصـــى الإلـــه * ام كيـــــف يجحــــده الجاحــــد

وفــــي كـــل شـــــيء لـــــه ايــــة * تـــــدل علـــــى انــــه الواجــــد)

وقال: (اعلم أن الحقيقة لا تحملها إلا الحقيقة، أي حقيقة الجمع لا يحملها إلا إذا كان الفرق كاملًا، وإذا جملت الجمع على بعض الفرق فإن ذلك الجمع يكون في غاية الضيق، وذلك الفرق يكون في غاية التعب، وذلك لأنك حملت قويًا على ضعيف لا تحصل لهما راحة مع بعضهما. وكل ما هو جمع فهو حقيقة، وكل ما هو فرق فهو شريعة)، وقال: (اعلم أن من عرف الله في أشياء وجهله في أشياء، فإنه يجده حيث عرفه ويفقده حيث جهله، وهذه صفة من غلب عليه الفرق. ومن عرف الله في كل شيء فإنه يجده في كل شيء حتى لا يفقده في شيء، فعند ذلك تستوي عند صاحب

هذا المقام الأشياء وأضدادها، حتى لا يكون عنده ترجيع شيء على شيء، وهذه صفة من غلب عليه الجمع. ومن عرف الله في الجمع بالجمع، وعرفه في الفرق بالفرق، يباشر أهل الجمع بالجمع بوجود العلم والمعرفة، كما يباشر أهل الفرق بالفرق بوجود العلم والمعرفة، فهذه صفة من هو جامع بين علم الشريعة وعلم الحقيقة، يعطي لكل ذي حق حقه ويوفي كل ذي قسط قسطه، كأنه برزخ بين بحرين: بحر الظاهر وبحر الباطن. صاحب هذا الوصف يصير كالمرآة، كل من قابله يظهر له وصفه فيه، يعني يصير يتلون بلون كل من يقابله حتى لا ينكره أحد وهو لا ينكر أحدًا. وعند بطلان الإنكار منك ومن الوجود يترتب السير في مقامات الكمال في بلاد النهايات ونهايات النهايات « وإنَّ إلى ربك المنتهى »)، وقال: (اعلم أن الصفات معنى والمعاني من وصفها تدرك ولا تدرك، والذات حس والحسيات من وصفها تدرك ولا تدرك. كأن الذات فرق، والصفات جمع، والجمع يدرك الفرق، والفرق لا يدركه الجمع، كما أن الفرق يدركه الجمع، والجمع لا يدركه الفرق. صار من أراد أن يدرك كل شيء حتى يجتمع بكل شيء حتى بنفسه عليه بالجمع، ومن أراد أن لا يدرك شيئًا حتى يفترق عن كل شيء حتى عن نفسه فعليه بالفرق. والجمع لا يكون جمعًا حتى يكون جامعًا للفرق، وكذلك الفرق لا يكون فرقًا حتى يكون فارقًا للجمع. يقول الشيخ سيدي عبد القادر الجيلاني نفعنا الله به في بعض كلامه « وجمعك صله إن فرقك قاطع »، وقال الششتري رحمه الله في هذا المعنى:

«لا تنظر للاواني وخضْ بحر المعاني لعلك ان تراني على عهد الصوفية »

كأنه يقول: لا تنظر الفرق وخض بحر الجمع لعلك أن تشاهد الحق على عهد الصوفية أي على منهج الخصوص من أهل المعرفة بالله تعالى: أهل العلم به والعمل به)، وقال: (اعلم أنك إذا طلبت الجمع لا تجده إلا في الفرق، وكذلك إذا طلبت الفرق لا تجده إلا في الجمع، وهذا مما يدلك على أن الفرق فرقه والجمع جمعه، ولا ثم إلا هو، ولا شيء وموجود سواه)، وقال: (اعلم أن الأرواح كلها روح واحدة، جمعًا وفرقًا، كما أن الذوات في الحقيقة كلها ذات واحدة فرقًا وجمعًا. وحقيقة الحقيقة أن الذوات من الأرواح، والأرواح من الذوات، قال ابن الفارق في بعض كلامه: « فأرواحنا خمر وأشباحنا كرم ». إذ الخرم من الكرم، كما أن الكرم من الخمر. إذا نظرت في الفرق تجده فرقًا لا جمعًا، وإذا نظرت في الجمع تجده جمعًا لا فرقًا، وإذا كمل نظرك تنظر الجمع تجده هو عين الفرق، وتنظر الفرق تجده هو عين الجمع، فإذا حصلت هذه النظرة الكاملة واستقرت صار جمعك لا يحجبك عن فرقك، وفرقك لا يحجبك عن جمعك. وهذا هو عين المطلوب، وبالله التوفيق)، وقال: (اعلم أن من ادعى الجمع دون الفرق فقد ادعى بطلان العبودية، وذلك محال،



ومن ادعى الفرق دون الجمع فقد ادعى بطلان الربوبية، وهذا هو عين المحال. ومن ادعى الفرق عين الجمع، والجمع عين الفرق، فقد وجد مولاه وتحقق وحصل على عين الكمال، في الوحدانية والفردانية. لأن الربوبية لا بد لها من عبودية، والعبودية لا بد لها من ربوبية، ولو كان غير هذا لدخل النقص، والنص محال، لأن بين العبودية والربوبية تحقق من تحقق، وتفسق من تفسق)، وقال: (اعلم أن الجمع حق، والفرق حق، والفرق في الجمع، والجمع في الفرق، من صرح بالجمع في حضرة الفرق يموت شرعًا موتة حسية، ومن صرح بالفرق في حضرة الجمع يموت حقيقة موتة معنوية. والسلامة ظاهرًا وباطنًا فيما قاله الشيخ الشاذلي لتلميذه الصباغ حين سأله عن حكاية الفرق والجمع فأجابه بأن قال له يا ولدي: إذا أردت التي لا لومة فيها فالجمع في سرك مشهود والفرق في لسانك موجود. نفعنا الله بالجميع وجعلنا من السالكين على منهجهم القويم بفضله وإحسانه)، وقال: (اعلم من حكمة الله تعالى أن جعل الجمع لا يزال يمد الفرق شيئًا فشيئًا حتى يصير الفرق كله جمعًا، وجعل للجمع الحكم على الفرق، كما جعل الحكم للفرق على الجمع، لا يعلم حكمهما من الرجال إلا من استوى عنده فرقه وجمعه، أي استويا فيه فعلًا لا قولًا، أي جمعه لا يحجبه عن فرقه، وفرقه لا يحجبه عن جمعه، وقليل ما هم، وعلامة من استوى فيه الجمع والفرق هو الذي يقول بأمر مولاه للشيء كن فيكون)، وقال: (اعلم أن غرس الجمع بالذات يثمر الفرق بالذات، كما أن غرس الفرق بالذات يثمر بالجمع بالذات، وكذلك غرس الفرق بالصفات يثمر بالجمع في الصفات، كما أن غرس الجمع بالصفات يثمر بالفرق في الصفات. وجمعك بما أنت مفروق فيه هو سبب فرقك عما أنت مجموع به، كما أن فرقك عما أنت مجموع فيه هو سبب جمعك بما أنت مفروق به، لأن فرقك يطرد جمعك، كما أن جمعك يطرد فرقك. يفهم من هذا أن جمعك هو عين فرقك، كما أن فرقك هو عين جمعك. أنت المجموع بجمعك في عوالم فرقك، كما أنت المفروق بفرقك في عوالم جمعك. جلال فرقك به قام جمال جمعك، وجمال جمعك قام به جلال فرقك. ما كان فرقك فرقًا حتى كان فارقًا لجمع جمعك، ولا كان جمعك جمعًا حتى كان جامعًا لفرق فرقك. منك يبرز فرقك لافتراق جمعك فيك، ومنك يشرق جمعك لاجتماع فرقك فيك. صار مطلع شموس جمعك منك فيك بيدك، كما صار مغرب أقمار فرقك بيدك فيك منك)، وقال: (اعلم أن خصلة واحدة اجتمع فيها الخير الظاهري والخير الباطني، وهي عين السرور والبسط ظاهرًا وباطنًا، وهي الجمع. وخصلة واحدة اجتمع فيها الشر الظاهري والشر الباطني، وهي عين الهموم والقبض ظاهرًا وباطنًا، وهي الفرق. وإذا فتشت وحققت لا تجد عنصر الفرح كله إلا الجمع، وعنصر الحزن كله هو الفرق.

يرحم الله القائل:

كانـــت لقلبـــي اهـــواء مفرقـــة * فاســتجمعت مــذراتك العــين هــواي

فصــار يحسـدني مـن كنـت احسـده * وصــرت مــولى الــورى إذ صــرت مـــولاي

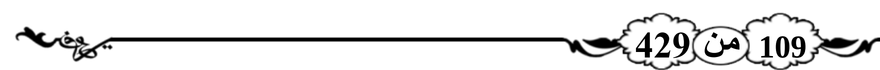
تركــت للنـــاس ديـــنهم ودنيـــاهم * تشـــغلا بـــك يـــا دينـــي ودنيـــاي)

وقال: (اعلم أن العلم الباطني يبرز بين عدم الحجاب وبين وجود، ومهما خرج للظاهر واستقر به يصير حجابًا عن المعلوم، كأنه يخرج من بين الجمع والفرق، فإذا استقر في الظاهر يصير فرقًا لا جمع فيه. لكن لولا الفرق ما عرف قدر الجمع، كما أنه لولا الجمع ما عرف قدر الفرق. والعلم إخبار بالوصل وهو فرق، كما أن العمل هو الوصل بنفسه وهو جمع، ولولا العلم ما عرف الوصل، ولولا العمل به ما وجد الوصل)، وقال: (اعلم أن التفكر على وجهين: يكون بالجمع ويكون بالفرق. بالجمع بالحق للحق في الحق، وبالفرق بالخلق للخلق في الخلق. والجمع حق، والفرق حق، ولا ثم إلا الحق. كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان)، وقال: (اعلم أن خرق العوائد هو الفرق، كما أن العوائد هي الجمع لأن خرق العوائد جلال في الظاهر جمال في الباطن، وهما مقرونان في كل إنسان كاقتران الروح بالجسد، لكن إذا كان الفرق في ظواهر الإنسان وهو العوائد حتمًا يكون الفرق في بواطنه وهو خرق العوائد. لكن شتان بين الفقير المتوجه الذي يكون فرقه في ظواهره وجمعه في بواطنه، والذي يكون جمعه في ظواهره وفرقه في بواطنه، وذلك لأن شهود الحق محله القلوب لا الظواهر، والفرق ظلمة، والجمع نور، وكيف يشاهد الحق القلب المظلم المفترق. يرحم الله سيدي عبد القادر حيث يقول: وجمعك صله إن فرقك قاطع)، وقال: (إذا أردت أن تملك الفرق فلتكن عندك تسعة أقسام جلالًا وقسمة جمالًا، وإذا أردت أن تملك الجمع فلتكن عندك تسعة أقسام جمالًا وقسمة جلالًا. فالأول إذا كانت عنده عشرة أقسام جلالًا ولم تكن عنده تلك القسمة الجمالية فإن أمره لا يستقيم إلا بتلك القسمة. والثاني أيضًا إذا كانت عنده عشرة أقسام جمالًا ولم تكن عنده تلك القسمة من الجلال فإن أمره لا يستقيم إلا بتلك القسمة)، وقال: (اعلم أن الفرق جلالي، والجمع جمالي، وكل ما هو بظاهرك جمال جمع في باطنك جلال فرق، وكل ما هو في ظاهرك جلال فرق في باطنك جمال جمع هكذا جرت سنة الله في عباده. وكلما أخذ الفرق الجلالي في ظاهرك والجمع الجمالي في باطنك، ينعكس الأمر حتى يأخذ الجمع الجمالي في ظاهرك والفرق الجلالي في باطنك، ما أخذ ضده منك وهو الحال الذي قبله، فمن وقع ذلك به قهرًا ليس كلامنا عليه وإنما كلامنا على السالك اختيارًا في الجذب،

وهو من ملك نفسه أو من ملكها لأحد من أرباب الفن، لأن النفس إذا ملكها صاحبها فإنها تصير تطاوعه في كل ما يفعل بها. وأما المملوكون في يد نفوسهم ليس كلامنا عليهم. والإنسان لا يخلو إما أن تملكه نفسه، أو يملكها هو. وعلامة ملكيتها في يد صاحبها هو أن يكون إن شاء ألبسها الفرق الجلالي في ظاهرها فيقتضي أن يكون الجمع الجمالي حينئذ في باطنها، وإن شاء عكس لها الأمر يلبسها الجمع الجمالي في ظاهرها فيقتضي الفرق الجلالي في باطنها فتصير نفسه مملوكة بيده مثل الفرس المُرَيّض المربّي عند الأمر والنهي. كل من ادعى السلوك في الجذب ولم يريض الرائض نفسه على لبس الفرق الجلالي في ظاهرها زمنًا طويلًا حتى يظهر صدق تهذيبها إليه والخلق كلهم خصوصًا وعمومًا، فدعواه باطلة، وهو مخدوع خدعته نفسه ولعبت به لأن النفس مجبولة على حب الجمع الجمالي في ظاهرها وهو عند أهل الطريقة حرام على المريد في بدايته، قال في القوانين: من ادعى شهود الجمال قبل تأدبه بالجلال أرفضه فإنه دجال. وانظر قول الشاذلي رحمه الله: اللهم إن القوم قد حكمت عليهم بالذل حتى عزوا وحكمت عليهم بالفقد حتى وجدوا. صار من لا ذل له لا عز له، ومن لا فقد له لا وجد له، ومن ادعى العز من غير ذل فهو مخدوع، ومن ادعى الوجد من غير فقد فهو كاذب. هذه بعض الأصول من أصول الطريقة الذين ليس للمريدين مسلك إلا عليها. وأما الكمال ليس في الفرق الظاهري ولا في الجمع الباطني ولا بالعكس، وإنما هو في استوائهما حتى يكونا سواء عند النفس: وجودهما وفقدهما)، وقال: (اعلم أن الشيطان لعنه الله هو إمام الكافرين وقدوتهم، ولا كان سبب كفره إلا أنه لما تجلى له مولاه في الجمع حقيقة عرفه وسجد له وحيث تجلى له في الفرق شريعة أنكره وكفر به فقال له الحق تعالى: ﴿ **لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ** ﴾ [ص: 85]. انظر كيف أخبر الحق سبحانه أنه سيكون للشيطان أتباع يقتدون به ويسيرون على سيره وأثره وهم الكفار الذين عرفوا الله في الجمع حقيقة وسجدوا له وأنكروه في الفرق شريعة وكفروا به. قال شيخ شيوخنا أبو الحسن الشاذلي: « واجعلنا عبيدًا لك في جميع الحالات ». يعني عبيدًا لك في جميع التجليات حتى لا نتكبر عن عبادتك في جميع تجلياتك).

جنة المعارف

قال: (اعلم أن من زعم أنه شرب من شراب القوم أو فهم معانيهم، ولم يزهد في الدنيا، فقد كذب. كما أن الجنة محرمة على من لم يمت ويبعث، كذلك جنة المعارف محرمة على من لم تمت نفسه على الدنيا وعن تدبيرها واختيارها وعن إرادتها وشهواتها، وقيل: مت بالإرادة تحيى بالطبيعة)، وقال: (اعلم أن مظاهر الحق العلم،



وهو علمان: علم ظاهري بالتواتر وعمله بالتواتر، وعلم باطني يقيني وعمله باطني يقيني لدني مأخوذ من النبي > عن الله تبارك وتعالى، عيانًا في حضرة القدر، لا تقليدًا، وذلك إنما هو شجرة الإيمان تنبت في قلوبهم « أصلها ثابت وفرعها في السماء توتي أكلها كل حين بإذن ربها »، وهم أهل جنة المعارف وهي الجنة المعجلة. قال بعض الصالحين: « إن لله في الدنيا جنة من دخلها لم يشتق إلى جنة الآخرة »، وهي مستقر قلوب العارفين ومنتهى طلب الصادقين. أدخلنا الله وإياكم إليها، بفضله وإحسانه، وجميع المسلمين، آمين)، وقال: (اعلم أن الوصل الحقيقي عند أهل الله، {: كل حال من أحوالهم فيه وصل، وكل وصل يرد عليهم أعظم من الذي قبله، تنسيهم نغماته ولذاته الوصل الذي قبله. وصفهم كوصف أهل الجنة بل أعظم وأعظم لأجل ذلك سميت جنة المعارف. قال في لطائف المنن: إن لله في الدنيا جنة من دخلها لم يشتق لجنة الآخرة ولا إلى شيء ولم يستوحش، قيل وما هي؟ قال: المعرفة).

الجوارح

قال: (اعلم أنه مهما جاعت بطنك شبعت الجوارح كلها، ومهما شبعت بطنك جاعت الجوارح كلها، كما روي عن رسول الله > قال: « **البطنة تميت الفطنة** ». ومن ماتت بطنته حييت فطنته، والجوع تنوير للقلب وصحة للجسم، لأن الجوع يورث الحكمة، والشبع يورث التخمة)، وقال: (اعلم أن هذه الجوارح الظاهرية السبعة كلها أنوار، وكل جارحة لها حكم خصت به في وقت، ومهما تحركت واحدة من تلك الجوارح كان الحكم لها والستة تابعين، وهذه السبعة الجوارح خدام للقلب هو السلطان وهم جنوده شرفه الله تعالى حيث قال فيه: « **لن تسعني أرضي ولا سمائي ويسعني قلب عبدي المؤمن**»، والجوارح الظاهرية والباطنية كل جارحة لها نور لا يشبه نور الجارحة الأخرى، قال تعالى: « **واختلاف ألسنتكم وألوانكم** »).

الجور

قال: (اعلم أنك ما جرت على شيء إلا اتحفت منه بلباب اللباب، لأن كل من قابلته بجور يقابلك بعدل، كما أن من قابلته بعدل يقابلك بجور، هذا مع نفسك ومع جنسك بل مع الوجود كله، هكذا جرت عادة الله بحكمته في الوجود. سبحان الحكيم العليم)، وقال: (اعلم أن الجور حقيقة عظيمة، علوية جلالية، بها استقام الملك العلوي والسفلي. على قدر ما يعظم الجور يعظم الظفر والتمكين، ومن لم يتخلق بالجور علمًا وعملًا من الملوك لا ملك له. والملوك على قسمين: ملوك النفس وملوك

الجنس. ملوك النفس رعيتهم الجوارح الظاهرية والباطنية، وملوك الجنس رعيتهم الخلق. ومهما جار الملك على الرعية حنت الرعية عليه، ومهما حن الملك على الرعية جارت الرعية عليه، حتى قيل في الجور إنه روح الحقائق وروح الوجود كله. وبالجملة الخلق كلهم ما قابلتهم بالجلال إلا قابلوك بالجلال، ولا قابلتهم بالجمال إلا قابلوك بالجلال: هذا يعم نفسك وجنسك، هكذا جرت عادة الله في هذا الوجود. وملوك النفس على فرقتين: منهم من هو جوره في باطنه وجماله في ظاهره، ومنهم من هو جوره في ظاهره وجماله في باطنه. الأول جلاله عظيم وجماله قليل، والثاني جماله عظيم وجلاله قليل. الأول ملكه شرعي والثاني ملكه حقيقي. الأول ملكه قليل بحسب إضافته إلى المخلوق، والثاني ملكه كثير عظيم كبير بحسب إضافته للخالق جل ثناؤه).

الحس والمعنى

قال: (اعلم أن الوجود عامر لا يخلو أبدًا، ومن أراد خلاءه أو قال بخلائه فهو جاهل. إلا أن عمارته جعلها الله مختلفة بين حس ومعنى. ما زاد في الحس نقص من المعنى، وما زاد في المعنى نقص من الحس، والوجود عامر أبدًا بحس ومعنى، ولو فتشت الوجود بأسره لم تجد فيه مقدار حبة من خردل خاليًا من حس أو من معنى، وهذا القياس لا يفهمه ولا يعرفه إلا من خاض بحر المعاني. يرحم الله الششتري حيث قال في بعض كلامه:

لا تنظــر للاوانـــي وخضْ بحر المعاني لعلـــك ان ترانـــي على عهد الصوفية

من أراد المعاني عليه بتخريب الحس، ومن أراد الحس عليه بتخريب المعاني. كأن الحس فرق، والمعنى جمع، وما دخلت المعني على الحس إلا خرج الحس، وما دخل الحس على المعنى إلا خرجت المعنى، والوجود عامر بينهما أبدًا، إما بهذا وإما بهذا، والخلاء محال)، وقال: (اعلم أن الإنسان قامت بنيته بمادتين: مادة حسية ومادة معنوية. مادة الحس على يد أهل الحس، ومادة المعنى على يد أهل المعاني. وربما امتد الحس من المعنى، وربما امتدت المعنى من الحس. وهاتان المادتان لا ترِدان عليك إلا من نفسك أو من جنسك)، وقال: (اعلم أنه ما نقص من الحسيات زاد في المعاني، وما نقص من المعاني زاد في الحسيات، والإنسان بينهما. العارف إذا أراد المعاني يخرب الحس، تتقوى المعاني، وإذا أراد الحس يخرب المعاني، يتقوى الحس، وهو برزخ بينهما، كأن الحس والمعنى عبدان له وهو أمير عليهما. والجاهل بالعكس، كأن الحس والمعنى ملكان وهو مملوك لهما، وهما يتزاحمان عليه الذي ظفر منهما يفعل به ما شاء قهرًا عليه. صار العالم ملكًا والجاهل مملوكًا)، وقال: (اعلم

أن المعاني لا تنتج وتقوم إلا بتخريب الحس، وكذلك الحس لا يقوم لطالبه وينتج إلا بتخريب المعاني. ولا يحسب طالب المعاني من أهل المعاني حتى يكون يجلب ويدفع ويضر وينفع، يتصرف بالمعاني كما يتصرف أهل الحس بالحس، لأن كن فيكون: جعلها الله في الحس كما جعلها في المعاني، وجعلها في المعاني كما جعلها في الحس. والحس له أهل يتصرفون به، والمعنى لها أهل يتصرفون بها، وكما أن أهل الحس درج ومراتب، كذلك أهل المعاني درج ومراتب، وكما لا نهاية للحس كذلك لا نهاية للمعاني، وكما لا قناعة لصاحب الحس كذلك لا قناعة لصاحب المعاني، كما قالوا: طالب علم وطالب دنيا لا يشبعان أبدًا. يعني طالب علم طالب معاني، وطالب دنيا طالب حس، لأن القناعة من الله حرمان عند الفريقين)، وقال: (اعلم أنه كما أن تجليات الحس تتوارد على الإنسان إلى الأبد، ما لها نهاية ولا نفاد، كذلك تجليات المعاني حكمها واحد. إلا أن تجليات المعاني علم وخبر، وتجليات الحس عمل وعيان، والعلم لا يقوم بغير العمل، كما أن العمل لا يقوم بغير العلم، وكما أن الخبر الذي تجلى لك حسًا، والذي تجلى لك حسًا هو الذي تجلى لك معنى، الماء واحد والزهر ألوان، لكن بين اختلافهما أفلح من أفلح وهلك من هلك، كما قال الششتري:

بين طلوع ونزول تحبلت الغزول * افنى من لم يكن وابقى من لم يزل

سبحان من يرحم بالطاعة كثيرًا ويعذب بها إن شاء كثيرًا، ويعذب بالمعصية كثيرًا ويرحم بها إن شاء كثيرًا. سبحان من لا يتوقف فضله وعدله على علة، المعطي بلا شيء، المانع بلا شيء، الحكيم ذو الحكمة البالغة، العليم الذي وسع كل شيء علمًا. سبحانه وتعالى علوًا كبيرًا)، وقال: (اعلم أن الاجتماع مطلقًا، سواء كان خيريًا أو شريًا، الخير هو الذي يكون لله، والشر هو الذي يكون لغير الله، وهو لا يخلو إما أن يكون الاجتماع على فعل حسي أو فعل معنوي، ودون الحسي أو المعنوي لا يصح الاجتماع. إلا أن الاجتماع يكون على الحس ما شاء الله ثم ينقلب حكمه فيصير الحس معنى، ويكون الاجتماع أيضًا على المعاني ما شاء الله ثم تنقلب المعاني حسًا. وأما بغير الحس أو المعنى فلا)، وقال: (اعلم أن المعاني أصول والحسيات فروع، ولا تقوم الحسيات إلا بالمعاني، كما أن الفروع لا تقوم إلا بالأصول. هكذا جرت عادة الله، والله يفعل ما يريد)، وقال: (اعلم أن الطيور على وصفين: طيور الحس وطيور المعنى. طيور الحس تصطاد بشبكة الأحبال والأوتار، وطيور المعنى تصطاد بشبكة الاعتزال والأفكار أو بمجالسة أهل الأفكار إن وجدوا وقليل ما هم. طيور الحس تصطاد بمدفع الحس في مرج الغروس لتتغذى بها الأشباح، وطيور المعنى تصطاد بمدفع المعنى في مرج النفوس لتتغذى بها الأرواح. طيور الحس تسرح وتروح في عالم الظواهر

بالجناح، وطيور المعنى تسرح في عالم البواطن، وتروح لملكوت الأرواح)، وقال: (اعلم أن كل حيوان هو في ظاهر الوجود كبني آدم وما يماثله إنما هو حسيات في عالم المعاني، وكل حيوان هو في باطن الوجود مثل الحيتان وما يشبهها إنما هو معاني في عالم الحس. سبحان من أحيى الحسيات في عالم المعاني بحكمته، كما أحيى المعاني في عالم الحسيات بحكمته. سبحان من جعل الحسيات بلا معاني جوامد، وجعل المعاني بلا حسيات جوامد، وجعل الوجود قائمًا بينهما. سبحان الحكيم العليم)، وقال: (اعلم أن المعنى كلما رقت وارهفت زادت شرفًا وغلى سومها، والحس بخلاف ذلك هو يزيد غلظًا وهو يزيد شرفًا وسومه يغلي، وذلك أن المعنى إذا انتهت رقتها حتى لا يعلمها إلا صاحب العقل الراجح فعند ذلك صاحبها يملك بها الوجود وما حوى، ولو أعطيت الجنة وما حوت في ثمنها فضلًا عن الدنيا ما استوفى ولو العشر من ثمنها)، وقال: (قال بعضهم: اجعل عملك ملحًا وأدبك دقيقًا. العمل إشارة إلى الحس، والأدب إشارة إلى المعاني. الحس والمعنى حقيقتان لا يخلو منهما بشر، جعلهما الله في كل إنسان، لكن لا بد أن تكون واحدة غالبة على الأخرى. العامة عندهم الحس غالب على المعنى، أمورهم كلها مبنية على الحس، والمعنى بحسب التبع. والخاصة بخلاف ذلك، المعاني عندهم غالبة على الحس، أمورهم كلها مبنية على المعاني، والمحسوسات بحسب التبع. سمعت من الشيخ نفعنا الله به يقول: « الفقير هو الذي يكون رأس ماله معاني ». ولباب المعاني هو العلم، قال تعالى: **إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**)، وقال: (سألت الشيخ } قلت: يا سيدي كنت أظن أنه لا يشفي غليل الإنسان إلا الفعل الحسي، ولا ظننت قط أن فعل المعاني يشفي الغليل أبدًا، والآن وجدت نفسي كما كانت لا يشفى غليلها إلا بالحس بعكس ذلك اليوم صارت لا يشفي غليلها إلا بالمعاني مع أني كان قراري في بلاد الحس ولا غناء لي عن بلاد المعاني، واليوم انقلب الأمر صار قراري في المعاني ولا غناء لي عن الحسيات. فأجابني نفعنا الله به بأن قال لي: يا ولدي لما كانت همتك مشورة للحسيات أمدك الله فيها فصرت لا تقطع إلا بالحسيات وإن كنت لا غناء لك عن المعاني ولكن صار المعنى تابعًا للحس، والآن انعكس الأمر لما رافقت أهل المعاني أثرت همتهم فيك بتشوير همتك لبلاد المعاني وانقلبت همتك عن بلاد الحس وتشورت لبلاد المعاني أمدك الله فيها فصرت تقطع بالمعاني كما كنت تقطع بالحسيات، مع أنك لا غناء لك الآن عن الحسيات ولكن عندك الحس بحسب التبع للمعاني، والإنسان أبدًا حكمه لهمت أينما شورت، إن شورت للحس أمده الله فيه فيقطع به كما يقطع بالسيف، وإن شورت للمعاني أمده الله فيها حتى يصير يقطع بها كما يقطع بالسيف. وأيضًا على قدر الطيش الهمة للشيء تكون قوة المدد، وعلى قدر

صدودها عن الشيء يكون ضعف المدد)، وقال: (اعلم أن الأذن تزق الروح بالسمع نفعًا وضرًا، كما يزق الفم الجسد بالأكل والشرب نفعًا وضرًا. السمع معني يزق المعنى وهي الروح، والأكل والشرب حس، يزق الحس وهو الجسد، وأنت قائم بينهما أي بين حس ومعنى. معناك قائم بحسك، وحسك قائم بمعناك، ولو بطل حسك لبطل معناك، ولو بطل معناك لبطل حسك، ولكن بوجودهما معًا كنت أنت موجودًا معدومًا أبدًا، حيًا ميتًا أبدًا، ملكًا عبدًا أبدًا، عزيزًا ذليلًا أبدًا، قادرًا عاجزًا أبدًا، قويًا ضعيفًا أبدًا، علويًا سفليًا أبدًا، قريبًا بعيدًا أبدًا، مقطوعًا موصولًا أبدًا، ظاهرًا باطنًا أبدًا، إلى ما ليس له حصر من الأضداد التي جمع فيك الحق تعالى بحكمته. سبحان الحكيم العليم. يرحم الله شيخ شيوخنا حيث قال:

القلب سلطان في دار والعين مفتاح باب والاذن سماعت العار هي اتسخسخ ثياب)

وقال: (الفقير الكامل مثل النحلة التي ترعي النوار أينما وجدوه وكيفما وجدوه، وكيفما وجده، كما ترعى الورد والزهر والسوسان، ترعي نوار الدفلة ونوار المطرون، لأنه صاحب معاني، والمعنى التي تحصل من الورد هي التي تحصل من نوار الدفلة، كله نوار، وإنما كان صاحب معاني لأن رعيه على نظره في حسنه لا على طعمه، حلوه ومره واحد. ولا شك أن النظر معنى، مثل السمع والكلام والشم، هذه كلها معاني، والطعم حس، والإنسان مشتمل على حس ومعاني، الحس قوت الأشباح، والمعاني قوت الأرواح، والناس في هذا القياس على فرقتين: فرقة كأن الحكم لأرواحهم على أشباحهم وهم أهل المعاني، وإن كان عندهم الحس فهو ضعيف كأنه لم يكن. وفرقة أخرى الحكم لأجسادهم على أرواحهم وهم أهل الحس، وإن كانت عندهم المعاني فهي ضعيفة كأنها لم تكن. أهل المعاني لا يعبؤون بالحسيات وجدت أو عدمت، وإنما مدارهم على المعاني يأخذونها أينما وجدوها، سواء كان طعمها حلوًا أو مرًا، لأن الطعم حسي وهم ليسوا أهل حس. وكذلك أهل الحس لا يعبؤون بالمعاني وجدت أو عدمت، وإنما مدارهم على الحس يأخذونه أينما وجدوه وكيفما وجدوه، سواء رأوا عليه قبيحًا أو مليحًا، أو سمعوا من أجله قبيحًا أو مليحًا، لأن السمع والنظر معاني وهم ليسوا أهل معاني، وإنما مدارهم على الحس، يأخذونه بمرارة المعاني أو بحلاوتها كما أن أهل المعاني يأخذون معانيهم أينما وجدوها وكيفما وجدوها، كذلك أهل الحس يأخذون حسهم أينما وجدوه وكيفما وجدوه. انظر قول القائل:

يا ليتك تحلو والحياة مريرة * وليتك ترضى والانام غضاب

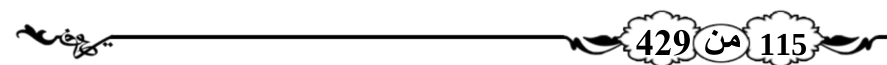
وليت الذي بيني وبينك عامر * وبيني وبين العالمين خراب

إذا صح منك الود فالكل هين * وكل الذي فوق التراب تراب)

وقال: (اعلم أنه سأل موسى ربه قال: يا رب أين أجدك قال له: يا موسى تجدني في أول قدم. والإنسان له قدمان قدم الحس وقدم المعنى، أما قدم الحس ما قدمت على أمر تريد به وجه الله إلا وجدت الله معك في أول قدم رفعته أو طرحته، وقدم المعاني ما رفعت همتك في أمر تريد فيه وجه الله أيضًا أي نويته فيه إلا وجدته فيه).

حسن الظن

قال: (اعلم أن كل من كان قاصدًا لمولاه صادقًا في طلبه، لو طلبه في الحجر لوجده فيه ولتجلى له فيه حتى يشاهده عيانًا ويكلمه تكليمًا وما ذلك على الله بعزيز، وأحرى في العبد الآدمي المنسوب إلى مولاه، ولكن ما فاز من فاز بالذخيرة إلا بمحبته وحسن ظنه في عباد الله، ولا حرم من حرم إلا بسوء ظنه في عباد الله. جعلنا الله من أهل حسن الظن بالله وبعباد الله)، وقال: (اعلم يا أخي أن انتفاع الناس من الولي على قدر حسن ظنهم به، وهلاك الناس من الولي على قدر سوء ظنهم به، لأن الله تعالى قال على لسان نبيه < : « **أنا عند ظن عبدي بي** ». حرام على من ساء الظن في الولي أن ينال منه إلا شرًا، لأن ظنه السوء هو الذي حال بينه وبين خيره، وحرام على من حسن الظن بالولي أن يمنع خيره بل ينتفع بخيره ويمنع شره، لأن الولي كالكيل: الكيل الذي تقبل عليه به هو الكيل الذي يعطيك به: الوافي بالوافي والناقص بالناقص)، وقال: (اعلم أن حسن الظن في المنتسبين وهو مخطئ أفضل من سوء الظن فيهم وهو مصيب، لأن الخلق مثل الأرض أينما حفرت تجد الماء، إلا أن بعض المواضع الماء فيها قريب وبعضها الماء فيه بعيد، كذلك سر الربوبية في كل مخلوق، أطلبه من والاك منهم تحده، إلا أن أقوامًا تجده فيهم ظاهرًا جليًا، وأقوامًا تجده فيهم باطنًا خفيًا، والحق تعالى هو الذي ظهر في أهل الظواهر، وهو الباطن الذي بطن في أهل البواطن، وعلى هذا القياس صار صاحب سوء الظن محروم بسوء ظنه، لما ظن السوء وجد السوء، وصاحب حسن الظن مكروم بحسن ظنه، لما ظن الجميل وجد الجميل. « **أنا عند ظن عبدي بي** » الحديث أو كما قال، فافهم، وقال < : « **خصلتان ليس فوقهما شيء من الخير: حسن الظن بالله وحسن الظن بعباد الله. وخصلتان ليس فوقهما شيء من الشر: سوء الظن بالله وسوء الظن بعباد الله** »، الحديث أو كما قال <. أعاذنا الله من سوء الظن في عامة الناس فضلًا عن خاصتهم وهم المنتسبون على الله تعالى. نسأل الله تعالى أن يرزقنا محبتهم حتى نكون عبيدًا لعبيدهم، بفضله وإحسانه آمين)، وقال: (اعلم يا أخي أن الكاذب عند الناس هو الذي لم ينتسب إلى مولاه، وأما من ينتسب إلى مولاه فهو الصادق المصدق. وأما من يكذب المنتسبين فهو الكاذب



المكذب لأنه كذب نفسه حين لم ينتسب إلى مولاه وكذب غيره حين انتسب إلى مولاه. ولو كان المنتسب منتسبًا بلسانه ولم يظهر لنا عليه أثر ذلك سوى مجرد اللسان، فيجب علينا أن نحمله على الصدق في دعوته ونحسن ظننا به لأن النبي > قال: « **أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله** » الحديث، وقال أيضًا: « **أمرت أن أحكم بالظواهر والله يتولى السرائر** » الحديث، وقال أيضًا: « **من قال لا إله إلا الله له ما لنا وعليه ما علينا** » أو كما قال. ألا ترى الإنسان إذا قال لا إله إلا الله محمد رسول الله بلسانه ولم يظهر لنا عليه أثر أعمال، هل نصدق إسلامه أم لا؟ بل نصدق في إسلامه ولا نقول إلا أخونا ومنا. إذا مات يجب علينا أن نصلي عليه وندفنه في مقابر المسلمين، وإذا كان حيًا أخونا ومنا يعمه ما يعمنا. إن صح هذا في العمومية، كذلك يصح أولى وأحرى في الخصوصية لأن من انتسب إلى مولاه بلسانه وكُذِب: صار هذا من سوء الظن بعباد الله، أعاذنا الله منه، وفي الحديث: « **خصلتان ليس فوقهما شيء من الخير: حسن الظن بالله وحسن الظن بعباد الله. وخصلتان ليس فوقهما شيء من الشر: سوء الظن بالله وسوء الظن بعباد الله** »)، وقال: (ومما قال لي الشيخ } قال لي: يا ولدي أنت مع ما كمست في عقدته إذا احتجت عليها وكنت كمست الياقوت لم تجد إلا الياقوت إذا فتحتها، وإذا كمست الخنافس لم تجد إلا الخنافس، والياقوت هم الخنافس والخنافس هم الياقوت ولكن تفاوت الشيء في الضمير « **أنا عند ظن عبدي بي** ». من ظن خيرًا وجدا خيرًا ومن ظن شرًا وجد شرًا).

الحضرة

قال: (اعلم أن الحضرة الإلهية مثل الجنة، لا يدخلها صاحب حسد ولا صاحب بغض ولا صاحب غلول ولا صاحب غضب ولا صاحب هم ولا صاحب نكد، قال تعالى: « **وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ. لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ** »)، وقال: (اعلم أنه من لطفه بك وجوده عليك ورحمة بك أن خلق لك الشيطان والنفس والهوى والدنيا يدفعونك إلى الحضرة الربانية ويزعجونك إليها، ولولا حبه فيك ما سلطهم عليك، لأن مولانا جل ثناؤه غيور على عبده، وهؤلاء الأربع هم حراس الحضرة كل ما غفل العبد أخذوه)، وقال: (اعلم أن هذه الأكوان جعلها الله بمنزلة أهل الشرطة على حضرته، وأمر الناس بدخول الحضرة ونهاهم عن الخروج منها. من دخل حضرته أمن ونجى وحصلت له الراحة والغنيمة، ومن خرج من حضرة مولاه سلط عليه الأكوان: أخذوه وأوثقوه فضيقوا عليه وفتنوه وطافوا به في أزقة الأكوان وهم ينادوا عليه هذا جزاء من غفل عن حضرة مولاه، لأن الأكوان كلها خلقهم الله عبيدًا لك، وخلقك أنت عبدًا له. مهما اشتغلت

بخدمة مولاك، اشتغلت الأكوان بخدمتك، ومهما اشتغلت بخدمة الأكوان وغفلت عن خدمة مولاك وقع بك ما ذكرناه أولًا. ومن قال لا راحة في الدنيا فقد صدق وإنما الراحة في الخروج عنها بالقلب أو بالموت. ما كانت إلا حضرة المخلوق وحضرة الخالق: من دخل حضرة الخالق حصلت له الراحة وسلم منع التعب والآفات كلها، ومن دخل حضرة المخلوق حصل له التعب ولم يجد راحة معهم إلا من دخل حضرة المخلوق بالخالق، فإن هذا حصل له فضل الحضرتين: وهذه المنزلة لا تحصل إلا للرجال الواصلين الكمال. رزقنا الله وإياكم محبتهم والالتفات إليهم آمين)، وقال: (اعلم أن جليس حضرة الحق، إذا وقعت منه هفوة أو غفلة عن حضرة مولاه فإن الأكوان تأتيه من كل جانب بما لا ينحصر، كلها لفتنته ولإذايته، لأن الأكوان كلها عاشقة له وطالبة له. فإذا دخل الحضرة ضرب بينه وبين الأكوان بحجاب من نور لا تقدر الأكوان أن تصل إليه لشدة نوره، كل من طاف حوله منهم يحترق بتلك النور، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ** ﴾ [الحجر: 42]، وكذلك قوله تعالى: ﴿ **إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ** ﴾ [الحجر: 40]، إلى ما لا ينحصر من الآيات في هذا المعنى والأحاديث الصريحة. حتى إذا وقعت منه غفلة عن حضرة مولاه تأتيه الأكوان مشتاقة إليه لتأخذه مثل الضواري على الصيد، لا ينجيه منهم إلا دخول الحضرة، فإذا دخلها استراح من تعبهم ومن نصبهم، عند ذلك تحصل له الراحة من التعب لأن الله تعالى خلق العباد لحضرته ودعاهم إليه على لسان نبيه، وما أوجد هذا الوجود إلا لأجل ذلك، وخلق هذه الأكوان وسلطهم على خلقه، لا ينجو من فتنة الأكوان إلا من دخل الحضرة وإلا فهو مفتون مملوك على أيديهم يفعلون به ما شاءوا. كأن هذه الأكوان جعلها الله بمنزلة الحراس على الحضرة، من خرج من حضرته أخذوه والتقموه وملكوه وفتنوه، صاروا عند ذلك على الولي رحمة لأنهم يردونه إلى حبيبه، وعلى غيره نقمة لأنهم ملكوه وقيدوه عن قرة عينه وحبيبه. صاروا إذا على الولي هم عين النعم وعلى غيره هم عين النقم، صاروا إذن للولي هم أحب الأحباب وعلى غيره هم أعدى الأعادي، صاروا أيضًا على الولي هم عين الغني وعلى غيره هم عين الفقر. صاروا إذًا على الولي بهم قربه وغنيمته، وعلى غيره بهم كمل بعده وخسارته. صاروا إذًا للولي بهم يكمل جمعه وأنسه، وعلى غيره بهم يكمل فرقه ووحشه. لا حبيب للولي أفضل من الأكوان، ولا عدو لغيره أعظم من الأكوان)، وقال: (وقال لي: (الداخل لحضرة الخالق عند الخلق منكور، والخارج من حضرة الخالق عند الخلق مبرور).

الحضور والغيب

قال: (اعلم أنك ما أعرضت عن الفرق إلا توجهت للجمع، وما أعرضت عن

الجمع إلا توجهت للفرق، لا ثالث لهما. والوجهة التي تتوجه إليها بهمتك، يمدك مولاك منها وتجدها عاشقة لك مشتاقة إليك أكثر من اشتياقك إليها. الغيب والحضور يتزاحمان على الإنسان، تزاحم الزوجتين على زوجهما، من ظفرت بالزوج دون الأخرى تفتخر على شريكتها به، كذلك تفتخر حضرة الغيب على الحضور إذا ظفرت بالإنسان، وتفتخر أيضًا حضرة الحضور على الغيب إذا ظفرت بالإنسان دون الأخرى، والإنسان معشوق بينهما، ولا في الوجود حقيقة إلا الله)، وقال: (اعلم قال تعالى: « **إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا** »، وقال < : « **اللهم بارك لأمتي في بكورها** » أو كما قال، لأن الإنسان إذا نام يكون غائبًا في حضرة الغيب، والغيب أنواره لا تنحصر ولا تعد ولا تحصى. وإذا فاق الإنسان من نومه إلى يقظته الحسية تغيب عليه آثار الحضرة وآثار أنوارها وأسرارها، لا يسبق لقلبه عندما يتيقظ إلا أهم الأشياء إليه، يعني ما تعلقت به همته فيجد نفسه متفرغًا لذلك بقلبه فيبلغ فيه ما أراد، لأنه كما أن البشرية تقوى بالحضور، كذلك الروحانية تقوى بالغيب).

الحق

قال: (اعلم أن الله تعالى يأخذ الحق من نفسه لنفسه بنفسه، ومن يأخذ الحق من نفسه لنفسه بنفسه كيف لا يأخذ الحق من عبده لعبده من باب أولى وأحرى)، وقال: (اعلم ومما قال لي الشيخ ذات يوم: يا ولدي الحق يكمل ظهوره على أربع، قلت له: كيف يا سيدي؟ قال لي: أوزن بميزان الحقيقة والشريعة تعرف، ففعلت ما قال لي فظهر لي الأمر كذلك فقلت له: يا سيدي قد فعلت، فقال لي: وما ذاك؟ قلت له: يا سيدي وجدت العلم ينور البصيرة والبصيرة تنور الهمة، والهمة تنور الفعل، ومهما ظهر الفعل فذلك كمال ظهور الحق والحق إذا كمل ظهوره تخضع له رقاب أهل السماوات السبع وأهل الأرضين السبع وما بينهما وما تحتهما وما فوقهما. العلن ينور البصيرة باليقين، واليقين ينور الهمة بالاهتمام، والاهتمام ينور الفعل بالتأثير والبرهان، وإذا ظهر التأثير والبرهان ذلك هو الكمال).

الحق والباطل

قال: (اعلم أن الحق لا يظهر إلا إذا اقترنت الأضداد واستوت وتوازنت، فعند ذلك يلوح الحق، وإذا لاح الحق وظهر فإن الباطل يضمحل، والباطل لا يجتمع مع الحق أبدًا، كما أن الظلام لا يجتمع مع الضوء أبدًا. مثال ذلك كالميزان إذا استوت الكفتان وهما ضدان فإن الحق يظهر عند استواء العمود)، وقال: (اعلم أن الحق متجليًا في كل شيء، ولكن لا تجده إلا في موضع أيقنت أن الحق فيه، وذلك لأن الحق عند

ظن عبده به. ما رأيت الحق إلا وجدته حق، وما رأيت الباطل إلا وجدته باطل، ولا زائدة)، وقال: (اعلم أن الحق هو ما ظن به حق، والباطل ما ظن به باطل، « **أنا عند ظن عبدي بي** » الحديث. ما أفلح من أفلح إلا بالتعظيم وحسن الظن، ولا خسر من خسر إلا بتحقير الحرمة وسوء الظن، ومن حقر الحرمة فإنما حقر حرمة نفسه، ومن عظم الحرمة فإنما عظم حرمة نفسه، والله غني عن العالمين)، وقال: (اعلم أن الحق المحقق ينكر على قدر ما يعرف، لأن جماله على قدر جلاله، وجلاله على قدر جماله، لأن الذات تلوح من الصفات، كما أن الصفات تلوح من الذات، وكذلك الذات تلوح من الذات، كما أن الصفات تلوح من الصفات، والذات تلوح من بين الذات والصفات، كما أن الصفات تلوح من بين الذات والصفات. ومن أراد أن يعرف الحق حقًا فعليه بعدم النكران فإنه رأس الفتوحات كلها والخيرات بأجمعها. جرت سنة الله في خلقه أن كل من يرى الحق حقًا يجد نفسه بالحق، وكل من يرى الحق باطلًا يجد نفسه باطلًا، لأن الحق منك يبرز وإليك يعود، كما أن الباطل منك يبرز وإليك يعود. قال الششتري رحمه الله:

منـــــي علـــــيَّ دارت كؤوســــــي * مـــن بعــد مــوتي تراـــي حـــي

وكذلك أيضًا المعروف كثيرًا هو المنكور كثيرًا، كما أن المنكور قليلًا هو المعروف قليلًا. والمعروف كثيرًا والمنكور كثيرًا هو الجمع، كما أن المنكور قليلًا والمعروف قليلًا هو الفرق، والجمع حقيقته ملكًا، والفرق شريعته ملكًا، ولا في الوجود بأسره إلا حقيقة ملك وشريعة ملك، مع أن الحقيقة هي عين الشريعة، والشريعة هي عين الحقيقة، كما قال القائل: «يا زين الخلائق يا عين الحقيقة ». فهذا فيه شعور بأن الملك هو عين الملك، كما أن الملك هو عين الملك، ولا في الوجود إلا الملك: كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان).

الحق والخلق

قال: (ومما قال لي الشيخ رحمه الله تعالى ونفعنا به قال: العبد الذي يخدم بالمحال، كما تخدم العامة بالعرف، يفرح به مولاه كما تفرح المرأة بولدها ليلة عرسه، ويدلك على ذلك فرح الناس بمن ظهر على يده شيء من خرق العادة، لأن ألسن الخلق أقلام الحق. إذا أردت أن تنظر منزلتك عند الله فانظر منزلتك عند الناس)، وقال: (اعلم أن من يتصرف بوصف من أوصاف الحق فإن الخلق جميعًا يفرون منه ولا يبقى إلا وحده وذلك لأن الحق تعالى وحده من أجل ذلك صار كل من يتصف بوصف من أوصافه على كل حال يبقى وحده ولا يأويه أحد من الخلق، كما أن من يتصف بوصف من أوصاف العبيد فإن الخلق كلهم يأوونه ويبرون به من أهل العالمين.

المتصف بوصف الحق ينكره كل شيء لأنه اتصف بوصف أهل الشرك عندهم والعياذ بالله من أجل ذلك ينكره كل شيء، والمتصف بأوصاف العبيد دخل حصن سيده فلذلك يأويه كل شيء، يا دنياي اخدمي من خدمني وأتعبي من خدمك: الحديث. من اتصف بوصف العبودية فهو خادم لمولاه على كل حال يخدمه كل شيء، ومن اتصف بوصف المولى فهو خادم لأنية نفسه وهي شهوته على كل حال يفر منه كل شيء. وكلامنا هذا مع أهل الحجاب الذين هم بنفوسهم لا مع أهل العيان الذين هم بربهم. أهل الحجاب مع إرادة نفوسهم، وأهل العيان مع إرادة ربهم: أفعالهم وأقوالهم وإرادتهم بأفعال الله وبكلام الله وبإرادة الله، ليس هم مع علو ولا مع دخنو وإنما هم مع ما يبرز لهم من مولاهم، لا يختارون حالًا على حال ولا يفضلون حالًا على حال، قد استوت عندهم الأشياء وأضدادها عزًا وذلًا عطاء ومنعًا بسطًا وقبضًا حلوًا ومرًا خيرًا وشرًا. رزقنا الله محبتهم بفضله وإحسانه لأن من أحب قومًا قد حشر معه. الحديث).

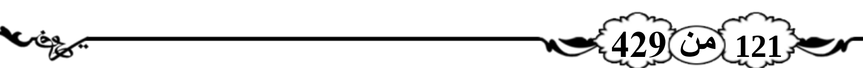
الحقائق

قال: (اعلم أن هذه الحقائق لها قواعد. من دخل هذه الحقائق وهو لم يعرف قواعدها أو يعرف من يعرف قواعدها فهو مخذول. في بعض كلام العرب: يقتل البلاد من يعرفها، وتقتل البلاد من لا يعرفها. من جملة قواعدها: ربما غرس صاحبها خيرًا خرج له شر، وربما غرس صاحبها شرًا خرج له خير، ولا يعرف ذلك إلا الحكيم أو من أخذ الفن عن حكيم بمجالسه اللسوق فيه إذا وجده، وقليل ما هم)، وقال: (اعلم أن الحقائق أصغرها يجر أكبرها، كجلوس بين يدي عارف بالله يظهر لمن لا يدريه أصغر شيء وهو يجر ما هو أعظم من كل شيء وهي المعرفة بالله. نسأل الله تعالى أن يجعل لنا نصيبًا بفضله وإحسانه)، وقال: (اعلم أن مصيبة النفس لا تكون إلا مع سلامة الفلس، ومصيبة الفلس لا تكون إلا مع سلامة النفس، قال تعالى: ﴿ **فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا** (5) **إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا** ﴾ [الشرح: 5 - 6]، ومن ذلك أيضًا أن الحقائق مترادفة: كل حقيقة تجر أختها: حقيقة جلالية تجر حقيقة جلالية، وحقيقة جمالية تجر حقيقة جمالية، ويكون بالعكس، حقيقة جلالية تجر حقيقة جمالية، وحقيقة جمالية تجر حقيقة جلالية. العارف إذا رأى واحدة برزت ينتظر أختها تابعة لها مقرونة معها، هكذا جرت عادة الله بحكمته في خلقه. سبحان الحكيم العليم)، وقال: (ومما وقع لي مع الشيخ نفعنا الله به قلت له يا سيدي: هذه الحقائق الجلالية رأينا بمباشرتها يثمر لنا شغلنا ويثبت، ورأينا كثيرًا ما تنهانا عن الغبطة فيها. فأجابني بأن قال لي يا ولدي: أنهاكم عن الغبطة فيها شفقة عليكم لئلا ينكركم الخلق، لأن الفقير الذي تكون له الحقائق الجلية

غالبًا عليه ينكره عامة الناس على كل حال، وأنا لا أنهاكم عنها، ولكن نأمركم إذا باشرتم حقيقة جلالية أن تقابلوها بحقيقة أخرى جمالية لئلا تنقطع عنكم مادة الحق من الخلق، وأفضل الأمور أوسطها)، وقال: (اعلم أن نهاية النهاية هي الحقائق وفيها من هو بين جميع الخلائق. من ظفر بشيء منها ظفر بالكنوز كلها الكنوز الحسية والمعنوية، والظفر بها لا يكون إلا بالظفر بأهلها، من ظفر بأحد من أهلها ظفر بها، ومن لم يظفر بأحد من أهلها لم يظفر بها أبدًا. هي الخصوصية ظاهرًا وباطنًا، من ظفر بشيء منها حصلت له الخصوصية، ومن لم يظفر بشيء منها فإنه عامي من جملة العموم. والشرائع كلها أبواب الحقائق، كل شريعة لم تؤدي إلى الحقيقة فمولاها ناقص، وكل حقيقة لم يدخلها مولاها من شريعة فمولاها ناقص، والحقيقة هي بيت القصيد من ظفر بأدنى شيء منها فهو غني، ومن لم يظفر بشيء منها فهو فقير، كما قيل: ومن يكن عنده منك مسك يصير في الخلق كالعالم)، وقال: (اعلم ومما قال لي سيدنا رحمه الله يا ولدي: عليك بالأسواق فإن فيها ربحك وتجارتك وغنيمتك، لأن صاحب الحقائق لا يليق به شيء مثل الأسواق، ومتى أردت أن تشتعل أنوار الحقائق في قلبك أدخل الأسواق ولا تخرج من الأسواق إلا وقت استراحتك، كما قال الششتري:

عين الزحام هو المسير لحينا ادخل السوق تسخن ادخل السوق تسخن ادخل السوق تسخن

وقال: (اعلم أن الحقائق كلها نشأت وتفرعت من حكمة وقدرة. القدر للحقائق العلوية، والحكمة للحقائق السفلية، والكل من الله وإليه، قال تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ** ﴾ [الزُّخرف: 84])، وقال: (اعلم أن المتوجه الصادق إذا كان في الحقائق العلويات يشتاق إلى الحقائق السفليات كما يشتاق آكل الطعام إلى شرب الماء، وإذا كان في الحقائق السفليات يشتاق إلى الحقائق العلويات كما يشتاق شارب الماء إلى أكل الطعام، والكامل لا غناء له عن السفليات كما لا غناء له عن العلويات، كما لا غناء له عن الأكل والشرب. الأكل والشرب قوت الأشباح، والحقائق العلويات والسفليات قوت الأرواح، ولا يفهم هذا إلا أهل العقول الراجحة)، وقال: (اعلم أن الحقائق كلها: علوية وسفلية، كلها في أولها تكون عند صاحبها أمر من الحنظل، وما دام صاحبها يصدق فيها وهي تحلو له حتى تصير عنده أحلى من الشهد. المبتدئ يخاف عليه من مرارتها، والكامل يخاف عليه من حلاوتها أن تشغله عن الله. قال بعض سادتنا عن أهل المعرفة بالله قال: ما قطعوا واد الربح حتى قطعوا واد الخسارة، والزغبي في واد الخسارة باق)، وقال: (اعلم أن الحقائق كلها على قسمين: حقائق أرضية وحقائق سماوية. الحقائق الأرضية حقائق التدلي، والحقائق السماوية حقائق الترقي. حقائق التدلي هي التي تمكنك من المخلوق ومن خيره وشره، وإذا ظفرت بالمخلوق ظفرت بالخالق. وحقائق الترقي هي



التي تمكنك من الخالق ومن خيره ومن شره، وإذا ظفرت بالمخلوق. وحقائق الترقي هي التي تكنى عند الناس بالحقائق من ظفر بشيء منها ظفر بالكون كله، كما قال القائل:

ومـــن يكـــن عنـــده منـــك نســـك * يصـــير فـــي الخلـــق كـــالعلم

وحقائق التدلي هي التي تكنى بالشرائع من ظفر بشيء منها ظفر بالكون كله، قال تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَـهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ** ﴾ [الزخرف: 84]، والولي الكامل هو الذي يجمع بين حقائق الحق وبين حقائق الخلق، يخدم بالتدليات ويخدم بالترقيات، يتلون بالألوان كلها كما قال الششتري رحمه الله: « وغايتي في الحب أن أتلون »، وقال ابن عربي الحاتمي: « ولي الله الكامل يتطور بجميع الأطوار ليقضي سائر الأوطار »، يعني يتلون بجميع ألوان الخلق كانت علوية أو سفلية كما قال الشاعر:

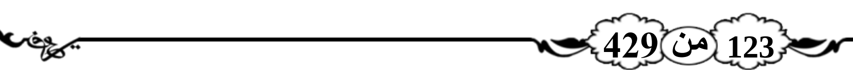
فإمـــا بـــذل وهـــو اليـــق بـــالهوى * وإمـــا بعـــز وهـــو اليـــق بالملـــك)

وقال: (اعلم بهذه الحكمة إذا تعوج عليك شيء من جهة المعنى تحول للحس فإنه يستقيم، وكذلك إذا تعوج لك شيء من جهة الحس تحول للمعنى فإنه يستقيم والحقائق ثمانية، أصولها أربعة، وأصول الأربعة اثنين، وأصول الاثنين واحد، ولا ثم إلا هو، واحد وهو الواحد، اثنين: الظاهر والباطن، أربعة: حس الظاهر ومعنويته ومعنوية الباطن وحسه، ثمانية: حس الظاهر علوي وسفلي ومعنويته علوية وسفلية ومعنوية الباطن علوية وسفلية وحسه علوي وسفلي. وما نهضت في واحد من هذه الثمانية بأمر وتوعص عليك وتحولت لواحدة أخرى من تلك الثمانية إلا انقلب حكمه في الحين. صار تلك الثمانية كلهم أضداد، مهما تعوج لك شيء اقلبه فإنه يستقيم)، وقال: (اعلم أن الخلق إن شئت قلت على قسمين: أهل حقائق الظاهر وأهل حقائق الباطن. أما أهل حقائق الظاهر هم رؤساء الوقت من أهل المال وأهل الرياسة وأهل الجاه والسطوة. وأهل حقائق الباطن هم المساكين والضعفاء والفقراء المنسوبون عند عامة الناس إلى الله. من عرف أهل حقائق الظاهر ولم ينكر عليهم شيئًا من أحوالهم يظفر بما في أيديهم ولا يمنع خيرهم قطعًا. ومن عرف أهل حقائق الباطن ولم ينكر عليهم شيئًا من أحوالهم يظفر بما في أيديهم على كل حال ولا يمنع خيرهم قطعًا. والعارف بالله يجمع بين خير الفرقتين، يصطحب معهما جميعًا، وكل فرقة يتلون معهم على لونهم كشيخ شيوخنا { سيدي أحمد اليماني نفعنا الله به، كان } ممن لا ينكر حالًا من أحوال الخلق: أهل الظاهر يتلمذهم في ظواهرهم ويدفعهم إليها ويقرهم فيها، وأهل الباطن يتلمذهم في بواطنهم ويدفعهم إليها ويقرهم فيها، فحصل لهم خير الفرقتين وذلك لما رزقه الله من المعرفة والحكمة. قيل إن الولي الكامل يتطور بجميع الأطوار)، وقال: (اعلم أن الخلق كلهم حقائق، وحقائقهم

مقسومة على أربعة حقائق لا يخلو الإنسان أن يكون في واحدة منهم في الوقت. الأولى أهل حقيقة الباطن وهم أهل الله الذين يكنونع به. والفرقة الثانية أهل حقيقة يقال لها شريعة الباطن، وهذه الفرقة مهيأة لإتباع الفرقة الأولى. والفرقة الثالثة أهل حقيقة الظاهر وهم رؤساء الوقت في الظاهر، كما أن الباطن قائم بالفرقة التي ذكرنا الأولى، كذلك الظاهر قائم بهذه الفرقة. والفرقة الرابعة يقال لهم أهل حقيقة تكنى بشريعة الظاهر، وأهل هذه المرتبة أحط مما قبلها. وكلهم حقائق، وكل حقيقة من أهل هذه الأربعة لها أهل مخصوصين بها مقرين فيها، هيأهم مولاهم إليها وهيأها إليهم، وأقامهم فيها وبها، وأقامها بهم وفيهم، قال تعالى: ﴿ **كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ** ﴾ [الرُّوم: 32]. هذا من إتقان صنعته تعالى. سبحان من أعطى كل قلب ما أشغله، بهذا قام الوجود واستقام. سبحان من خص كل من شاء بما شاء « قد فرق ربك من أربع: خَلْق وخُلق ورزْق وأجَل »، والعارف بالله هو الذي كمل أدبه مع مولاه، وعلامته هو أن يسير مع كل فرقة من هذه الأربعة فرق، على سيره في بلده، ولا ينكر على أحد من هذه الأربعة فرق حالًا من أحوالهم، بل يقر كل واحد على حاله ويحضه على حاله ويسير معه على حاله حتى يجذبه إلى حضرة مولاه كالسارق، وهذه المزية لا تجدها إلا في الكمال العارفين بالله. العارف بالله يداوي بالتي كانت هي الداء، لأن هذه الصفة الكريمة من صفات النبي >. روي أن رجلًا كان مع النبي > ومن أصحابه، قال: صحبت النبي > كذا وكذا من السنين ولم يقل لي في أمر فعلته لم فعلت كذا؟ ولم يقل لي في أمر لم أفعله لم لم تفعل كذا وكذا؟ أو كمال قال. وهذا من كمال حلمه > ومعرفته ورأفته لأنه > إمام العارفين وقطب الزاهدين، وهو منبع الأسرار، والصالحون } إنما هم رشحات من بحر أنواره صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته ما هبت الرياح وتحركت الأشجار)، وقال: (اعلم ومن الحقائق: الكحول والسواك والغاليا والمسك والخواتم في الإصبع وتقبيل كل ذي حسن وجمال. ومن الحقائق أيضًا: الجلوس في المسجد أي كثرته وكثرة الوقوف وكثرة المشي بين أسوار المسجد والاضطجاع فيها وكثرة الجلوس أيضًا وكثرة الوقوف والرقاد والمشي في الأسواق. هذا كله حقائق).

الحقيقة

قال: (اعلم أن صاحب الحقيقة منكور عند جميع الخلائق، إلا القليل من الناس.انظر نبي الله موسى ـــ، وقد سماه الله تعالى في كتابه: « القوي الأمين »، وكلمه الله تعالى تكليمًا، منه إليه بغير واسطة، وأخبره الله تعالى أن عبده الخضر أعلم منه، ومع هذا لما رأى أنوار شموس الحقيقة لاحت في الخضر، لم



يستطع الصبر وأنكره أولاً وثانيًا وثالثًا. إذا كان سيدان موسى بجلاله قدره، على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، لم يستطع الصبر لما تبدت له أنوار الحقيقة، فكيف بالضعفاء)، وقال: (اعلم أن طالب الحقيقة مثل طالب الملك. فإذا كان صادقًا في طلب ملكه ودام على ذلك فيصير ملكًا على كل حال، فمن لم ينقد اليوم ينقاد غدًا، ومن لم يطعه في هذا الشهر يطعه في الذي بعده، ومن لم يطعه في هذه السنة يطعه في التي بعدها. كذلك طالب الحقيقة إذا كان صادقًا في طلبه، ما لم يظفر به اليوم يظفر به غدًا، وما لم يظفر به هذا الشهر يظفر به في الذي بعده، وما لم يظفر به في هذه السنة يظفر به في التي بعدها، حتى يملك التصرف بالحقيقة غائبًا وحاضرًا، ظاهرًا وباطنًا، علمًا وعملاً)، وقال: (اعلم أن هذا الفقر مبني على أحد حقيقتين: إما حقيقة علوية وهي القبض، أو حقيقة سفلية وهي الدفع. فمن ظفر بواحدة من هاتين الحقيقتين فهو فقير، يعني من أهل الخصوصية، وإلا فلا. والقبض، أعني به قبض الدراهم، أي يعرف ممن قبضها، ولمن يدفعها، من الله بالله لله، والدفع دفعها. هاتان حقيقتان هما أساس الخصوصية، ومن ينعي من غير أساس فلا بنيان له)، وقال: (اعلم أن المتوجهين لطريق الخصوصية، كل من لم تكن له حقيقة، لا خصوصية له، وذلك لأن الحقيقة مثل الإكسير، أدنى شيء منها يغني، كما قال القائل:

ومـــن يكـــن عنـــده منـــك نســـك * يصـــير فـــي الخلـــق كـــالعلم

وهذه الحقيقة سواء كانت ظاهرية أو باطنية، إلا أنه الحقيقة الظاهرية تجمعه على الحق في الظاهر، والحقيقة الباطنية تجمعه على الحق في الباطن، وصاحب الخصوصية لا غناء له عنهما ولا محيد. والظاهر والباطن إنما هما مقامان، والأحوال تحول المخصوص من مقام إلى مقام، ولا له مقام في مقام، قال تعالى: ﴿ **يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ** ﴾ [الأحزاب: 13]. ومنتهى الخصوص، من الله إلى الله، فهو أبدًا راحل قاطن: « **وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ** »)، وقال: (اعلم ومن ذلك أن الله تعالى جعل هذه الحقيقة لها قشر ولب ولبُّ اللب. من وقف مع القشر يحجبه بحسنه وجماله ولذته عن اللب، ومن خرق حجاب القشر وزادت همته إلى اللب فإنه يجده أحسن وأفضل من القشر بأضعاف مضاعفة. فضل اللب على القشر، كفضل نعيم الجنة على نعيم الدنيا. فإن وقف معه حجب به عن لب اللب. وإن خرق حجاب القشر وحجاب اللب، وزادت همته إلى لب اللب فإنه يحصل على نهاية الخير. وفضل لب اللب على اللب وعلى القشر، كفضل النظر في وجه الله تعالى على نعيم الجنة وعلى نعيم الدنيا. والإنسان مع ما طلب، قال تعالى: ﴿ **وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ** ﴾ [إبراهيم: 34]. إن الله يرزق العبد على قدر همته. الحديث)، وقال: (اعلم أن أهل الحقيقة يغيرون عليها من الظهور أكثر من غيرتهم على ظهور عورتهم وعورة

نسائهم)، وقال: (ومما قال لي الشيخ رحمه الله قال لي: يا ولدي: شتان بين من يضيق على نفسه الحقيقة ويعيش دائمًا في الضيق، وبين من يوسع على نفسه الحقيقة ويعيش دائمًا في السعة، بينهما فرق عظيم لا يعرفه إلا الحكماء العارفون. وتوسيع الحقيقة يطلب من المتوجهين في الحس والمعنى. من ضيق على نفسه الحقيقة، في الحس أو في المعنى، تضيق عليه ويعيش دائمًا في ضيق وهم ونكد. ومن وسع على نفسه الحقيقة توسع عليه ويعيش في سعة وهناء وعيش رغد).

حقيقة

قال: (سأل رجل يومًا الشيخ سيدي العربي نفعنا الله به فقال له: يا سيدي ما حقيقة الحقائق؟ فقال له الشيخ: حقيقة الحقائق هو ألا تعمل لمولاك إلا ما يريد، ولا يعمل لك مولاك إلا ما تريد)، وقال: (اعلم قال الشيخ زروق عن بعضهم: من بلغ حقيقة الإسلام لم يقدر يفتر عن العمل ويطلق عليه « **وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ** »، ومن بلغ حقيقة الإيمان لم يقدر يلتفت إلى العمل لقوله تعالى: ﴿ **وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ** ﴾ [الحشر: 18]، ومن بلغ حقيقة الإحسان لم يقدر يتلفت إلى ما سوى الله لقوله تعالى: ﴿ **وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ** ﴾ [النحل: 53])، وقال: (ومما أخبرني به شيخان سيدي العربي عن أبيه سيدي أحمد بن عبد الله نفعنا الله به أنه كان ذات يوم مع سيدي أحمد اليماني نفعنا الله به في خيمة من شعر ومعه جماعة من العلماء، مثل: سيدي اسعيد لعميري وسيدي لحسن بن رحال وأمثالهم، وهم يتحدثون مع الشيخ سيدي أحمد اليماني فقال لهم سيدي أحمد اليماني: أخبروني هل فيكم من يعرف حقيقة الولاية ما هي؟ فجعل كل واحد منهم يقول ما يعرف من الأفعال الحميدة، واحد يقول له: يا سيدي التقوى، والآخر يقول له: يا سيدي العلم بالله، كل واحد منهم يقول له ما ظهر له. وهو يقول لهم لا لا، حتى قالوا له: يا سيدي وقفنا، وهو يقول لهم انظروا، وهم يقولون له يا سيدي الخبر من عندك يرحمك الله، فقال لهم: الخبر قريب، قالوا له: يا سيدي وما هو؟ قال: حقيقة الولاية هو مثلًا إذا كنت جالسًا في ظل هذه الخيمة لا أختار الجلوس في الشمس، وإذا كنت جالسًا في الشمس لا أختر الجلوس في الظل، والحديث قياس).

الحِكَم

قال: (بسم الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله. كيف تظهر لك الحقيقة وأنت لم تسلك الطريقة. كيف تخرق لك العادة وأنت معتمد على العبادة. كيف يصح لك الرحيل وأنت بالتدبير والاختيار عليل. كيف يصح لك الرحيل إلى الله وأنت تشتهي

وتحب وتكره. كيف تدرك الرتب العليا وقلبك محشو بحب الدنيا. كيف تصل لرضاء ربك وأنت لم تصل لسخط نفسك. كيف تزول عنك الموانع وأنت لرضاء نفسك تابع. كيف تدرك مرتبة الحرائر وأنت مصر على الكبائر. إلى متى تدعي محبة الخالق وتريد الجمع بين حب المخلوق والخالق. لو رجعت يا أخي إلى الباب لوجدته غفار لمن تاب)، وقال: (اعلم أن كل شيء أوجده العزيز فهو عزيز كما قال: ابن آدم خلقت الأشياء من أجلك وخلقتك من أجلي، وكل شيء خلقه الله تبارك وتعالى لهذا البشر فهو فيه في غاية الاحتياج، فيجب على العاقل أن لا يهمل شيئًا من تلك الأشياء التي خلقها الله تعالى من أجله ولا يحقرها لأنه أعلم بك منك وأعرف بك منك وأحلم بك منك وأرأف بك منك وأقرب منك إليك، ولكن لا يعرف قدر الأشياء إلا عند عدمها، وكل شيء أوجده الغني فهو غني بالغني، وكل شيء أوجده العزيز فهو عزيز بالعزيز، وكل شيء أوجده الكريم فهو كريم بالكريم وأغير منك عليك، كما قيل: ما من عشبة نابتة إلا وفيها حكمة ثابتة)، وقال: (اعلم تذلل لعزنا ولذ بنا تفز بوصلنا في حضرة قدسنا، تهتك بوجدنا وزمزم باسمنا وحي لحينا إن جئت لحينا، وشاهد بديع صنعنا في أوانئنا، وافرح بكمالنا وعش في أماننا وافن عن فنائها وابق ببقائنا وعرس بوصلنا في جنة خلدنا وشاهد زينة عرشنا وكرسينا وشاهد منزلة الأحبة عندنا. ولو شاهدته في كل شيء حتى في نفسك لوجدته أقرب إليك من كل شيء حتى من نفسك، ولو شاهدته في كل شيء لحجبت بشهوده عن كل شيء. كيف يظهر لك مع ظهوره شيء وهو الموجد لوجود كل شيء. كيف يظهر لك مع ظهوره شيء وهو الواحد الذي ليس معه شيء. ولو قرنت الحادث مع القديم لتلاشى الحادث وبقي القديم، ولو ظهرت صفات المحبوب لفني الحجاب والمحجوب، ولو تجلت أنوار الشهود لفني الزاهد والمزهود. رفعت الأشياء فوق قدرها حين زهدت فيها وذلك لحجابك عنه، ولو شاهدته فيها أو قبلها أو بعدها ما حجبت بها عنه. اشتغالك بها عنه هو الذي حجبك عنه، ولو شاهدت وجودها منه ما حجبت بها عنه، ولا حال بينك وبين المعبود إلا الفرح بالموجود والحزن على المفقود، ولا حجبك عن النعيم إلا هذا الوصف الذميم. لولا الواشي والرقيب لم يكمل فرحك بالحبيب، ولولا النار ولدغ النحل لم تكمل لذة الشهد والعسل. متى ما نظرت في الأشياء ولم تشهد فيها صنعة خالقها صارت لك ظلمة تنطمس بها بصيرتك. كل من تعلقت همته بشيء لم يشهد سواه في الحركات والسكون، قال تعالى: ﴿ **كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ** ﴾ [الرُّوم: 32])، وقال: (اعلم كيف يكون لك المفر من شيء قدره عليك القادر وحكم عليك به قبل خلق الأوائل والأواخر، أم كيف تدفع عن نفسك المعصية أو تجلب لها الطاعة وقد قدر ما كان وما يكون إلى قيام الساعة، أم كيف تجتهد بنظرك الفاسد وهو عليك أحن من الوالد على الموالد. ألم

لكن يا ابن آدم لك قدوة بأبيك آدم حين عصى ربه وأكل من الشجرة لم يمكنه إلا الرجوع إلى الله وطلب المغفرة وذلك لما تشفع بالحبيب المحبوب تاج العارفين ودواء القلوب مولانا محمد المصطفي الأمين عليه أزكى الصلاة والسلام في كل وقت وحين، فالمطلوب منك أن تسلم نفسك إليه والرضى بتصرف أحكامه وقضائه ولتكن له عبدًا في كل حال أبرزه فيك بديع صنعه ومراده. وإذا نظرت في الأشياء وشاهدت فيها مدبرها وصانعها صارت لك مرآة تستدل بها عليه. والله لا تقول أنا إلا بعد حصول الفنا، والله لا تحصل لك الحياة إلا بعد الفنا والممات، والله لا تشرق لك الشموس إلا بعد فناء النفوس، والله لا تبلغ مقام المنى حتى لا يبقى لك بين الأنام ثنا، والله لا تذق طعم الإيمان إلا بالخروج عن الأكوان، والله لا يحصل لك الهنا إلا بعد الفنا عن أهل الفنا، والله لو انهتكت الحجب لشاهدت في ذاتك المحبوب، والله لو زالت عنك حجب الأوهام لشاهدت الباقي على الدوام، والله لو زالت عنك الموانع لشاهدت ضياء الفجر طالع، والله لو طويت عنك مسافة نفسك لا رأيت موجودًا سوى ربك، والله لو أشرق نور الإيمان لوقع العيان وأحجبت عنك وجود الأكوان، والله لو سلكت مسلك أهل الطريقة لتبدت لك أنوار الحقيقة، والله لو سلمت نفسك من الرذائل لجاء الحق وزهق الباطل، والله لو كنت ملازم الأدب لدخلت في زمرة أولي الألباب، والله لو تركت من قلبك شهوة الوصول لكنت بالوصل تصول، والله لو تركت التدبير والاختيار لكنت من عباده الأحرار، والله لو أخلصت الرجوع إلى الباب لوجدته كريم غفار لمن تاب، والله لو بسطت يد الذل وناديت في الأسحار لوجدته غفور حليم غفار، وتقل يا عزيز عبدك الذليل ببابك يا قوي عبدك الضعيف ببابك يا غني عبدك الفقير ببابك يا قادر عبدك العاجز ببابك).

الحكمة

قال: (اعلم أن الإنسان جعله الله تعالى نسخة من الوجود، وخلق فيه البرودة والحرارة كما خلقهما في الوجود. فكما أن الحبة من الحنطة جعلها الله لا توجد ولا تكمل ولا تثمر إلا باتران البرودة والحرارة، كذلك الحكمة في الإنسان لا توجد ولا تكمل ولا تثمر إلا باقتران البرودة والحرارة. ومهما تقوى البرودة على الحرارة أو تقوى الحرارة على البرودة بطلت الحكمة. كما تبطل الحبة بالأرض، تبطل الحكمة في الإنسان، وبطلان الحكمة أيضًا من الإنسان من قلة صحبة العارفين بحكمة النفوس، لأن الحكمة تحيى بصحبة أهلها وتموت بصحبة غيرهم، وقليل ما هم)، وقال: (قال الشيخ سيدي العربي نفعنا الله به: كان رجل حكيم وكان له ولد فلما شب قال له ابنه: يا أبتي أردت أن تعلمني الحكمة، قال له: يا ولدي سر وانظر من يعلمها لك غيري

لأنك ولدي وأنا أبوك أشفق عليك، والمعلم إذا أشفق على متعلمه لا يتعلم منه شيئًا. فصار يطلب من يعلمه الحكمة حتى وجد حكيمًا فأخذ عنده سنين حتى ظن أنه تعلم وجاء إلى أبيه، فقال له أبوه: يا ولدي ما بلغت من الحكمة؟ قال: يا أبتي بلغت فيها ألا أتعدى ما لا يعنيني، قال له: نعم ولكن بقيت لك واحدة فاذهب وانظر من يعلمها لك، فذهب وغاب سنين فلم يجد لها خبرًا، فجاء إلى أبيه وقال له: يا أبتي ما وجدت من يخبرني بها فعلمني إياها لوجه الله تعالى، قال له: بقي لك أن تحك بركبتك ركبة الحكماء)، وقال: (اعلم أن طالب الحكمة وطالب أهل الحكمة بينهما أمر عظيم. طالب الحكمة لا يجدها إلا إذا وجد أهلها، وطالب أهلها يجد الحكمة ويجد أهلها، وربما اتلف طالب الحكمة بطلبها منها، وطالب أهلها ظافر بها على كل حال)، وقال: (اعلم أن المعرفة بالله ما دامت لأهلها إلا بمداومة الحكمة، والحكمة دامت لأهلها إلا بمداومة الجلوس مع أهلها، لأن حكمة الله مع معرفة الله بمنزلة الروح مع الجسد. كأن أي المعرفة جسد، والحكمة روحه، ولا فات أهل الباطن أهل الظاهر إلا بالحكمة. أهل الباطن اشتغلوا بالحكمة دامت لهم معرفتهم، وأهل الظاهر شغلتهم الخدمة عن الحكمة، ومن لا حكمة له لا معرفة له، ومن لا معرفة له ربما آثر ما يضره على ما ينفعه وهو لا يشعر)، وقال: (اعلم أن الحكمة هي الاستيناس بالحكمة، وأما من ظفر بالحكمة ولم يستأنس بها حتى تصير له طبعًا طبيعًا لا حكمة له، ولو وصل ما وصل، فيها ما وصل)، وقال: (وقال لي أيضًا: الحكمة بين الشيء وضده)، وقال: (اعلم أن الحكمة ليست في الفقير وإنما هي في نسبة الله تعالى التي لبسها، كما أن المخزن ليست الحكمة فيه وإنما هي في نسبة الملك الذي لبس. لو عدمت نسبة الله من الفقير لم يصلح لشيء ولم يعبأ به أحد. الكلب بقيراط، والقلادة بمائة ألف، وما مائة ألف في نسبة الله تعالى)، وقال: (اعلم أن هذا العلم، أعني العلم بالله، يجب على صاحبه ألا يطلع عليه أحدًا من غير أهل فنه، وقليل ما هم، غيرة عليه، لا تؤتوا الحكمة غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوا الحكمة أهلها فتظلموهم، أو كما قال)، وقال: (اعلم أن الحكمة من أدنى شيء إلى أعلى شيء: ما اجتمعت إرادة وفعل إلا قامت الحكمة من غير عطلة، وذلك من نفسك أو من جنسك. نفسك مثل غيرك، وغيرك مثل نفسك، كلهم سواء في ذلك)، وقال: (اعلم ومما قال لي الشيخ نفعنا الله به: إن الحكمة التي هي رأس الحكم الباطنية كلها هي: الإنسان يحتال حتى يعود نفسه الخروج عن عادة الخلق. بهذا الفائدة يصير تلين له الأشياء الظاهرية والباطنية كتاليين الحديد بين يدي سيدنا داود على نبينا وعليه الصلاة والسلام، لأن الناس كلهم يعني العامة مرهونون، فالعادة هي التي سرطت لهم الخير كله وحالت بينهم وبين كل من خص بشيء من أهل الخصوصية الظاهرية والباطنية، والمدد على قدر الهمم، وما كان

لله دام واتصل، وما كلن لغير الله انقطع وانفصل)، وقال: (ومن لباب الحكمة: إذا أردت الجمع اربط نفسك في الفرق وداوم على ذلك فإن الجمع يطلبك طلبًا لا يمنعك منه أحد، وبالعكس إذا أردت الفرق اربط نفسك في الجمع وداوم عليه فإن الفرق يطلبك طلبًا لا يقدر أن يمنعك من يده أحد، وسبب ذلك أن الجمع لا يسكن إلا بالفرق، كما أن الفرق لا يسكن إلا بالجمع. « **اللهم أعط لكل منفق خلفًا، وأعط لكل ممسك تلفًا** » الحديث أو كما قال >. العارف بالله الحكيم مهم يرى شيئًا تعذر: يفهم العلة في ذلك، من أي شيء كان سبب فساده، ومن أي شيء يكون سبب صلاحه. شتان بين من يسلك الأشياء عارفًا بها وبأحكامها، ومن يسلكها جاهلًا بها وبأحكامها. الأول يسلكها فرحًا مبشرًا مسرورًا حاز خيرها وفاته شرها، والثاني يسلكها مضيقاً خائفًا مهمومًا مزجورًا مسجونًا حاصلًا على شرها، فاته خيرها. قال تعالى: ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [الزُّمر: 9])، وقال: (اعلم أن حكمة كلمة تتفرق فتنقسم على ألف كلمة إذا كثر الكلام، وحكمة ألف كلمة تجتمع في كلمة إذا كثر الصمت. صار كثير الكلام في كثرته هو القليل، وقليل الكلام في قلته هو الكثير. القليل يعني من الحكمة، والكثير يعني من الحكمة. وهذا القياس من جملة كل الأشياء التي جعلها الحق تعالى كلها كامنة في أضدادها بحكمته وقدرته، كأنه يقول: الصمت ربما يجمع لك ألف حكمة في كلمة، والكلام ربما يفرق لك حكمة في ألف كلمة وهكذا)، وقال: (اعلم أن الحكمة ربما برزت من لسان وغد جاهل، كمثل قول من قال: قيراط خوف أفضل من قنطار محبة. نفهم نحن من هذا: قيراط جلال أفضل من قنطار جمال، يعني به في الظاهر، ولا شك أن الظاهر هو عين الباطن. كل من تنورت ظواهره تنورت بواطنه، وبالعكس، والظاهر والباطن حالان، وكما أن الظاهر مفتاح الباطن، كذلك الباطن مفتاح الظاهر. قال أبو العباس: اجعل عملك ملحًا وأدبك دقيقًا، ولا شك أن الأدب ملحه ظواهر الأشباح، والعمل سيره وتصرفه ببواطن الأرواح وهي معاني، والمعاني قليلها مثل كثيرها، لا كالظاهر الذي يتحمل التجزئ، لأن المقامات والمراتب التي تنسب إلى الباطن إنما هي في الباطن مجازية، وفي الظاهر حقيقية، والبدايات محلى النهايات. من أشرقت بدايته أشرقت نهايته)، وقال: (سمعت الشيخ نفعنا الله به يحدث قال: كان بعض الشيوخ عارفًا بالله تعالى يقرئ عصبة من تلامذته علم الحكمة نحوًا من أربعين سنة، وهو لا يقرأ معهم إلا في فروعها، وبعد الأربعين سنة طلبه التلامذة أن يدلهم على حقيقة الحكمة وحثوا عليه في ذلك، فأجابهم لذلك وقال: غدًا إن شاء الله أدلكم على ما طلبتم خبرًا وعيانًا. فلما أصبح النهار جاءوه لذلك ودقوا عليه الباب فخرج عليهم وفي يده ولد له صغير، فطلبوا منه إنجاز ما وعدهم به، فقال لهم: نعم انظروا ولدي هذا حتى نظروا إليه، فقال

لهم: هو ما طلبتم مني معرفته، فعند ذلك منهم من فتح عليه في تلك الساعة، يعني من فهم كلام الشيخ، ومنهم من لم يعرف مقالة الشيخ وازداد بقوله تلفًا على تلف)، وقال: (اعلم يا أخي أن المريد إذا كان صادقًا في إرادته لا بد أن يظهر عليه أثر ذلك الصدق في بدايته بمواظبته على الأذكار، لأن الإنسان ما أحب شيئًا إلا أكثر من ذكره، وإذا استمر الإنسان على ذكر الله تعالى تنبع الحكمة على لسانه فيصير لسانه ينطق بالحكم والعلوم والمعارف والأسرار من غير تعلم، ما لا يكيفه العقل، فتصير المعاني مصحوبة مع لسانه، فيصير يمده القطب من بحور حكمه الله تعالى، لا يسمع أحد كلامه إلا خرق صدره وارتعش به وذهل، لا يجادله أحد إلا انهزم بين يديه، لأنه صار متكلمًا بالحق، والحق يعلو ولا يعلى عليه، قال تعالى: ﴿ **وَقُلْ جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ إِنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا** ﴾ [الإسراء: 81]. ألا كل شيء ما خلا الله باطل. وإذا ترقى من الأقوال إلى الأفعال فيمتزج ذلك الذكر في جوارحه، فيصير القول فعلًا، فتصير تلك المعاني التي كانت مصحوبة مع لسانه حسًا، يصير كل ما احتاج على شيء مد يده لمخازن مولاه وأخذه من غير تعطيل ولا تعب ولا نصب. كان أولًا الحكمة طوع لسانه فتصير الحكمة في جميع جوارحه، فتصير جوارحه كلها تتحرك بالله كما قال في الحديث: لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، الحديث. إذا جلس جلسَ بالله، وإذا قام قامَ بالله، وإذا تحرك تحركَ بالله، وإذا نطق نطقَ بالله، وإذا نام نامَ بالله، وإذا استيقظ استيقظَ بالله، وإذا سكت سكتَ بالله. لو اجتمعت السماوات السبع ومن فيهن والأرضين السبع ومن فيهن ليحاجون في شيء لم يقدروا على ذلك لأنه صار متكلمًا بالله وفي الله وإلى الله، والله تبرك وتعالى لا يغلبه غالب ولا ينجو من حكمه هارب، فسبحان من علم الإنسان ما لم يعلم، فسبحان من ملأ بحبه قلوب أحبائه، فسبحان من فرغ قلوبهم من الأغيار. وملأها بالعلوم والمعارف والأسرار، فسبحان من أعانهم وقواهم ووفقهم لحبه، فسبحان من أباحهم ملكه وملكوته يتصرفون فيه بتصرفاته، فسبحان من غطى أوصافهم الناقصة بكمال أوصافه، فسبحان من ألهمهم وأيقظهم بعد الغفلة عن بابه، فسبحان من هيأهم لحضرته وجعلهم له أهلًا، فسبحان من أنسهم بقربه وأزال عنهم حجابه، فسبحان من لا يتوقف فضله على شيء، فسبحان من يعطي بلا شيء ويمنع بلا شيء، فسبحان من هو رقيب على كل شيء ولا يخفى عليه من خلقه شيء، فسبحان من هو خالق كل شيء، سبحان من عم فضله كل شيء، سبحان من أوجد كل شيء ويعدم كل شيء، سبحان من عزَّ به كل شيء، سبحان من ذل لعزه كل شيء، سبحان من ليس كمثله شيء، سبحان من كان ليس معه شيء. وهو الآن وليس معه شيء).

الحمق والعقل

قال: (ومما قال لي الشيخ }: تمسك بالحمق فإنه غرس العقل إذا كان من جهة مولاك. اغرس من الحمق ما استطعت من جهة مولاك وعلى مولاك. اغرس من الحمق ما استطعت من جهة مولاك وعلى مولاك، لأن الحمق إذا كان من هذا الوجه: على قدر ما يعظم، يعظم ثمره عقلًا. اجتهد في كثرة الغرس ولا تلتفت إلى شيء، واستعن على حمقك بالله واصبر، وبالله التوفيق)، وقال: (اشتكيت يومًا للشيخ } بأمري قلت له يا سيدي: الأمر عندي في الباطن مستقيم على أحسن هيئة، وفي الظاهر لم يستقم. فأمرني أن أتشبه بالحمق ونصنعه في نفسي، حتى يصفني به الخاص والعام، ففعلت فاستقام لي الأمر. لما غرست الحمق باطنًا أثمر لي العقل باطنًا، ولما غرست الحمق ظاهرًا أثمر لي العقل ظاهرًا. وجدت الأشياء كلها كامنة في أضدادها، لا تدرك الأشياء إلا بالتخلق بأضدادها. جزى الله سيدنا عنا خيرًا)، وقال: (وسمعته يقول: الحمق في طريقتنا هذه هو عين العقل، والعقل والحياء في طريقتنا هذه هو عين الحمق، لأن العلم لا يتعلمه مستحي ولا متكبر كما قال الحبيب اللهم زدني فيك تحيرًا).

الخصوصية

قال: (اعلم أن الخصوصية لها جسد وروح. أما جسدها فهو التجريد إليها، وأما روحها فهو دوام الجلوس بين يدي أهلها. والجسد لا يقوم بلا روح، والروح لا تقوم بلا جسد، ومهما اجتمع الجسد مع الروح وجدت الخصوصية بينهما)، وقال: (اعلم أن صاحب هذه الطريق لا يمتع أحدًا من غير أهل فنه، من كلامه ولا من نظره ولا من سمته، ولا يتقلق في مشيه. وصاحب هذه الطريق أيضًا إذا رأى أهل الدنيا غابطين في دنياهم قد شمروا للاجتهاد فيها، حصل له هو السكون والاطمئنان ولا يترك من موضعه يمينًا ولا شمالًا، فإن كان قائمًا جلس، وإن كان جالسًا قام. هم يزيدون اضطرابًا في دنياهم. وهو يزيد سكونًا وتنزًا عما هم فيه لأن الدنيا مثل الجيفة وأهلها كالكلاب يتناهشون عليها. والخصوصية كلها مجموعة في التنزه عنها ورفع الهمة عما فيه أهلها، حتى الكلام فيها نجس، والاستماع لكلام أهلها نجس، حتى الجلوس معهم نجس، حتى النظر فيهم نجس، حتى شم رائحتهم نجس)، وقال: (اعلم أن الخصوصية كلها تعظيم كلها تعظيم أصولًا وفروعًا، وطالبو الخصوصية: بالتعظيم تكون بدايتهم وإليه تكون نهايتهم. إلا أن تعظيم البدايات يكون شرعيًا مجازيًا، وتعظيم النهايات يكون حقيقًا قهريًا. وإن شئت قلت: تعظيم البدايات لأهل الله، وتعظيم النهايات بالله

لله بلا واسطة. وإن شئت قلت: تعظيم البدايات بالنفس للجنس، لله من وراء حجاب. وتعظيم النهايات بالله لله، بعد فقد سواء وخرق الحجاب)، وقال: (اعلم أن الخصوصية كلها أذكار. قال تعالى: ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [العنكبوت: 45]. إلا أن الخصوصية تنقسم على قسمين: خصوصية ظاهرية وهي ذكر حسي مصحوب بالمعاني، وخصوصية باطنية وهي ذكر معنوي مصحوب بالحسيات. والإنسان ذاته مشتملة على جوارح حسية وجوارح معنوية. إذا كانت خصوصية المخصوص ظاهرية تكون عبادته بالجوارح الظاهرية الحسية، والجوارح المعنوية بحسب التبع لها. وإذا كان المخصوص خصوصيته باطنية تكون عبادته بالجوارح الباطنية المعنوية، والجوارح الحسية بحسب التبع لها. وحكم الخصوصية الظاهرية كحكم الخصوصية الباطنية وبالعكس حكم الباطنية كحكم الظاهرية. إلا أن الظاهرية فرق، والباطنية جمع)، وقال: (اعلم أن الخصوصية على قسمين: خصوصية الفرق وخصوصية الجمع. خصوصية الفرق: خصوصية مع الخلق، وخصوصية الجمع خصوصية الملك الحق. صاحب الفرق حاز ملك الخلق، وأحب الجمع حاز ملك الحق بالحق. صاحب الفرق ملكه بالظواهر، وصاحب الجمع ملكه بالاهتمام بالخواطر. صاحب الفرق ملكه الناس، وصاحب الجمع ملكه رب الناس. صاحب الفرق محتاج إلى الناس، وصاحب الجمع يحتاج إليه الناس. صاحب الفرق فقير لله، وصاحب الجمع غني بالله)، وقال: (اعلم أن باب الخصوصية هي الفناء. والفناء له بابان: الأذكار والأفكار، فهما بابان يدخل منهما إلى الفناء، فمن أتى من جهة الظاهر لا يدخل إلا من جهة الأذكار، ومن أتى من جهة الباطن لا يدخل إلا من جهة الأفكار. والأذكار والأفكار عالمان: أهل عالم الأذكار يتعشقون لعالم الأفكار ولأهله، وأهل عالم الأفكار يتعشقون لعالم الأذكار ولأهله. وبالجملة فكلاهما ذكر إلا أن الذكر الظاهري يقال له ذكر، والذكر القلبي يقال له فكر. والكفر إنما هو فكر قلبي لا يطلع عليه سوى الله، والقلوب لا يعلم ما فيها إلا صانعها وهو علام الغيوب، قال تعالى: ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [العنكبوت: 45]. وهذا الفكر له وجهان، فهذا الذي ذكرنا يقال له فكر النفس، والوجه الآخر يقال له فكر الجنس: وهو فكر اثنين أو ثلاثة، وهو أقوى من فكر النفس لأن يد الله مع الجماعة. وبين فكر النفس وفكر الجنس، ما بين صلاة الفرد مع الجماعة، وهذا إذا وجد أهل الأفكار، وقليل ما هم)، وقال: (والله لا تحصل لك الخصوصية حتى يحصل لك الزهد في الخصوصية حتى يجزم لك أهل الخصوصية أنك من أهل الخصوصية. والله لا تحصل لك الخصوصية حتى يحصل لك الزهد في الخصوصية، بعدما تحصل لك الخصوصية)، وقال: (اعلم أن الخصوصية الحسية لا تحصل حتى تحصل المعنوية، ولا تحصل الخصوصية المعنوية حتى تحصل لك الحسية. الخصوصية الحسية لا تحصل إلا

بالحسيات، والمعنوية لا تحصل إلا بالمعنوية)، وقال: (اعلم والله ما حدك كتقول هذه اعملها امليحا اتليق وهذه اقبيحا لا تعملهش عمر الخصوصية لا ذقتها. والله لو احكم فيك الله وذقت شيئًا من الخصوصية حتى تبيع البقر وتخسر حقهم اعلا اقراني فضلاً عن ملكت الزبد. والله ما حدك ما خدعوك بالله الكذابين والصادقين وتنخدع لهم وأنت من جملة العامة، ولا تحصل لك الخصوصية حتى تنخدع للكاذب والصادق. والله لو ذقت شيئًا من الخصوصية لكنت تخدم في الموزونة كما رأيناك وتاتي إلى أمثالي ترغبها يقبضونها من يدك كان يرضاوا عليك يقبضونها من يدك)، وقال: (ومما سمعت من الشيخ } أنه سمع من أبيه سيدي أحمد نفعنا الله بالجميع، قال لي: سر الخصوصية يوجد في الولد ولا يوجد في أبيه، ويوجد في الأب ولا يوجد في ولده، ويوجد في العبد ولا يوجد في سيده، ويوجد في أدنى ما في الناس مثل الفران وبائع اللحم وأنقال الغنم، ولا يوجد في أشراف وأكابر الوقت، ويوجد أيضًا عند العامي الذي لا يكتب ولا يقرأ، ولا يوجد عند أكابر العلماء، قال تعالى: ﴿ **وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ** (5) **وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ** ﴾ [القصص: 5 - 6])، وقال: (اعلم أن سر الخصوصية كله اجتمع في الضمير والنظرة فيها، عرفه من عرفه فظفر به وفيها، وجهله من جهله فحرم منه. قيل: إنما حرموا الوصول لتضييعهم الأصول، وذلك أنك ما نظرت في الوجود كله بالكمال إلا نظر الوجود كله فيك بالكمال، وما نظرت في الوجود كله بالنقص إلا نظر الوجود كله فيك بالنقص. وكذلك إذا نظرت في بعضه بالكمال ونظرت في بعضه بالنقص فإن بعضه ينظر فيك بالكمال وبعضه بالنقص. وإذا نظرت الوجود كله كاملًا تجده كاملًا. وإذا نظرت الوجود كله ناقصًا لا تجده إلا ناقصًا. وما توجهت لشيء طالبًا له بالصدق إلا توجه ذلك الشيء لك طالبًا بالصدق. وكذلك إذا توجهت له كاذبًا في طلبك كذلك يتوجه إليك هو كاذبًا في طلبك. وما أحببت شيئًا إلا أحبك، وما أبغضت شيئًا إلا أبغضك، وما تقربت لشيء إلا تقرب إليك، وما ابتعدت عن شيء إلا أبعد منك، لأن الوجود مثل المرآة: ما أقبلت عليه بشيء إلا أقبل عليك بمثله، حرفًا حرفًا، وذلك لأن الوجود منك وأنت منه، كل ما فعلته معك، مع نفسك فعلت، وما أكرمت إلا أكرمت، وما أحرمت إلا أحرمت. شاهده في القرآن: ﴿ **وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ** ﴾ [محمد: 38]، وقال بعض أهل الكلام في هذا المعنى:

ثمار ما قد غرست تجني * وهذه عادة الزمان

من بات منه الورى في امنٍ * بات منع الدهر في امان

خذ الحديث الصحيح عني * كما يدين الفتى يدان

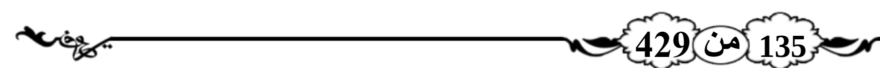
وقال: (اعلم أن حقيقة الخصوصية اجتمعت في تشييع النسبة لله وإفشائها عند

الخاص، والعام، وكذلك حقيقة العمومية اجتمعت في تشييع النسبة للمخلوق وإفشائها عند الخاص والعام.عند الخاص والعام. هذا هو الفرق بين الولي الصالح والعامي الطالح من عرف بنسبة الله فهو بالله ولله، ومن عرف بنسبة المخلوق فهو للمخلوق وبالمخلوق)، وقال: (اعلم أنه لا تكمل الولاية للمريد الذي يريد الخصوصية حتى يجمع بين تربيتين: تربية الخاصة وتربية العامة. الخصوصية يأخذها من عند أهلها وهم الخاصة، ونتائجها يأخذها من عند أهلها وهم العامة. الخصوصية لا تدرك إلا باستدلال أهلها عليها، ونتائجها لا تدرك إلا بالحك بالعامة. ولا شك أن الخصوصية ليست هي الاستدلال عليها، وإنما الخصوصية بنفسها هي النتائج التي تظهر لك، بل للخاص والعام، وإذا لم يكن الاستدلال عليه فلا خصوصية وإذا لم يكن الحك مع العامة فلا نتائج، لأجل هذا المعنى كانت طريق سيدي عبد القادر الجيلاني نفعنا الله به: السياحة فيها شرط من شروطها، قيل عشرة أعوام وقيل أربعة عشر سنة، ولا شك أن المراد بالسياحة والله أعلم الحك مع عوام الناس. كأن الاستدلال على الخصوصية علم، والنتائج عمل، وإثبات الاستدلال عليها خبر، ونتائجها عيان، والخبر بلا عيان نوار بلا ثمار، والعيان بلا خبر ثمار من غير نوار، والثمار من غير نوار لم تجر عادة الله بها. تربية العامة للمريد بمنزلة القالب للبلغة أو الشاشية، وتربية أهل الخصوصية له بمنزلة الصانعين لتلك الشاشية أو البلغة)، وقال: (اعلم أن أخل خصوصية الظاهر أهل فرق وسلاحهم فيها أسماء الحق، وأهل خصوصية الباطن أهل جمع وسلاحهم فيها مشاهدة الحق. أهل الأسماء تحصل لهم بها مواهب العلم والعمل، وأهل المشاهدة تحصل لهم بها مواهب العلم والعمل. إلا أن أهل الأسماء امتازوا بالمجاهدة ومكابدة تعب الحجاب، وأهل المشاهدة امتازوا براحة القلب والبدن، في حضرة الشهود والعيان، شغلهم لذيذ المناجاة عن كل تعب ونصب. أهل الأسماء عبادتهم محصورة بحصرهم، مقيدة بقيدهم عن علم اليقين. وأهل المشاهدة عبادتهم مكسوة بنور يخرق جميع الصدور، بارزة منهم عن عين اليقين. صاحب الاسم بدوام المجاهدة مع حجابه تحصل له أثمار العرفان، وصاحب المشاهدة بدوام الشهود في المعبود يحصل له شرف العيان وثمرة العرفان، بذلك عظمت رتبته فوق الأقران، قال تعالى: ﴿ **كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا** ﴾ [الإسراء: 20])، وقال: (اعلم أن أهل الظواهر توجهوا لطلب الخصوصية بالفعل فظفروا بها بالاسم فحصل لهم بذلك التصرف في ظواهر الوجود بأسره والبواطن لا نصيب لهم فيها، وأهل البواطن توجهوا لطلب الخصوصية بالقول ظفروا بها بالفعل فحصل لهم بذلك التصرف في مغيبات الوجود بأسره والظواهر لا نصيب لهم فيها، وأهل الجميع بين الظواهر والبواطن توجهوا لطلب الخصوصية بالاسم والفعل فظفروا بالخصوصية اسمًا وفعلًا فحصل لهم التصرف بالقول

والفعل علمًا وعملًا وصاروا يتصرفون في الوجود ظاهرًا وباطنًا غيباً وحضورًا علويًا وسفليًا. رزقنا الله محبة الجميع وجعلنا بفضله من السالكين على منهجهم القويم)، وقال: (اعلم أن أسرع ما يستدل به على خصوصية الإنسان أمران: علمه بالحقيقة أو عمله بها، وأما إذا لم يكن علم ولا عمل فلا خصوصية. وهذا العلم في الحقيقة على قسمين، وكذلك العمل بها أيضًا على قسمين: العلم بمغيبات النفوس يدلان على الخصوصية، وكذلك العمل بالوجود والعمل بالنفوس يدلان على الخصوصية، لأن من ملك العلم بمغيبات النفوس حتمًا يملك العمل بمغيبات الوجود، ومن ملك العمل بالنفوس حتمًا يملك العمل بالوجود. يكفيك في ذلك: « من عرف نفسه عرف ربه »)، وقال: (اعلم أنه مثل العامي الذي يلقي نفسه في الخصوصية، كمثل من كان من عامة الناس ثم إنه ادعى الملك: هذا لا يقدر عليه إلا الأقوياء من الرجال، كذلك الخصوصية. ولما يدعي الملك، أولًا يكون كأنه كذاب، ثم بعد ذلك يصير صحيحًا: ملكًا حقًا، كذلك الخصوصية: ول ما يدعيها صاحبها يكون كأنه كذاب أو ممازح ثم بعد ذلك هو يأخذ فيها ويطول ويثبت، وهي لا تصح له حتى تصير له حقًا حقيقًا. الملك والخصوصية: من لم يجئهما كاذب لم يجدهما حقًا. قال الشاعر:

الحـــب اخرهـــا منايـــا * واولـــه شـــبيه بـــالمزاح

وهذا المعنى إن فتشت وجدتها في كل شيء: أوله يكون كأنه كاذب، وآخره يكون صحيحًا حقًا)، وقال: (اعلم أن من ادعى الخصوصية ولم يكن في دعواه صادق أو معتمد فيها على شيخ عارف بالله صادق فإنما هو رزق ساقه الله لكل شرط فاسق)، وقال: (اعلم أن مدعي الخصوصية بالكذب اثنان. الأول: ادعى الخصوصية من غير خصوصية وهو في ذلك راض عن نفسه، مستكفي بعلمه، لم تتحرك له همة للخروج عن عالم طبعه، فهذا كاذب فاسق. ألا لعنة الله على الكاذبين. والآخر ادعى الخصوصية من غير خصوصية، وهو سائر في طريقها بمرافقة أهل التحقيق بها، فهذا وإن كان لم يحصل على الخصوصية ببدنه فهو وصلها بنيته وهمته، حمله التعشق والتشوق إليها أن ادعى أنه مستغرق بها واصل إليها، فلا شك أن النية أبلغ من العمل، مع أن هذا حصلت له النية الصادقة، وهو سائر في سيره بالعمل. صار ذلك القول بالوصل عنه، مثل هذا، ربما يطلبه منه أرباب الفن، لأنهم مع ما فيه صلاح قلوبهم، كمن أراد أن يكون ملكًا: إذا لم يدعي الملك قبل ظفره بالملك لا يظفر بملكه أبدًا. جرت عادة الله في خلقه أين ينزل الإنسان نفسه ثم يجدها، والخلق بأجمعهم لا ينزلونك إلا أين تنزل نفسك)، وقال: (اعلم أن أهل الخصوصية اثنان: مشتغل بنفسه ومشتغل بربه. المشتغل بنفسه لا يجد سبيلًا للاشتغال بربه لأن سره مجموع على تخليه



نفسه، وهمته واقفة هنالك. والمشتغل بربه أيضًا لا يجد سبيلًا للاشتغال بنفسه لأن سره مجموع على مشاهدة ربه، وهمته منتهية من ربه إلى ربه. والحق هو أن كل من يشاهد نفسه فهو محجوب عن ربه، وكل من يشاهد ربه فهو محجوب عن نفسه)، وقال: (اعلم أن الخصوصية تحصر في ثلاثة أوجه: تكون كسبية، وتكون وهبية، وتكون ميراثًا. سمعتها من الشيخ نفعان الله به)، وقال: (اعلم أن الخصوصية أربع: اثنان منهم فيهم صلاح الخلق: واحد يدل على الجنة وواحد يدل على الله، واثنان: واحد محجوب سكران أبدًا غائب في الحضرة الإلهية ولهان، والآخر مغلوب بالسكر بائح بالسر مقتول بحكم الشريعة المحمدية. الأول صاحب سلوك من غير جذب محمول على الخوف والهيبة فرارًا من النار وطمعًا في نعيم الجنة، والثاني مجذوب سالك سالم من المهالك جامع لسر الحضرتين يدل الناس على الله في الحالتين يعطي لكل ذي حق حقه، ويوفي كل ذي قسط قسطه، والثالث مجذوب لا عقل له لا يفرق بين عدوه وصديقه، والرابع ولي الله حقًا مقتول بشريعة الحق حيًا في الحقيقة حقًا ميتًا بالشريعة حقًا)، وقال: (اعلم أن أهل الخصوصية على ست فرق وأشرفهم الفرقة السادسة لأنها مرتبة الملك والتمكين. الفرقة الأولى أهل العلم الظاهر. والفرقة الثانية أهل العمل الظاهر. والثالثة الجامعون بين علم الظاهر وعمل الظاهر. والرابعة: أهل علم الباطن. والخامسة: أهل عمل الباطن. والسادسة: الجامعون بين علم الباطن وعمل الباطن. هذه الفرقة السادسة هم أهل التصرف بالمغيبات في الظواهر كلها، وأمرك بأمر الله إن قلت: كن فيكون).

الخصوصية والعمومية

وقال: (اعلم أن الخصوصية لها ظاهر وباطن، كما أن العمومية لها ظاهر وباطن، لكن ظاهر العمومية ليس كظاهر الخصوصية، وباطن العمومية ليس كباطن العمومية) وقال: (اعلم أن صاحب الخصوصية لا يدخل بلاد العمومية إلا مع أحد من أهلها مستجيرًا به لأنها ليست بلاده، وإن دخلها من غير أجير لا يدخلها إلا ذليلًا مستخفيًا من أهلها لئلا يشعرون به، دخوله إليها من غير أجير كأنه سارق. وكذلك صاحب العمومية لا يدخل بلاد الخصوصية إلا مع أحد من أهلها مستجيرًا به لأنها ليست بلاده، لا يدخلها إلا ذليلًا مستخفيًا من أهلها لئلا يشعرون به، دخوله إليها من غير أجير كأنه سارق. كان الشيخ سيدي أحمد اليماني نفعنا الله به ممن كان يدخل على بلاد العمومية مستجيرًا، كان أجيره معه لا يفارقه أبدًا، لأن البلاد تحن على صاحبها كما تحن المرأة على ولدها، وتنكر من ليس من أهلها كما تنكر المرأة غير ولدها،، ولا شك أن من دخل البلاد مع أحد من أهلها كم دخلها بالخبير لا يخشى من التلف)، وقال: (قال تعالى: ﴿ **وَاذْكُرُوا**

اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الجمعة: 10]**، وقال جل من قائل:** ﴿ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ ﴾ [العنكبوت: 45]**. الذكر أشرف العبادات كلها، وهو على قسمين: ذكر باللسان ظاهر جلي، وذكر بالجنان باطن خفي. ذكر باللسان لأهل البدايات، وذكر الجنان لأهل النهايات. حقيقة الخصوصية ذكر بالله، وشريعة الخصوصية العمل بالله لله، كما أن حقيقة العمومية لذكر لله، وشريعة العمومية العمل بالله لله)، وقال: (اعلم أن العمومية والخصوصية مجموعتان محصورتان في الذكر. ذكر العامة فرق وذكر الخاصة جمع. ذكر العامة هم فيه على فرقتين: أهل الذكر الظاهري باللسان وأهله محجوبون عن المذكور لأجل ذلك صاروا عوامًا، والفرقة الأخرى أهل ذكر قلبي معنوي وهم في غمرات الحجاب والبعد والغيبة عن المذكور، وهاتان الفرقتان هما فرقة العامة، وأهل هذا الذكر القلبي يقال لهم أهل المراقبة وهم أقوى من أهل الفرقة الأولى. والخاصة نفعنا الله بهم أهل جمع، ذكرهم بالمشاهدة والعيان، وكل واحد منهم يأخذ منها على قدر مقامه في أحواله، فصار ذكر العامة خبرًا، وذكر الخاصة عيانًا، وليس الخبر كالعيان. أهل المراقبة في دائرة الحجاب، أخذوا بقوله تعالى:** ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ [الحديد: 4]**. وأهل المشاهدة لم يشاهدوا إلا الملك الوهاب** ﴿ قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنعام: 91]**. غابوا عما سواه ولم يشهدوا إلا إياه. رزقنا الله محبتهم وجعلنا عبيدًا لعبيده، بفضله وإحسانه، لأن عبد العبيد أشرف. وإنما قلنا: إن المشاهدة جمع لأنها تحصل لأهلها بكليتهم بالظواهر، والبواطن كلها، وكل شعرة وكل عرق وكل عضو وكل جارحة تأخذ نصيبها منها. صاحبها محجوب عن كل ما سوى الحق حتى عن نفسه لأنها تسري في بدن صاحبها كسري الماء في بدن العطشان. كل شعرة منه تأخذ نصيبها، ولذا قال بعضهم: لو أشرق نور الإيمان لغطى وجود الأكوان ولوقع العيان على فقد الأعيان).**

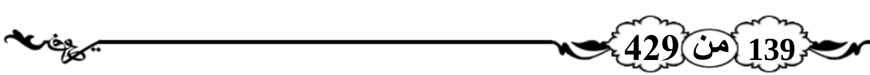
خليفة الله في أرضه

قال: (اعلم أن الله تعالى أوجد هذا الوجود، وخلق هذا الآدمي وجعله هو خليفته فيه. ما شاء الخليفة في الوجود كان في الوجود، وما لم يشأ الخليفة في الوجود لا يكون في الوجود. تصرفات الوجود بأسره لا تبرز إلا على وفق إرادة الخليفة، وإرادة الخليفة هي إرادة الله تعالى، وهو تعالى منزه عن الوجود وما فيه قد فرغ منه وقلده في عاتق خليفته الآدمي يتصرف فيه بإذنه تعالى، وتفرد هو سبحانه في علوه وكبريائه وعظمته وارتفاعه، وجعل أيضًا خليفته الآدمي هو عريس المملكة وقطبها وأميرها: الأكوان كلها عاشقة له وذلك لأن عليه مدارها علوي وسفلي. الآدمي برزخ بين حضرة الحق وحضرة الخلق، وإن كان هو بنفسه من الخلق. سبحان من اختاره



من خلقه وخصه وفضله وجمع فيه ما افترق في غيره. سبحان الحكيم العليم)، وقال: (اعلم أن الإنسان خليفة الله في أرضه، والوجود جعله الله عبداً للخليفة وهو الإنسان وهو نسخة من الوجود. فذات الوجود لا تبرز إلا على وفق ذات الإنسان، وصفات الوجود لا تبرز إلا على وفق صفات الإنسان، وأفعال الوجود لا تبرز إلا على وفق أفعال الإنسان، وأقوال الوجود لا تبرز إلا على وفق أقوال الإنسان، وعلويات الوجود لا تبرز إلا على وفق علويات الإنسان، وسفليات الوجود لا تبرز إلا على وفق سفليات الإنسان، وعز الوجود لا يبرز إلا على وفق عز الإنسان، وذل الوجود لا يبرز إلا على وفق ذل الإنسان، وجلال الوجود لا يبرز إلا على وفق جلال الإنسان، وجمال الوجود لا يبرز إلا على وفق جمال الإنسان، وخطاب الوجود لا يبرز إلا على وفق خطاب الإنسان، وعناية الوجود لا تبرز إلا على وفق عناية الإنسان. حاصله: الوجود مرآة والإنسان مقابل له، أو الوجود بمنزلة الخيال مع الإنسان يقوم بقيام الإنسان ويجلس بجلوسه ويتحرك بتحركه. سبحان من جعل صغار الحقيقة ككبرها، كما جعل كبارها كصغارها، يعني ما اجتمع في الصغيرة هو الذي تفرق في الكبيرة. سبحان الحكيم العليم)، وقال: (اعلم يا أخي أن من صحت نسبته للحقيقة حتى لا يجد بينه وبينها انفصال، هو الذي حاز ملك الدنيا والآخرة ملكًا أبديًا سرمديًا. صاحب هذا المقام هو خليفة الله في أرضه على جميع خلقه. صاحب هذا المقام هو المتصرف في الحقيقة بأسرها، على يده تنقسم أرزاق الخلائق بأسرها و وثمارها وأوبارها ولحومها وشحومها وهممها وإرادتها وتدبيراتها واختياراتها، كل ذلك لا يحصل لهم إلا على يده، حتى الأجنة في بطون الأمهات تصويرها على يديه، ولو نادته حوتة في قعر البحر المظلم في رعد الليالي وظلمة آخر الشهر لسمع صوتها في الحين وأعطاها ما سألت. الوجود عنده بأسره بمنزلة أعضائه: يسكن بسكونه ويتحرك بتحركه ويقول بقوله ويفعل بفعله ويهتم باهتمامه ويريد بإرادته. وعلامة صاحب هذه المرتبة العظمى: أنك تجده شفعه مطوي في وتره، ووتره مطوي في شفعه، وهوَ هوَ، وذاته مطوية في صفاته، وصفاته مطوية في ذاته، وهو هوَ، وشريعته مطوية في حقيقة، وحقيقته مطوية في شريعته، وهو هو، وعلوياته مطوية في سفلياته، وسفلياته مطوية في علوياته، وهو هو، وقربه مطوي في بعده، وبعده مطوي في قربه، وهو هو، وعطاؤه مطوي في منعه، ومنعه مطوي في عطائه، وهو هو، وخيره مطوي في شره، وشره مطوي في خيره، وهو هو، ورضاه مطوي غضبه، وغضبه مطوي في رضاه، وهو هو، وذله مطوي في عزه، وعزه مطوي في ذله، وهو هو، وفرقه مطوي في جمعه، وجمعه مطوي في فرقه، وهو هو، وحياته مطوية في مماته، ومماته مطوية في حياته،

وهو هو، وغناؤه مطوي في فقره، وفقره مطوي في غنائه، وهو هو، وكبره مطوي في صغره، وصغره مطوي في كبره، وهو هو، هذه بعض أوصافه. صاحب هذه المرتبة، الخلق كلهم محجوبون عنه، إلا أهل الزهد في النفس والزهد في الفلس، وهو وسط الخلق وهم لا يرونه لشدة النور الذي حق به من كل جانب، غاب عن الخلق، ظهوره في بطونه، كما حضر لهم، بطونه في ظهوره، فلم يجدوا له خبرًا وهم يصافحونه صباحًا ومساءً ويسمعون كلامه ويتكلمون معه ويرونه ولا يعرفونه. سبحان من أظهره في بطونه حتى لم يخفى عن أحد، وأخفاه في ظهوره حتى لم يجده أحد. سبحان الحكيم العليم)، وقال: (انظر يا أخي قول الله تعالى: ﴿ **وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا** ﴾ [النساء: 113]. من جملة فضل الله وإحسانه على عبده الإنسان أن جعله عريس الوجود، سلطان المملكة الربانية والأكوان كلها عبد له متعلقة به ذليلة بين يديه عاشقة له عند أمره ونهيه. ومن جملة منته عليه أيضًا أن جعله يتقلب في النعم دائمًا، ظاهرًا وباطنًا، حسًا ومعنىً، والنعم الظاهرية لا تكمل له حتى تصير معنوية، والمعنوية لا تكمل له حتى تصير حسية، وهكذا هو دائمًا. وهذا المعنى عند عامة الناس من العجائب: كون الظاهر يرجع باطنًا، والباطن يرجع ظاهرًا، والمعنى تنقلب حسًا، والحس ينقلب معنى، مع أن هذا، إذ هم ينقلبون فيه دائمًا صباحًا ومسًا، ولكن لا يعلمون. سبحان من خص بما خص، وعم بما عم، سبحان الحكيم العليم، سبحان من شرف أهل العلم بأنوار المعرفة، قال تعالى: ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [الزُّمر: 9]، وقال جل من قائل: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾ [فاطر: 28])، وقال: (اعلم أنه عند أهل الفلوس: جماعة تعني رجلًا، ورجل لا يغني جماعة. وعند أهل النفوس بالعكس: رجل يغني جماعة، وجماعة لا تغني رجلًا)، وقال: (سمعت الشيخ نفعنا الله به يقول: عند أهل الظاهر جماعة تغني رجلًا ورجل واحد لا يغني الجماعة، وعند أهل الباطن رجل واحد يغني جماعة وجماعة لا تغني رجلًا)، وقال: (اعلم أنه على قدر ما يحصل لك مع الشيخ من الأدب، على قدره يحصل لك من القرب من مولاك، لأن الآدمي خليفة الله في أرضه. من حسن الأدب من الخليفة يرجع له حسن الأدب مع مولاه، ومن لم يحسن الأدب مع الخليفة كيف يحسنه مع المولى، كما أن « **من لم يشكر الناس لم يشكر الله** » الحديث)، وقال: (اعلم أن عبودية هذا الآدمي، أعني المنسوب على الله، نسخة من عبودية الله، وذلك أن الآدمي خليفة الله ف الأرض. صار من قام بحقوق عبودية الخليفة وهو الآدمي، على كل حال يقوم بحقوق عبودية الله. ومن لم يقم بحقوق عبودية الآدمي، لا قيام له بحقوق عبودية الله، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ** ﴾ [الفتح: 10])،



وقال: (إذا أردت أن تملك الجمع عليك بالأقوال، وإذا أردت أن تملك الفرق عليك بالأفعال، والأقوال قول الباطن وهو الفكر، وقول الظاهر وهو الذكر. إذا تمسكت بالذكر وهو قول الظاهر فإنه يجر قول الباطن وهو الفكر، وإذا تمسكت بالفكر وهو قول الباطن فإنه يجر لك قول الظاهر وهو الذكر. ومهما اجتمع فيك الذكر والفكر فإن شموس الجمع تشرف عليك وتلوح من بينهما، لأن الجمع معني والأقوال كلها معاني. كأن الفكرة أنثى والذكر ذكر، فإذا تناكحا ازداد لهما ولد اسمه الجمع، كما قال الششتري رحمه الله:

لا تنظـــر للاوانـــي وحض بحر المعاني لعلـــك ان ترانـــي

والريا إذا خرجت من الأقوال فلا عجب، لأن النظر معنى والأقوال معاني، وكذلك الأفعال: فعل الظاهر وهو العوائد، وفعل الباطن وهو خرق العوائد، ومفتاح خرق العوائد هو العوائد، كما أن مفتاح العوائد هو خرق العوائد, ومهما اجتمعت العوائد وخرق العوائد فإن شموس الفرق تلوح من بينهما، لأن الأفعال كلها حسيات، والفرق كله حسي. العوائد أنثى، وخرق العوائد ذكر، فإذا تناكحا ازداد لهما ولد اسمه الفرق. وإذا أردت النتائج: اجمع قولك الظاهري والباطني يصير ذكرًا، وفعلك الظاهري والباطني يصير أنثى، وزوج الأنثى للذكر، فإذا وقع التناكح بينهما فإنهما يلدان لك ولدًا تخضع له رقاب أهل السماوات السبع والأرضين السبع بأمر الله تعالى: صفاته العلم والعمل به، وذاته النور، واسمه خليفة الله تعالى في أرضه، وأقواله كن بأمر الله فيكون وأفعاله: الوجود يقلبه في يد ككرة، وإرادته كل ما ترى يبرز في الوجود بأسره لا يبرز إلا عن مشيئته وإرادته، قدمه على قدم النبي >، وأخلاقه على أخلاقه، لأنه جليس النبي > ووديده وحبيبه في حضرة الإحسان بين يدي الملك الديان).

الخمرة

قال: (« **المرء على دين خليله** » الحديث. صار صاحب الملك ملكًا، وصاحب المملوك مملوكًا، وما أكثرت من مجالسة أحد إلا لبست حليته واتصفت بأوصافه. أنظر الحرباء، وهي تاتا، ما نزلت على شيء إلا تلونت بلونه، وعلى لونه، صارت ما لها لون، لونها هو لون من يليها. كذلك الإنسان ما له لون، لونه هو لون خليله الذي يليه ويجالسه. وهذه النسبة حازها الإنسان من امتزاجه بالخمرة الربانية، لأن الخمرة الربانية ما لها لون يختص بها بل الألوان كلهم ألوانها ولكن لونها الذي يحكم عليها به هو اللون الذي تجده فيها في الوقت، قال ابن الفارق رحمه الله في وصف الخمرة الربانية:



يقولـون لـي صـفها فانـت بوصـفها * خبيـر اجـل عنـدي باوصـافها علـم

صـفاء ولا مـاء ولطـف ولا هـوا * ونـور ولا نـار وروح ولا جسـم)

وقال: (اعلم أن الخمرة خرمتان: خمرة العبودية وخمرة الحرية. خمرة العبودية جلالية وخمرة الحرية جمالية. وإن شئت قلت هاتان الخمرتان هما خمرة واحدة إلا أنها تتلون: تارة جلالًا وتارة جمالًا، وتارة حسًا وتارة معنى، وتارة ذاتًا وتارة صفات. ومحل تلونها القلوب، ثم بعد القلوب يظهر أثرها على الأشباح ثم بعد الأشباح يظهر أثرها على الوجود علوي وسفلي)، وقال: (اعلم أن الخلق كلهم ساكرون، إلا أن سكرهم على وصفين: أقوام سكروا بخمرة الجمال، وآخرون سكروا بخمرة الجلال. خمرة الجمال من عنصر الأرواح، وخمرة الجلال من عنصر الأشباح، وهاتان الخمرتان لا ثالث لهما، والناس كلهم ساكرون بها: من لم يسكر بخمرة الجمال فهو ساكر بخمرة الجلال، ولا زائد، لا يخلو إما هذه أو هذه، فمن غلبت روحه على جسده فهو ساكر بخمرة الجمال، ومن غلب جسده على روحه فهو ساكر بخمرة الجلال، وبهاتين الخمرتين قام وجود هذا البشر أي الآدمي، وبوجود هذا البشر قام وجود الوجود، ولو عدم السكر من البشر لتلاشى، ولو تلاشى لتلاشى الوجود. صار وجود الإنسان قائمًا بوجود السكر بالخمرة، كما أن وجود الوجود قائم بوجود الإنسان. أهل خمرة الجمال ملوك لأن خمرتهم منسوبة إلى الحق، وأهل خمرة الجلال مماليك لأن خمرتهم منسوبة إلى الخلق، وإن كان الكل بالحق ومن الحق وإلى الحلق، لكن ما نسبه الحق لنفسه هو حق، وما نسبه الحق لخلقه فهو للخلق بالحق)، وقال: (اعلم أن رجل قاصد إلى الله ولم يعرف ما قصد فلم يجد إلا الله ولم يعرف ما وجد، ورجل قاصد إلى الله وقد عرف ما قصد فلم يجد سوى الله وقد عرف ما وجد، الأول مكسو بكسوة جلاله مشغول به عنه في جميع أحواله، والثاني مكسو بكسوة جامله مشغول به عنه، هذا من كمال أوصافه. الأول: شرب خمرة الحب ولم يعرفها، محجوب عن عذوبتها وعن لذتها. والثاني: شرب الخمرة وعرفها وقطف من أنوارها وأكل من أثمارها، فسبحان من أعطى وتفضل وقسم بين العباد فعدل، فهنيئًا لمن دخل من أبواب الجود والكمال، والويل ثم الويل لمن سبق عليه القول بسابق الأزل وقال: (اعلم ومن جملة كمال هذه الخمرة الربانية أن ظهرت بالكمال في النقص، والكمال من ذلك أن كمل ظهورها في جهلها حتى جهل جهلها علمها ولم يبق للعلم مع الجهل أثر أعني في حال تجليه، وكما كمل ظهرها في علمها حتى علم علمها جهلها ولم يبق للجهل مع العلم أثر أعني في حال تجليه: هذه بعض إشارات وصفها في الظهور في الأشياء وفي أضدادها أعني من قدرة وعجز، وقوة وضعف، وذل وعز، وفقر وغنى، إلا ما لا نهاية له. جعلنا الله من المهتمين بشربها الساكرين بحبها. يرحم الله القائل:

ولـو شـمتها الامـوات عـادت نفوسـهم * لاجسـامها بعـد افتـراق ومعـزل

صار من حصل على جهلها، جعل علمها، علم جهلها. من هذا الباب هلك من هلك ونجى من نجى. من حصل على جهلها فاته علمها، فحمله الجهل على وصفها بما لا يليق بجلالها وجمالها، فكان ذلك هو سبب طرده وهلاكه والعياذ بالله. ومن حصل على علمها فاته جهلها، فحمله العلم على المعرفة والأدب وكمال المحبة، فصار لا يصفها إلا ما يليق بجلالها وجمالها فكان هو سبب نجاته وفلاحه وقربه، قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾ [فاطر: 28]، فسبحان من قسم فعدل وأعطى فتفضل)، وقال: (انظر يا أخي وتأمل هذه الخمرة، كيف كملت فيها الأوصاف وتوفرت فيها الشروط، وكيف كمل نقصانها كما كمالها. سبحان من أظهرها بالكمال، في النقص والكمال، حتى صار الكل كمالاً ولا نقص. ومن ذلك، أنظر يا أخي، ما أقربها في بعدها، وما أبعدها في قربها، وما أرفعها في علوها، وما أوضعها في أسفلها، وما أكبرها في صغرها، وما أصغرها في كبرها، وما أقواها في ضعفها، وما أضعفها في قوتها، وما أغناها في فقراها، وما أفقرها في غناها، وما أعزها على نفسها، وانظر ما أوسع تفرقها، وما أضيق اجتماعها، وما أوسع عطاءها لنفسها، وما أضيق منعها على نفسها، وما أعظم خيرها مع شرها، وما أعظم شرها مع خيرها، وما أسرع إقبالها مع إدبارها، وما أسرع إدبارها مع إقبالها، وما أعظم إحسانها مع إساءتها، وما أعظم إساءتها مع إحسانها، وما أشرف محبتها وشوقها، وما أوضع عداوتها وبغضها، وما أحلى حلوها فيم رها، وما أمر مرها في حلوها، وما أشد بطشها مع حلمها، وما ألطف حلمها مع بطشها، وما أطعمها في نفسها مع قناعتها، وما أقنعها من نفسها مع طمعها، وما أكرمها على نفسها مع قسطها، وما أقسطها على نفسها مع سخطها، وما أسخطها في رضائها، وجدها في هزلها، وهزلها في جدها، وعلمها في جهلها، وجهلها في علمها، وحرها في بردها، وبردها في حرها، وحلاوتها في مرارتها، ومرارتها في حلاوتها، وارتفاع همتها في وضعها، ووضع ذروتها في ارتفاعها، وما أعرفها لنفسها، وما أجهلها بنفسها، وما أخفاها عن نفسها، وما أظهرها لنفسها، وما أفسق تخليطها، وما أفرد توحيدها، وما أذكرها لنفسها في غفلتها، وما أغفلها في ذكرها، وما أشكرها لنفسها في كفرها، وما أكفرها بنفسها في شكرها، وما أقبلها على نفسها في إدبارها، وما أدبرها في إقبالها، وما أقوى نصرتها لنفسها مع خذلانها، وما أعظم خذلانها لنفسها مع وجود نصرتها، عاشقة لنفسها، معشوقة عند نفسها، واصلة عند انقطاعها، قاطعة لنفسها عند وصالها، مضحة في بكائها، باكية في

ضحكها، ممرضة لنفسها مع شفائها، شافية لنفسها في مرضها، محيية لنفسها في موتها، مميتة لنفسها في حياتها، باسطة في قبضها، قابضة في بسطها، موجودة في عدمها، معدومة في إيجادها، حاضرة في غيبتها، غائبة في حضورها).

الخمول

قال: (ومما سمعت من الشيخ سيدي العربي } يقول: إنه سمع من أبيه الشيخ سيدي أحمد بن عبد الله يقول: إن الله تعالى يقول لعبده غدًا يوم القيامة: عبدي ألم أخمل ذكرك عن الخلق فضلًا ورحمة مني عليك. هكذا سمعتها من الشيخ، سمعها من أبيه، نفعنا الله بهم أجمعين).

الخير

قال: (اعلم أن رأس الخير كله الرجوع إلى الله في الحركات والسكنات، وكل ما يعرض لك من حقيقة ودقيقة وعدم ذلك بالرجوع إلى الأسباب وتقصير النظر لظواهر الاكتساب، قال ابن عاشر رحمه الله:

راس الخطايا هو حب العاجله * ليس الدوا إلا في الاضطرار له

وقال في الحكم: « علامة النجح في النهايات، الرجوع إلى الله في البدايات »، وقال أيضًا: « ما توقف مطلب أنت طالبه بربك، ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك »)، وقال: (وسمعته يقول: هلموا إلى خير الخير له خادم)، وقال: (اعلم أنه على قدر ما في الصلاح من خير، على قدر ما في الفساد من خير، وعلى قدر ما في العقل من خير، على قدر ما في الحمق من خير، وعلى قدر ما في العز من خير، على قدر ما في الذل من خير، لأن هؤلاء كلهم مصنوعات الله والله تبارك وتعالى جميل، وكل ما يخلق الجميل لا يكون إلا جميلًا. انظر قول سيدي عبد القادر الجيلاني في قصيدته المعروفة حيث قال:

وكل قبيح إن نسبت لحسنه * اتتك معاني الحسن فيه تسارع)

وقال: (اعلم أن كل من يجتمع باطنه لا بد أن يفترق ظاهره، وكل من يجتمع ظاهره لا بد أن يفترق باطنه، لأن الفرق لا يكون بلا جمع، كما أن الجمع لا يكون بلا فرق: هكذا جرت سنة الله في الوجود. والخير كله مجتمع في صحبة العبد مع نفسه، ولا يجد الإنسان السبيل لمصاحبة نفسه إلا بدوام القرب مع رؤساء أهل فنه يعني بمصاحبتهم:

اختر لصحبتك من اطاع * إن الطباع تسرق الطباع)

وقال: (اعلم أن الخير كله في ملاقاة الناس جميعًا، ومن أراد أن يملك الخلق طرًا فليكثر من ملاقاتهم طرًا فإنه يملكهم طرًا أحبوا أم كرهوا. أنظر طريق سيدي عبد القادر الجيلاني نفعنا الله به: من شروطها السياحة أربعة عشرة سنة، لملاقاة الخلق، والتوفيق بالله)، وقال: (اعلم أن الملك في منزلتين: في أعلى ما في الأشياء وفي أدنى ما في الأشياء. صاحب أعلى ما في الأشياء سلطان، وصاحب أدنى ما في الأشياء سلطان، وكل ما يقضى بأعلى ما في الأشياء يقضى بأدنى ما في الأشياء، قال تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَـهٌ** ﴾ [الزُخرف: 84]. كل ما يقضي الإنسان بالشيء يقضي بمقابله، كما أن الملك يعلى على الناس بعزه كذلك صاحب الذل يعلى على الناس بذله، لأن العز له سطوة والذل له سطوة، قال تعالى: ﴿ **كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ** ﴾ [الإسراء: 20]، كما أن للنور سطوة، كذلك للظلمة سطوة، وكما أن للقوة سطوة، كذلك للضعف سطوة، وكما أن للقدرة سطوة، كذلك للعجز سطوة، وكما أن للكلام سطوة، كذلك للصمت سطوة، وكما أن لأعلى ما في الناس سطوة، كذلك لأدنى ما في الناس سطوة، لأن الأشياء لا يقارنها في أفعالها إلا أضدادها، وما قابلك أحد بشيء وقابلته بضده إلا محقته، من هذه الأضداد التي ذكرنا وغيرها، ولا تتعثر الأمور إلا لمن يخدم بأعلى الأمور ولا بأسفلها، قال تعالى: ﴿ **مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ** ﴾ [النساء: 143].بهذا انقطع من انقطع ووصل من وصل. وحاصله أن الخير كله جمع في أعلى ما في الأشياء وفي أسفل ما في الأشياء والله أعلم، وهذا كله إذا كان لله وبالله ومن الله، ويكون أيضًا بشيخ مبصر أو مع أخ في الله صادق).

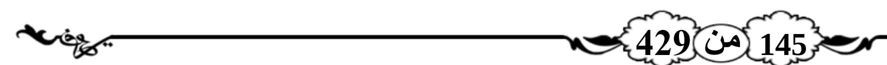
الخير والشر

وقال: (اعلم أنه ما حاز أهل الخير الخيرَ إلا أنهم مالوا لأهل الخير شيئًا يسرًا، وما حاز أهل الشر الشرَّ إلا أنهم مالوا لأهل الشر شيئًا يسيرًا، وهكذا وكل من دام في طلب شيء يستنشق أنواره ويجني ثماره)، وقال: (اعلم أن الخير كله اجتمع في سخاوة النفوس وسخاوة الفلوس، وفضل النفوس أعظم من فضل الفلوس، وفضل النفوس كل اجتمع في مساعفة النفس ومساعفة الجنس نعني الخلق هذا مع صحبة حكيم عارف بدقائق النفوس والسلوك في بلاد النفوس. وقيل الخير كله في المساعفة، والشر كله في المخالفة)، وقال: (اعلم أن الشرك هو رأس الشر كله، والتوحيد هو رأس الخير كله: هذا في العادة والعبادة، حالًا ومقالًا، حسًا ومعنى: قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** ﴾ [لقمان: 13]. والشرك معناه التخليط، والتخليط هو الفسق، والفسق هو الفساد. قال الشيخ سيدي عبد القادر الجيلاني: « وجمعك صله إن فرقك قاطع »)، وقال: (اعلم أن

الله تعالى أوجد هذا الوجود بحكمته وقدرته، وجعل هذا الآدمي نسخة من هذا الوجود، قيامه قام به الوجود، قيامه قام به الوجود حُكمه حكمه. كما أن الخير لا يرد على الوجود إلا من الحكمة أو من القدرة، كذلك الإنسان لا يرد عليه الخير إلا من باب الحكمة أو من باب القدرة، كذلك الإنسان لا يرد عليه الشر إلا من باب الحكمة أو من باب القدرة. والحكمة والقدرة هما عناصر زيادات الوجود علوي وسفلي، وكذلك الإنسان هما عناصر زيادته العلوية وزيادته أيضًا بالسفلية. الزيادة العلوية هي زيادة الخير، والزيادة السفلية هي زيادة الشر. هذا من جهة العادة، وأما من جهة الخصوصية الكل خير)، وقال: (اعلم أن الخير ما قام واستوى إلا بالاجتماع ولو تفرقوا لبطل شرهم وكذلك أهل الشر ما قام شرهم واستوى إلا بالاجتماع ولو تفرقوا لبطل شرهم. قال الله تعالى: ﴿ **وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ** ﴾ [الأنفال: 46]، وقال < : « **يد الله مع الجماعة** »، وقال الشيخ سيدي عبد القادر الجيلاني نفعنا الله به: « وجمعك صِلْه إن فرقك قاطع »)، وقال: (اعلم أن الخير ما قام واستوى لأهله إلا بالاجتماع. صار كأن موضع الخير هو موضع الشر، وموضع الشر هو موضع الخير. ثم جعل لهما ثالثًا بحكمته وهو التخليط: تخليط الخير مع الشر، وتخليط الشر مع الخير، وشغل الخلق بفرز ذلك أبدًا إلى يوم القيامة. هذا من كمال حكمته)، وقال: (اعلم أن الله تعالى خلق هذا الوجود وجعل فيه الخير والشر، وجعل الخير ممزوجًا بالشر والشر ممزوجًا بالخير. صار كأن موضع الخير هو موضع الشر، وموضع الشر هو موضع الخير، ثم جعل لهما ثالثًا لحكمته وهو التخليط: تخليط الخير مع الشر وتخليط الشر مع الخير، وشغل الخير يبرز ذلك أبدًا إلى يوم القيامة. هذا من كمال حكمته)، وقال: (اعلم أن الله تعالى خلق هذا الوجود، وجعل فيه الخير والشر، وجعل الخير ممزوجًا بالشر، والشر ممزوجًا بالخير:

صفاء ولا ماء ولطف ولا هوا * ونور ولا نار وروح ولا جسم)

وقال: (اعلم أن موضع الخير هو موضع الشر. على قدر ما يطلع الخير ويعظم، يطلع الشر معه ويعظم، والشر مرتبط بالخير لا يفارقه، كما أن الخير مرتبط بالشر لا يفارقه، وأنت برزخ بينهما. إذا ظفرت بالخير طلبك الشر، وإذا ظفرت بالشر طلبك الخير. هذا حكم الإنسان في ظاهره، وأما في باطنه ﴿ **إِنْ يَعْلَمِ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا** ﴾ [الأنفال: 70]. وكل من يملك التصرف بالخير يملك التصرف بالشر، وبالعكس، ولكن من الناس من تصرف بالخير كثيرًا وبالشر قليلًا: هذا خيره غالب على شره، ومن الناس من هو بالعكس: تصرفه بالشر كثير وتصرفه بالخير قليل، هذا شره غالب على خيره. والناس محصورون في هاتين الفرقتين)، وقال: (اعلم أن الخير كله، بابه وزربه هو الشر. من دخل الباب وشق في الزرب وصل إلى الخيل، ومن لم



يدخل على الباب لم يصل إليه « **حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات** » الحديث. وكما قال بعضهم: ما قطعوا في واد الربح حتى قطعوا واد الخسارة، والزغبي في واد الخسارة أبقى)، وقال: (اعلم أن طلب الخير الكامل، وطلب الشر الكامل، لا يظفر به حتى يعرفه جميع الناس بتشويره لفنه الذي طلب، من لم يعرفه بالعين عرفه بالاسم. ومن أراد غير هذا كمن أراد أن يكون ملكًا عند قوم وهم لا يعرفونه، هل هو موجود في الدنيا أم لا، ولم يسمعوا به)، وقال: (اعلم أن الشر والمر والمنكر، لا يكونون إلا قبل أن تذكر الله عليهم أو فيهم، ومهما ذكرت الله تعالى فيهم أو عليهم فإن الشر ينقلب من حينه خيرًا، والمر ينقلب من حينه حلوًا، والمنكر ينقلب من حينه معروفًا، لأنك مهما ذكرت الله تعالى على الأشياء: خيرياتها وشرياتها، فإن الأشياء تسقط وتفنى وتتلاشى من حينها ويبقى الله تعالى. ومن جملة الأشياء نفسك: إذا ذكرت نفسك نسيت ربك، وإذا ذكرت ربك نسيت نفسك. قال في الحكم: « لو ظهرت صفاته لاضمحلت مكوناته ». والاسم من لباب الصفات، وكيف لا تضمحل الأشياء عند ذكره، قال تعالى: ﴿ **بَلْ نَقْذِفُ بِالحَقِّ عَلَى البَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ** ﴾ [الأنبياء: 18]. وقال عز من قائل :﴿ **وَقُلْ جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ إِنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا** ﴾ [الإسراء: 81])، وقال: (اعلم أن الخير له فعل حسي ظاهري وفعل معنوي باطني، والشر كذلك له فعل حسي ظاهري وفعل معنوي باطني. الخير فعله الحسي يثبت فعله المعنوي، والشر فعله الحسي يثبت فعله المعنوي، والكمال هو ظهور الفعلين في الحس لأن ظهورهما في الحس يستلزم ثبوت الفعلين المعنويين، وثبوتهما في الحس والمعنى لا يجتمعان إلا فيمن كملت فيه الحقيقة، وقليل ما هم، لأن صاحب هذا المقام استوت فيه الخيريات والشريات. صار حاصلًا على فضل الخيريات وفضل الشريات وذلك لأنه ليس مع خيريات ولا شريات وإنما هو مع مولاه في الخيريات والشريات)، وقال: (اعلم أن بعض الناس يظهر لهم أن الخير فيه النفع والشر فيه الضر، وهو ليس كذلك، بل الخير فيه النفع والضرر، والشر فيه النفع والضرر، لأن الخير والشر حكمهما واحد. أنظر قوله تعالى: ﴿ **وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالخَيْرِ فِتْنَةً** ﴾ [الأنبياء: 35]. ولو تأملت لوجدت كثيرًا ممن يعذبه الله تعالى بالخير، وكثيرًا من يرحمه الله بالشر، لأجل هذا المعنى ترك أهل العقول الخير والشر واشتغلوا بخالق الخير والشر فكفاهم شأن الخير والشر. لما كانوا عبيدًا له، كان الخير والشر عبدين لهم. والمتوجهون إلى الله تعالى في هذا المعنى على قسمين: مبتدئ صديق، وكامل محقق. المبتدئ في توجهه إلى الله تعالى كما يضره الاشتغال بالشريات كذلك يضره الاشتغال بالخيريات والعارف المنتهي في توجهه بخلاف ذلك وهو أنه كما ينفعه الاشتغال بالخيريات ينفعه الاشتغال بالشريات، لأن الأول وهو المبتدئ باق مع الخيريات والشريات، لأجل

ذلك صار يطالب بالإعراض عن الخيريات والشريات، والاشتغال بالله، والمنتهي بخلاف ذلك، بل هو بالله في الخيريات والشريات، صار لما عرف مولاه في الخيريات والشريات، هو بالخيريات والشريات، وليس هو في الخيريات ولا في الشريات، بل هو مع مولاه أبدًا. لما عرف الحق في جميع الحالات، كان به في جميع الحالات. ولا شك أن العبد إذا كان بمولاه في كل حال، يصير يزيد بكل شيء، وينتفع بكل حال، ولا يضره حال).

الدعوى

قال: (اعلم أن صاحب الدعوى، إذا كان بالله، أو كان مرافقًا لشيخ يكون بالله، فإنه يعدل الحقيقة بأسرها، ولو كانت مائة ألف رجل لا يقومون مقامه، بل لا يقوم مقامه ملء الأرض من الرجال، وهو أرجح من الجميع. وإذا لم تكن الدعوى بالله أو بمرافقة من يكون بالله، فصاحبها مشرك. وانظر قول القائل:

إذا كنـــــا بـــــه تهنـــــا دلالا * علـــى ســـائر الحرائـــر والعبيـــد

يعطــل وإن نحــن بنــا عــدنا إليــه * يعطـــــل ذلنــــا ذل اليهــــود)

وقال: (اعلم أن الدعوى في أصلها كلها ذات، وهي على قسمين: دعوى أهل مقام ذات بلسان حالهم، ودعوى المستشرفين على مقام الذات بلسان مقالهم. الأولون رائعون في الذات، شغلهم الفعل عن القول. والفرقة الثانية مستشرفون غير واصلين، دفعهم التشوق للدعوى بلسان المقال، كما وقع للحلاج، وذلك لأنه لما وقف مع الاستشراق، وهو أول مقامات الفناء. وأما من حصل له الفناء بالفعل ففعله يبطل قوله، وإذا بطل قوله بطلت الدعوى بلسان المقال وثبتت بلسان الحال، ولا شك أن لسان الحال أفصح من لسان المقال. وأما صاحب الصفات فلا دعوى له لأنه باق في مقام العبودية، بخلاف المستشرق على الفناء يعني المدعي بلسان المقال، والرائع في الفناء المدعي بلسان الحال. وربما تبرز الدعوة من صاحب الصفات إذا كان مرافقًا لصاحب الذات فيؤثر حاله فيه لأن الصحبة هي الخير كله. ومن الأشياخ من يأمر تلميذه بها اختيارًا، إذا رآه صادقًا في طلبه فيها، فبهذا تجب عليه وجوبًا لكن بشرط مرافقة الشيخ، لأن الشيخ لا يتركه يقف في مقام الدعوى باللسان، وإنما يورد إياه، ويدفعه للذي بعده، لأن الشيخ راحل به أبدًا من مقام إلى الذي بعده، بخلاف المدعي بلا إذن ولا بمرافقة عارف فإنه تالف ولو أصاب).

الدليل

قال: (اعلم أنه لا يحتاج إلى الدليل ويستنار بالقنديل إلا في ظلمة الليل، وأما إذا انفلق الصباح وطلع الفجر ولاح فلا يحتاج إلى قنديل ولا مصباح).

الدنيا

قال: (ومما قال لي الشيخ نفعنا الله به قال لي: يا ولدي الدنيا ما اغنت مولاها قط، الغنى لا يكون إلا بالله)، وقال: (اعلم ومما قالوا الناس الذي - بهم من المشايخ الكبار وإن هذا النسب لا يثبت إلا للذي عنده الدنيا على مقدار سواء كان بها أو بلا بها ما تسوى عنده شيء سواء كانت أو ما كانت، وعلى قدر ما تخرج هي من اليد أو القلب ينال ما ينال صاحب هذا النسب منها على كل حال)، وقال: (وسأل سيدي العربي رجل من أصحابه ذات يوم فقال له يا سيدي كيف السبيل لتفريغ القلب من حب الدنيا، فقال له الشيخ: افرغ الدنيا من يدك واصبر على تفريغها فإنها تخرج من قلبك، فإذا خرجت واطمأن قلبك فعند ذلك إذا كانت في يدك لا تضرك)، وقال: (اعلم يا أخي مهما تركت الأمور لمولاها يتصرف فيها كما يشار، يردها سبحانه إليك ويمكنك من زمامها، ويأمرها أن تكون عند أمرك ونهيك تتصرف فيها بمشيئتك حتى لا يكون منها إلا ما تريد. ومهما تعرضت للأمور وأردتها أن تكون عند أمرك ونهيك، يردك مولاك إليها ويمكنها من زمامك. كانت الأمور خادمة لك مملوكة لك، فصرت أنت خديمًا لها مملوكًا لها تفعل بك ما أرادت، وشتان ما بين المالك والمملوك. سبب عبوديتك للوجود هو حب عبودية الوجود إليك، وأنت والوجود عبيد الله. وسبب عبودية الوجود إليك هو عبوديتك لله. « **يا دنيا اخدمي من خدمني واتعبي من خدمك** » الحديث القدسي)، وقال: (وقال - أي الشيخ سيدي العربي-: وكان رجل من أصحاب سيدي أحمد بن عبد الله نفعنا الله به يقال له الحاج علي سوسان، أراد الطلوع إلى الشرق فأمره سيدي أحمد إذا وصل إلى طرابلس أن يصل إلى الشيخ سيدي امحمد بن سعيد، وأعطاه كتابه يوصله إليه، فلما وصل إليه نفعنا الله به أعطاه كتاب سدي أحمد بن عبد الله، وجعل سيدي امحمد بن سعيد يسأله عن سيدي أحمد بن عبد الله وعن أحواله، فقال له: يا سيدي سيدْي أحمد بن عبد الله مكلف، أدع الله أن يوسع عليه، قال له: أسكت لا تقل هذا، كذلك الله تعالى يضيق عليه السفينة لا تسير إلا بالثقل. وأخبرني أيضًا أن الشيخ سيدي عبد الله البرناوي كتب كتابًا لسيدي أحمد اليماني، وكتب له فيه اسم الله العظيم الأعظم،

حروف مقطعة، وكتب له تحت الحروف قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا** (12) **وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا** ﴾ [المزمل: 12 - 13] الآية. وأخبرني أيضًا أن الشيخ سيدي عبد الرحمن الفاسي وقف عليه مولاي عبد السلام بن مشيش في المنام وقال له: يا ولدي طريقتان هذه لا تنال إلا بالذلة وشيء من قلة الدنيا. نفعنا الله بالجميع آمين). وقال: (اعلم أن رأس كل خير الزهد في الدنيا، ورأس كل شر هو حب الدنيا، هذا ميزان صحيح).

الدنيا والآخرة

قال: (اعلم أن الله تعالى، كما جعل في الدنيا حكم الجسد على الروح، كذلك جعل في الدنيا الحكم للشريعة على الحقيقة، وكما سيجعل في الآخرة الحكم للروح على الجسد كذلك سيجعل في الآخرة الحكم للحقيقة على الشريعة. وهاتان الفرقتان أوجدهما الله تعالى في الدنيا باثنين، ويوجدهما أيضًا في الآخرة باثنين « **يموت المرء على ما عاش عليه، ويبعث على ما مات عليه** » الحديث. أما الفرقة التي لها الحكم للجسد على الروح والحكم للشريعة على الحقيقة، فهم الذين في الدنيا بقلوبهم وأجسادهم. والفرق التي لها الحكم للروح على الجسد والحكم للحقيقة على الشريعة، فهم الذين في الدنيا مع الخلق بأجسادهم وعند الله بقلوبهم، كما قال بعضهم: « الجسد في الحانوت، والقلب في الملكوت ». جعلنا الله من أهل هذا المنهج القويم)، وقال: (اعلم أن الإنسان، كما أنه اليوم مستقر في عالم الحس، والحس لا يقوم إلا بالمعاني، ولكن دخوله للمعاني كأنه عار، كذلك يكون في الآخرة مستقرًا في عالم المعاني، ومعانيه لا تقوم إلا بالحس، ولكن دخوله للحس كأنه عار، والحكم الغالب في الوقت. كما أن في الدنيا الحكم للحس على المعاني، مع أن المعاني لا تفارق الحس، والحس لا يقوم إلا بها، كذلك ينقلب الأمر في الآخرة: يكون الحكم للمعاني على الحس، مع أن الحس في الآخرة لا يفارق المعاني، ولا تقوم المعاني في الآخرة إلا بالحس. سبحان من أتقن كل شيء بصنعه وحكمته. سبحان الحكيم العليم)، وقال: (اعلم أن الإنسان اليوم في الدنيا يتشوق لما يأتي في الآخرة، وفي الآخرة يتشوق لما فات في الدنيا. كأن الآخرة روح الدنيا، كما ستعود الدنيا هي روح الآخرة. وكما أن الآخرة هي واسطة الدنيا، كذلك ستعود الدنيا هي واسطة الآخرة. كما أن الروح اليوم كامنة في الجسد، كذلك سيعود الجسد في الآخرة كامنًا في الروح. كأن الإنسان في الدنيا حسه غالب على معناه، وسيعود في الآخرة معناه غالبة على حسه)، وقال: (اعلم أن الإنسان في الدنيا ميت حي، وسيكون في الآخرة حيًا ميتًا. وإنما قلنا في الدنيا ميت حي لأنه في الدنيا يكون الحكم لموته على حياته، وفي

الآخرة حي ميت لأنه في الآخرة يكون الحكم لحياته على موته. في الدنيا الحكم الغالب وهو الموت، وفي الآخرة الحكم للغالب وهو الحياة. صار الإنسان ميتًا حيًا، وسيكون في الآخرة حيًا ميتًا، في الدنيا مفروقًا مجموعًا، وفي الآخرة مجموعًا مفروقًا. ولا يفهم هذا الأمر إلا من تحقق أو كان عبدًا لمن تحقق)، وقال: (اعلم يا أخي عبارتان صحيحتان عن النفس، مأخوذ من بلاد الخصوصية، وكل واحد فيها منهج صار عليه بعض الخاصة. الأولى أهلها نظروا أن حياة الإنسان هي روحه، وموته هو جسده، وهو الآن في الدنيا حياته كامنة في موته. ولما كانت الحياة كامنة في الموت، صار الحكم للموت على الحياة. من أجل ذلك لم تكن للإنسان راحة في الدنيا، وسيكون ضد هذا في الآخرة وهو سينقلب حكم ذلك: كما كانت حياته وهي روحه كامنة في موته وهو جسده، سيكون في الآخرة موته وهو جسده كامنة في حياته وهي روحه، فيصير الحكم للحياة على الموت، فيحصل للإنسان من أجل ذلك الراحة. لما كان الحكم للموت كان متعوبًا، ولما صار الحكم للحياة صار مستريحًا. وأهل العبارة الأخرى نظروا عكس هذا الأمر، ونظرهم في ذلك هو أنه ظهر لهم أن الإنسان في الدنيا موته كامنة في حياته، وسيكون في الآخرة حياته كامنة في موته، وذلك لأن جسده ميت وهو الآن حي بحياة روحه، وسيكون في الآخرة عكس ذلك وهو أن روحه حية، وستكون ميتة أي بموت الجسد، كما كان في الدنيا الحكم للحياة على الموت، سيكون في الآخرة الحكم لموته على حياته. وهاتان العبارتان، كلاهما يدل على أن الإنسان حي ميت، وسيكون في الآخرة ميت حي. صارت موته لا تفارق حياته وحياته لا تفارق موته، سواء كان في الدنيا أو في الآخرة. إلا أن عادة الله جرت في خلقه أن جعل سبحانه من كل شيء اثنين، ولكن الحكم للواحد على الآخرة في الوقت، ويعقب ذلك الوقت وقتًا آخر يصير المحكوم عليه هو الحاكم، والذي كان حاكمًا هو المحكوم عليه. هذا في الإنسان وفي الوجود)، وقال: (اعلم يا أخي سبحان من حكم في عباده بين أرواحهم وأجسادهم فعدل، كما حكم في الزمان بين البرد والحرارة فعدل. جعل للأجساد سطوة وزمانًا في الإنسان مع وجود الأرواح، كما جعل للبرد سطوة وزمانًا في الوجود مع وجود الحرارة، ويعقب ذلك الحال ضده فينعكس الأمر فيجعل سبحانه بحكمته للأرواح سطوة وزمانًا في الإنسان مع وجود الأجساد، وكما ينعكس الأمر في الإنسان كذلك ينعكس في الوجود فيكون الحكم للبرد فينقلب الأمر فيجعل سبحانه للحرارة سطوة وزمانًا في الوجود مع وجود البرد. كأن زمان الأجساد مع الإنسان، وهو زمان الدنيا، بمنزلة الشتاء من الوجود. وكذلك زمان الأرواح من الإنسان، وهو زمان الآخرة، بمنزلة الصيف من الوجود. يرحم الله القائل:

غـدًا تجـازي النفـوس مـا كسـبت * ويحصـد الزارعـون مـا زرعـوا

صار الإنسان على هذا القياس: ميتًا في الدنيا والآخرة بجسده، حيًا في الدنيا والآخرة بروحه، حياته في موته وموته في حياته، ومن قال ميت فقد صدق لأنه ميت في الدنيا والآخرة، ومن قال حي فقد صدق لأنه حي في الدنيا والآخرة، ولكن في الدنيا الحكم لموته على حياته، وفي الآخرة بالعكس الحكم لحياته على موته، مع أنه في الدنيا موته ما قامت إلا بحياته، وفي الآخرة حياته ما قامت إلا بموته، ولكن الحكم للغالب في الوقت، وإنما قسنا الإنسان بالوجود لأن الإنسان نسخة من الوجود، وقيل إن الوجود نسخة من الإنسان، والكل صحيح. يقول سيدنا عبد القادر الجيلاني رحمه الله نفعان به في بعض قصائده:

ونفسـك تحـوي بالحقيقـة كلهـا * اشـرت بجـد القـول مـا انـا خـادع)

الذات والاسم

قال: (اعلم أن صاحب الاسم وصاحب الذات لكل واحد منهما كرائم وعرفان، ولكن صاحب الذات فاته بالراحة في البدن وبلذيذ المشاهدة والعيان في حضرة الملك الديان، وليست عرفان صاحب الاسم كعرفان صاحب الذات: عرفان صاحب الاسم من وراء حجاب، وعرفان صاحب الذات مكسوة بأنوار المناجاة والخطاب. عرفان صاحب الاسم من وراء الحجاب والستور، وعرفان صاحب الذات تبرز على نور تمتع به الأسماع وتصقل به مرآة القلوب في غيب الصدور. أهل الاسم حجبتهم المجاهدة عن رؤية العيان، وأهل الذات حجبوا بنور المشاهدة عن تعب الأبدان ورؤية الأكوان)، وقال: (اعلم أن صاحب الاسم موصول مجموع غرسه مؤسس بالدليل والبرهان أثمار الكرائم والعرفان وهو في ذلك متعوب محجوب، وصاحب الذات منكور مقطوع أسسه المشاهدة والعيان وأثمار العرفان والتصرف في جميع الأكوان وهو في ذلك مجذوب محبوب مستريح من التعب آمن باله من العطب. صاحب الاسم في مجاهدته، وصاحب الذات في مشاهدته، وصاحب الاسم خادم بالذات لم تقابل الذات إلا أنوار الصفات، وصاحب الذات خادم بالصفات لم تقابل الصفات إلا أنوار الذات، كأن صاحب الاجتهاد عمدته على ذاته لم يخبر بذلك لسان المقال فقد أخبر به لسان الحال وذات المخلوق فانية. وصاحب المشاهدة كان عمدته على ذات الحق وذات الحق باقية بلا شك).

الذات والصفات

قال: (اعلم أن مظاهر الحق تعالى لعباده اثنان: مظهر الذات ومظهر الصفات،

للعامة وللخاصة)، وقال: (إقبالك على الله بذاتك، يشهدك صفات الحق، وإقبالك على الله بصفاتك، يشهدك ذات الحق. جرت سنة الله بذلك أن ذاته لا تشاهدها إلا بصفاتك، وصفاته لا تشاهدها إلا بذاتك. ومن أراد أن يشهد الذات بالذات فهو جاهل بحكمة الله وسنته في خلقه، وكذلك من أراد أن يشهد الصفات بالصفات فهو جاهل بحكمة الله وسنته كيف أجراها في خلقه. قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الأَلْبَابِ** ﴾ [البقرة: 269])، وقال: (اعلم أن صاحب مشهد الجمال له جنتان: جنة الذات وجنة الصفات، وهو رائع فيهما أبدًا، إلا أنه تارة في هذه وتارة في هذه جنة الذات في غيب الغيوب، وجنة الصفات في ظواهر الحجب. جنة الذات جنة العيان، وجنة الصفات هي جنة العرفان. جنة الذات جنة القرب والتحقق، وجنة الصفات جنة البعد والتعشق. جنة الذات جنة الفناء بالصفات، والبقاء بالذات في الذات، وجنة الصفات جنة الفناء بالذات، والبقاء بالصفات في الصفات)، وقال: (اعلم أنه إذا تجلت الذات فإن أنوارها تعطي أنوار الصفات حتى لا يظهر للصفات أثر، وبالعكس، إذا تجلت الصفات فإن أنوارها تغطي أنوار الذات حتى لا يظهر للذات أثر. تجلي الذات تظهر الحسيات وتغيب المعاني، وتجلي الصفات تظهر المعاني وتغيب الحسيات. هاتان الحالتان تتعاقبان على كل إنسان. أهل العلم عالمون بهما، وأهل الجهل جاهلون بهما، والحكمة تظهر ولا تعبأ بأحد)، وقال: (اعلم أن الذات منها ما هو ظاهر ومنها ما هو باطن، وكذلك الصفات منها ما هو ظاهر ومنها ما هو باطن. وكل ما هو حس فهو ذات، وكل ما هو معنى فهو صفات، وما اجتمعت ذات وصفات في شيء إلا قام بإذن الله تعالى ولو كان مما يظهر للناس محال المحال، ولا يتعطل إلا إذا تعذر شيء من ذاته أو من صفاته)، وقال: (اعلم أن الوجود بأسره ما فيه إلا ذات وصفات، ومهما ظهرت الذات تنقض الصفات، ومهما ظهرت الصفات تنقض الذات. يعني من واجهك بالصفات قابله بالذات فإنك تغلبه، وكل من واجهك بالذات قابله بالصفات فإنك تغلبه. وسأبين لك شيئًا من الذات وشيئًا من الصفات إن شاء الله: الصمت ذات، والكلام صفات، والنظر صفات، والعمي ذات، والسمع صفات، والصمم ذات، والقرب صفات، والبعد ذات، والعطاء صفات، والمنع ذات، والعز صفات، والذل ذات، والعلم صفات، والجهل ذات، والعقل صفات، والحمق ذات، والإحسان صفات، والإساءة ذات، والإقرار صفات، والإنكار ذات، والعلويات كلها صفات، والسفليات كلها ذات، والإقبال صفات، والإدبار ذات، والظهور صفات، والبطون ذات، والأول صفات، والآخر ذات، والوصل صفات، والانقطاع ذات، والاجتماع صفات، والافتراق ذات، والعوائد كلها صفات، وخرق العوائد كلها ذات، والحياة صفات، والموت ذات، والأسباب صفات،

والتجريد ذات، والضحك صفات، والبكاء ذات، والوجد صفات، والفقد ذات، حاصله كل ما هو جلال فهو ذات، وكل ما هو جمال فهو صفات، مع أن الذات هي عين الصفات، كما أن الصفات هي عين الذات. وكل من وجهته بذات فلم يفتح عليك وجهته بالصفات فإنه يفتح على كل حال. وبالعكس كل من وجهته بالصفات فيفتح عليك وجهته بالذات فهو يفتح على كل حال. جرت سنة الله بذلك، ولن تجد لسنة الله تبديلًا)، وقال: (اعلم أن الذات تتألم بتألم الصفات، كما أن الصفات تتألم بتألم الذات، والصفات تستريح براحة الذات، كما أن الذات تستريح براحة الصفات، وهذا دليل على أن الذات هي عين الصفات، والصفات هي عين الذات)، وقال: (اعلم أن الذات هي عين الجلال، والصفات هي عين الجمال، وما ظهر على الذات من جلال إنما أصابها من صحبتها للصفات. كما أن ما ظهر على الصفات من جلال إنما أصابها من صحبتها للذات. وإذا أردت تحقيق ذلك فانظر الذات حين تفترق عنها الصفات بالموت، تجدها جلالًا محضًا، وكذلك الصفات حين تفترق عن الذات تصير جمالًا محضًا، وفي حال اجتماعهما ظهر حكم وصف الذات على الصفات، كما ظهر حكم وصف الصفات على الذات، كما أن الصفات هي عين الذات في افتراقها واجتماعها، كما أن الذات هي عين الصفات في اجتماعها وافتراقها، والاجتماع كذلك هو عين الافتراق، كما أن الافتراق هو عين الاجتماع، من أجل ذلك صارت الذات توصف ببعض أوصاف الصفات وهو الجمال، كما صارت الصفات توصف ببعض أوصاف الذات وهو الجلال. هذا من عجائب الحقيقة أنك تجدها مفترقة أبدًا، مجتمعة أبدًا، موصولة أبدًا، مقطوعة أبدًا، معطية أبدًا، مانعة أبدًا، كبيرة أبدًا، صغيرة أبدًا، قريبة أبدًا، بعيدة أبدًا، ظاهرة أبدًا، خفية أبدًا، جمالية أبدًا، جلالية أبدًا، حية أبدًا، ميتة أبدًا، معروفة أبدًا، منكرة أبدًا، حاصله: لو كان البحر مدادًا والعشب أقلامًا تكتب اختلافات الحقيقة وتدوينها وعجائبها لم يحصوا أوصافها، وما اجتمعت أوصافها إلا في الإنسان فقط. قال الشيخ سيدي عبد القادر الجيلاني في بعض كلامه في هذا المعنى:

ونفسك تحوي بالحقيقة كلها * اشرت بجد القول ما انا خاضع

لأجل هذا المعنى الذي ذكرنا صرنا نقول: العبودية كلها ذات، مع أنها مشتملة على ذات وصفات، وذلك لأن العبودية كلها جلال، والجلال في الأصل كله ذات. وكذلك أيضًا صرنا نقول الحرية كلها صفات، مع أنها مشتملة على صفات وذات، لأن الحرية كلها جمال، والجمال في الأصل كله صفات. صرنا كل ما وجدناه جلالًا نسميه ذاتًا، وكل ما وجدناه جمالًا نسميه صفات، سواء كان صفات أو ذاتًا، لأن وصف الصفات بالجلال كله عارض لا حقيقي، كما أن وصف الذات بالجمال كله عارض لا حقيقي، وأهل الحقيقة لا يسمون الشيء بالاسم العارض وإنما يسمونه

باسمه الحقيقي الأصلي، لأن اللحن في القول يثبت اللحن في الفعل، وهم ليسوا مع قول ولا مع فعل، وإنما هم مع ما يصلح قلوبهم ويجمعها على الحق، قال أبو المواهب في هذا المعنى « من ادعى شهود الجمال قبل تأدبه بالجلال، ارفضه فإنه دجال » أي اتركه فإنه كذاب. ولما كانت العبودية كلها جلالاً، فهي كلها ذات في الأصل. ولما كانت الحرية كلها جمالاً، فهي كلها صفات في الأصل. قال الشاعر:

مــن لــم يــذق ذل الــتعلم ســاعة * تجـرع كـاس الجهـل طـول حياتـه

وعالم الوجود كله ما فيه إلا ذات وصفات، كما أن عالم الإنسان بأسره ما فيه إلا ذات وصفات، لأن عالم الوجود نسخة من الإنسان، كما أن عالم الإنسان نسخة من الوجود، وعالم الوجود مقابل لعالم الإنسان، كما أن عالم الإنسان مقابل لعالم الوجود. ما ظهر في عالم الإنسان ظهر في عالم الوجود، وما ظهر في عالم الوجود ظهر في عالم الإنسان، والوجود والإنسان مرتبتان متقابلتان أبدًا)، وقال: (اعلم أنك إذا أنفقت على مولاك صفاتك، أباح لك التمتع بمشاهدة صفاته. وإذا أنفقت على مولاك ذاته، أباح لك التمتع بمشاهدة ذاته. صاحب الصفات فناؤه في باطنه ونتائجه في ظواهره، وصاحب الذات فناؤه في ظواهره ونتائجه في بواطنه. صاحب الظاهر اعتماده على القدرة أو على الخلق، وصاحب الباطن اعتماده على ذات الحق. صاحب الظاهر مفروق في جمعه، وصاحب الباطن مجموع في فرقه، صاحب الظاهر مفروق عن حضرة ربه، مجموع على حضرة نفسه، وصاحب الباطن مجموع على حضرة ربه، مفروق عن حضرة نفسه. والذات لا تظفر بها إلا بفناء الصفات في الذات. كما أن الصفات لا تظفر بها إلا بفناء الذات في الصفات، وفناء الصفات لا يكون إلا بفناء الذات، كما أن فناء الذات لا يكون إلا بفناء الصفات).

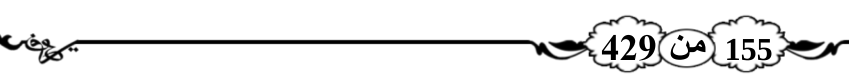
الذكر

قال: (اعلم أن الشيخ حدثنا عن أبيه ـ نفعنا الله بالجميع ـ أنه كان يقول: إذا وجدتم المريد يذكر الله في الأمور كلها فاعلموا أنه قد فاز وحاز)، وقال: (اعلم أن أهل الله هم الذاكرون الله تعالى، والذكر هو ما عقلت القلوب وذكرت الألسن)، وقال: (عالم أن الذكر على قسمين: ذكر باطني فكري وذكر ظاهري جهري. الفكري لا يطلقك إلا في الجهري، والذكر الجهري لا يطلقك إلا في الذكر الفكري، ولا شيء في الوجود أعلى وأشرف منهما باثنين، والخصوصية كلها ظاهرية وباطنية إنما هي ذكر الله. أهل الخصوصية الظاهرية أهل الذكر الجهري وهو ذكر اللسان، وأهل الخصوصية الباطنية أهل الذكر القلبي المعنود والذكر القلبي، إلا أن أهل ذكر اللسان محجوبون بمشاهدة الاسم عن مشاهدة الذات، وأهل القلوب غابوا في مشاهدة الذات عن مشاهدة

الاسم. هذا هو الفرق بين أهل الذكر الباطني وأهل الفكر الظاهري. صار أهل الفكر الظاهري محجوبين بالاسم عن مشاهدة الذات، وأهل الذكر الباطني محجوبين عن الاسم بمشاهدة الذات، والماء واحد والزهر ألوان)، وقال: (اعلم أن الذكر له ثلاثة أوجه: ذكر بالظاهر دون الباطن وصاحبه لم يحصل على شيء ولكنه يرجى خيره أن استمر على ذكره، وذكر بالظاهر والباطن وهو المطلوب وصاحبه حصل على العروة الوثقى، وذكر بالباطن دون الظاهر وهذا هو المستغرق في المشاهدة والعيان كما قال بعضهم بل شغله النظر إلى الله عما سواه، والجمع عليه فلا يشهد إلا إياه، وهذا حال الأقوياء من الرجال. جعلنا الله وإياكم من التابعين لمنهجهم القويم، بفضله وإحسانه، إنه على كل شيء قدير)، وقال: (اعلم أن الدنيا إذا كانت مضافة للذكر، ولو كانت أمثال الجبال، لا تزيد لصاحبها إلا عونًا على حاله، ونور وضوء في قلبه. والذكر إذا كان مضافًا إلى الدنيا، ولو كثر حتى لا يفتر صاحبه منه، مثله كتبر الذهب مختلطًا مع التراب، لا يحسن لك النفع به إلا إذا وجدت معلمًا حكيمًا عارفًا يخلصه لك أو يدلك على تخليصه، لأن الذكر مثله الكيمياء لو أضفت شيئًا يسيرًا منها إلى الكثير من المعادن لصار كله ذهبًا ساطعًا من تلك الإضافة، كذلك لو جمع الفاني بأجمعه وأضيف إلى الباقي لصار كله باقيًا، ولو أضيف الباطل كله إلى الحق لصار كله حقًا، ولو أضيف الناقص كله إلى الكامل لصار كله كاملًا، ولو أضيف الذليل كله إلى العزيز لصار كله عزيزًا، ولو أضيف الضعيف كله إلى القوي لصار كله قويًا، ولو أضيف الفقير للغني لصار غنيًا، ولو أضيف العاجز للقادر لصار قادرًا، ولو أضيف الميت للحي لصار حيًا، ولو أضيف الجاهل لصار عالمًا، ولو أضيف البخيل إلى الكريم لصار كريمًا، ولو أضيفت الظلمة إلى النور لصارت الظلمة نورًا، قال تعالى: قال تعالى: ﴿ **بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ** ﴾ [الأنبياء: 18]. وقال تعالى :﴿ **وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا** ﴾ [الإسراء: 81])، لأن الحق غيور، لا يدخل مكانًا فيه الباطل إلى قهره وعلا عليه، ومهما ظهر الحق تلاشى الباطل وفني وزهق حتى لا يبقى في الوجود إلا الحق. يحكى أن رجلًا كان بين يدي الجنيد فعطس وقال: الحمد لله، ولم يقل رب العالمين، فقال له الجنيد: كمل يا أخي، فقال الرجل: وأي قدر للعالمين حتى يذكر معه، فقال له الجنيد: قله يا أخي فإن الحادث إذا قرن بالقديم تلاشى الحادث وبقي القديم، قال في الحكم: يا عجبًا كيف يظهر الوجود في العدم، أم كيف يثبت الحادث مع من له وصف القدم).

الذل

قال: (اعلم أنه كما أن الحديد لا يخدم ولا يلين إلا بالنار، كذلك القلوب لا



تخدم ولا تلين إلا بالنار المعنوية وهي الذل. قال الشاذلي }: « اللهم إن القوم قد حكمت عليهم بالذل حتى عزوا، وحكمت عليهم بالفقد حتى وجدوا »، وقال الشاعر:

تذلل لمن تهوى فليس الهوى سهل * إذا رضي المحبوب صح لك الوصل

تذلل له تحظ برؤيا جماله * ففي وجه من تهوى الفرائض والنفل)

وقال: (اعلم أن ومن أعظم ما يحتاج إليه العاشق أن يتعلم الذل ويتخلق به ويلازم نفسه إياه ويربيها عليه حتى تمتزج نفسه مع الذل لمحبوبه، لأن العشق لا يصلح إلا بالذل. قيل لابن سهل اليهودي: لماذا نجد في أشعارك من الحلاوة ما لا نجده في كلام غيرك؟ قال: نعم لأن كلام الغير عليه ذلة واحدة أي ذلة العشق، وكلامي عليه ذلتان: ذلة العشق وذلة اليهودية، لأكل ذلك كان كلامي أحلى من كلام غيري. قال الشاعر:

ايا ربة الحسن التي سلبت نسكي * على اي حالة كنت فلا بد لي منك

فإما بذلك وهو اليق بالهوى * وإما بعز وهو اليق بالملك

فإن كنت في البر اتيتك راكبًا * وإن كنت في بحر اتيناك بالفلك)

وقال: (اعلم أنك تزيد ذلًا بين يدي مولاك، والأكوان تزيد ذلًا بين يديك. أنت تزيد خضوعًا وفقرًا بين يدي مولاك، والأكوان تزيد خضوعًا وفقرًا بين يديك، لأن الكون مثل المرآة، ما قابلت مولاك بشيء إلا قابلتك الأكوان بمثلها)، وقال: (اعلم أن الله تعالى خلق هذه الأكوان الخيريات والشريات الظاهريات والباطنيات العلويات والسفليات، وجعل لها مهرًا من دفع لها المهر أخذها وظفر ببعضها أو بكلها: وهو الذل لله، وجعل هذا الذل على وجهين: ذل النفس وذل الفلس، الخيريات لا تنال إلا به والشريات لا تنال إلا به، وجعله أي الإنسان ذاته قائمة بالخيريات والشريات، الإنسان متعرض لهما أحب أم كره. من لم يتذلل لمولاه بالشكر على النعم يتذلل له بالتضرع من النقم. من لم يجب داعي الإيمان يجيب داعي السلطان. من رضي فله الرضى ومن سخط فعليه السخط. صار العبد على هذا فلا محيد له عن الذل لمولاه، إذا رضي كان ذله ذل الشكر يستوجب عليه الزيادة من النعم، وإذا لم يأت لباب مولاه بالرضى أتاها بالسخط صار ذله ذل الكفر والقهر. جعلنا الله وإياك من الراضين لأحكامه المستسلمين لقضائه آمين يا رب العالمين)، وقال: (اعلم أن قول الشيخ الشاذلي رحمه الله: « اللهم إن القوم قد حكمت عليهم بالذل حتى عزوا »، يعني الذل الظاهري فعلًا معاينة لا باطني قولًا واهتمامًا. قال تعالى: ﴿ **فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالمُؤْمِنُونَ** ﴾ [التوبة: 105]، بخلاف ما عليه كثير من الفقراء اليوم، أتلفهم حب الجاه

وحب الدنيا وحب الظهور وحب الرياسة وظنوا أن الذل الباطني قولًا واهتمامًا المطلوب منهم ووقفوا معه، وأمر بعكس ذلك. لما عظم عليهم الأمر لغلظة نفوسهم فلم يستطيعوا ترحيلها عن عوالم مألوفاتها وطبعها، شفقة عليهم وخوفًا من أن تسقط مروءتهم عند الناس، جملهم ذلك على قلب حقائق العلم أن جعلوا الذل المطلوب منهم ظاهرًا جليًا، باطنًا خفيًا، واستعانوا بذلك على إقبال الخلق عليهم وتعظيم الجاه والمروءة وجمع الدنيا والدرهم بعضه على بعض، فضلوا بذلك نفوسهم عن طريق الرشاد، وأضلوا من تبعهم من العوام، لم يعلموا أن الإقبال على الخلق إعراض وإدبار عن الحق، وبالعكس. يرحم الله أبو المواهب حيث قال في قوانينه: « الولي كلما علا به المقام صغرت رؤيته في أعين العوام ». وإلا فكما أن حكم العمومية على ظاهره، كذلك حكم الخصوصية على ظاهره، والذل في هذا المعنى هو العبودية، ولا شك أن العبودية هي مفتاح كنوز الربوبية. صار من غرس العبودية وهي الذل لله ولعباد الله ظاهرًا وباطنًا، فإن غرسه يثمر بالعز لله ظاهرًا عيانًا على رؤوس الأشهاد، وهذا هو المطلوب، فيكون ممن دخل في قول الشيخ: « اللهم إن القوم قد حكمت عليهم بالذل حتى عزوا ». وأما إذا غرس العز في ظاهره عيانًا، حتمًا يثمر له بالذل الظاهري عيانًا. وأي ضلال يكون مثل الذي يتزيى بزي المنتسبين على الله، وهو يريد بذلك إقبال الخلق عليه والجاه والرياسة عليهم وجمع الدنيا وتشييع الصيت ورفع القدر عند الولاة وعند رؤساء أهل الدنيا، وقنع بذلك ورضي به بدلًا من العز بالله والغنى به عما سواه، قال تعالى: ﴿ **قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا** (103) **الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا** ﴾ [الكهف: 103- 104]. يرحم الله سيدنا ومولانا عبد السلام بن مشيش حيث قال في مناجاته: اللهم إن أقوامًا قد سألوك تسخير الخلق لهم فرضوا منك بذلك، وأنا أعوذ بك من ذلك، حتى قال: وأنا أسألك اعوجاج الخلق عليَّ حتى لا يكون لي ملجأ ولا منجى إ إليك. الخصوصية هي الزهد في عز الظواهر، ومن لم يزهد في الظواهر فلا خصوصية. « **أمرت أن أحكم بالظواهر والله يتولى السرائر** » الحديث)

الراحة والتعب

قال: (ومما قال لي الشيخ نفعنا الله به: كل ما استعصى عليك من أمور الدنيا والآخرة، اهبط فيه أسفل تجد راحتك فيه)، وقال: (اعلم أن صاحب الحقائق أولًا يلقى فيها مشقة عظيمة، ثم بعد ذلك إذا لم تهزمه تلك المشقة، يحصل له فيها راحة عظيمة. الراحة على قدر المشقة. إذا أشرقت بدايته، على قدرها تشرق نهايته. إذا لم تهزمه المشقة الأولى وتحزم في شأنه في بدايته، على قدر حزمته يكون نفعه)، وقال:



(باب التعظيم. سمعت الشيخ نفعنا الله به، يروي عن أبيه } يقول: قال: التعظيم ما له نهاية. كل من نال منزلة ما نالها إلا بالتعظيم، التعظيم ما له نهاية، والفتح يحصل للمريد على قدر التعظيم. يكون المريد أولا يطلب الفن بالتعظيم، حتى يتمكن التعظيم من ظاهره وباطنه، فيصير عند ذلك الفن يطلبه، فإذا حصلت له المعرفة بأن الفن يطلبه فإن الراحة تحصل له عند ذلك ويصير عارفًا، وإذا حصلت المعرفة انتفى الجهل، وذلك عين المطلوب، وبالله التوفيق)، وقال: (اعلم أن هذه الروح، أي روح الإنسان، جاءت من عالم الراحة وهو عالم الروحانية وهو في أعلى عليين، والجسد جاء من عالم التعب وهو عالم البشرية وهو في أسفل سافلين، وجمعهما الحق بحكمته وقدرته فكان بشرًا، سويًا. ومن حكمته تعالى أيضًا أن جعل الروح ضد الجسد، والجسد ضد الروح، ولكن حتمًا يكون الحكم لأحدهما على الآخر. فإذا كان الحكم للجسد على الروح، كان صاحبه أبدًا في تعب ومشقة لأن الجسد جاء من عالم التعب فتتعب الروح من أجله لأنها حكمته، وإذا كان الحكم للروح على الجسد كان صاحبه في راحة من التعب لأن الروح جاءت من عالم الراحة فيرتاح الجسد من أجل الروح لأن الحكم لها على الجسد فهو تحت يديها، من أجل ذلك صار في راحة لراحتها، فصار الإنسان كله عالمان: عالم الراحة وهو عالم الروح، وعالم التعب وهو عالم الجسد. العامة غلب عليهم عالم أرواحهم فصاروا في راحة أبدًا. العامة لا ينقلب حكم أجسادهم لأرواحهم إلا بعد موتهم الحسية، والخاصة انقلب حكم أجسادهم لأرواحهم قبل موتهم الحسية أعني الآن، والأمر أكثر مما يصف الواصفون. سبحان من خص الخصوص وعم العموم بحكمته).

الربح والخسران

قال: (اعلم أن الحرث كلها خسران، وثمارها كلها ربح، وكذلك جرت عادة الله في كل شيء: الربح لا يخرج إلا من الخسران، كم أن الخسران لا يخرج إلا من الربح. يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويرزق من يشاء بغير حساب. الأشجار تخرج منها الثمار، كما أن الثمار تخرج منها الأشجار. وشتان بين من كان خسرانه فرقًا وربحه جمعًا، وبين من كان خسرانه جمعًا وربحه فرقًا. الذي ربحه جمع، جمعه جَمْعُه على فرقه، صار مجموعًا. والذي ربحه فرق، فرقه فَرَقَهُ عن جمعه، صار مفروقًا. الذي كان ربحه جمعًا، قريب في بعده. والذي كان ربحه فرقًا، بعيد في قربه. الذي كان ربحه جمعًا شغل بالحق عن نفسه، والذي كان ربحه فرقًا شغل بنفسه عن الحق. الذي كان ربحه جمعًا مستغرق في المشاهدة والعيان، والذي

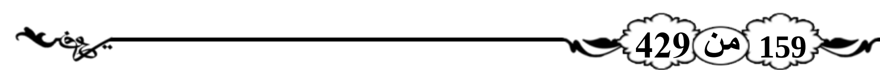
كان ربحه فرقًا مستغرق في مجاهدة نفسه والشيطان. الذي كان ربحه جمعًا جعله الله في مقام الإحسان على منهج التحقيق، والذي كان ربحه فرقًا جعله الله في مقام الإيمان على منهج التصديق. الذي كان ربحه جمعًا جعله الله خليفة في أرضه، الذي كان ريحه فرقًا جعله الله عبدًا ممتثلاً لأمره. سبحان من قسم بينهما فعدل، وخص بقربه من شاء منهما فتفضل. سبحان المعطي بلا شيء، المانع بلا شيء، سبحان الحكيم العليم).

الربوبية

قال: (اعلم قال رسول الله >: « **أمتي كالمطر لا يدرى** » الحديث. سبحان من يرحم أقوامًا بما يعذب به آخرين، كما يعذب أقوامًا بما يرحم به آخرين. سبحان من يفتح الباب للولي على يد جاهل من العوام، كما يسد الباب في وجه العامي إن شاء ولو كان مرافقًا لكثير من أولياء الله الكرام، سبحان من يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي، وهذا من كمال تصرفات الربوبية أن تنعكس الأمور على غير وفق ما تعودته منه أهل العمومية وأهل الخصوصية بل كل أهل البرية. سبحان من لا يقيد بعوائد ولا بخرق عوائد. سبحان من يخرق العوائد لأهل خرق العوائد إن شاء الله على يد من لا يعرف خرق العوائد. سبحان من لا يأمر بالفحشاء ولا يختص برحمته إلا من يشاء).

الرزق

قال: (اعلم أن الله تعالى قال على لسان نبينا > : « **من تقرب إلي شبرًا تقربت إليه ذراعًا، ومن تقرب إليَّ ذراعًا تقربت إليه باعًا** » الحديث. كذلك الرزق موصوف بأوصاف مولاه: ما تقربت إليه شبرًا إلا تقرب إليك ذراعًا، فيجب على العاقل أن يرفق على نفسه في طلبه، ويتيقن أن الأشياء كلها عاشقة للإنسان أكثر من عشقه لها، فيستريح من مذاكرة هم الرزق، والإعانة بالله عليه)، وقال: (اعلم أنني رآني الشيخ يومًا وأنا آكل طعامًا، فقال لي يا ولدي: ذاك الذي أراك تفعل هو الذي حال بين الناس وبين الأسرار كلها، وهو الاهتمام بالرزق)، وقال: (اعلم ومما قال لي الشيخ سيدي العربي نفعنا الله به، قال لي يا ولدي: من الإيمان بالغيب أن تطلب الرزق من وجوه كنت لا تظن أنك ترزق منهم لقول رسول الله > : « **أبى الله أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب** »)، وقال: (اعلم أيها الإنسان أن مادة الله تبارك وتعالى لا تنقطع على عبده أبدًا، لأنها أزلية أبدية، إلا أنه تعالى يأتيك بها من حيث أراد لا من حيث تريد، وكيف أراد لا كيف تريد. تارة يأتيك بها من جهة الحس، وتارة من جهة



المعنى، وتارة من جهة الظاهر، وتارة من جهة الباطن، وتارة من جهة الذات، وتارة من جهة الصفات، وتارة من الغيب، وتارة من الحضور، إلى ما لا يدرك ولا يحصى من تلون الأبواب. « **أبى الله أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب** » أو كما قال في الحديث. أما تعلم أن الله تعالى قادر أن يرزق عباده الزرع من غير شتاء، والشبع في بطون خلقه من غير زرع، إذا كانت هذه بعض أوصاف قدرته تعالى فكيف يتهم في الرزق وهو قسمه وفرغ منه في سابق أزله قبل أن يخلق الكون وما فيه. نسأل الله تعالى أن يكفينا عمه بفضله وإحسانه)، وقال: (اعلم أن الله تعالى جعل للعبد رزقين: رزقًا حسيًا وهو رزق البدن، ورزقًا معنويًا وهو رزق الروح، وقلب الإنسان لا تدخل فيه همتان وإنما يحمل همة واحدة فقط، إما همة الرزق الحسي أو همة الرزق المعنوي فقط. من طلب الرزق الحسي طلبه الرزق المعنوي، ومن طلب الرزق المعنوي طلبه الرزق الحسي. المشتغل بالرزق الحسي متعوب في بدنه، جاهل بنفسه، جاهل بربه. والمشتغل بالرزق المعنوي مستريح في بدنه، عارف بنفسه، عارف بربه. صاحب الرزق الحسي ظلماني القلب وإن كانت نورانيته في ظاهره، وصاحب الرزق المعنوي نوراني القلب وإن كانت ظلمانيته في ظاهره. صاحب الرزق الحسي: ظلمة الحس تتلفه عن المعاني، وإذا فقد المعاني يصير جاهلًا بنفسه، وإذا كان جاهلًا بنفسه فهو جاهل بربه. وصاحب الرزق المعنوي: نور المعنى وهو الروح يهديه للاشتغال بالمعاني، وباشتغاله بالمعاني يصير عارفًا بنفسه، وإذا كان عارفًا بنفسه فهو عارف بربه. يقول الشيخ الششتري في هذا المعنى:

«لا تنظر للاواني وخضْ بحر المعاني لعلك ان تراني

الزهد في الرزق الحسي يثبت وجود المعاني، ووجود المعاني يثبت معرفة النفس، ومعرفة النفس تثبت معرفة الله. والرغبة في الرزق الحسي تثبت عدم وجود المعاني، وعدم وجود المعاني يثبت الجهل بالنفس، ووجود الجهل بالنفس يثبت الجهل بالله)، وقال: (اعلم أن الله تعالى خلق من كل شيء زوجين، ومن جملة ذلك أن جعل لعبده رزقين: رزق حسي بدني، ورزق معنوي نوراني، وجعل كل واحد منهما يستمد من الآخر. الحسي لا يقوم إلا بالمعنوي والمعنوي لا يقوم إلا بالحسي. إذا عظمت مادة الحسي ضعفت مادة المعنوي، وإذا عظمت مادة المعنوي ضعفت مادة الحسي، سواء أحب العبد أم كره. مادة القلب نورانية، ومادة البدن ظلمانية، إذا قويت الظلمة انتفى النور وضعف، وإذا قوي النور انتفت الظلمة وضعفت. إذا قويت مادة النور، انكشفت لك به بواطن المغيبات في الملكوت العلوي والسفلي، وأشرقت عليك به شموس الحقائق في جميع الحضرات. صرت مؤنسًا بالحبيب في روضة الجمال، وساكرًا بمدام حضرة أهل الكمال، قائلًا بلسان حالك: ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ**

الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر: 34]. وإذا قويت مادة الظلام طلعت سحائب الأكوان واستوت على مرآة قلبك، فحجبت عن شموس العرفان، فأنت إذ ذاك من أبناء جنسك. فإن كنت عارفًا بجميع أحوالك فاعلم أنه تجلى فيك بكمال أوصافه، وظهر فيك بما لا ينسب إليك من جميل أفعاله. ثم إنه إذا أراد أن يتم نعمته عليك فرضي به منك إليه، لئلا يفوتك خير الحضرتين: خير حضرة ربك وخير حضرة نفسك: خير حضرة ربك يقويك به على حضرة نفسك، وخير حضرة نفسك يقويك به على حضرة ربك، والكل منه وإليه، قال جل من قائل: ﴿ **وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا** ﴾ [إبراهيم: 34]. هذا مقام الخاصة الحمادون، الذين يحمدون الله على كل حال. وأما خاصة الخاصة، هم أهل الفناء، لا يشهدون موجودًا سوى الحق. صاحب الفناء، صارت عنده حضرة نفسه هي حضرة ربه، وحضرة ربه هي حضرة نفسه، اجتمع سره على مولاه، لا يشهد إلا إياه، ولو كلف غير ذلك ما أطاقه. جعلنا الله منهم بمحض فضله وكرمه).

الرشاد

قال: (اعلم أن لا يدخل الحضرات كلها من ظهر عليه أثر الرشاد، وإن لم يظهر عليه أثر الرشاد يحرم عليه ذلك بإجماع أرباب الحقيقة، لأنه إن دخل لحضرة غير أهل فنه قبل أن تتوفر فيه الشروط فقد عرض نفسه للهلاك، ولا يحل لامرئ أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه. ومن أوصاف أثر رشاد المريد أن يكون يأكل من الأشياء كلها ولا تأكل الأشياء منه شيئًا يعني إذا باشر الأشياء يظهر أثره فيها ولا يظهر لها فيه أثر. ومن أثر الرشاد أيضًا في المريد أن يكون عارفًا بأحكام الحقائق العلويات كما يكون عارفًا بأحكام الحقائق السفليات، كما قال المجذوب رحمه الله:

يمنـــــي وعســــري مســـــرح * نضـــــرب بهـــــذي وهـــــذي

ما امتنع له شيء من العلويات إلا أخذه بالسفليات، وبالعكس، والأوصاف لا تتناهى. ولا يكمل الرشاد للمريد حتى يكتب له الإجازة أهل وقته من أهل فنه، وأما قبل ذلك فهو لم يزل محجورًا، ولو وصل ما وصل، إذ هو لا يعرف الرشاد من نفسه حتى يعرفه فيه غيره)، وقال: (اعلم أنه لا يرشد الولي نفسه حتى يموت ويحيى ثم يموت ثم يحيى. الموتة الأولى: الفناء الظاهري، والحياة التي بعدها: البقاء الباطني. والموتة الثانية: الفناء الباطني، والحياة التي بعده: البقاء الظاهري. الفناء الظاهري هو سبب البقاء الباطني، والبقاء الباطني هو سبب الفناء الباطني، والفناء الباطني هو سبب البقاء الظاهري. الفناء الأول الظاهري بعد من الخلق وتوجه إلى الحق، والبقاء الباطني وصول إلى الحق وتوجه إلى الخلق بالحق، والفناء الباطني جمع بين حضرة الحق

وحضرة الخلق، والبقاء الظاهري جمع الجمع بالحق للحق في الحق عند الحق، كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان).

الرفع والوضع

قال: (اعلم أن الرفع والوضع حقيقتان لهما تأثير عظيم. الرفع يكون في الحس ويكون في المعنى، والوضع كذلك أيضًا يكون في الحس ويكون في المعنى. صاحب الرفع تعظم مادته على قدر رفعه وتضعف مادته على قدر وضعه، وصاحب الوضع بالعكس تعظم مادته على قدر وضعه وتضعف على قدر رفعه. صاحب الرفع إذا جلس على كرسي تكون مادته أقوى من أن يكون جالسًا على الأرض، وصاحب الوضع إذا جلس على الأرض تكون مادته أقوى من أن يكون جالسًا على كرسي. صاحب الرفع ولو رفع مقدار عرض الأصبع حسًا أو معنى تتسع مادية على قدر ذلك، وصاحب الوضع لو وضع مقدار أصبح حسًا أو معنى اتسعت مادته على قدر ذلك. إلا أن صاحب الرفع يضاف لجهة الفرق أكثر من جهة الجمع، وصاحب الوضع يضاف لجهة الجمع أكثر من جهة الفرق، وصاحب الفرق مقطوع، وصاحب الجمع موصول، فلأجل هذا المعنى تجد هؤلاء المشايخ { يتبعون سنة النبي > في الوضع، ولا يدلون مريدهم إلا عليه، لأن النبي > كان مربيًا للإنس والجن وكانت سنته فيهم كقوله: « **اللهم أحيني مسكينًا وأمتني مسكينًا واحشرني في زمرة المساكين** » أو كما قال، مع أنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وأخبره الله تعالى بأنه أفضل ولد آدم، ومع هذا كان > متواضعًا لأنه كان مربيًا، فلهذا تجد هؤلاء المشايخ المربين لا يدلون أصحابهم إلا على الوضع كقوله الشاذلي: « واجعلنا عبيدًا لك في جميع الحالات »، وانظر قول الششتري:

غنـــــــائي فـــــــي فقـــــــري * وعـــــــزي فـــــــي ذلـــــــي

وانظر قول ابن الفارض:

واعجـــب شـــيء كلمـــا زدت ذلـــة * إليهم ارى قدري في الناس بهم يعلو

قال تعالى: ﴿ **وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الوَارِثِينَ** ﴾[القصص: 5].

الزهد

قال: (اعلم أنه ليس العجب ممن يلبس المرقعة ويصوم النهار ويقوم الليل ويصطحب مع هذه الحالة، إنما الجب ممن يلبس الثياب الرفيعة ويفطر النهار وينام

الليل ويصطحب مع هذه الحالة. ليس الزاهد في الدنيا من تركها، وإنما الزاهد في الدنيا من اصطحب معها. ليس الزاهد في الدنيا من وجدها وتركها، إنما الزاهد في الدنيا من استوى عنده وجودها وعدمها. ليس الزاهد في الدنيا من تركها وترك أمرها، إنما الزاهد في الدنيا من عرف الله في إقبالها وإدبارها).

الزيادة

قال: (اعلم أن من ضعفت له الزيادة من أهل العادة أو من أهل خرق العادة، عليه بخرق العادة، وذلك لأن الداء هو عين الدواء، والدواء هو عين الداء: هذا لمن كان بالله أو لله. سأل رجل بعض العارفين فقال له: يا سيدي متى يكون داء النفس دواها، قال: يكون داء النفس دواها إذا تخالف هواها. صار من أراد خرق العادة في العادة أو في خرق العادة كما قلنا، عليه بخرق العادة في العادة أو في خرق العادة. يرحم الله القائل: « ودواني بالتي كانت هي الداء ». حاصله: من لم يخرق العوائد في العوائد أو في خرق العوائد، فلا نصيب له في خرق العوائد)، وقال: (اعلم قال لي الشيخ رحمه الله: اعلم يا ولدي أن الزيادة كلها حسية ومعنوية كلها في الوحلا. من وجد الوحلا وجد الزيادة، ومن لم يجد الوحلا لم يزد الزيادة. كل من فرغت له الوحلا بطلت زيادته. صارت زيادة الوجود كلها مرهونة في الوحلا، إذا حصرت الوحلا حضرت الزيادة، وإذا غابت الوحلا غابت الزيادة)/ وقال: (ومما أخبرني الشيخ رحمه الله أن سيدي قاسم الخصاصي } كان في بدايته إذا تقوت عليه نفسه كان يخرج إلى جبل زالغ ويطوف به من الجهتين ويرجع إلى المدينة. كانت تريع نفسه، ومقصوده في ذلك كان يوحل نفسه، ومهما وحل نفسه تقع له الزيادة: زيادة علم وزيادة عمل)، وقال: (ومما قال لنا سيدنا: الفقير هو الذي يكون كثيرًا الوحايل، على قدر ما تعظم الوحلا للفقير على قدرها يكون الفتح، ومن لم يوحل ليس بفقير، مثل أهل الدنيا بدنياهم إذا لم يوحل صاحب الدنيا لم ينتج له فيها شيء، وعلامة الصدق في الشغل هو الوحلا فيه، على قدر الوحلا تكون النتيجة في الفتح)، وقال: (اعلم أن الزيادة لها أولاد، والنقص، له أولاد، ولكن أولاد النقص أكبر من أولاد الزيادة)، وقال: (اعلم أن كل من يقبل الزيادة يقبل النقصان، وكل من يقبل النقصان يقبل الزيادة، ومن لا يقبل زيادة لا يقبل نقصانًا، ومن لا يقبل نقصانًا لا يقبل زيادة، وهكذا)،، وقال: (اعلم أن زيادة الظاهر هي النقص عند أهل الباطن، وكذلك الزيادة عند أهل الباطن هي نقص عند أهل الظاهر، وأهل الجمع بين الظاهر والباطن: الجميع عنده زيادة ولا نقص، وذلك لما عرفوا أن الزيادة مادة واحدة إلهية أبدية، إلا أنها تارة تدفع في الظاهر وتارة تدفع في الباطن، فإذا دفعت في الظواهر تكون حسية، وإذا

دفعت في البواطن تكون معنوية. وإن شئت قلت: في الظواهر شرعية وفي البواطن حقيقية. وإن شئت قلت: في الظاهر جلال وفي الباطن جمال. وإن شئت قلت: في الظاهر فرق وفي الباطن جمع. وإن شئت قلت: في الظاهر عبودية ملك وفي الباطن حرية ملك، وهكذا إلى ما ليس له حصر من تلونات بروزها)، وقال: (اعلم أن النار الحسية لا تهيج ويكثر وقيدها إلا إذا ألقي فيها ضدها وهو الحطب، فإذا زدت منه شيئًا زادته هي إيقادًا واشتعالًا، وإذا لم يلق فيها نقصت شيئًا فشيئًا حتى تصير رمادًا. كذلك النار المعنوية هي المحبة، وحطبها الحس، فإذا زدت شيئًا من حطب الحس في نار المحبة زادت هي وقودًا واشتعالًا، حتى تقطع عنها الحطب فإنها تقص وتترمد حتى لا يوجد له خبر، فالزيادة باجتماع الشروط، والنقص من عدم الشروط)، وقال: (اعلم أنه أهل الباطن، لأن عادة الله في جميع خلقه: من طلب الزيادة طلبته الزيادة، ومن استغنى عنها استغنت عنه، قال تعالى: ﴿ **وَيَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى** ﴾ [مريم: 76]، وقال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ** ﴾ [التوبة: 60]، لأن القانع لا نصيب له في الزيادة، ومهما غابت الزيادة ظهر النقص. القناعة من الله حرمان. قال الششتري رحمه الله في بعض كلامه: « من لا هو في زيادة فهو في نقصان ». انظر قول النبي > : « **كل المجلسين حسن، ولكن مع هؤلاء أمرت أن أجلس** » وجلس مع الفقراء، أو كما قال >. وقوله أيضًا: « **اللهم أحييني مسكينًا وأمتني مسكينًا واحشرني في زمرة المساكين** » أو كما قال >. لأجل هذا المعنى تجد العارفين بالله لا ينكرون الأغنياء ويجالسون الضعفاء، ولا شك أن أساس الطلوع هو النزول، وعلى قدر النزول يكون الطلوع، كما أن أساس النزول هو الطلوع، وعلى قدر ما يكون الطلوع يكون النزول، وهكذا)، وقال: (اعلم أن الحقيقة هي التي لم يتعودها الإنسان، والشريعة هي ما تعودها الإنسان، لأجل ها المعنى تجد العارفين { دأبهم التنقل أبدًا وذلك لأنهم وجدوا عنصر الزيادة فيه، ويفهم من ذلك أيضًا أن مرادهم من ذلك دوام الرحلة ليستمر اضطرارهم. قيل: العارف لا يزول اضطراره ولا يكون مع غير الله قراره)، وقال: (اعلم أن الوجود كله دائر على الزيادة وطالب لها، ومنبع الزيادة وعنصرها: خلفة ترقي أو خلفة تدلي، يعني إذا زاد الإنسان خلفة إلى فوق وجد الزيادة، وكذلك إذا زاد خلفة إلى أسفل وجد الزيادة. في هاتين الخلفتين انحصرت الزيادة كلها، أعني زيادة الوجود كلها، عرفها من عرفها من أهل الحكمة والمعرفة بالله وجهلها من جهلها من أهل العتو والجهد والتخليط والظلمة. لكن العامة يطلبون الزيادة الفوقية ويعرفونها، وينكرون الزيادة السفلية ويفرون منها. وهاتان الزيادتان لا مجيد للإنسان عنهما، بل للإنسان وغيره مادتان يتواردان على الوجود تارة هذه وتارة

هذه، جرت عادة الله بهما وحكمته في خلقه، لا راد لحكمه ولا معقب لأمره. وأهل هذه الطريقة الشاذلية { ألهمهم الله بحكمته فعرفوها وعلموا بها واصطحبوا معها، فبذلك استوت عندهم الأشياء وأضدادها، حلوها ومرها، خيرها وشرها، عطاؤها ومنعها، حياتها وموتها، صحتها وسقمها، مدحها وذمها، إقبالها وإدبارها، وفوقها وسفلها. لو وزنوا في جميع أحوالهم، ما رجح حال بحال، كما قال الشيخ القطب الرباني أبو الحسن الشاذلي جعلنا الله من السالكين على منهجه القويم: « واجعلنا عبيدًا لك في جميع الحالات ». صار أهل هذه الطريقة { ينتفعون بالشريات كما ينتفعون بالخيريات، وذلك لما حصل لهم « **كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر بـه** » الحديث، صاروا لا يشهدون سواه، كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان. من أجل ذلك غابوا عن كل شيء وحضروا في كل شيء. يرحم الله القائل:

بـــــين الطلـــــوع والنـــــزول * تخبلـــــــــــت العـــــــــزول

افنـــــــى مــــــن لـــــم يبــــق * وابقـــــى مــــن لـــــم يـــــزل)

وقال: (اعلم أن الوجود كله واحد: بعضه من بعض، عاشق بعضه لبعض، مشتاق بعضه لبعض حتى يلتقي بعضه ببعض، وينكح بعضه لبعض، فيلد بعضه ببعض، فتبرز الزيادة بين البعض والبعض، والزيادة على وجهين: زيادة تدلي وزيادة ترقي)، وقال: (اعلم أن الحقائق كلها على قسمين: زيادة حسية وزيادة معنوية. زيادة الحس جمالية الظاهر جلالية الباطن، وزيادة المعنى جلالية الظاهر جمالية الباطن)، وقال: (ومما قال لي الشيخ نفعنا الله به: اعلم أن الأشياء لا تظهر نتائجها حتى تقارن مع أضدادها، ومهما قرنت الأشياء بأضدادها فإن نتائجها تزهر وتلوح مثل الشمس، من زيادة علمها وزيادة عملها، قولًا وفعلًا، حسًا ومعنى، لأن زيادة الوجود كلها في مقارنة الأضداد، هكذا جرت عادة الله في ملكه، سبحان الحكيم)، وقال: (اعلم أن الحقيقة والشريعة كأنهما ضدان لبعضهما البعض، يجتمعان بالجمع، ويفترقان بالفرق، وكل ما تعقده الحقيقة تحله الشريعة، وكل ما تعقده الشريعة تحله الحقيقة، وزيادة الوجود كلها بين ذلك العقد وذلك الحل. وإن شئت قلت: كل ما توجده الشريعة تفقده الحقيقة، وكل ما تفقده الشريعة توجده الحقيقة، وزيادة الوجود كلها بين ذلك الفقد وذلك الوجد، وإن شئت قلت: كل ما تصلحه الحقيقة تفسده الشريعة، وكل ما تصلحه الشريعة تفسده الحقيقة، وزيادة الوجود كلها بين ذلك الإصلاح وذلك الإفساد. وإن شئت قلت: كل ما تعزه هذه تذله الأخرى، وبالعكس، وزيادة الوجود كلها بين



ذلك العز والذل. وإن شئت قلت: كل ما ترفعه هذه تضعه الأخرى، وبالعكس، وزيادة الوجود كلها بين ذلك الرفع وذلك الوضع، إلى ما لا نهاية له من اختلاف الحقيقة والشريعة، وزيادة الوجود بأسرها علوي وسفلي، كلها منبعها بين تلك الاختلافات. يرحم الله الششتري حيث يقول:

بـــــين الطلــــوع والنــــزول * تخبلـــــــــت الغـــــــزول

افنــــــى مــــــن لــــم يبـــق * وابقــــى مــــن لــــم يـــزل)

وقال: (ومما قال لي الشيخ نفعنا الله به قال لي: نحن قوم نزيد بالحضرة ونزيد بالهدرة، ولا نترك الحضرة، ولا نترك الهدرة. إن وجدنا السير بالحضرة سرنا، وإن وجدنا السير بالهدرة سرنا، ونحن مع ما بين من مولانا، وهبيًا كان أو كسبيًا، لأن الكل به ومنه وإليه)، وقال: (اعلم أنه من أراد أن يملك الزيادة حتى تكون طوع يده، أعني زيادة الحسيات وزيادة المعاني، فليعود نفسه ملاقاة الرجال خصوصًا وعمومًا، لأن الوجود كله زيادته محصورة في الحس والمعنى وعنصر الزيادة في الملاقاة. من ملك الملاقاة لم يمنع الزيادة أبدًا، ومن ملك الزيادة حتى تكون طوع يده فقد ملك الحكمة، قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ** ﴾ [البقرة: 269])، وقال: (اعلم أن توليد الفن هو حياته وزيادته وعدم توليده هو موته ونقصه، لأن من لم يكن في زيادة فهو في نقصان. ومن جملة توليد الفن مواصلة أهل الفن بالنفس وبالفلس. من التوليد بالنفس: كثرة الكلام مع أهل فنك، وكثرة السمع لحديثهم، وكثرة النظر إليهم، وكثرة الشم لروائحهم، وكثرة الجلوس معهم، والسير بالأقدام إليهم على الدوام. ومن التوليد أيضًا: التشبه بهم والتزي بزيهم وأحوالها ومن توليد الفن بالنفس أيضًا: كثرة الجولان في البلدان، وكثرة الملاقاة الخلق خصوصًا وعمومًا، حتى لا يعرض عن أحد ممن لاقاه من الخلق فقيرًا أو غنيًا أو عاميًا أو مفلسًا، أو من أهل المخزن، أو من أقوياء الناس أو من ضعفائهم. الضعفاء لا يولد فنهم إلا مع أهل فنهم، وأما الأقوياء فيولد فنهم مع أهل فنهم ومع غير أهل فنهم. ومن أراد توليد فنه من أهل الخصوصية: أولاً يلد مع بني آدم ثم مع الحيوانات ثم يلد مع الجمادات ثم الهوائيات ثم مع العلويات ثم مع السفليات، ثم مع نفسه بنفسه لنفسه، حتى لا يجد في الوجود إلا نفسه. وأما توليد الفن بالفلس فبسخاوته به وإنفاقه على أهل الفن كما قيل: « المحبة من غير أنفاق نفاق »، وكما قال الشاعر:

انفــــــق علــــــى المحبـــــوب * روحــــــــك مـــــــع مالـــــــك

واشـــــــر لـــــــه مركـــــــوب * مـــــــن طيـــــب راس مالـــــك

كـــــــي تــــــدرك المرغــــــوب * وتبلــــــــــــغ امالــــــــــــك

ومن جملة فضله تعالى عليك أن جعل لك الوصول إليه بهذين البابين: باب نفسك وباب فلسك. سبحان المعطي)، وقال: (اعلم أن صاحب الحقائق السفلية إذا ضعفت مادته من جهة الحس أو من جهة المعنى، وأراد تقويتها فعليه بالهبوط إلى الحقائق السفلية فإن مادته تتقوى من حينه حسًا ومعنى، ولا يفيده سوى الهبوط للسفليات فإن الزيادة تقع في الحيان. وصاحب الحقائق العلوية إذا ضعفت مادته من جهة الحس أو من جهة المعنى وأراد تقويتها فعليه بالطلوع للحقائق العلوية فإن مادته تتقوى وتقع الزيادة له في الحس والمعنى، ولا يفيده شيء سوى الهروب للعلويات، قال تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَـهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَـهٌ** ﴾ [الزُّخرف: 84]. صار أهل العلويات مهما يصعدون يجدون الله، وأهل السفليات مهما ينحدرون يجدون الله، والذين وجدوا الله ما فقدوا شيئًا، والذين فقدوا الله ما وجدوا شيئًا).

السارق

قال: (اعلم أن السراق السريقة الذي يقوم عليها بالبياع ما هي مثل الذي يقدم عليها بلا بياع. الذي تكون بالبياع يقدم واصل إليها ويرفدها، والذي تكون بلا بياع ربما يتغشم ويرفد الحاجة الذي تسوى مثقال ويترك بقربها الذي تسوى قنطار وهو لا يشعر).

السجود

قال: (اعلم أنه لا يحصل على ثمرات الإيمان إلا من سجد سجدتين: سجود شرعي للفق وسجود حقيقي للجمع، كما قيل: من تشرع ولم يتحقق فقد تفسق، ومن تحقق ولم يتشرع فقد تزندق، ومن جمع بينهما فقد تحقق. « من يطع الرسول فقد أطاع الله »، وقال تعالى: ﴿ **مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ** ﴾ [النساء: 80]. قال بعضهم: ﴿ **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** ﴾ [آل عمران: 31] ، يعني ميلاد الحس وميلاد المعنى، وإن شئت قلت ميلاد الشريعة وميلاد الحقيقة، وإن شئت قلت ميلاد أرضي ترابي وميلاد سماوي هوائي، وإن شئت قلت ميلاد في حضرة الخلق وميلاد في حضرة الحق، وإن شئت قلت ميلاد الجلال وميلاد الجمال، وإن شئت قلت ميلاد الطين وميلاد اليقين، وإن شئت ميلاد في عالم الأشباح وميلاد في عالم الأرواح، وإن شئت قلت: ميلاد بالذات وميلاد بالصفات)، وقال: (اعلم ومما أخبرني به الشيخ سيدي العربي نفعنا الله به عن براءة (رسالة) كان كتبها الشيخ سيدي محمد بن سعيد للشيخ سيدي أحمد بن عبد الله نفعنا الله بالجميع، من جملة ما كتب له فيها قال له: إني رأيت في حال ورد عليَّ رأيت أهل السماوات السبع وأهل الأرضين السبع كلهم ساجدين إلى الله تبارك وتعالى إلا أنا لم

أسجد. فلما رأيت ذلك نكرت ذلك على نفس. وقوله لم أسجد يعني لم أقدر على السجود. قال: فلما نكرت ذلك وأخذت في نفسي، فبينما أنا كذلك إذ سمعت النداء لعي من قبل الله تعالى وهو ينادي باسمي: يا فلان السجود لا يمكن إلا لمن بينه وبين الله حجاب وأما من رفع عنه الحجاب لا سجود عليه. شرفنا بذكر هؤلاء الرجال وجعلنا من المتعلقين بأذيالهم آمين).

السعاية

قال: (ومما فتح الله به عليَّ: وجدت في السعاية خصلتان ليس في الوجود أشرف منهما: الأولى: ذل النفس لله واستضعافها إليه بين يدي الأقران وهذه الخطة هي أشرف الخصال لقوله تعالى: ﴿ **وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ** (5) **وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ** ﴾ [القصص: 5 - 6]، والثانية: ذكر الله تعالى وهي أيضًا أكبر الخصال كلها لقوله تعالى: ﴿ **وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ** ﴾ [العنكبوت: 45]. وهاتان الخصلتان: ذكر الله والذل بين يدي عباد الله لم أجدهما مجموعتين إلا في قول الساعي: « إمتاع لله لله ». ولا شك إن ذكر الله ما قرن بشيء إلا أفناه ولا يبقى إلا ذكر الله. وأما الذل لله بإجماع أهل التحقيق والتدقيق وهم أرباب الحقيقة وأشياخها أنه هو مفتاح الفتوحات كلها ومنشأ الخيرات بأجمعها. وأشياخ الحقيقة { هم المشاهير مثل أبي الحسن الشاذلي وأبي العباس المرسي وابن عطاء الله، ومنبع سرهم مولانا عبد السلام بن مشيش، وعبد القادر الجيلاني، وابن وفا، وأبو مدين الغوث، وسيدي أحمد بن يوسف الملياني، ومولانا عبد الله الغزواني، والتباع، والجزولي، وسيدنا عبد الرحمن المجذوب، وسيدي يوسف الفاسي، والشيخ الغزالي، والإمام الششتري، والإمام الجنيد، وأمثال هؤلاء الرجال، متعنا الله بهم ورزقنا محبتهم آمين)، وقال: (اعلم أني كنت في زمن الصبا نسمع أهل الدنيا يتمازحون مع بعضهم ويقولون: السعاية هي الملك الأصغر. فلما بلغت زمن الكهولة، وعقلت وفهمت، وجدتها والله هي الملك الأكبر، لأني نظرت وحققت فلم أجد شيئًا أسرع لقتل النفس من تذللها للأقران، خلاف من قال: إنما تموت بالتذلل لله، مع أن التذلل لله حاصل لكل أحد حتى للكافر، لأن التذلل للعظيم ليس تذلل، وإنما التذلل حقًا هو التذلل للحقير وهو العبد).

السماع

قال: (سمعت الشيخ نفعنا الله به يقول: الآلات يعني السماع يتفاوت بحسب السامعين: حرام مكروه، حلال واجب. لأهل كل مقام مقال).

سيجزيهم وصفهم

قال: (اعلم أن السالك يقره العامة وينكره أهل الفناء يعني الخاصة، والمجذوب يقره الخاصة وينكره العامة، والسالك المجذوب يقره العامة كما يقره الخاصة: ولما كان هو لا ينكر أحدًا صار لا ينكره أحد. والإنسان كله جرت عادة الله فيه أن وصفه يعود عليه، قال جل من قائل: ﴿ **سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ** ﴾ [الأنعام: 139])، وقال: (مادة الله لعباده على نعت ضمائرهم وأقوالهم وأفعالهم، لا زائد. قال تعالى: ﴿ **بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ** ﴾ [المؤمنون: 71]. وقال جل من قائل: ﴿ **سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ** ﴾ [الأنعام: 139]. سمعت من الشيخ قال لي: كان الشيخ سيدي أحمد بن عبد الله نفعنا الله بالجميع يقول: ألسن الخلق إذا مالوا للخير أغنوا وذا مالوا للشر أخلوا)، وقال: (اعلم أن مسألة السر لا تكون إلا بالسر مع أهل السر، ومهما يظهر فيها الجهر تفسد، ومسألة الجهر لا تكون إلا بالجهر مع أهل الجهر، ومهما يظهر فيها السر تفسد، وهكذا، والإنسان كل ما يصيبه من نفسه، لا خير إلا من نفسه، ولا شر له إلا من نفسه، وذلك أن الإنسان لا يقابل الوجود إلا بما في نفسه، خيرًا كان أو شرًا، والوجود كذلك أيضًا لا يقابلك إلا بما تقابله به خيرًا كان أو شرًا، حرفًا حرفًا، من غير زيادة ولا نقصان، كما أن الوجود مقابل للإنسان كالمرآة ﴿ **إِنْ يَعْلَمِ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا** ﴾ [الأنفال: 70]، ولو اجتمعت أهل السماوات وأهل الأرض على أن يصيبوك بشر، وأنت في طويتك خيرًا، لا يقدرون على ذلك. ولو اجتمعوا أيضًا على أن يصيبوك بخير، وأنت منطوي في نفسك على شر، لا يقدرون على ذلك. قال تعالى: ﴿ **سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ** ﴾ [الأنعام: 139]. لأجل هذا المعنى قلنا: كل ما يلقى الإنسان ما صدر له إلا من نفسه خيرًا كان أو شرًا).

الشتاء والصيف والخريف والربيع

قال: (اعلم يا أخي حكمة توجد في الأبدان: الإنسان في الشتاء الثلثان طعام والثلث ماء، وفي الصيف بالعكس يعني ثلثان ماء وثلث طعام، والخريف والربيع زيادة الأضداد لم تتته أضدادها. سبحان الحكيم العليم).

الشريعة والحقيقة

قال: (اعلم أن أربعة فعلهم شريعة وتركهم حقيقة: الاحتيال، والترتيب، والتدبير، والاختيار. هذه أصول: من فعلها فعل شريعة، ومن تركها فعل حقيقة. كأن

هذه الأربعة: فعلها حكمة، وتركها قدرة، وما أعرضت عن الحكمة إلا وجدت القدرة في يدك، وما أعرضت عن القدرة إلا وجدت الحكمة في يدك، والإنسان أبدًا لا يخلو من واحدة منهما)، وقال: (اعلم أن الحقيقة من أجل الحق سميت حقيقة، والشريعة من أجل الشارع سميت شريعة. الحقيقة أوجدت لنا الشريعة، والشريعة دلتنا على الحقيقة، فكل شريعة حقيقة، وليس كل حقيقة شريعة. من أتى باب الشريعة وصل إلى الحقيقة، ومن أتى على غيرها لم يدرك شريعة ولا حقيقة. التلف في النعم تلفه هو عين التلف، والتلف في المنعم تلفه هو عين الخلق. التالف في المنعم كريم مكروم بمحبة الكريم، والتالف في النعم بخيل محروم بمحبة اللئيم. التالف بالباطل باطل تالف بالباطل، والتالف في الحق كامل مكمول بالكامل، ولا تصح الخصوصية لأهلها إلا بالصدق في الأحوال وأضدادها، ولا حال بينك وبين المعبود إلا الفرح بالموجود والحزن على المفقود. ليس المطلوب منك معاندة الحكم السابق في الأزل وإنما المطلوب منك أن تكون عبد الله في كل حال، ولو صحت لك المعاملة في الخلة لوجدت العذوبة في عروق الدفلة، ولو عطف عليك الحبيب لصار أعدى الأعادي إليك حبيب، ولو دارت عليك الكؤوس في حضرتك لشاهدت العوالم في قبضتك، ولو ترادفت عليك كؤوس المعاني لمليت من إبريقك الأواني. الترتيب هو ترك الترتيب، ورأس الدوا هو حب الحبيب، ولا يدرك الراحة العبد الفقير حتى يكون عنده التدبير هو ترك التدبير.يكون العبد عبدًا ما لم يتصف بالعبودية، ومهما اتصف بالعبودية لبس حلة الربوبية.

دعـــوني لملكهـــم فلمـــا اجبـــتهم * قـــالوا دعونـــاك للمُلـــك لا للمِلـــك

وقال: إذا بلغت للذات لم تبق لأسماء الذات صفات)، وقال: (اعلم إذا جمعت بين حقيقة معنية وشريعة مبنية فاعلم أنك حصلت على حقيقة الكيميا)، وقال: (اعلم أن الفقير المحقق الذي لم يكن بينه وبين أهل الشرائع وداد مخذول مأخوذ، والمراد بالشرائع: أهل الشرائع الدنيوية وهم أهل الرياسة، وأهل الشرائع الدينية وهم أهل العلم الظاهري. الفقير الذي لم يلتئم مع أحد هذين الفريقين أو معهما معًا مخذول، وذلك لأن الفقر كله حقيقة، والحقيقة حتمًا لا يستقيم أمرها إلا بمرافقة أهلها لأهل الشرائع، كما أن ما دون الفقر كله شرائع، ولا يستقيم أمر أهل الشرائع إلا بمرافقتهم لأهل الحقيقة، لأنه إذا اجتمعت الحقيقة والشريعة في مائة ألف ألف فإن الحق يظهر فيهم على كل حال، وكذلك إذا اجتمعت في ألف، وكذلك إذا اجتمعت في مائة، وكذلك إذا اجتمعت في عشرة، وكذلك أيضًا إذا اجتمعت الحقيقة والشريعة في رجل واحد فإن الحق يظهر فيه على كل حال. الوجود بأسره إذا اجتمعت فيه شريعة وحقيقة ظهر فيه الحق بكمال الظهور، ويعدل الوجود رجل تجتمع فيه الحقيقة والشريعة ويظهر فيه الحق بكمال الظهور، كما ظهر في الوجود بأسره، يظهر فيه وحده، من أجل ذلك

كان رجل يعدل الوجود، والوجود يعدل رجلًا واحدًا. وإذا كانت مائة ألف ولم تجتمع فيهم شريعة وحقيقة فرجل واحد تجتمع فيه شريعة وحقيقة أرجح منهم وأشرف وأقوى وأغنى وأعز منهم، ويحكى أن النبي > كان بين يديه رجلان قال في أحدهما: هذا أفضل من ماء الأرض من هذا، أو كما قال >. ما ظهرت رجال الحقيقة وعرف مقدارها إلا برجال الشرائع، ولا ظهرت رجال الشرائع واستقرت في رتبتها إلا برجال الحقيقة. نفعنا الله بالجميع)، وقال: (اعلم أن الشرائع وردت من عالم الفرق، لأجل ذلك تجد خيرها رقيقًا لينًا رطبًا، وشرها كذلك، والحقائق وردت من عالم الجمع لأجل ذلك تجد خيرها قويًا شديدًا متينًا، وشرها أيضًا قويًا شديدًا متينًا، والشرائع هو كل ما يأتي من جهة المخلوق، والحقائق هو كل ما يأتي من ناحية الحق تعالى وبقدرته)، وقال: (اعلم أن الحقائق هي نتائج الشرائع، كما أن الشرائع هي نتائج الحقائق. الشرائع مثل الزرايع، والحقائق مثل الأشجار، والزرايع هي نتائج الأشجار، كما أن الأشجار هي نتائج الزرايع. صارت الحقائق هي عين الشرائع، كما أن الشرائع هي عين الحقائق. يرحم الله القائل في مدح النبي > :

يـا زيـن الخلائـق يـا عـين الحقيقـة   *   حققــت الحقــائق وكانــت وثيقــة

هذا والله ممن كانت عنده الشريعة هي عين الحقيقة، كما أن الحقيقة هي عين الشريعة، وحقيقة الحقيقة الشريعة. إنما هما تجليات الحق، إن شئت قلت: إذا تجلى ظاهرًا تجلى بحقائقه وإذا تجلى باطنًا تجلى بشرائعه، والكل حق، ولا ثم إلا الحق. إلا أن الحقائق جمع، والشرائع فرق، والفرق هو عين الجمع، كما أن الجمع هو عين الفرق، ولا في الوجود إلا الحق)، وقال: (اعلم أن الحقائق كلها ظاهرية وباطنية كلها زرايع تزرع في أرض النفوس، ماؤها صدق الطلب به تسقى، وغبارها الذل، وثمارها الشرائع. من غرس الحقائق وهي جمع، لا تثمر إلا بضدها وهي الشرائع، والشرائع فرق لا تثمر إلا بضدها أيضًا. صار الجمع يثمر بالفرق، كما أن الفرق لا يثمر إلا بالجمع)، وقال: (اعلم أن الحقيقة باطنية جميع، والشريعة ظاهرية فرق. ومهما ظهرت الحقيقة بأقوال أو بأفعال، ينقلب جمعها فرقًا حتى أنها تؤدي لافتراق الرجل مع أبيه، والرجل مع أخيه وزوجته وَاصحابه، وربما تفرقه حتى مع الأشياخ الذين أخذ الحقيقة عنهم، وربما تفرق له بين روحه وجسده، وانظر قول القائل:

بالســـر إن بـــاحوا تبـــاح دمـــاؤهم   *   وكــــذا دمــــاء البـــائحين تبـــاح

وكلك الشريعة إذا بطنت بسكوت عن أقوال، أو بهدنة عن أفعال، فإن فرقها ينقلب جمعًا، فيحصل لصاحبها التعطيل عن جميع الخلائق، حتى لا يبرأ منهم إلا إذا

كانت له كرامات ظاهرة مثل الشمس، وإن لم يكن ذلك لا يسلمون له أبدًا ولا يجد راحة في نفسه من الخلق أبدًا، يؤذونه بألسنتهم وبأعينهم وبأيديهم وبأرجلهم حتى لا يجد الراحة إلا إذا اعتزل منهم)، وقال: (اعلم أن كثرة الحقيقة من غير شريعة، إن دامت على صاحبها، تدمره على كل حال. وكثرة الشريعة من غير حقيقة تدمر صاحبها إن دامت على كل حال. كثرة الحقيقة مع عدم الشريعة تدمر لصاحبها ظاهره وجسده وماله وأولاده حتى تصير من أهل البقاء بلا فناء أي من أهل الآخرة حياة بلا موت بعدها. وكثرة الشريعة تدمر لصاحبها باطنه وروحه وعلمه وفهمه حتى تصيره من أهل الفناء بلا بقاء أي من أهل الهشيم الفاني وهم أهل الدنيا فحينئذ موت لا حياة بعدها، هذا إذا كانت الشريعة من غير حقيقة. وأما إذا كان الاعتدال بين الشريعة والحقيقة، فذلك صفة الأنبياء والمرسلين والشهداء والصالحين وجميع الأولياء العارفين بالله، «**أفضل الأمور أوسطها** » الحديث، وصفة الاعتدال هي أن تكون ظواهر الإنسان مملوءة شرائع وبواطنه مملوءة حقائق: **﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾** [فاطر: 12]. انظر الأمم الذين أهلكهم الله تعالى بالصيحة وبالغرق وبخسف الأرض وبكثير من أنواع العذاب: إن حققت أمورهم لا تجدهم هلكوا إلا بسبب تمسكهم بالشريعة دون الحقيقة أو بالحقيقة دون الشريعة. جرت عادة الله في خلقه أن من تمسك بالشريعة دون الحقيقة، أو بالحقيقة دون الشريعة، فهو هالك، ولا ينجو إلا من تمسك بهما معًا. كأن الشريعة هي حياة الجسد، والحقيقة هي حياة الروح، ومن فاته حياة جسده فروحه لا تقوم بلا جسده، وكذلك من فاتته حياة روحه فجسده لا يقوم بلا روح، ومن اجتمعت فيه شريعة وحقيقة فقد اجتمعت حياة جسده وحياة روحه فعند ذلك يصير قائمًا موجودًا بينهما، فإذا كان الإنسان هكذا بشرًا وحده يعدل الحقيقة بأسرها، فعند ذلك تصح خلافته بحيث يصير هو خليفة الله في أرضه، يقول سيدنا عبد القادر الجيلاني نفعنا الله به:

ونفسك تحوي بالحقيقة كلها * اشرت بجد القول ما انا خادع

وحق الله هو أن الحق لا يظهر إلا بين شريعة وحقيقة كما قال صاحب النظم في بعض كلامه وهو المجذوب:

إذا تتبعت الطريقه * تظفر بسرور ومعاني

بين الشرع والحقيقه * تشاهد من لا له ثاني

وقال: (اعلم أن الدخول للحقيقة من غير شريعة تزندق، والخلق كلهم شرائع أعني بالخلق المشايخ. صار كل من دخل الحقيقة على يد شيخ عارف بالله فقد دخل الحقيقة بالشريعة. وكذلك الشريعة من دخلها من غير حقيقة تفسق، ودخول الشريعة

هنا من غير حقيقة هو أن كل من اصطحب مع أحد من الخلق من غير نسبة الله فقد تفسق. قال تعالى: ﴿ **لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ** ﴾ [النساء: 114]. والكمال بالتحقيق هو الدخول للحقيقة بالشريعة، والدخول للحقيقة بالشريعة عند طالب الله هو الدخول على يد شيخ عارف بالله تعالى. ما أفلح من فلح إلا بصحبة من أفلح) وقال: (اعلم أن الباطن يجمعك على الحق ويفرقك عن الخلق، كما أن الظاهر يجمعك على الخلق ويفرقك عن الحق، ومن عرف الحق في الباطن وجهله في الظاهر فهذا متمسك بالحقيقة دون الشريعة، ومن عرف الحق في الظاهر وجهله في الباطن فهذا متمسك بالشريعة دون الحقيقة، ومن عرف الحق في الظاهر وعرفه في الباطن فهذا من أولياء الله السائرين على منهج النبي > وأصحابه أئمة الهدى، كما قيل: من تشرع ولم يتحقق فقد تفسق، ومن تحقق ولم يتشرع فقد تزندق، ومن جمع بينهما فقد تحقق. مثل من تحقق ولم يتشرع كمن بنى أساس دار من غير دار، ومثل من تشرع ولم يتحقق كمن بنى دارًا بغير أساس. ومثل العارف بالله الذي تحقق وتشرع، أو تشرع وتحقق، كمن بنى أساس الدار في باطن الأرض حتى فرغ منه ثم بنى جدار الدار فوق ظاهر الأرض. وأما من بنى أساس الدار من غير أساس فإنما بنى أساس الخراب، وكذلك من بنى الدار من غير أساس فإنما بنى الخراب. والإشارة للدار إلى الإسلام قولًا وفعلًا)، وقال: (اعلم أن صاحب الحقائق لا يحجبه عن حقائقه إلا الشرائع، وصاحب الشرائع لا يحجبه عن شرائعه إلا الحقائق، مع أن الحقائق لا تقوم من غير شرائع، والشرائع لا تقوم من غير حقائق، ولكن صاحب الحقائق يأخذ من الشرائع مثل ما يأخذه المصيف من البرودة لتقوم به حقائقه، وصاحب الشرائع يأخذ من الحقائق مثل ما يأخذ الشتاء من الحرارة لتقوم به شرائع، وما زاد على ذلك فهو حجاب وفسق، والفسق هو التخليط، قال تعالى: ﴿ **مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ** ﴾ [النساء: 143])، وقال: (اعلم أن الحقائق بمنزلة الأشجار، والشرائع بمنزلة الثمار، والشرائع أيضًا تنبت منها الحقائق كما تنبت الأشجار من الثمار إذا غرست، ولكن راع الأشجار ما له إلا الأشجار وشيء قليل من الثمار، وراع الثمار ما له إلا الثمار وقليل من الأشجار. كذلك صاحب الحقائق ما له إلا الحقائق وشيء قليل من الشرائع، وصاحب الشرائع ما له إلا الشرائع وشيء قليل من الحقائق، والشرائع وشيء قليل من الحقائق، واحد لا بد من ترجيحها على الأخرى، قال تعالى: ﴿ **وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا** ﴾ [النساء: 129])، وقال: (اعلم أن الحقيقة تتبعها الشريعة، والشريعة تتبعها الحقيقة، بهذا قامت حياة الإنسان: ما ترد عليه الحقيقة إلا تتبعها الشريعة ولا ترد عليه الشريعة إلا وتتبعها الحقيقة، ولكن من يصبر على حقيقتها يظفر بشريعتها، ومن يصبر على شريعتها يظفر

بحقيقتها، ولكن الحقيقة تنتج شريعتها مع الخلق أكثر من التفريد، لأن صاحب الحقيقة تنتج شريعتها مع الخلق أكثر من التفريد، لأن صاحب الحقيقة المنفرد من الخلق شغله باطن النتيجة ومما يقرب نتائج الحقيقة ويفرج على صاحبها ويستريح معه شيء من الجذب والذكر، والشرائع كلها نتائج الحقائق)، وقال: (اعلم يا أخي أن أهل الحقيقة غربًا منكورون، وأهل الشريعة قربًا مبرورون، لأن الشريعة بين الدنيا والدين وأهلها كثيرون، وأهل الحقيقة خصوا بمولاهم لا يعرفون سواء ولا يشهدون إلا هو، شغلهم النظر إليه عن أشغلة الدنيا وأشغلة الآخرة كما قال بعضهم: « لو كلفت بشراء بصلة ما أطقت » كأنهم ليسوا من جنس عامة الناس لتصفية بواطنهم وتنوير قلوبهم بمشاهدة مولاهم، ولكن كما قال الحق جل ثناؤه: ﴿**وَقَلِيلٌ مَا هُمْ** ﴾ [ص: 24]. وأما هذه المساجد كلها وهذه المجالس كلها وهذه الدول ما هيئت وأقيمت إلا للشرائع وأهلها. وأما أهل الحقائق رضي الله عنهم ونفعنا بهم خصهم الله تبارك وتعالى بشيء لم يكن عند عامة الناس خصوصية بهم لا يعرفه سواهم، قال الشاعر:

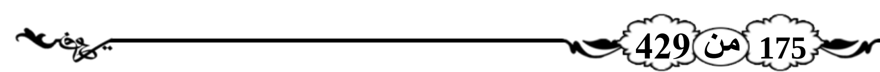
تركـــت للنـــاس ديـــنهم ودنيـــاهم * تشـــغلا بـــك يـــا دينـــي ودنيـــائي

أوحشهم من الخلق غيرة منه عليهم. جعل بينهم وبين الخلق حجابًا من نور، لا يصل إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه، كل من حام حولهم من غير جنسهم يحترق بأنوارهم. سبحان من اختارهم واصطفاهم من بين خلقه وقربهم واجتباهم لحضرة قربه. رزقنا الله محبتهم وسقانا من مددهم آمين يا رب العالمين)، وقال: (اعلم أن كل من دخل الحقيقة من غير رفقة أهلها فهو زنديق مبتدع، وذلك كل فن من فنون الحقيقة أهله هم شرائعه، وكل من دخل فنًا من فنونها من غير شريعة فهو ضال تالف هالك فيها.ما أفلح من أفلح إلا بصحبة من أفلح. عبودية الشرائع هي باب لعبودية الحقائق. من كان عبد الشرائع فهو عبد الحقائق، ومن لم يكن عبد الشرائع فلا نصب له في عبودية الحقائق وإن كان عبد الحقائق. قال تعالى: ﴿**مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ** ﴾ [النساء: 80]، وقال جل من قائل: ﴿ **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** ﴾ [آل عمران: 31]. الداخل للحقيقة، كمن دخل بلاد الصحراء الخالية، إما أن يكون عارفًا بالبلاد فهو ناج، وإلا يكون دخوله إليها مع أحد من خبرائها فهو أيضًا ناج، ولا يدخلها جاهل بها من غير رفقة أحد من أهلها فهو تالف حالك. صار الأمر: ما ثم إلا عالم بالبلد ناج، وإلا متعلم مرافق لعالم بها ناج، وإن كل جاهل مستكفي بجهله هالك، ولا يحل لامرئ أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه)، وقال: (اعلم أنه لا فضل علينا مثل فضل ساداتنا أهل الشرائع، إذ لولا ظواهر الشرائع لاضمحل الدين وتلاشى وتلف. مثل الشريعة في الحقيقة مثل اللواء في وسط الجيش، يعني الشريعة هي اللواء، فحينئذ الحقيقة ما دام اللواء مستقلاً في وسط الجند والجند منصور، ومهما

انكسر اللواء انكسر الجند. صارت الشريعة هي روح الحقيقة. يرحم الله القائل في مدح النبي > :

يـــــــا زيـــــــن الخلائــــــــق * يـــــــا عــــــــين الحقيقــــــــة

لأن الدين ما دام واستمر ودام إلا بظواهر الشريعة، كأن الشريعة هي رأس مالنا، والحقيقة هي ربحنا وفضلنا. قال الشاعر: « ما يعدم أفضل من ابقال رأس المال ». ومن لا عند رأس مال لا سبيل له للظفر بالربح، لأن باب الربح هو رأس المال، ومن سد الباب في وجهه فاته الربح)، وقال: (اعلم أن حال الشريعة عبودية، وحال الحقيقة حرية، فهاتان الحالتان تتعاقبتان على الإنسان أبدًا كتعاقب الشتاء والصيف والليل والنهار. من عرفهما سار على بصيرة وعلم من مشقة، ومن جهلهما سار فيهما مجبورًا عليه بمشقة وهم وتعب، قال تعالى: ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [الزُّمر: 9]. الذي استراحوا في هذه الأحوال هم الذين عرفوا الحق في مرارة العبودية كما عرفوه في حلاوة الحرية، فهؤلاء استوى عنده حلوه ومره بنظرهم لله فيهما « واجعلنا عبيدًا لك في جميع الحالات »، بخلاف من لم يشاهد الحق في هاتين الحالتين وهما حالة العبودية وحالة الحرية فإنه مع الأحوال لا مع الله، من أجل ذلك كان عبد الأحوال لا عبد الله. عبد الله في الأحوال تالف في الله، ولا شك أن من كان في الله تلفه كان على الله خلفه. وعبد الأحوال تالف في الأحوال: حال الحرية يتلفه بحلاوته، وحال العبودية يتلفه بمرارته، صار متعوبًا فيهما أبدًا، وسبب تعبه وعذابه وجود حجابه. « يا دنياي اخدمي من خدمني واتعبي من خدمك » الحديث. ولو زال الحجاب لظهر الحق، ولو ظهر الحق لفقد الباطل، ولو جاء الحق وزهق الباطل لزال التعب والعناء وحصل النعيم والهناء، ومهما ظهر الحبيب غاب كل واش ورقيب، وذهبت كل شقاوة وتعذيب)، وقال: (اعلم أن أهل الشرائع فقد كذبوا وأخطأوا، وذلك لأن أهل الشرائع بوابون على دار الملك، والبواب من عادته يرد صديق الملك وعدوه ولا يلام على ذلك لأنه لا يعرف الصديق من العدو، وإنما عصاه في يده يرد بها كل أحد، ولا يقول هذا صديق الملك إلا إذا سمع النداء من الملك منه إليه مشافهة أو بواسطة رجل يثق به، فعند ذلك يتركه ويرد ما عداه. وصاحب الحقيقة حقًا هو الذي بطل إنكاره حتى أنه يعذر الخلق بأجمعهم ويعذر حتى من ينكر عليه، وذلك لفنائه عما سوى الحق واستغراقه في مشاهدة مولاه. وصاحب الشريعة حقًا هو الذي صح إنكاره في الحق، على الخاص والعام والأخ والصديق والقريب والبعيد حتى نفسه، ولا تأخذه في الله لومة لائم، متمسكًا بأمر سيده، لا يزيد حرفًا ولا ينقص حرفًا عما أمره مولاه. كأن أهل الحقيقة جلساء الملك، وأهل الشريعة بوابون على دار



الملك. وهل جليس الملك يصح أن يسيء الأدب على بواب حضرة سيده؟ وهو يعرف مرتبة البواب عند الأمير، ويعرف أيضًا جلالة الملك وسطوته وعظمته وكبرياءه وإحاطة علمه، مع أن أقرب الناس إلى الملك هو أشدهم تعظيمًا له ولحضرته، هذا لا يصلح بل ومن عادة الخدام أن الخديم الصادق إذا وجد البواب يجاهد أحدًا أن يعينه على تعظيم الحرمة)، وقال: (اعلم أن كل فن إذا أردت التوجه للدخول إليه انظر شريعته فإنه لا سبيل لك للدخول إليه إلا منها. جرت عادة الله أن أبواب الأشياء هي شرائعها، ولولا أن الشرائع هي مفتاح الأشياء ما دعى النبي > إليها وحضهم عليها، مع أنه > هو إمام الحكماء وقدوة العارفين.

وكلهـم مـن رسـول الله ملـتمس * غرفـا مـن البحـر او رشـفا مـن الـديم

يقول الشيخ ابن عطاء الله رحمه الله في لطائف المنن: « قوم حجبوا بالشريعة عن الحقيقة، وقوم حجبوا بالحقيقة عن الشريعة، وقوم اجعلوا الشريعة بابًا والحقيقة إيابًا ﴿ **أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ المُفْلِحُونَ** ﴾ [المجادلة: 22]. انظر كيف قرر الشيخ } الشريعة بابًا، فكل فن زريعته هي شريعته، وكل من أتى فنًا من غير باب شريعته فإنه مردود لا نصيب له في حقيقته ولو ظهر عليه ما ظهر، قال تعالى: ﴿ **وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا** ﴾ [البقرة: 189]. العلوم نتائج البواطن، والأفعال نتائج الظواهر. من أراد ثمار العلوم فعليه بشرائع البواطن، كم أن من أراد ثمار الأفعال فعليه بشرائع الظواهر. فنون الظواهر ليس لها حصر، وكذلك فنون البواطن ليس لها حصر، وكل فن من فنون ظواهر الأفعال أو من فنون بواطن العلوم لا يدخل عليه إلا من شريعته، لأن الشريعة تعددت على قدر تعدد الحقائق. وكل من طلب فنًا وسدت في وجهه باب شريعته فهو مطرود عن ذلك الفن، لا نصيب له في الحقيقة. وقول الشيخ ابن عطاء الله نفعنا الله به: قوم حجبوا بالشريعة عن الحقيقة، وقوم حجبوا بالحقيقة عن الشريعة »، أي فرقة وقفت هممهم في طلبهم لله مع الشريعة فصارت لهم حجابًا لما وقفوا عندها، وفرقة أخرى وقفت هممهم في طلبهم لله مع الحقيقة فصارت لهم حجابًا لما وقفت هممهم عندها، وقوم جعلوا الشريعة بابًا والحقيقة إيابًا أي لم تقف هممهم في طلبهم لله مع شريعة ولا مع حقيقة بل صارت هممهم قاصدة إلى الله ﴿ **أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ المُفْلِحُونَ** ﴾ [المجادلة: 22]، وذلك لأن الزيادة تعطي للإنسان على قدر علو همته، ونهاية علو الهمم إلى ربك المنتهى. « إن الله يرزق العبد على قدر همته » الحديث).

شغل الناس وشغلنا

قال: (وقال لي أيضًا: شغل الناس كلهم مهما اعوج فسد، وشغلنا لا يصلح

حتى يعوج)، وقال: (اعلم أن أعظم ما في شغلنا التهيئ لشغلنا. تسعمائة قسمة وتسع وتسعون قسمة كلها تهيئ، وقسمة واحدة وهي تمام الألف هي الشغل بنفسه. صار من لا يتهيأ له وإن وجد الشغل فلا شغل له، ومن لا شغل له إن وجد التهيئ فالشغل ثابت له. ثبوت الشغل بثبوت التهيئ، ونفي الشغل بنفي التهيئ، قال بعض العرب: إن في الحرب تسع وتسعون خدعة، وتمام المائة هي أرواح لهم).

الشهود والمشاهدة

قال: (اعلم أن أهل الشهود على ثلاثة فرق: فرقة يشهدون الفعل من نفوسهم وهذه مرتبة العوام، وفرقة يشهدون الفعل للقدرة وهذه مرتبة الإيمان بالغيب، وفرقة أخرى يشهدون القادر، فعله به منه إليه، ولا ثم سواه، وهذه هي مرتبة أهل الله المستغرقين في شهود مولاهم: إذا تكلموا تكلموا بمولاهم لمولاهم لا غير، وإذا نظروا نظروا بمولاهم لمولاهم لا غير، وإذا سمعوا سمعوا بمولاهم لمولاهم لا غير، وإذا تحركوا تحركوا بمولاهم لمولاهم لا غير، سقطت العلل ولم يبق إلا المتعال. أهل المقام الأول حجبوا بنفوسهم عمن خلقها، وأهل المقام الثاني حجبوا بالقدرة عن القادر، وأهل المقام الثالث فنوا عما سواه حتى عن نفوسهم ولم يشهدوا إلا إياه حتى في نفوسهم، بطلت الوساوس وزالت الحجب وانحل العقال ولم يبق إلا الواحد المتعال)، وقال: (مشاهدتك للعبد الذي يشاهد المولى تقوم لك مشاهدة المولى، وذلك لأن العبد الذي يشاهد المولى ما له من العبودية سوى خيالها، وأما هو فالحق شاهد نفسه بنفسه، ولا عبد، إذ محال أن يعرف الحق غير الحق أو يشهد الحق غير الحق، ولكن إذا أراد الحق جل ثناؤه أن يظهر لنفسه بنفسه في الوسائط فإنه تعالى يكشف عن وجهه الحجاب فيتجلى لمن اصطفى من أحبابه من عباده، فيفنى عند ذلك وجود العبد حتى لا يبقى له أثر، ويبقى الحق عند ذلك وحده هو المشاهد لنفسه بنفسه في نفسه، وهو السميع لنفسه بنفسه في نفسه، وهو المتكلم لنفسه بنفسه في نفسه، فيبقى العوام عند ذلك يشاهدون من ذلك العبد خيال العبد لا العبد، لأن العبد قد فني وتلاشى واضمحل ولا بقي إلا الحق، وذلك الخيال الذي يشاهده العامة أعني خيال العبودية إنما هو في أعينهم لا في الولي، لأن الأول كان عبدًا قبل ظهور الحق إليه، وأما بعد ظهور الحق إليه: « قل جاء الحق وزهق الباطل »، وأهل الحجاب لا يشعرون. كأن العبودية هي ضد هذا المقام وإن كانت هي التي توصل أهله إليه. العبودية هي الحجاب الذي يحجب عن هذا المقام، وهي المفتاح الذي لا يفُتَح هذا المقام إلا به، بها وَصَل من وصل، وبها قُطِع من قطع. وهذا الخيال الذي تشهده العامة هو كما قلنا في بصائر العامة لا في الولي:



قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد * وينكـر الفـم طعـم المـاء مـن سـقم

سبحان من جعل الحجاب هو عين الباب، كما جعل الباب هو عين الحجاب. سبحان من يعذب بما يرحم به إن شاء، ويرحم بما يعذب به إن شاء، سبحان القادر الحكيم)، وقال: (اعلم أن شهود الحق على وصفين: أن تشاهد الحق، وإن لم تجد سبيلًا لذلك فتشاهد من يشاهد الحق يحصل لك ما يحصل للذي يشاهد الحق، حكم هذا كحكم هذا، يعني الشهود الأول والشهود الثاني. وكل من يشاهد من يشاهد الحق لا بد أن يشاهد الحق، وكل من يشاهد الحق لا بد أن يشاهد من أراد أن يشاهد الحق، لأن الأب لا بد له من ولد، والولد لا بد له من أب، والولد لا يستغني عن أبيه، والأب لا يستغني عن ولده، وكلهم واحد، أو كالمعلم والمتعلم كلاهما يحسبان أهل صنعة واحدة وإن كان المعلم في مرتبته والمتعلم في مرتبته. كذلك من يشاهد الحق مع الذي يشاهد من يشاهد الحق، كلاهما أهل فن واحد، وإن كان كل واحد في مرتبته)، وقال: (اعلم أن الحق عزيز، والعزيز لا يشاهد إلا بالعز، لكن ليس عز الظاهر بل عز القلوب، وعز القلوب لا يحصل إلا لمن حصل له الذل الظاهري. لا يرى الحق إلا من انتهى ذل ظواهره، لأن من انتهى ذل ظواهره حتمًا على كل حال ينتهي عز قلبه في بواطنه، وإذا انتهى عز قلبه على كل حال بالعز يشاهد العزيز وكل من شاهد العزيز وهو الحق، فإنهم قالوا: أهل الظواهر طالبون للحقائق اكتسابًا فعلًا فجاءتهم الشرائع إهابة قهرًا، صاروا هم أبدًا في طلب الحقائق بنفوسهم، والشرائع بالله أبدًا في طلبهم، ولا شك أن ما كان بالله أقوى مما كان بالنفس على كل حال، لأجل ذلك كان أهل الظواهر أهل شرائع. وأهل البواطن بالعكس طالبون للشرائع اكتسابًا فعلًا جاءتهم الحقائق إهابة قهرًا، صاروا هم أبدًا في طلب الشرائع بنفوسهم، والحقائق بالله أبدًا في طلبهم، ولا شك أن ما كان بالله أقوى مما كان بالنفس على كل حال، لأكل ذلك كان أهل البواطن أهل حقائق. والذين وجدوا الشرائع وهم أهل الظواهر، وجدوا الخلق وحجبوا عن الحق، ولا تكمل ولايتهم حتى لا تحجبهم حضرة الخلق عن حضرة الحق، كما لا تحجبهم حضرة الحق عن حضرة الخلق. والذين وجدوا الحقائق وهم أهل البواطن، وجدوا الحق وحجبوا عن الخلق، ولا تكمل ولا يتهم حتى لا تحجبهم حضرة الحق عن حضرة الخلق، ولا تحجبهم حضرة الخلق عن حضرة الحق).

صاحبنا

قال: (اعلم أن صاحبنا عزته هي عزلته، وحرفته هي فكرته. صاحبنا معتزل عن الخلق، معشش في حضرة الحق. صاحبنا معتزل عن أهل النقائص، فإني في مشاهدة

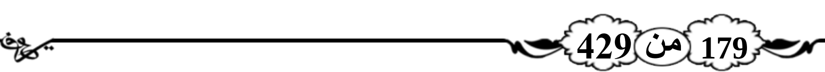
الحسن والإحسان)، وقال: (وسمعته يقول: صاحبنا إذا يعمل ما يعملها إلا كبيرة، لأن الكبيرة يحضر فيها الكبار، والذي يفعل الصغيرة هو الذي يفعل الكبيرة. صاحبنا كأنه معاش يعشق بنت السلطان، ما ايكون بحال ولد السلطان الذي يعشق زرزاق)، وقال: (اعلم سمعت الشيخ سيدي العربي يروي عن أبيه سيدي أحمد بن عبد الله نفعنا الله بالجميع، كان يقول لأصحابه: يا ولدي صاحبنا إذا لم يحصل على فائدة لا بد أن تحصل له خصلتاه: أن يصلح دينه ولا يشمت فيه أحد. نفعنا الله بهم أجمعين)، وقال: (ومما سمعته يقول: صاحبنا هو الذي يكون نفسه على كل مفصل، مثل الدابة التي ضربها الريح)، وقال: (ومما قال لي الشيخ } قال لي: يا ولدي صاحبنا لا يتكلم مع مَن فوقه وإنما يتكلم مع من يجده تحته)، وقال: (اعلم قال سيدي العربي رحمه الله: صاحبي هو الذي انكتف ابشعرا. وقال لي أيضًا: صاحبي يكون بالقشر في ظاهره مثر الفكرون والذي يلعب لا يثقر والذي يثقر لا يلعب. وسمعته يقول: صاحبي هو الذي يكون حيلي لأني ما كنجلس مع أصحابنا إلا نتعلم الحيال).

الصحبة

قال: (ومما قال لي الشيخ نفعنا الله به، قال لي: يا ولدي عليك بصحبة الناس الكبار والقرب إليهم. قلت له: يا سيدي من هم الناس الكبار؟ قال لي: رؤساء أهل الظاهر ورؤساء أهل الباطن)، وقال: (سمعت الشيخ نفعنا الله به يقول: من لا يجالسك ولا تجالسه، ما يصيب ينسب عليك، وما تصيب تنسب عليه، يعني بالدوام)، وقال: (اعلم أن صحبة الأخيار تنور الأسرار، وصحبة الأشرار سبب لغضب الجبار، ولا تدرك الحكمة واليقين إلا بصحبة العارفين، وكل من تعلقت همتك به لا تدركه إلا بصحبة أهله. ويشترك في هذا الطريق معرفة أهل الصدق والتصديق الذين تجلى لهم الحبيب وسقاهم من لذيذ أنسه وارتضاهم، قد فرغوا من تأديب النفوس واستلذوا بنغمات الكؤوس. نظروا في الدنيا بعين التمييز والاعتبار، واستبدوا فيها بحب العزيز الجبار، قد حاز الخير من لاقاهم، قال تعالى: ﴿ **وَقَلِيلٌ مَا هُمْ** ﴾ [ص: 24]، فالزم يا أخي صحبة الأخيار، فالمرء على دين خليله كما قال النبي المختار، وكل من صحت خلته إليك بانت حلية وصفه عليك. اترك صحبة العاجزين أمثالك، وأصحب من لا يخفى عليه أقوالك وأفعالك وأحوالك، واترك من يعجز عن دفع الضر عن نفسه، واصحب من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته).

صدق الطلب

قال: (وسمعته يقول: الإنسان يخدم الأشغال ولا يطلع له منها شيء، يعود ثم



يعود، وهو لم يطلع له شيء، حتى ينظر الله الصدق منه في طلب تلك الشيء، فعند ذلك يأمر الله تلك الشيء أن يطيعه حتى يصير تلك الشيء طوع يديه)، وقال: (اعلم أن صاحب العوج إذا قصد الله بالعوج فذاك عبادته، وصاحب التسقيم إذا قصد الله بالتسقيم فذاك عبادته، لأن رب التسقيم هو رب العوج، ورب العوج هو رب التسقيم، والحكمة في الطلب الصادق في المقاصد. « **إن الله ينظر لقلوبكم، ولا ينظر إلى صوركم** » الحديث)، وقال: (ومما قال لي الشيخ نفعنا الله به قال لي: يا ولدي الفنون كلها، كل من يفنى في فنه حتمًا تنخرق له العادة فيه، ومن لم يفن في فنه لا تنخرق له عادة فيه أبدًا، لأن الفناء بالاكتساب مكافأته من الله تعالى هو خرق العادة فيه. قال صاحب الحكم: كيف تخرق لك العوائد وأنت لم تخرق من نفسك العوائد. وإذا أردت أن ترى العجب في شيء فافن فيه تنخرق لك العادة فيه. كل ما تباشره بالصدق لا يباشرك إلا بالصدق، وكل ما تباشره بالكذب لا يباشرك إلا بالكذب، والفناء هو بمعنى صدق الطلب)، وقال: (اعلم أنه ما من مسألة يطلبها الإنسان إلا على قدر كمال صدق طلبه إياها، يكون كمال ظفره بها. قال في الحكم: من أشرقت بدايته أشرقت نهايته)، وقال: (اعلم ومن جملة إحسانه تعالى أن جعل ثمن فضله وجوده، مهره هو صدق طلبه وعبوديته، فقال جل من قائل: ﴿ **وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ** ﴾ [إبراهيم: 34]، وقال: ﴿ **ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ** ﴾ [غافر: 60]، على قدر ما يصدق طلبك للشيء يصدق ظفرك به، وصدق الطلب لا يوجد إلا بين همتين: همة باطنية وهمة ظاهرية. همة باطنية لا تظهر ولكن الأقوال هي التي تنبئ عنها وتخبر بها، وهمة ظاهرية وهي الأفعال باليد أو بالرجل أو بالعين أو بالفرج أو بكل ما يظهر. صارت الهمة التي يصدق طلبها هي الجامعة بين الفعل والقول. على قدر ما يصدق طلبك بالقول والفعل يكون ظفرك بما طلب. حكم مولانا على نفسه بهذا الحكم فضلًا على عباده، والتقصير لا تجده أبدًا من جهة مولاك، محال في حقه، لا يكون التقصير إلا من جهة العبد إذا كان كاذبًا في طلبه. وهذا القياس من جهة المريدين الطالبين لفضله تعالى، وأما أحسانه وفضله لا يتوقف لا على وجود طلب ولا على عدمه)، وقال: (اعلم أن الإجابة على شرطين: الحيرة الصادقة والنية الصادقة في الطلب، وفي حسن الظن في عباد الله. هاتان الخصلتان على قدر قوتهما في طلب الحاجة تسرع له الإجابة، وعلى قدر ضعفهما فيه أيضًا تضعف. قيل: إن رجلًا من الصالحين كان جالسًا بقرب النهر يتحدث مع أصحابه، وإذا بامرأة تغسل صوفًا على شاطئ النهر ولها صبي صغير يلعب بقربها فإذا به سقط في النهر وغاب عن عينها، فلما رأت ذلك فزعت إلى الشيخ وأصحابه وهي تصيح وتضرب رأسها وتقول: يا سيدي ولدي ذهب به الماء، فأجابها أصحاب الشيخ وقالوا لها: ما فينا من يحسن العوم، فاشتغلت تزيد وتكبي وتصيح،

فقال لها الشيخ: اصبري واحتسبي، فقالت له: يا سيدي نفذ صبري، فأعاد عليها القول، فقالت له: يا سيدي والله ما وجدت صبرًا، فقال لها الشيخ: إن كنت صادقة فيما تقولين فانظري في شاطئ الواد تجد ولدك قد خرج من الواد سالمًا، فصارت إلى شاطئ الواد فوجدت ولدها حيًا سالمًا. انظر هذا الشيخ رحمه الله تعالى كيف حكم عليها بخروج ولدها لما رأى اضطرارها من شدة الحيرة التي نزلت بها وصدق طلبها لولدها وحسن ظنها في الشيخ، فكان الأمر كذلك، قال تعالى: ﴿**أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ**﴾ [النمل: 62]. انظر مولانا جل ثناؤه كيف قرن الإجاب بالاضطرار. يرحم الله القائل:

لكــن ســر الله فــي صــدق الطلــب * كم ريئ في اصحابه من العجب)

الصلاة الحسية والمعنوية

قال: (اعلم أن الصلاة على قسمين: صلاة شرعية حسية وهي صلاة عامة الناس، وصلاة حقيقية معنوية لا يعرفها إلا الخصوص، وقليل ما هم. الصلاة الحسية يدخل الإنسان إليها ويخرج منها، والصلاة المعنوية: من دخل فيها لا يخرج منها أبدًا، كما قيل لبعض العارفين بالله تعالى: يا سيدي أيسجد القلب، قال: نعم ولكن إذا سجد ما رفع إلى الأبد).

الصلاح والفساد

قال: (اعلم ومما سمعت من الشيخ سيدي العربي نفعنا الله به قال لي: يا ولدي الإنسان يعني الفقير لا يقوم شأنه إلا بالفساد والصلاح. أولًا يفسد ويتعلق بأهل الصلاح يصلحوا به ما فسد، ثم بعد ذلك يتعلم الصلاح فيحتاج على مجالسة أهل الفساد ليزيد معرفة وكمالًا في صلاحه، لأن الشيء لا يعرف إلا بضده. صار أولًا لا يحتاج إلى أهل الصلاح، وثانيًا يحتاج على أهل الفساد ليدوم انتفاعه ويجد سيره)، وقال: (اعلم أنه من جاءك يطلب منك الجد ألقه في المزاج، ومن جدك يطلب منك الصلاح ألقه في الفساد، لأن الضد لا يخرج إلا من ضده. ومن أراد أن يخرج الجد من الجد، أو الصلاح من الصلاح، فهو تالف عن الطريق. جرت سنة الله تعالى أن يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، وهذا القياس لا يعرفه إلا المحققون من أرباب الفن، وهذه المعاني موجودة في العوائد كما هي في خرق العوائد كلها: لا يخرج صلاح إلا من فساد، ولكن الفساد على قسمين: فساد يكون على نظر عارف حكيم فهذا هو عين الصلاح الحقيقي، والفساد الآخر يحصل عن جهل فهذا هو الفساد الحقيقي. الفساد الذي يكون على نظر الحكيم تجد الأشياء قبل أن يفسدها



الحكيم لها شرف واحد، وبعد أن يفسدها الحكيم ربما يحصل لها بسبب إفساده لها ألف شرف. والفساد الآخر بالعكس يكون لها شرف، وإذا أفسدت عن جهل يذهب ذلك الشرف ويبقى الفساد)، وقال: (اعلم إذا أرادت أن تفهم أقوال الفقير الفعلية، كالذي يتعلم الإشارة بالمدفع يرمي الإشارة ولا يصيبها ويعود ولا يصيبها، وهكذا حتى يصير مهما رماها إلا أصابها، لأن من لا أفسد ما صوب ولا أفلح، ومن لا عوج ما سقم، ومن لا تذلل ما انعز. جرت عادة الله في خلقه أن الأشياء لا تخرج إلا من أضدادها، ولكن تتفاوت الرجال في الزعامة، وفاز باللذة الجسور. يقول الشهتري في بعض كلامه:

اغلبهـــا بـــالرجلا والتيـــارا * تعـــد تخـــاف منـــك يـــا زعـــيم

وقال سيدي عبد القادر الجيلاني في بعض كلامه: « فما نالها إلا الشجاع المقارع »، وقال الشاذلي رحمه الله: « اللهم أن القوم قد حكمت عليهم بالذل حتى عزوا » أي ذل البدايات حتى حصل لهم عز النهايات، وقد قال الشاعر:

فـــإن الحـــب اخـــره المنايـــا * واولـــه شـــبيه بـــالمزاح)

وقال: (اعلم أن الله تبارك وتعالى خلق الفساد، وخلق له ضده وهو الصلاح، رحمة منه على عباده. الفساد جلالي وهو في غاية الإتقان، والصلاح جمالي وهو في غاية الإتقان، كما خلق الأشياء كلها، ظاهرها وباطنها كلها بأضدادها. الجلال ضده الجمال، والجمال ضده الجلال. أما ما ينكره الخلق مثل الفساد والذل والعجز والضعف والفقر وما أشبه ذلك مما ينكره خاطر الإنسان كله، هؤلاء سمونها حقائق. وأما أضداد هذه الأشياء كالصلاح والعز والقدرة والقوة والغنى من جهة العبد، يسمونها شرائع. وأما من جهة الحق تعالى كلها حقائق إلا أن الأولى حقائق النزول والثانية حقائق الطلوع، والإنسان قائم بين هذه الأضداد، بهن قام هذا الوجود، لكن كما قال القائل:

بـــين الطلـــوع والنـــزول * تخبلـــــت الغــــــزول

صار الإنسان إذا غلبت عليه جقائق الطلوع تطلبه حقائق النزول، وإذا غلبت عليه حقائق النزول تطلبه حقائق الطلوع. على هذا أهل العقول الكمال { استقروا في النزول وحطوا فيه رحالهم، واستلذوا بأمر ما في الأشياء، واقتحموا أعظم الفجائع كما قال الشاذلي }: « اللهم إن القوم حكمت عليهم بالذل حتى عزوا، وحكمت عليهم بالفقد حتى وجدوا »، لأن الفساد هو أصل الصلاح، وعلى قدر ما يعظم الفساد يعظم الصلاح، والصلاح هو أصل الفساد، على قدر ما يعظم الصلاح يعظم الفساد، وكذلك سائر الأضداد على قدر ما يعظم الضد يعظم ضده، كقول ابن القارض:

واعجب شيء كلما زدت ذلة إليهم * ارى قدري في الناس بهم يعلو

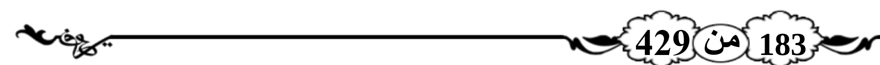
الصلاح لا يكون بغير فساد، والفساد لا يكون بغير صلاح. وأما ساداتنا {، حاشاهم أن يأمرونا بالفساد أدبًا مع الشريعة، ولكن عليهم أن يخبروننا بالطريقة وأصلها وحلوها ومرها، ونفهم أن حلوها لا يقوم إلا بمرها، ومرها لا يقوم إلا بحلوها، ومرها به نظفر بحلوها، وإذا أخبرونا به قولًا وكنا صادقين في طلبنا نقتحم أمر المرائر ولا نبالي بقول عدو ولا صديق، لأجل ما طلبنا: « ومن يطلب الحسناء يصبر على البذل ».

يغوص البحر من طلب اللئالي * ومن طلب العلا سهر الليالي

فإذا رأونا سادتنا ارتكبنا فجائع الحقائق، يتحققوا بصدق طلبنا، ولا ينسب عليهم أنهم أمرونا بشيء من ذلك. كما أن الله تعالى أمرنا بأشياء ونهانا عن أشياء، أمرنا بالخيريات ونهانا عن الشريات، ولكن علم سبحانه أن لنا الخير في الشريات ابتلانا بها، وأن لنا الخير في الخيريات أيضًا ابتلانا بها، وهو أحكم الحاكمين، ولا يجب علينا أن نثني عليه إلا ما هو أهلًا من الخير والإحسان، لأن كل شيء من جهة مولانا فهو خير، ومن جهة أنفسنا: هذا يليق بها خير طيب وهذا لا يليق بها شر قبيح).

الصمت والكلام

قال: (اعلم أنه إذا كثر الكلام قلت فائدته، وإذا قل الكلام كثرت فائدته. حكمة كلمة ربما تنقسم على ألف كلمة إذا كثر الكلام، وحكمة ألف كلمة ربما تجتمع في كلمة واحدة إذا قل الكلام. من كثر كلامه كثرت خطاياه، الحديث: الصمت حكمة. من الحكم: إذا كان الكلام من فضة كان الصمت من الذهب)، وقال: (اعلم أن حكمة كلمة تنفرق فتنقسم على ألف كلمة إذا كثر الكلام، وحكمة ألف كلمة تجتمع في كلمة إذا كثر الصمت. صار كثير الكلام في كثرته هو القليل، وقليل الكلام في قلته هو الكثير. القليل يعني من الحكمة، والكثير يعني من الحكمة. وهذا القياس من جملة كل الأشياء التي جعلها الله كامنة في أضدادها بحكمته وقدرته. كأنه يقول: الصمت ربما يجمع لك ألف حكمة في كلمة، والكلام ربما يفرق لك حكمة في ألف كلمة، وهكذا)، وقال: (اعلم أنه لا شيء ينفع الفقير يتزود به مثل الصمت، وذلك لأنه لباب الحكم النفسانية وهو أعظم فروع العبودية وأشرفها)، وقال: (اعلم أن الكلام شجرة العز وهي لا تثمر إلا بالذل لمن غرسها، والصمت شجرة الذل وهي لا تثمر إلا بالعز لمن غرسها، وهكذا جرت سنة الله في الوجود بأسره، غيبًا وحاضرًا، حسًا ومعنى. وإن حققت تجد هذا الوصف في كل الأشياء: لا تجد الأشياء تخرج إلا من أضدادها ﴿ **يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ** ﴾ [الرُّوم: 19]. الصمت والكلام حقيقتان ما في الإنسان شيء أقوى منهما وأمضى منهما. وقولنا: شجرة الكلام عز وثمارها ذل



يعني الكلام في أول النطق به يكون عزًا ثم بـه ينقلب من حينـه فيصير ذلًا علـى صـاحبه. شجرة أغراس الحس تثمر بعد حين، وشجرة المعاني تغرس من حينها تثمر بلا أجل: بين غرسها وثمرها ما بين الاهتمام والفعل بـه)، وقال: (اعلم أن الإنسان إذا تكلم حقرت دعوته، وإذا سكت عظمت دعوته، فوق جميع الهمم همته، لأجل هذا المعنى كان الصمت أشرف من الكلام، فإن كان الكلام من فضة، كان الصمت من الذهب)، وقال: (اعلم أن كثرة الكلام من صغر الهمة وقيل: إنـه هو عين صغر الهمة. المتكلم دعوة همته محصورة محدودة، وصاحب الصمت دعوته غير محصورة ولا محدودة)، وقال: (اعلم أن الكلام جلال فرق للنفس لأجل ذلك حصرت همه قائله، والصمت جمال جمع للنفس لأجل ذلك لم يدرك علو همة صاحبه)، وقال: (اعلم أن الكلام جمال للخلق جلال لنفسك، والصمت جمال لنفسك جلال للخلق)، وقال: (اعلم أن الصمت أسرع لقضاء الحوائج من الكلام، وذلك لأن الكلام أنت متصف بـه مجازيًا عاريًا لا حقيقة، والصمت وصفك الحقيقي. الكلام عز والعز وصف الحي، والصمت ذل والذل وصفك. الكلام علوي والصمت سفلي، وإذا تلاقيا: واحد متكلم والآخر ساكت، الحكم للساكت على كل حال)، وقال: (اعلم أن التصرف بالصمت كالتصرف بالنطق، والتصرف بالنطق كالتصرف بالصمت لا زائد، وإذا اجتمع صاحب التصرف بالصمت مع صاحب التصرف بالنطق واقترنا فصاحب الصمت يغلب صاحب النطق على كل حال، لأن الصمت سفلي والنطق علوي، وإذا اجتمع السفلي بسفلياته والعلوي بعلوياته واقترنا كما قلنا فصاحب السفليات يغلب بلا شك)، وقال: (الكلام حقيقة علوية والصمت حقيقة سفلية، يعني الكلام جمالي والصمت جلالي، والعزلة جلالية، والاجتماع جمالي)، وقال: (اعلم أنه إذا اقترن الصامت والمتكلم فالحكم للصامت على المتكلم، لا للمتكلم على الصامت، وذلك أن الصمت سفلي والكلام علوي، وإذا اقترن العلوي والسفلي، الفحكم للسفلي على كل حال)، وقال: (اعلم أن صاحب الصمت له مواهب، وصاحب الكلام لـه مواهب، ومواهب صاحب الصمت أبقى من مواهب صاحب الكلام، وذلك أن الكلام من شأن أهل الفناء، والصمت من أوصاف أهل البقاء، ولا شك أن مواهب صاحب البقاء أقوى من مواهب صاحب الفناء بأضعاف مضاعفة)، وقال: (اعلم أن الكلام علوي والصمت سفلي، والصمت إذا كان عن علم فهو أعلى من الكلام وأشرف، والكلام إذا كان عن جهل فهو أوضع من الصمت وأحقر منه. صار السفلي حقًا هو الكلام عن جهل، كما أن العلو حقًا هو الصمت عن علم. صاحب الصمت عن علم يملك الوجود بأسره، علوي وسفلي، يفعل فيه بأمر الله ما شاء. وصاحب الكلام عن جهل مملوك للوجود بأسره، علوي وسفلي، يفعل بـه الوجود ما شاء. حاصل هذا المعنى: أن صاحب الصمت عن علم

ملك حقيقة حين كان مجموعًا في جمعه ومفروقًا في فرقه، وصاحب الكلام عن جهل مملوك شريعة حين كان مفرقًا في جمعه مجموعًا في فرقه. واختلفوا في الكلام عن علم هل هو أفضل من الصمت عن جهل، أو بالعكس؟ من الناس من قال عن الصمت عن جهل أشرف، ومنهم من قال الكلام عن علم أشرف، وهو لا محالة أن الكلام عن علم أشرف من الصمت عن جهل على كل حال. مثل صاحب الصمت عن جهل كضبع لبس جلد أسد، وصاحب الكلام عن علم بالعكس. الأول لا يفضح ولا يحقر حتى يتكلم، والثاني لا يعرف قدره ويعظم حتى يتكلم. وصاحب الصمت عن علم أسد ظاهرًا وباطنًا، قلبًا وقالبًا، كما أن صاحب الكلام عن جهل ضبع وقالبًا ظاهرًا وباطنًا)، وقال: (اعلم أن من تكلم ملك بكلامه ومن ملك ذل وأهين وحقر، ومن سكت ملك بسكوته ومن ملك أعز وعظم وشكر، إلا المتكلم بالله، والمتكلم بالله هو الذي استوى سكوته وكلامه: إذا تكلم غلب وملك وإذا سكت غلب وملك لأنه بالله، ومن كان بالله لا يغلب أبدًا لا في أقواله ولا في أفعاله، كما قال صاحب الحكم: ما توقف مطلب أنت طالبه بربك، ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك)، وقال: (اعلم أن المتكلم بالله ينفد كلامه في الحين، والمتكلم لله ينفد كلامه بعد حين، والمتكلم بنفسه كلامه مردود لا ينفد أبدًا).

الضعفاء

قال: (اعلم أنه لا شيء في الوجود أشرف وأرفع وأنفع من مجالسة الضعفاء لأن المرء على دين خليله، قال تعالى: ﴿**وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الوَارِثِينَ** (5) **وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ**﴾ [القصص: 5 - 6]، والضعف ثلاثة: ضعفاء النفوس وضعفاء الدنيا وضعفاء الدين. أخبرنا شيخنا سيدي العربي عن شيخه سيدي أحمد اليماني نفعنا الله بالجميع أنه كان } يجالس الضعفاء ويبر بالأغنياء، وكان كثيرًا ما يحن ويشفق على ضعفاء الدين. كان } يشفق على قاتل النفس ويحن عليه أكثر من شفقته على المقتول، وكان أيضًا يشفق على أهل الرياسة ويحن عليهم أكثر من شفقته على الرعية، وكان } يشفق على العصاة ويحن عليهم أكثر من شفقته على الرعية، وكان } يشفق على العصاة ويحن عليهم أكثر من شفقته على الطائعين).

الطرق إلى الله

قال: (اعلم أن الطرق إلى الله طريقتان: طريق الحرف وطريق المعنى. قال الششتري:

كلـــــه حـــــرف وكلـــــه معنـــــى * ذاك حبـــي ولـــيس لـــه مثنـــى

طريق الحرف هي طريق الجبر يعني السلوك، وأما طريق المعنى هي طريق التلف يعني طريق الجذب، ولكن من دخل من الجبر ينتهي إلى التلف، ومن دخل من التلف ينتهي إلى الجبر، لأن الحرف هو المعنى، والمعنى هو الحرف، والجبر هو التلف، والتلف هو الجبر، والمقصود واحد وهو الله تعالى. وصاحب الحرف كما أنه لا يفارق الحرف، لا يفارق المعنى. وصاحب المعنى كما أنه لا يفارق المعنى، لا يفارق الحرف. والأمر لا يقوم للإنسان إلا بينهما، وهما مرتبطان في بعضهما، من حبس في واحد تجر له الأخرى لا محالة)، وقال: (اعلم أن الطرق إلى الله طريقتان، واحدة فرع من الأخرى، واحدة يقال لها طريق القرب، والأخرى يقال لها طريق البعد. طريق القرب هي طريق العادة، وطريق البعد هي طريق خرق العادة. الأولى فرق من الثانية. العادة شرع، وخرق العادة حقيقة، والشريعة بعض الحقيقة، والشريعة سلوم الحقيقة. قال سيدي عبد القادر الجيلاني في بعض كلامه: « إنما وضع هذا الشرع لتلك الشرائع » نفعنا الله به آمين)، وقال: (اعلم وقد حكي لنا الشيخ رحمه الله أن رجلًا من الفقراء وجد رجلًا من الصالحين على شاطئ البحر فسلم عليه وجعل يسأله عن الطرق إلى الله فقال الرجل: يا سيدي الطرق إلى الله شتى، فقال له الولي: الطرق إلى الله طريقتان، أما واحدة أظنك عرفت بعضها، أما الأخرى وهي هذه، ورمى رجله في البحر وصار يمشي على الماء حتى غاب عن عين الرجل)، وقال: (اعلم أن الطريق طريقان: طريق الأذكار وطريق الأفكار. أما طريق الأذكار هو طريق شرائع الباطن، وأما طريق الأفكار فهي طريق حقائق الباطن. والإنسان إذا كان متوجهًا لمولاه من طريق الأذكار أو من طريق الأفكار فإن مولاه يكفيه مؤنة ظواهره أحسن مما يقوم بها هو لنفسه، لأن من كان في الله تلفه كان على الله خلفه، ومن لم يدبر دبر له. وكما أن طريق الأذكار تكون قولًا وفعلًا، كذلك طريق الأفكار تكون قولًا وفعلًا، وحقيقة الباطن شريعته وشريعته هي عين حقيقته، ولا يصلح هذا الأمر إلا بملازمة أهله وصحبتهم والوقوف عند أمرهم ونهيهم)، وقال: (اعلم أن طرق الفقر طريقتان: طريق الخوف والهيبة، وطريق العشق والمحبة. أما أهل الخوف من هيبته فهم مشفقون من سطوة جباريته، وأما أهل الشوق لمحبته فهم جلساؤه وأهل حضرته: اشتغلوا به لا بخدمته، لما وجدوه فقدوا كل شيء، ولما عرفوه نسوا به كل شيء، لم يفرحوا بشيء سواه فدام فرحهم، شغلهم النظر إليه في الحركات والسكون وأخذوا بقوله تعالى: ﴿ **هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ** ﴾ [يونس: 58]. ووافق الذكر باللسان والقلب، تفز بلذيذ الأنس في حضرة القرب)، وقال: (اعلم أن الظاهر والباطن ليسا طرقًا وإنما هما مقامان، والله تبارك وتعالى يقول: ﴿ **يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ** ﴾ [الأحزاب: 13]. لكن من أراد خرق العوائد في الأفعال فعليه بارتكاب الشرائع الظاهرية. غرس الشرائع الظاهرية يثمر بالأفعال،

وذلك لأن الأفعال ظلمة، والظلمة عنصرها الفرق، كما أن من أراد خرق العوائد في العلوم: علوم الخبر وعلوم العيان فعليه بارتكاب الحقائق الباطنية. غرس الحقائق الباطنية يثمر بالعلوم، وذلك لأن العلم نور، والنور عنصره الجمع. والعارف بالله لا غناء له عن أثمار الفرق كما لا غناء له عن أثمار علوم الجمع، وهو دائمًا ليس مع جمع ولا مع فرق، وإنما هو أبدًا مع الحق، والذي يكون مع الحق حقًا صفاته إن يكون موجودًا مع الموجودين مفقودًا مع المفقودين حيًا مع الحيين ميتًا مع الميتين، بل كل حال في الوجود أو ضده فهو مع ذلك الحال أو مع أهل ضده، وذلك لأن الحق تعالى غطى وصفه بوصفه ونعته بنعته تعالى، ومن أوصافه ونعوته تعالى أن يكون كل يوم هو في شأن، وكذلك العبد الذي يتغطى وصفه بوصف سيده يكون كل يوم هو في شأن، كما أن أوصاف الحق ليس لها انتهاء، فكذلك أوصاف العبد الذي يكون بالله ليس لها انتهاء، والأمر فوق ما تصف الألسن. تقصر العبارة وتكل، ولا يعلم هذا الأمر على حقيقته إلا الله، وبالله التوفيق).

الطريقة الشاذلية

قال: (اعلم أن مريد طريقتنا هذه، وهي الشاذلية، لا ينالها حتى يحصل له الصدق في التصديق فيها، والصدق في التصديق هو مفتاح الفتوحات الربانية كما قال الشاذلي رحمه الله: التصديق بطريقتنا هذه ولاية)، وقال: (اعلم أن أهل هذه الطريقة الشاذلية { لا تتعذر مادتهم أبدًا لا من جهة الظاهر ولا من جهة الباطن، لأن الحكمة الأزلية في أيديهم والله تعالى يقول: ﴿ **وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا** ﴾ [البقرة: 269]، وذلك أنهم إذا احتاجوا لمادة الظاهر قطعوا مادة الباطن فتتقوى مادة الظاهر في الحين، وإذا احتاجوا لمادة الباطن قطعوا مادة الظاهر فتتقوى مادة الباطن في الحين، وصاروا لا يقطعهم عن مولاهم حال من الأحوال بل يعرفونه في جميع الحالات، في الأشياء وفي أضدادها، وبالأشياء وبأضدادها. قال الشاعر:

ايا ربة القرط التي اتلفت نسكي * على اي حالة فلا بد لي منك

فإما بذل وهو اليق بالهوى * وهو بعز وهو اليق بالملك)

وقال:: (اعلم أن هذه الطريق، أعني الطريقة الشاذلية، طريق العجائب. صاحبها لا يزال يتخلق بالعجائب، ومهما تخلص بعوائد العامة خرج من زمرة أهلها لأن غرس العوائد يثمر بالعوائد وغرس العجائب يثمر بالعجائب. أهل التجريد شرفهم على قدر فساد ظواهرهم، وأهل الأسباب شرفهم على قدر صلاح ظواهره، وما ازداد فسادًا وتخريبًا في ظواهر أهل التجريد على قدره يزداد تنويرًا وصلاحًا في قلوبهم، والقلب هو السلطان، والجوارح الظاهرة والباطنة كلها جنود له، وأهل الأسباب بعكس ذلك:



كل ما ازداد صلاحًا وتنويرًا في ظواهرهم على قدره يكون الفساد والتخريب في بواطنهم، وذلك لأن الاختلاف لا بد منه، قال تعالى: ﴿ **وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ** ﴾ [هود: 118]. جرت سنة الله في عبده الآدمي: ما كان ظاهره مطوي على شيء إلا كان باطنه مطوي على ضده، ولكن جعل سبحانه بحكمته: الباطن به يحكم على الظاهر ﴿ **إِنْ يَعْلَمِ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا** ﴾ [الأنفال: 70]، وجعل سبحانه أيضًا الظاهر يجر الباطن. كأن الباطن سلطان، والظاهر جنوده. فكما أن الجنود لا يقوموه إلا بالملك، كذلك الملك لا يقوم إلا بالجنود. كأن الجند مقابل للأمير، والأمير مقابل الجند إذا اجتمعت كلمة الجند على أمر، تبعهم الأمير، أحب أم كره. وإذا اجتمعت كلمة الأمير على أمر تبعه الجند، أحب أم كره. صار الأمير مقامه مقام الجند، والجند مقامه مقام الأمير، يعني الجند بأسره يعادل الأمير، والأمير يعادل الجند)، وقال: (اعلم أن لطالب هذه الطريقة الشاذلية منزلة يكون فيها بأمر الله يقول للشيء كن فيكون. أو لا يصلحا بالحكمة ذلًا، وثانيًا يصلها بالقدرة عزًا، ونهايته يخرج عنها ذلًا ويخرج عنها عزًلا ولا يبقى إلا بمولاه ومع مولاه وفيما أقامه مولاه: فعند ذلك يحصل على الملك الباقي الذي لا يزول ولا يحول أبدًا، إذا تكلم تكلم بالله، وإذا تحرك تحرَك بالله، ويشهد مولاه ويناجيه بلا واسطة. وبعد هذه المنزلة أيضًا يصل إلى منزلة أرفع من هذه، وهي منزلة الرجوع إلى عامة المسلمين: يا له من رجوع، رجوع بالإذن والتمكين والرسوخ في اليقين، ومن هذا المقام يترقى وهو يسلك مقامات اليقين مقامًا مقامًا كسلوك الشمس في منازلها. نسأل الله تعالى أن يسقينا من ماء الاستقامة).

طريقتنا هذه

قال: (كنت جالسًا مع الشيخ نفعنا الله به فسأله رجل فقال: يا سيدي طريقتكم هذه ما سمعنا من قال بها من الناس أخبرني أي طريق هي؟ فأجابه الشيخ بأن قال له: طريقتنا هذه هي الطريق التي كان عليها النبي > وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وكافة الصحابة رزقنا الله محبتهم. طريقتنا هذه، طريق التجريد من الدنيا والزهد فيها، والنبي > هو إمام الزاهدين وقدوة المحققين، ومن جملة ما قال له قال له: والله يا ولدي إن طريقتنا هذه للبادئ المتوجه إلى الله كمن هو مقيد بحبل متين موثق به وهذا الطريق كأنها سكين مطحونة تقطع تلك الأحبال كلها، ولا وجدنا طريقًا أسرع منها وأنفد وأقرب وأبلغ في الطرق كلها من الطريقة الشاذلية التي تقوم عليها الساعة ولا تنقطع أبدًا. نفعنا الله برجالها وجعلنا في زمرتهم في الدنيا والآخرة بفضله وإحسانه)، وقال: (اعلم أن طريقتنا هذه لها ثلاث شروط، إن وجدت هذه الشروط وجدت وإن عدمت الشروط عدمت. أول الشروط: مداومة

صحبة أربابها، وثاني الشروط: الاستماع إليهم في فعل ما أمروك به ولو كان كأنه محال بدون ثوان ولا التفات، والشرط الثالث: الانتساب لأهل الفن والتشبه بهم)، وقال: (اعلم أن سالك هذه الطريق لا بد له من ثلاثة منازل: أولها ظاهر العمومية، ثم باطن الخصوصية، ثم ظاهر خاصة الخاصة. فإذا حصلت له هذه المنازل الثلاثة فذلك الحلم، فعند ذلك يجري عليه القلم ويعمه ما يعم الرجال. وأما قبل حصول هذه الثلاثة منازل فهو بمنزلة الصبي الذي لم يبلغ الحلم فلا تفارق ركبته والديه لأنه باق محتاج للتربية، لا يربط ولا يحل إلا بموافقة والديه وإلا فلا، ووالداه أيضًا لا يدفعان له الأمانة إلا إذا رأوا عليه أثر الرشاد لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ ﴾ [النساء: 5]. وأما إذا لم يظهر لهم فيه ذلك فهو محجور لا يربط ولا يحل)، وقال: (اعلم أن صاحب طريقتنا هذه وهي الشاذلية، يكون أولًا في زمن البدايات يتلقى المدد من جنسه، وزمن البدايات يدفعه لزمن النهايات فيصير يتلقى المدد من نفسه كما يتلقاه من جنسه. أولًا كان يسحى من وجهتين معًا: وجهة نفسه ووجهة جنسه يعني في زمن النهايات، إلا أن الجنس الذي يسقى منه في زمن البدايات مشايخه، والجنس الذي يسقى منه في زمن النهايات تلامذته. ومنهم من يفتح له وهو مع أشياخه فيصير تارة يسقى من أشياخه وتارة من نفسه ويأخذ في ذلك زمنًا ثم يعدم شيخه. ومنهم أيضًا من يفتح له وهو مع شيوخه ثم أنه يمد فرقة من المبتدئين معه فيصير يسقى من ثلاثة أوجه: من وجهة نفسه ومن وجهة شيوخه ومن وجهة تلامذته، فيعطي لكل وجهة من هذه الثلاثة وقتها مخصوصًا بها، وهذه الحالة لا يقدر عليها إلا مريد قوي صديق عارف، لأنه يستوفي بحق شيوخه بالأدب معهم بعد الوصول إلا من أيده الله بالتوفيق)، وقال: (وقال لي أيضًا: الحيوانات كلها مهما غابت في الماء ماتت، والحوت مهما يخرج من الماء يموت. وكذلك نحن في طريقتنا هذه: كل ما يموت به الخلق نحيى به نحن، وكل ما يضر الخلق ننتفع به نحن:

الموت فيه حياتي * وفي حياتي قتلي)

وقال: (ومما قال لي الشيخ نفعنا الله به يا ولدي: الناس عندهم الأشياء إذا استقامت تقضى الحاجة وإذا تعوجت لا تقضى لهم حاجة، ونحن عندنا في طريقتنا هذه الأشياء إذا استقامت تقضى لنا حاجة وإذا تعوجت تقضى لنا بها ألف حاجة، لأجل ذلك تجدنا نؤثر خرق العوائد على العوائد)، وقال: (اعلم أن طريقتنا هذه طريقة خرق العوائد من لم يخرق العادة من نفسه في الظاهر يعني عادة العامة حتى يظهر خلافه للعامة على جوارحه السبع، لأن خرق العادة لا يخرج إلا من خرق العادة، وأما إذا كان الإنسان إلا مع عادة الناس في الظواهر لا تخرق له عادة في الباطن أبدًا، ولا يختص بخرق العادة في باطنه إلا من خرق العادة في ظواهره كما

قال الشيخ سيدي ابن عطاء الله: كيف تخرق لك العوائد وأنت لم تخرق من نفسك العوائد)، وقال: (اعلم أن طريقتنا هذه جعلها الله بعكس ما يفهمه العقول، وهو المحال عند فهم عامة الناس، لأجل ذلك صاحب هذه الطريقة لا يليق به إلا المحال في أقواله وفي أفعاله وفي أحواله، ذلك هو عزه وشرفه، وهذه الحالة هي المسماة عند أهل الطريقة بالتجريد وهي عندهم بمنزلة الإكسير الذي قيراط منه يغلب ما بين الخافقين. وحقيقة هذا المحال هو الخروج من العادة بالظاهر يعني عادة العامة في الأقوال والأحوال والأفعال والمداومة عليها، وغرس المحال لا ينبت إلا بالمحال، ولا يثمر إلا بثمر المحال، وغرس العادة لا ينبت إلا عادة ولا يثمر إلا بالعادة، كما قال القائل:

ثمار ما قدر غرست تجني * وهذه عادة الزمان

قال تعالى: ﴿ **سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ** ﴾ [الأنعام: 139]، وعنه < : « **إن الله يرزق العبد على قدر همته** » الحديث، وقول العامة فيها: أين تنزل نفسك ثم تنزلها. إذا نزلت نفسك بالخروج عن العادة فيها يمدك مولاك بها وبها يثمر ثمرك ولا تجد نفسك إلا من خاصة الناس، وإذا نزلت نفسك في عادة العامة، بها يمدك مولاك، وبها يثمر ثمرك، ولا تجد نفسك إلا من عامة الناس، وهكذا، قال تعالى: ﴿ **وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ** ﴾ [إبراهيم: 34]. وهذا كله لا يصح إلا إذا كان الضمير موجهًا في طلبه لمولاه، وإما إذا كان الضمير ناقصًا في طلبه، يعني طالبًا للمخلوق، وتخلق بشيء من هذه الأخلاق فذلك هي البدع بنفسها « **وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار** » الحديث. وإذا كان الضمير إلى المولى طالبًا، تجده في كل شيء، وبكل شيء، ويباح للعبد القريب لمولاه بكل شيء، وما كان لله دام واتصل، وما كان لغير الله انقطع وانفصل. يرحم الله القائل:

يا ليتك تحلو والحياة مريرة * وليتك ترضى والانام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عامر * وبيني وبين العالمين خراب

إذا صح منك الود فالكل هين * وكل الذي فوق التراب تراب)

وقال: (وسمعته يقول الحمق في طريقتنا هذه: هو عين العقل، والعقل والحيا في طريقتنا هذه هو عين الحمق، لأن العلم لا يتعلمه مستحي ولا متكبر كما قال الحبيب: اللهم زدني فيك تحيرًا)، وقال: (اعلم أن طالب طريقتنا هذه، إذا لم يكن شجاعًا جسورًا زعيمًا، الربح والخسران عنده سواء، فلا نصيب له، فهو كمن يصطاد بالمدفع، مهما يظهر له الصيد يضربه ولا يبالي قاسه أم لا، إن قاسه فذلك المطلوب، وإن لم يصبه يحصل له بذلك زيادة تعلم وزعامة ومعرفة، إن فاتك ذهبه لم يفتك

أدبه. صاحب الخوف لا نصيب له فيها، وكذلك صاحب الحياء، وصاحب الكبر. قال الششتري في بعض كلامه:

اغلبهـــا بـــالرجلى والتيـــارة * تعـــد تخـــاف منـــك يـــا زعـــيم

وقال: (اعلم أن طالب طريقتنا هذه، إذا لم يكن زعيمًا جسورًا، الربح والخسارة واحد عنده، إذا لم يكن هكذا، ما له فيها نصيب، وذلك لأنها طريق الملك الباطني الغيبي، حكمه حكم الملك الظاهري، ولكن لا يكون الملك ملكًا على أهل وقته حتى تكون همته تعدل همم أهل وقته بأجمعهم، يعني لو وزنت همم أهل وقته بأجمعهم مع همته لرجحت همته عليهم جميعًا، وإذا عظمت الهمة حتمًا تعظم الأفعال على قدرها، لأن الظاهر عنوان الباطن، كل ما بطن في غيب الضمائر ظهر في شهادة الظواهر. يرحم الله الششتري حيث يقول:

اغلبهـــا بـــالرجلى والتيـــارة * تعـــد تخـــاف منـــك يـــا زعـــيم

وقال: (اعلم أن صاحب طريقتنا هذه، يؤتى إليه ولا يأتي هو إلى أحد، ويُحتاج إليه ولا يحتاج هو إلى أحد، ودائمًا معشوقًا عند كل أحد، ولا يعشق هو أحدًا سوى الأحد الفرد الصمد، ومهما صدر منه شيء من هذه النقائص التي لا تليق بأحواله فذلك قدح في همته يجب عليه التطهر منها كتطهره من الجنابة يعني يتطهر من جنابة المعاني بالمعاني كتطهره من الجنابة الحسية بالحس)، وقال: (اعلم أن طريقتنا هذه، أهلها ملوك، يعقدون بكلمة، ويحلون بكلمة، ويرفعون بكلمة، ويضعون بكلمة، ويولون بكلمة، وينزعون بكلمة، وذلك لأنهم أهل معاني، تصرفهم كله معاني)، وقال: (اعلم أن طريقتنا هذه يقال لها طريق الملك الباطن وهي طريق الملك الحقيقي. الملك الظاهر هو نسخة منه كأنه خياله، كما أن الملك الظاهر هو يصل من أراد أن يصله ولا يصل إليه إلا من أراد أن يصل إليه، كذلك صاحب الباطن بينه وبين الناس حجاب من نور يدرك من أراد من الخلق ولا يدركه أحد من الخلق إلا من أراد أن يوصله الله إليه بمشيئته)، وقال: (اعلم أن طريقتنا هذه طريقة الملك، والملك إذا ملك غيره ملكه سلب منه، ما طلع نجم إلا هبط الآخر، والملك غيور لا يمكن للملك أن يملك غيره إلا إذا كان مثل نفسه يعني صديقًا كاملًا وفيًا، ومع هذا لا يترك الغدر في الملك الذي ملكه غلا قليل من الناس، لأن الملك عقيم ما له ولد ولا أخ ولا صاحب ولا أب، من أعطى سيفه لغيره ربما قتل به، قال الششتري في كلامه:

إذا شـــــعرت بـــــالوجود * قـــــد لاح فـــــي ذاتـــــك

هـــــو دس ولازم الجحــــود * هـــــــدك صـــــــفاتك

واضـــرب بترســـك العقـــود * والـــــق عصـــــاتك

وقال: (اعلم أن طريقنا طريق الملك، والملك أول ما يحتاج إليه العزلة عن الناس حسًا ومعنى. الملك لا يجالس إلا من يليق ببساطه ويكون تحت يديه وعند أمره ونهيه. وأما إذا كان مختلطًا مع عامة الناس يفعل كفعلهم ولا يخالفهم في أحوالهم ولا في أقوالهم ولا في أفعالهم فإنه إذ ذاك من جملة العامة، لا خصوصية له، وإنما تحصل له الخصوصية من بينهم بمخالفته إياهم في أقواله وفي أفعاله وفي أحواله وبذلك يحصل له العز والرفعة وبذلك تعلو مرتبته عن مراتب الناس)، وقال: (سمعت الشيخ يقول: صاحب طريقتنا هذه إذا ظفر بها واطمأن قلبه بها، ولو ملك ألف ألف دينار لا تضره بل تنفعه، هذا للكامل فيها. وأما المبتدئ فلا يليق به إلا التخفيف من الدنيا والإعراض عنها في بدايته وعن أهلها وعن الخوض فيها والكلام عليها والإعراض عن مجالسة أهلها حتى تكون عنده الدنيا كالميتة لا يأخذها إلا عند الاضطرار)، وقال: (اعلم رأي سادتنا في طريقتنا هذه، نفعنا الله بهم، كأهل الجنة إذا أرادوا أن يتحدثوا مع بعضهم دنى كل واحد من صاحبه، يتحدثون بما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، حتى إذا عثروا على حديث الدنيا افترقوا وبعد كل واحد من صاحبه. كذلك أهل طريقتنا هذه وهم في الدنيا على هذه الحالة {، لأن طريقتنا طريق البسط، والكلام على الدنيا قبض، والقبض لا يليق بهم وليسوا من أهله)، وقال: (اعلم أن هذا الطريق من لم يصلح لدنيا ولا لآخرة يصلح لمولاه، وما كان الإنسان مع دنياه أو مع آخرته فهو مع المخلوق ولا يصلح إلا للمخلوق، كقصة من ناداه المنادي حين تجلت له الدنيا والآخرة وأعرض عنهما نودي: لو وقفت مع الأولى لمنعناك الثانية ولو وقفت مع الثانية لمنعناك منا)، وقال: (اعلم أن طريقتنا هذه جلالية الظاهر، جمالية الباطن. صاحبها لا يتضعضع لأحد إلا لمولاه، ولا يمنع أحدًا من كلامه ولا من نظره، حتى أنه لو دعي في بعض الأوقات لم يجب، نفس الملوك وحالة المساكين، وذلك لأنها طريق عين الوحدة، قال تعالى: ﴿ **قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ** (1) **اللهُ الصَّمَدُ** (2) **لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ** (3) **وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ** ﴾ [الإخلاص: 1 - 2 - 3 - 4]. صاحب هذه الطريق كلما ازداد جلالًا في ظاهره فذلك شرفه على قدره يزداد جمالًا في باطنه. هذه طريق الباطن، والباطن مقابل للملك الظاهر. كل ما يليق بملك الظاهري يليق بالملك الباطني)، وقال: (اعلم أن طريقتنا هذه يقال لها طريق الذات، وهي أشرف الطرق وأسرعها لأنها موصوفة بأوصاف ذات النبي >. جاء في الصحيح أن النبي > كان جلالي الظاهر جمالي الباطن، وهذه الطريق جعلها الله تعالى كذلك جلالية الظاهر جمالية الباطن، وأهل هذه الوصف الكامل قال تعالى فيهم: ﴿ **وَقَلِيلٌ مَا هُمْ** ﴾ [ص: 24]. قال > : « **حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات** ». وهذه الطريق جعلها الله محوطة بحائط الجلال، وذلك من

غيرة الحق عليها وعلى أهلها، لأن رجلًا منهم أفضل من مائة ألف من غيرهم، لما أراد الله تعالى أن يخفيهم عن أعين خلقه جعل ظواهرهم جلالًا وبواطنهم جمالًا، لأجل ذلك صارت عامة الناس ينكرونهم ولا يعرفهم من الناس إلا من أخذ الله بيده وفتح بصيرته، لا يوصل إليهم مولاهم إلا من أراد أن يوصله إليه. يا سعد من فتح الله بصيرته وعرف أحدًا من أهل هذه النسبة النبوية. جعلنا الله وإياكما من أهل محبتهم، المشتاقين لرؤيتهم آمين يا رب العالمين)، وقال: (اعلم أنه عند هؤلاء الرجال، أهل هذه الطريقة {، مقام يصلونه يقال له مقام الربوبية، وهو أرفع المقامات وأعلاها وأكبرها وأرفعها، من جهة الحقيقة لا ينال إلا بفضل الله تعالى، ومن جهة الشريعة لا ينال إلا بعدم الكلف، وهو مقام عين الوحدة الذي طلب مولانا عبد السلام بن مشيش نفعنا الله به آمين)، وقال: (ومما وقع لسيدي محمد لفضيلي مع شيخان سيد العربي نفعنا الله به، ستة أشهر وهو يطلبه في شيء من الحقائق، والشيخ يقول له: السير إلينا كل يوم، وسيدي امحمد يقول: زدني شيئًا أفعله، والشيخ يقول له: حسبك المجيء إلينا. ما زال يكرر عليه طلب الزيادة، والشيخ نفعنا الله به لا يزيده شيئًا عن: حسبك المجيء إلينا، حتى قال له يومًا: يا ولدي أنت تطلب الكلفة وطريقتنا هذه طريق عدم الكلفة)، وقال: (وسمعته أيضًا يقول لأحد من أصحابنا: يا ولدي إذا رأيت طالب هذه الطريق يعني الخصوصية فاختبره في العهد والميعاد، إن وجدته صادقًا في عهده وافيًا في ميعاده، فاعلم أن طلبه صادق، وإلا فهو كاذب)، وقال: (اعلم أن طريقتنا هذه لا يحصل عليها إلا من يكون عنده الشعف حرامًا، يغلب ويعود ولا يشعف. يرحم الله الششتري حيث يقول في بعض كلامه:

اغلبهـــــا بــــالرجلى والتيــــارة * تعــد تخـــاف منـــك يـــا زعـــيم

هذه بعض علامات صاحب هذه الطريق أي طالبها، وهذا كله إشارة لصدق الطلب، ومهما صدق الإنسان في طلبه لشيء يمده الله في الحين من غير تراخ، لأن التراخي مال من قبل المولى وإنما يأتي من قبل الإنسان أي من عدم صدقه في طلبه، قال تعالى: ﴿ **وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ** ﴾ [إبراهيم: 34])، وقال: (اعلم أن الأشياء كلها تابعة لك، وما حبست همتك في شيء وتعلقت به إلا حبس ذلك الشيء فيك وتعلق فيك، وما زهدت همتك في شيء وعدلت عنه إلا زهد فيك ذلك الشيء وعدل عنك وهكذا، واعلم أن الفقه شرط في صحة العمل ولذلك قدم عليه، والعمل ليس بشرط صحة بل كما لا يترك لأجل فقده. وهذه الطريق طريق غريب عجيب مبناه على إتباع الأحسن أبدًا: فمن العقائد على إتباع السلف، ومن الأحكام على الفقه، ومن الفضائل على مذهب المحدثين، ومن الأدب على ما به صلاح قلوبهم عزيمة أو رخصة مباحًا صريحًا أو شبهة ما لم تقوى جدًا أو تكون مائلة إلى جانب الظلمة،

ولذلك قالوا بأشياء أنكرها عليهم من لم يعرف مقاصدهم وأثرها من دخل في الطريقة ومن لم يعرفها هلك)، وقال: (اعلم أن طريقتنا هذه يقال لها طريق الأفكار، وصاحبنا يخدمها مع نفسه ومع جنسه، مع نفسه لا إشكال، ومع جنسه يعني أهل طريقته وفنه)، وقال: (اعلم أن طريقتنا مثل سراق الليل، ما داموا واحدًا أو اثنين أمرهم مستور، وأما ثلاثة فمخاطرة، وأما إذا كانوا أربعة يقوم عليهم جميع الخلق بالصياح من كل جانب حتى لا ينجو برؤوسهم إلا إذا نجاهم الله)، وقال: (سمعت الشيخ نفعنا الله به يقول: طريقتنا هذه مثل الماء يسقي به الحلو وينبت ويصلح، ويسقى به المر وينبت ويصلح. الزرايع كلها إن سقيتها به سواء كان زرعًا حلوًا أو مرًا)، وقال: (اعلم أن طريقتنا هذه طريقة الشرائع، ونتائجها حقائق، لذلك تسمى باطنية، اسمها على نتائجها. وضدها هي طريقة الظواهر، هي طريقة حقيقية، ونتائجها شرائع، لذلك سميت طريق الظواهر، اسمها على نتائجها، أهل البواطن يطلبون الشرائع وتطلبهم الحقائق، وأهل الظواهر بالعكس يطلبون الحقائق وتطلبهم الشرائع، وأهل الجمع بين الظاهر والباطن يطلبون الشرائع كما يطلبون الحقائق وتطلبهم الشرائع، وأهل الجمع بين الظاهر والباطن يطلبون الشرائع كما يطلبون الحقائق وتطلبهم الحقائق كما تطلبهم الشرائع)، وقال: (اعلم أن طريقتنا هذه، خسارتها كلها اجتمعت في بخل النفس وبخل الفلس، وخيرها كله اجتمع في سخاوة النفس وسخاوة الفلس. إذا أردت مولاك اترك نفسك ومالك تجده أقرب إليك من نفسك ومالك، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ** ﴾ [التوبة: 111])، وقال: (اعلم أن النجاة لصاحب طريقتنا هذه في الركون لأسفل شيء في الظاهر أيضًا ولا يكون ذلك أيضًا إلا بمرافقة رؤساء أهل السفليات. ترى صاحب الحقيقة ما له مهرب ولا ملجأ إلا لهذين الوجهتين فقط، وأما إذا لم ينجز لأحد هذين الوجهتين، وبقي لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء فإن أهل الشرع يأخذونه أخذًا وبيلًا ويمزقوا عرضه وبدنه. انظر قول شيخ شيوخنا سيدي عبد الرحمن المجذوب نفعنا الله به حيث قال:

اهـــــل الحقيقـــــــة يعــــــذرونا * واهـــــل الشـــــريعة يحرقونـــــا

وكل من هلك من أهل الحقيقة، ما كان سبب هلاكه إلا أنه لم ينحز لأهل العلويات ولا لأهل السفليات وبقي بتردد بينهما حتى أخذ مثل الحلاج وأمثاله ممن سلك هذا الطريق، وكل من نجى من أهل هذا الطريق أعني طريق الحقيقة تجده أخذ بأسفل السفليات أو بأعلى العلويات).



الطعام والكلام

قال: (اعلم أن بساط أهل الظاهر اللقم، وبساط أهل الباطن الكلام)، وقال: (اعلم ومما قال لي سيدنا نفعنا الله به قال لي: يا ولدي خلق الله الأشباح وخلق الأرواح، وجعل للأشباح أقوات الطعام، وجعل للأرواح أقوات الكلام. كما أن الأشباح لا تقوم إلا بالطعام، كذلك الأرواح لا تقوم إلا بالكلام خيرًا كان أو شرًا).

الطلب

قال: (إياك أن تكون طالبًا، كن مطلوبًا عند الخلق، ولا تكن طالبًا، لأن الخلق مجبولون على من طلبهم تركوه ومن تركهم طلبوه. ما تطلبه ويطلبك أكثر إلا مولاك. جرت عادة الله أن من طلب شيئًا لا يظفر به حتى يبذل فيه نفسه وماله. يا خسارة من بذل نفسه وماله في طلب الخسران وهو المخلوق، ويا ربح من بذل نفسه وماله في طلب من يضاعفها له أضعافًا كثيرة وهو الله تبارك وتعالى. قال الله تبارك وتعالى على لسان نبينا الصادق الصدوق: **« من تقرب إلي شبرًا تقربت إليه ذراعًا، ومن تقرب إلي ذراعًا تقربت إليه باعًا »**. وقربك منه على قدر زهدك في الدنيا وفي الآخرة كقصة الشيخ الذي تجلت له الدنيا وأعرض عنها وهي في أحسن هيئة فأعرض عنها وسار، ثم تجلت له الآخرة في أحسن هيئة لا تشبه هيئة الدنيا بل أعظم وأعظم، وأعرض عنها وسار، فإذا هو بالنداء عليه: يا فلان لو وقفت مع الأولى لحجبناك أي لمنعناك الثانية، ولو وقفت مع الثانية لمنعناك منا، والآن هما لك باثنين، ووجهنا).

الظاهر

قال: (اعلم أنه إذا أثبت الظاهر فإنه يخرج منه عجب العجائب، سواء كان بباطن أو بغير باطن. رأس الخير ونهاية الظفر هو ثبوت الظاهر، ومن ثبت ظاهره ثبت خيره وثبتت نتيجته وغنيمته، ومن لم يثبت ظاهره لا ظفر له ولا نتيجة له. انظر قول الشيخ المجذوب نفعنا الله به: « لا محب إلا بوصول »، إشارة للوصول الحسي الظاهري، كأنه يقول: لا ثبوت للمحبة إلا بالوصول الظاهري بالذات، وأما الوصول المعنوي بالقلب فلا ثبوت للمحبة به. « **أمرت أن أحكم بالظواهر والله يتولى السرائر** » الحديث).

الظاهر والباطن

قال: (اعلم أن كل ما يثبته لك ظاهرك فهو ثابت، ولو نفاه عنك جميع الخلائق. كما أن كل ما ينفيه عنك باطنك فهو منفي ولو أثبته لك جميع الخلائق.

وذلك لأن باطنك علم وأقوال، وظاهرك عمل وأفعال، ولا شك أن الأفعال تصدق والأقوال تكذب. « أنتم شهداء الله في أرضه » الحديث أو كما قال. صار ما يثبته لك الخلق فهو ثابت، وما ينفيه عنك في الخلق لا إثبات فيه، والكلام على الجل)، وقال: (اعلم أن القناعة واللحاحة ضدان مجتمعان في الإنسان. من ظهرت القناعة في ظاهره، اللحاحة حتمًا تكون في باطنه. ومن ظهرت اللحاحة في ظاهره، حتمًا تكون القناعة في باطنه. هذه سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا، وهذا قياس صحيح والله أعلم)، وقال: (اعلم أن الاجتماع في الظاهر هو الفرقة في الباطن، والفرقة في الظاهر هو الاجتماع في الباطن، وبالعكس. أعني الإثبات في الظاهر هو النفي في الباطن، والنفي في الظاهر هو الإثبات في الباطن. « **ألا أن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب** » الحديث.)، وقال: (اعلم أن التخلق بحقائق الجلال في الظاهر يورث الجمال في الباطن، والتخلق بحقائق الجمال في الظاهر يورث الجلال في الباطن، وشتان بين من صفى له باطنه وتكدر له ظاهره، وبين من صفى له ظاهره وتكدر له باطنه. يرحم الله القائل:

يا ليتك تحلو والحياة مريرة * وليتك ترضى والانام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عامر * وبيني وبين العالمين خراب

إذا صح منك الود فالكل هين * وكل الذي فوق التراب تراب)

وقال: (اعلم أن السر إذا كان في الباطن، ليس الظاهر فيه نصيب، وإذا خرج الظاهر ليس للباطن فيه نصيب، كما قال سيدي عبد القادر في قصيدته العينية قال: « فراحلة الألفاظ في السير طالع »)، وقال: (اعلم أنك مهما توجهت إلى الظاهر أدبر عنك الباطن، ومهما توجهت إلى الباطن أعرض عنك الظاهر، ونورانية الظاهر لا تكون إلا بظلمانية الباطن، ونورانية الباطن لا تكون إلا بظلمانية الظاهر وهكذا)، وقال: (اعلم أن من عظمت نورانية باطنه لا تجده إلا قليل المعرفة بالخلق، وذلك لأنها ما عظمت نورانية باطنه حتى عظمت ظلمانية ظاهره، ومن عظمت ظلمانية ظاهره فإن الخلق يفرون منه، ولا بعد فرار الخلق منه إلا إقبال الحق عليه. وكذلك من عظمت نورانية ظاهره حتى عظمت ظلمانية باطنه، ومن عظمت ظلمانية باطنه فإنه محجوب عن الحق، وماذا بعد حجابه عن الحق إلا إقبال الخلق عليه. المقبل على الخلق هو المدبر عن الحق، والمدبر عن الخلق هو المقبل على الحق)، وقال: (اعلم أنه من شغل باطنه استفرغ ظاهره، ومن شغل ظاهره استفرغ باطنه)، وقال: (اعلم أنك إذا أردت الظفر بالباطن ويسخر لك علي أحسن هيئة أعرض عن الظاهر بالكلية تظفر بالباطن بالكلية، وإذا أردت الظفر بالظاهر بالكلية أعرض عن الباطن بالكلية تظفر بالظاهر بالكلية. على

قدر ضعف الظاهر يقوى الباطن، وعلى قدر ضعف الباطن يقوى الظاهر، والكلام على الدنيا مثل النار أصغره يحرق)، وقال: (اعلم أنه كما للظاهر قاعدتان: قاعدة دينية وقاعدة دنيوية، كذلك للباطن قاعدتان: قاعدة دينية وقاعدة دنيوية. حكم الباطن هو حكم الظاهر، من غير زيادة ولا نقصان. ومادة الإنسان واحدة دائمة، أبدية أزلية سرمدية، ما لها وقوف ولا انحصار أبدًا، إلا أنها تارة يكون فيضها في ظاهر الإنسان وباطنه بطال، وتارة بالعكس يكون فيضها في باطن الإنسان وظاهره بطال، وتارة تنقسم على الظاهر والباطن ولكن يكون الحكم للواحد على الآخر لا محالة، إذا كانت مادة الظاهر أقوى من مادة الباطن، الحكم للظاهر، وإذا كانت مادة الباطن أقوى من مادة الظاهر، الحكم للباطن، وما زاد في مادة الظاهر نقص في مادة الباطن، وما زاد في مادة الباطن نقص من مادة الظاهر، وهكذا، ولأجل هذا المعنى تجد أهل القلوب إذا أرادوا تقوية بواطنهم يخرجوا ظواهره. مثله كمن له قسمة ماء وله قدوسان واحد يمينًا والآخر شمالًا، إذا صب قادوس اليمين يرجع الماء لقادوس اليسار، وإذا سد قادوس اليسار يرجع الماء لقادوس اليمين. رزق واحد، تارة يكون معاني، وتارة ينقلب حسيات. الجاهل لا يشعر إلا بمادة الحس، وصاحب البصيرة يعرف مادة الحس كما يعرف مادة المعنى، ويعرف مادة المعنى كما يعرف مادة الحس، يعني يفهم ذلك من نفسه في نفسه، ويعرف ما زاد من ذلك وما نقص، ويعرف سبب زيادته وسبب نقصانه، وأهل هذا الفن قليل، لا يسلك هذه البلاد إلا من أخذ الله بيده بملاقاة أحد من أهل هذا الفن، ﴿**وَقَلِيلٌ مَا هُمْ**﴾ [ص: 24])، وقال: (اعلم أن وجود أهل العلم والعمل الظاهري هو سبب فقدان مواهب العلم والعمل الباطني، وبالعكس يعني وجود الظاهر هو سبب فقد الباطن، وفقد الظاهر هو سبب وجود الباطن، واجتماعهما معًا في القلب محال. وظاهرك هو المثبت لباطنك، وظاهرك هو المبطل لباطنك أيضًا، وكذلك باطنك هو المثبت لظاهرك، وباطنك أيضًا هو المبطل لظاهرك، وظاهرك يتلفك عن باطنك، وظاهرك أيضًا يجمعك على باطنك، وباطنك يتلفك عن ظاهرك، وباطنك أيضًا يجمعك بظاهرك. كأن موضع الربح هو موضع الخسران. أين عظم الربح وعظمت العناية، ثم عظم الخسران وعظم الرزاية. فإن أردت باطنك خرب ظاهرك تجد باطنك طوع يديك، وإذا أردت فقد باطنك صحح ظاهرك يذهب باطنك حتى لا تجد له خبرًا ولا رائحة كأنه لم يكن. يقول الششتري رحمه الله في هذا المعنى:

عنـدي محبـوب إنمـا هـو غيـور * تراه ايطلل في قلبي كطير احدور

إن راى فـي قلبـي شـيئًا امتنـع ان يـزور

وخلاء القلب من كل واحد منهما محال، إما عامر بالظاهر، أو عامر بالباطن،

ليس إلا، وساعة دخول واحد على الآخر يفقد الموجود ويوجد المفقود، فيثبت الداخل وينفي الخارج)، وقال: (ومما سمعت من الشيخ نفعنا الله به قال لي: يا ولدي إذا أردت نتيجة الظاهر فاسقه بالباطن فإنه يقوم، وإذا نتيجة الباطن فاسقه بالظاهر فإنه يقوم، لأن الأشياء لا تقوم إلا بأضدادها، والظاهر بلا باطن لا يقوم أبدًا وإن قام لا يكون إلا ناقصًا، وكذلك الباطن لا يقوم بلا ظاهر أبدًا وإن قام لا يكون إلا ناقصًا)، وقال: (اعلم أنك ما اشتغلت بمصلحة نفسك إلا فاتتك مصلحة جنسك، وما اشتغلت بمصلحة جنسك إلا فاتتك مصلحة نفسك، وذلك لأن الفساد لا يفارق أخاه وهو الصلاح، كما أن الصلاح لا يفارق أخاه وهو الفساد. إذا توجهت لمصلحة نفسك ظهر الفساد من قبل جنسك، وإذا توجهت لصلاح جنسك ظهر الفساد من قبل نفسك. والأمور كلها بأجمعها ما دامت في الباطن وهي جمع مؤتلفة، ومهما خرجت للظاهر صارت فرقًا مختلفة، والجمع لا يصح بعدم الائتلاف، كما أن الفرق لا يصح بعدم الاختلاف. ما دامت الأمور في الغيب وهي واحد، ومهما ظهرت تفرقت. سبحان من جعل الظاهر فرقًا ليس فيه جمعًا، كما جعل الباطن جمعًا ليس فرقًا، وجعل الظاهر هو عين الباطن، كما جعل الباطن هو عين الظاهر، وجعل الفرق هو عين الجمع، كما جعل الجمع هو عين الفرق. سبحان الحكيم العليم. سبحان من جعل الائتلاف هو عين الاختلاف، كما جعل الاختلاف هو عين الائتلاف. سبحان من فرق بين الأضداد حتى لم تجتمع، كما جمع بين الأضداد حتى لم تفترق. سبحان الحكيم العليم)، وقال: (اعلم أن الحكمة في الظاهر مجموعة في مسألتين، وفي الباطن أيضًا أيضًا مجموعة في مسألتين. في الظاهر: ما رغبت في شيء إلا زهد فيك هو، ولا زهدت في شيء إلا رغب فيك هو. وفي الباطن بالعكس: ما رغبت في شيء إلا رغب فيك هو كذلك، ولا زهدت في شيء إلا زهد فيك هو كذلك، وذلك لأن الاختلاف لا بد منه: الظاهر ضد الباطن، والباطن ضد الظاهر، مع أنه في الحقيقة: الظاهر هو الباطن، والباطن هو الظاهر، ولكن الفرق افترق حتى لم يكن فيه اجتماع، والجمع اجتمع حتى لم يكن فيه فرق، والكل حق، ولا ثم إلا الحق)، وقال: (اعلم أن الباطن كله معاني، والظاهر كله حسيات، ولكن كأن الباطن سرق للظاهر شيئًا من الحسيات، وكأن الظاهر سرق للباطن شيئًا من المعاني. صارت حسيات البواطن مجازية لا أصلية كما أن معاني الظاهر مجازية لا أصلية. وحكمة الله تعالى في ذلك هو أن الظاهر لا يقوم إلا بين اثنينية الحس والمعنى، كما أن الباطن لا يقوم إلا بين اثنينية الحس والمعنى. كأن حقيقة الباطن المعنى، وشريعته الحس، وكأن حقيقة الظاهر الحس، وشريعته المعنى، وهكذا)، وقال: (اعلم أن ظاهر الإنسان وظاهر في الحقيقة كله جلال، كم أن باطن الإنسان وباطن الوجود في الحقيقة كله جمال، ولكن بامتزاج



الظاهر بالباطن، والباطن بالظاهر، ربما يظهر شيء من جمال الباطن على الظاهر، وشيء من جلال الظاهر على الباطن، وعلى قدر ما تأخذ الظواهر من جمال البواطن تأخذ البواطن من جلال الظواهر، وذلك أن الجلال كله ذات فرق، والجمال كله صفات جمع، وعلى قدر ما يظهر من أثر الصفات على الذات، يظهر من أثر الذات على الصفات. صار جلال الظواهر هو جمال البواطن، وجمال البواطن هو جلال الظواهر. أين هو حبيبك ثم عدوك. والجلال في الظواهر قلنا أصلي، والجمال في الظواهر عاري، كما أن الجمال في البواطن أصلي، والجلال في البواطن عاري. والزيادة تنمو بين الأصل والعاري، وبين الأصل والأصلي، وبين العاري والعاري، من الباطن إلى الظاهر، ومن الظاهر إلى الباطن. الأمر راحل أبدًا، قاطن أبدًا، ظاهر أبدًا، باطن أبدًا، مجموع أبدًا، مفروق أبدًا، قريب أبدًا، بعيد أبدًا، صغير أبدًا، كبير أبدًا، علوي أبدًا، سفلي أبدًا، حسي أبدًا، معنوي أبدًا، جلالي أبدًا، جمالي أبدًا، حي أبدًا، ميت أبدًا، موجود أبدًا، مفقود أبدًا، متحرك أبدًا، ساكن أبدًا، إلى ما ليس له حصر من نعوت أوصافه)، وقال: (اعلم أن الباطن من الظاهر، بمنزلة مرآة مقابلة للإنسان، يعني الظاهر إنسان، والباطن مرآة، والمرآة مقابلة للإنسان، كما أن الإنسان مقابل للمرآة، والذي يفعله الظاهر يفعله الباطن من غير زيادة ولا نقصان، كما أن ما يفعله الرجل تفعله المرآة من غير زيادة ولا نقصان. من فعل خيرًا يفعل له خيرًا، ومن فعل شرًا يفعل له شرًا، ومن عظم عُظم، ومن حقر حُقر، ومن ضيق ضُيق له، ومن وسع وُسع له، ومن أحسن أُحسن إليه، ومن أساء أسيء إليه، ومن شرف شُرف، ومن أهان أهين، ومن شدد شُدد له، ومن خفف خُفف له، ومن أقر أُقر له، ومن أنكر أُنكر له، ومن أعطى أُعطي له، ومن قتر قُتر له. صار من أحرم أحد من الشيء إلا من أحرم نفسه منه، وما أعطى أحد شيئًا عظيمًا أو حقيرًا إلا من أعطاه لنفسه قال تعالى: ﴿ **ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ** ﴾ [آل عمران: 182]، وقال جل من قائل: ﴿ **وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ** ﴾ [محمد: 38]، فافهم. ومشيئة الله هي الأصل، عليها تترتب مشيئة العبد)، وقال: (اعلم أن صاحب الباطن لا طاقة له بشغل الظاهر، لا شغل العادة ولا شغل العبادة، إلا القليل، وإذا اضطر لفعله لا مزية تحصل له فيه. كما أن صاحب الظاهر لا طاقة له بشغل الباطن، لا شغل العادة ولا شغل العبادة، إلا القليل، وإذا ألجأه الحال لفعله، لا يحصل فيه على شيء)، وقال: (اعلم أن الكامل من أهل الباطن، بعد حصول ثمرة باطنه، إذا كان من الرجال الأقوياء، يأخذ من الظاهر ما لا محيد عنه. رأيت في تأليف لبعض المشايخ العارفين بالله { قال: صاحب هذا الفن يعني فن الباطن يفر من الظاهر فراره من الأسد. وإذا كان الباطن وهو القلب في حضرة الحق، والظاهر وهو الجوارح في

حضرة الخلق، فذلك عين الزبد بالشهد. وهذا الوصف لا يوجد إلا في الرجال الأقوياء وهذه الفرقة يقال لهم أهل العزلة بالقلب دون البدن، كما قال بعضهم: الجسد في الحانوت والقلب في الملكوت. اللهم إلا أن يكون صاحب الباطن تقدم له علم الظاهر قبل علم الباطن، وكانت معه قوة عظيمة فربما يأخذ بعض الأحيان في علم الظاهر. سمعت أن الشيخ سيدي عبد الرحمن الفاسي، نفعنا الله به وبأمثاله، قال: كنت أعرف أربعة عشر علمًا من علوم الظاهر، فلما دخلت في العلم بالله، ذهبت تلك العلوم كلها حتى لم يبق لي منها إلا علمان أخوض فيهما مع أصحابنا في بعض الأحيان: علم الحديث وعلم المنطق. والعلم بالله هو علم الباطن بنفسه، وهو حتمًا ما دخل العلم بالله للقلب إلا خرج غيره منه على كل حال. فحول الرجال من أهل العلم بالله تجد عندهم تسعة أقسام من العلم بالله، وقسمًا واحدًا من علم الظاهر، ولا يوجد هكذا إلا من له قوة عظيمة، لأن الحق غيور، ما دخل مشتركًا قط)، وقال: (اعلم أن المراتب كلها، اجتمع سرها في مرتبة وهي أشرفهم وأعلاهم وأكبرهم وأعظمهم، هو أن يكون باطنك مع الحق حقًا، وظاهرك مع الخلق بالحق، كما قال الشاذلي رحمه الله: الجمع في سرك مشهود والفرق في لسانك موجود. لأنك إذا كان ظاهرك مع الخلق، وباطنك مع الحق، فإنك حينئذ تصفي جميع أحوالك. من جهة الظاهر لا ينكرونك الخلق، ومن جهة الباطن لا واسطة بينك وبين الحق)، وقال: (اعلم أن الظاهر مع الباطن، كأن الظاهر ولد والباطن أبوه. إذا كان الباطن قويًا، لا يلد ولده إلا قويًا، وهو الظاهر. وإذا كان الباطن ضعيفًا لا يلد ولده إلا ضعيفًا وهو الظاهر، وإذا كان الباطن ظلمانيًا لا يلد ظاهره إلا ظلمانيًا، وإذا كان الباطن نورانيًا لا يلد ظاهره إلا نورانيًا. حاصل الأمر: الظاهر نتيجة الباطن)، وقال: (اعلم أن أشجار الظاهر لا تقر عين غارسها حتى تظهر له الثمار، وثمار أشجار الظاهر هي البواطن. الثمار تزيد ظهورًا، وهو يزيد راحة وتنعمًا، حتى تكمل ثماره وتنتهي، عند ذلك تكمل راحته ونعمته وتنتهي. وكذلك من غرس أشجار الباطن لا تقر عينه حتى تظهر له النتائج وهي الثمار، وثمار أشجار الباطن هي الظواهر. صاحب الباطن، ثمار الظاهر تزيد له ظهورًا وهو يزيد راحة وتنعمًا، حتى تكمل ثماره وتنتهي، عند ذلك تكلم نعمته وراحته وتنتهي. صارت ثمار الظواهر هي البواطن، وبالعكس وثمار البواطن هي الظواهر. الظواهر نتائجها البواطن، كما أن البواطن نتائجها الظواهر. وهذا القياس ظاهر في أغراس الأرض بحيث تجد الأشجار تصير ثمارًا، وكذلك الثمار تصير أشجارًا وهكذا)، وقال: (اعلم أن الظاهر، صفاته زيادات ونقصان، تاسيعًا وضيقًا، مرفوعًا موضوعًا، علويًا سفليًا، كبيرًا صغيرًا، موجودًا مفقودًا، عزيزًا ذليلًا، قويًا ضعيفًا، معطيًا مانعًا، قادرًا عاجزًا، مبسوطًا مقبوضًا، مجموعًا مفروقًا، فرحًا محزونًا، صحيحًا سقيمًا، حيًا



ميتًا، صديقًا عدوًا، موصولًا مقطوعًا، عامرًا خاليًا، اجتماعًا وفرقةً، فردًا وجماعة، رخاء وشدة، إلى ما ليس له حصر من الأصواف وأضدادها، وذلك لأنه فرق. والباطن بخلاف ذلك، صفاته زيادة بلا نقص، تاسيعًا بلا ضيق، مرفوعا بلا وضع، علويًا بلا سفل، كبيرًا بلا صغر، موجودًا بلا فقد، عزيزًا بلا ذل، قويًا بلا ضعف، معطيًا بلا منع، قادرًا بلا عجز، مبسوطًا بلا قبض، مجموعًا بلا فرٌ، فرحًا بلا حزن، صحيحًا بلا سقم، حيًا بلا موت، صديقًا بلا عدو، موصولًا بلا انقطاع، عامرًا بلا خلاء، مجموعًا بلا فرقة، رخاءً بلا شدة، إلى ما ليس له حصر من هذه الأوصاف المجموعة بلا فرق. لأجل ذلك من دخل بجمع الباطن لفرق الظاهر فقد دخل على السر الأبدي، كما أن من دخل لفرق الظاهر قبل حصول جمع الباطن فهو مخذول، كما قال بعضهم:

انـــــا مــــع الخلـــــق بـــــالحق * اشـاهد الجمـع علــى بسـاط الفـرق

وقال سيدي عبد الرحمن المجذوب نفعنا الله به:

مــــن شـــــاهد الكـــون بـــالكون * عزيـــه فـــي عمـــى البصـــيرة

ومـــــــن شـــــــاهد بـــــــالمكون * صـــــادف عـــــلاج الســـــريرة)

وقال: (اعلم أن هذا الإنسان، جعل الله باطنه أكبر من كل شيء كبير، وظاهره أصغر من كل شيء صغير. باطنه جمال وظاهره جلالي، وهذا مراد الحق تعالى منه. إذا وافقت أحواله أصله فهو في أكمل هيئة، وإذا لم توافق أحواله أصله فهو مخذول. إذا كان ظاهره جلالًا وباطنه جمالًا يكون خيره كثيرًا وشره قليلًا، وإذا كان ظاهره جمالًا وباطنه جلالًا يكون شره كثيرًا وخيره قليلًا، والحكم للغالب)، وقال: (اعلم ومما يدلك على أهل الباطن أعظم من أهل الظاهر، انظر في نفسك، أين ظاهرك من باطنك. إذا نظرت بعين الظاهر تنظر ميلًا أو ميلين، وإذا نظرت بعين باطنك تخرق الوجود بأسره علوي وسفلي وتجوز على ذلك حتى تخرق الكون والأين والكيف حتى تشاهد بعين باطنك ما لا يحتويه أين ولا كيف. سبحانه وتعالى عما يشركون. قال تعالى: ﴿ **وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ** ﴾ [الذاريات: 21]. وهذا مما يدل على عالم الحس بأجمعه كسفينة في بحر المعاني، أين السفينة من البحر، وأين البحر من السفينة)، وقال: (اعلم أن الله تعالى شرف الباطن على الظاهر بل على الوجود بأسره لقوله < : « **لن تسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن** » أو كما قال، وشرف أيضًا بقوله < : « **إن في ابن آدم مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب** » أو كما قال الحديث. ويدلك أيضًا على شرف الباطن على الظاهر حيث جعل لك سبحانه باطنك كله جمع وظاهرك كله فرق، كأن



باطنك ملك وظاهرك مملكة، فيفهم من هذا أن كل من أضيف للباطن فقد أضيف للملك ولا شك أن من أضيف للملك فهو ملك، وكل من أضيف للظاهر فقد أضيف للمملكة وكل من أضيف للمملكة فهو مملوك، والوجود بأسره ما فيه إلا مالك ومملوك. الرب ملك والعبد مملوك، من تعلقت همته بمحبة الملك فهو ملك بملك سيده ومحبوبه، ومن تعلقت همته بمحبة المملوك فهو مملوك بملكية سيده ومحبوبه. الأول عبد الملك وهو الحق، والثاني عبد المملوك وهو الدرهم).

العارف

قال: (من أوصاف العارف بالله أن تجد أقواله وأحواله كأحوال ضعفاء عامة المسلمين، يعني في ظاهره من جهة المعنى، لأن الظاهر له حس ومعنى، والباطن له حس ومعنى. الظاهر تنبئك به الأحوال والأفعال، والباطن ينبئك بأخباره اللسان. صار العارف بالله، إما في أحواله وأفعاله، يكون كما ذكرنا في ظاهره. وأما أقواله التي تنبئ عن باطنه فإنه تجده لا ينكر على أحد حالًا من أحواله، لا من عامة الناس ولا من خاصتهم، لأن مرتبة المعرفة بالله لا تحصل لأحد حتى يكون عبدًا لله في جميع الحالات، وإذا كان عبدًا لله في جميع الحالات كيف ينكر على الخلق شيئًا من أحوالهم؟ بل يبطل إنكاره، لأن سبب الإنكار الجهل، وإذا حصلت المعرفة حصل العلم، ومهما حصل العلم انتفى الجهل على كل حال، لأجل هذا المعنى كثيرًا ما تجد العارفين بالله { يسيرون على سير الضعفاء. قيل: إنه كان من أوصافه > ما اجتمع له أمران إلا اختار أيسرهما، وهو > إمام العارفين، وكلهم غرقوا من بحر أنواره. نسأل الله تعالى أن يجعل لنا معهم الحظ والنصيب الوافر بفضله وإحسانه وجوده وكرمه إنه على كل شيء قدير)، وقال: (اعلم يا أخي لا يكون العارف عارفًا حتى تشرق عليه شموس المعارف، ومن لم يفقه الهوى فهو في جهل)، وقال: (اعلم أن العارف سائر دائمًا بشاهدين عدلين: شاهد الجمع في عالم نفسه وشاهد الفرق في عالم جنسه، إن ضل أحد الشهود يذكره الآخر « والحق أحق أن يتبع ». كأن شاهد النفس حقيقة، وشاهد الجنس شريعة، والعارف سائر بينهما، كما قال بعض المتكلمين:

إذا تبعـــــــــت الطريقــــــــة * تظهـــــر ســــــرورًا ومعــــــاني

بــــــين الشــــــرع والحقيقـــــة * تشــــاهد مــــن لا لـــــو ثــــاني

ســــــيدي إمــــــام الطريقــــــة * المصـــــطفى هــــو إمــــامي

مــــــن حبـــــه قـــــد ســـــقاني * كاسًـــــا وكنــــــت علــــــيلا

مهمـــا ارتقـــى الـــراح فـــي صـــدري * شـــــفيت منــــــه الغلــــــيلا)

العامة والخاصة

قال: (اعلم أن للخلق ثلاث مقامات، كل مقامة في منزلة، أولهم مقام خاصة المسلمين ومقام عامة المسلمين، ومقام أهل الشرط أعاذنا الله منه، وفي هذه المقامات انحصرت أحوال ولد آدم. أما مقام الكفر على فرقتين: أهل كفر الأقوال وأهل كفر الأفعال. أما أهل كفر الأقوال فهم المنافقون، وأما أهل كفر الأفعال هم اليهود والنصارى. وأهل مقام الإسلام { ينقسمون على فرقتين: فرقة أهل أقوال وفرقة أهل أفعال. فرقة أهل الأقوال هم العصاة، وفرقة اجتمعت فيهم الأقوال والأفعال هم المسلمون حقًا {. وأما أهل مقام الخصوصية ينقسمون على فرقتين: فرقة أهل ظاهر وفرقة أهل باطن. أهل الظاهر هم أهل أقوال وأفعال، وأهل الباطن هم أهل أقوال وأهل أفعال. وكل واحد من أهل هذه المقامات يرجى له ما سبق في سابق الأزل « فرغ ربك من أربع: خَلق وخُلق ». هذا حكم الحقيقة، وعلى ظاهرها تترتب الشريعة وأحكامها. الشريعة من عين الحكمة، والحقيقة من عين الحكم، وكلاهما أوصاف الرب تعالى موصوف بالقدرة والحكمة)، وقال: (اعلم أنه لا يأتي بأخبار الحرب إلا المستشرق على معركته، وأما المقاتل فقد شغل بأفعال الحرب عن أخبار الحرب. الخبر علم، والأفعال عمل، والعلم محله البواطن، والعمل محله الظواهر، والإنسان لا يشغل ظاهرًا وباطنًا أبدًا ﴿ **مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ** ﴾ [الأحزاب: 4]. جرت سنة الله تعالى في عبده الإنسان أنه إذا شغل ظاهره بالعمل بطل علم باطنه، وإذا شغل باطنه بالعلم بطل عمل ظاهره، والجمع بين العلم والعمل في الإنسان في لحظة واحدة محال، ومن قال باجتماعهما فهو جاهل بنفسه، ولا شك أن الجاهل بنفسه هو الجاهل بربه. والناس على فرقتين: عامة وخاصة، والعامة على فرقتين أيضًا: أهل الأفعال وهم الملوك منهم، وأهل الأقوال وهم المماليك لهم. وكذلك الخاصة على فرقتين أيضًا: أهل الأفعال وهم الملوك منهم، وأهل الأقوال وهم المماليك لهم. ولم كان أهل الأفعال من العامة هم الملوك على العامة وأهل الأفعال من الخاصة هم الملوك على الخاصة)، وقال: (ومما سمعت وذلك لأن صاحب العلم علوي وصاحب العمل سفلي، والسفلي لا تكون يده إلا على العلوي على كل حال، قال تعالى: ﴿ **وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ** (5) **وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ** ﴾ [القصص: 5 - 6])، وقال: (اعلم أنه ما من مسألة تضاف إلى الغيب إلا كانت أقوى وأحس وأنفع وأطيب وأوسع من مسألة تضاف إلى العيان، في العادات أو في العبادات، دينيًا أو دنيويًا، من أجل هذا ظهرت العمومية والخصوصية، لأن العامة ذهبوا مع ظواهر العيان، والخاصة ذهبوا مع ما بطن في غيب الرحمن. العامة أخذوا بظواهر الاكتساب، والخاصة أخذوا بالقلوب والألباب. العامة

هيأهم لخدمته، والخاصة هيأهم لخدمته، والخاصة هيأهم لمحبته. سبحان من أمد هؤلاء بما أمدهم، واصطفى هؤلاء وقربهم. قهر هؤلاء بهيبته وسطوته، وأدخل هؤلاء لحضرته ومجالسته. سبحان من قسم وعدل وجاد وتكرم وتفضل. سبحان من يسأل العبد على ما يفعل ولا يسأل عن ما يفعل. سبحان الحكيم العليم. سبحان الكبير العظيم)، وقال: (اعلم أن الخاصة أموات أحياء، والعامة أحياء أموات، كما قال القائل: « والله لو كشف الغطاء ما ازددت يقينًا »)، وقال: (اعلم أن العامة إنما هم أنوار أخرجت من البطون إلى الظهور ومن الأولية إلى الآخرية، والخاصة إنما هم أنوار أخرجت من الظهور إلى البطون ومن الآخرية إلى الأولية، قال تعالى: ﴿ **هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ** ﴾ [الحديد: 3]. صار الكل به وعنده ومنه وإليه)، وقال: (تنافس العوام وتنافس الخصوص. تنافس العوام: كل واحد منهم يقول لصاحبه بلسان حاله وبلسان مقاله أنا خير منك وأنا سيدك وأعظم منك، وذلك لأن نفوسهم حية، بذلك صاروا عمومًا. وتنافس الخصوص خلاف هذا، وهو أن كل واحد منهم يقول لصاحبه بلسان حاله وبلسان مقاله أنت خير مني وأنت سيدي وأنا عبدك، وذلك لأن نفوسهم ميتة. بذلك صاروا خصوصًا. وحياة النفس لا تكون إلا مع موت القلب، وحياة القلب لا تكون إلا مع موت النفس، كما قيل: المحبة عروس ومهرها النفوس، ما تحيي القلوب إلا بموت النفوس. العوام لما تزاحموا على العز صاروا كلهم عبيدًا، والعبودية هي الذل بنفسه، والخصوص لما تزاحموا على العز صاروا كلهم عبيدًا، والعبودية هي الذل بنفسه، والخصوص لما تزاحموا على الذل صاروا كلهم موالي أحرارًا، والحرية هي العز بنفسه. العوام غرسوا العز اختيارًا، أثمر لهم بالذل القهري، والخصوص غرسوا الذل اختيارًا أثمر لهم بالعز القهري، وعادة الله في خلقه أن كل من تتعزز عليه يتعزز عليك، وكل من تتذلل له يتذلل لك، كان ملكًا أو مملوكًا، عظيمًا أو حقيرًا، من أخيار الناس أو من أشرارهم)، وقال: (اعلم أن الأكوان لها جبال، وكلها عاشقة للإنسان طالبة له، خيرياتها وشرياتها، حكمها واحد، إن ظفر بك الخير ربطك بحباله. العامة كلهم مربوطون، من لم يربط بحبل خير ربط بحبل شر. والخاصة نفعنا الله بهم أحرار لم يربطوا بقيد خير ولا بقيد شر، وعلامة أهل هذا المعنى أن تجدهم يتلونون بالألوان كلها في أقوالهم وأفعالهم حتى لا يقيدوا بوصف دون وصف ولا يكيفوا بحال دون حال. قال الشيخ الششتري رحمه الله في بعض كلامه: « وغايتي في الحب أن أتلون ». صاحب التلوين حر مالك، ملكه عام في الوجود بأسره. وصاحب الركون للأشياء عبد مملوك للوجود وما فيه، وشتان بين من ملك الأكوان ومن ملكته الأكوان)، وقال: (العامة ينقسمون إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول للطلباء من أهل العلم الظاهر، والقسم الثاني أهل الرياسة، والقسم الثالث عامة الناس من أهل الأسواق وأهل الحرف. والعامة لا يملكون إلا بعبودية كاملة وهي عبودية الأفعال لله، أو بحرية كاملة وهي

حرية الأقوال بالله لا زائد. ومن تمادى إلى هذا الفن ولم يأخذه عن أربابه فقد عرض نفسه للهلاك ظاهرًا وباطنًا)، وقال: (اعلم أنه عند أهل الظاهر وهم العوام أربع مقامات، وأعلاهم وأشرفهم المقام الرابع. المقام الأول: الحس يجر الحس. المقام الثاني: الحس يجر المعنى. والمقام الثالث: المعنى تجر المعنى، وهو أعلى من الثاني. والمقام الرابع وهو أشرف الأربعة: المعنى تجر الحس. وكذلك عند أهل الباطن وهم الخاصة، لهم فيه أربع مقامات، كل واحد أعلى من الذي قبله، وأشرفهم وأعلاهم المقام الرابع. المقام الأول: وهو الحس الباطني يجر الحس الباطني. والثاني: الحس الباطني يجر المعنى الباطني، وهو أعلى من الأول. والثالث: المعنى الباطني يجر المعنى الباطني، وهذا أعلى من الثاني. والمقام الرابع: وهو أشرف المقامات الثمانية مقامات الظاهر ومقامات الباطن، وهو المعنى الباطني يجر الحس الباطني: يا له من مقام، أهله في الوجود كالكبريت الأحمر، من وجد واحدًا منهم ورافقه فقد حصل على ملك الدنيا وملك الآخرة. يرحم الله الشيخ أبا مدين حيث قال:

متــى اراهــم وانـــى لـــي بـــرؤيتهم * او تســـمع الاذن منـــي عـــنهم خبـــرًا

هـم اهـل ودي واحبــابي الـذين علـوا * عمــن يجــر ذيــول العــز مفتخــرا)

وقال: (اعلم أن الناس كلهم: عامة الناس يطلبون الوصل، وخاصة الناس يطلبون المشاهدة، والوصل جلالي والشهود جمالي. ومثل صاحب الوصل مع صاحب المشاهدة كرجلين يعشقان امرأتين: واحد أخذ معشوقته بالصداق وتزوجها، لا يفارقها ليلًا ولا نهارًا، هذا صاحب الشهود. والآخر يطلب معشوقته فيظفر بها ليلة ليشفي بها غليله تلك الليلة ثم يفترق معها بعد، فلا يزيده وصول تلك الليلة إلا تشغفًا واشتياقًا وأسفًا وعذابًا، هذا صاحب الوصول)، وقال: (اعلم أن الوصول على قسمين: وصول العلم ووصول الجهل. وصول الجهل عند عامة الناس قال تعالى: ﴿ **وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ** ﴾ [الواقعة: 85]. وقال تعالى: ﴿ **وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ** ﴾ [الذاريات: 21]، ووصول العلم عند خاصة الناس قال تعالى: ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [الزُّمر: 9]، وفي الحكم « وصولك إلى الله وصولك إلى العلم به ». صار العامي واصل، جاهل بوصوله، والعامل واصل، عالم بوصوله. والجهل له عمل، والعلم له عمل، إلا أن الجاهل غلب عليه نور الجلال، والعالم غلب عليه نور الجمال، ولا يعرف الجهل إلا بالعلم، كما لا يعرف العلم إلا بواسطة الجهل، والجاهل جهل نفسه، وجهل جهله بها، والعالم علم نفسه، وعلم علمه بها)، وقال: (اعلم أنه لا تكمل الولاية للمريد الذي يريد الخصوصية حتى يجمع بين تربيتين: تربية الخاصة وتربية العامة. الخصوصية يأخذها من عند أهلها وهم الخاصة، ونتائجها يأخذها من عند أهلها وهم العامة. الخصوصية لا تدرك إلا باستدلال أهلها عليها،

ونتائجها لا تدرك إلا بالحك، مع العامة. ولا شك أن الخصوصية ليست هي الاستدلال عليها، وإنما الخصوصية بنفسها هي النتائج التي تظهر لك، بل للخاص والعام، ولكن إذا لم يكن الاستدلال عليها فلا خصوصية، وإذا لم يكن الحك مع العامة فلا نتائج، لأجل هذا المعنى كانت طريق سيدي عبد القادر الجيلاني - نفعنا الله به - السياحة فيها شرط من شروطها. قيل عشرة أعوام وقيل أربعة عشر سنة. ولا شك أن المراد بالسياحة والله أعلم الحك مع عوام الناس. كأن الاستدلال على الخصوصية علم ونعت، والنتائج عمل وإثبات. الاستدلال عليها خبر، ونتائجها عيان، والخبر بلا عيان نوار بما ثمار، والعيان بلا خبر ثمار من غير نوار، والثمار من غير نوار لم تجر عادة الله بها. تربية العامة للمريد بمنزلة القالب للبلغة أو الشاشية للرأس، وتربية أهل الخصوصية له بمنزلة الصانعين لتلك الشاشية أو البلغة)، وقال: (اعلم أنه لا تكمل ولاية الولي حتى يتربى ثلاث مرات. الأولى تربية والديه: أمه وأبيه، والثانية تربية الخصوص يعني من الأشياخ، والثالثة تربية العموم بعد تربية الخصوص. تربية والديه: تربية جسده، وتربية الخصوص: تربية المعاني، وتربية العموم: تربية الحس)، وقال: (اعلم أن الفقراء المنتسبين على الله على ثلاثة فرق: فرقة حصلت لهم تربية الخصوص ولم تحصل لهم تربية العوام، وفرقة أخرى بالعكس حصلت لهم تربية العوام ولم تحصل لهم تربية الخصوص، وفرقة جمعت بين تربية الخصوص وتربية العوام. الفرقة الأولى هي أضعفهم، والثانية أقوى منها أي من الأولى، والثالثة هي أفضلهم وهي تعادلهما باثنين وترجح عليهما. الأولى بمنزلة بينة العدول، والثانية بمنزلة بينة اللفيف، ولا شك أنها إذا اقترنت بينة العدول وبينة اللفيف: بينة اللفيف تقدم على بينة العدول، لأنها أقوم منها، لأجل ذلك ترجح عنها. وأما الفرقة الثالثة بمنزلة البينة التي اجتمع فيها شهادتين: شهادة العدول وشهادة اللفيف، لأجل ذلك تعادلهما باثنين. رزقنا الله محبة الجميع وحسن الظن بهم بفضله وإحسانه)، وقال: (اعلم أن العامة غلبت عليهم مباشرة الذات، والخاصة غلبت عليهم مباشرة الصفات، وإنما كانت العمومية في مباشرة الذات لأن الذات جهرية ظاهرية، وكانت الخصوصية في مباشرة الصفات لأن الصفات سرية باطنية. أنظر العوام تجدهم أهل ذات متعشقين لصفات، وانظر الخصوص تجدهم أهل صفات متعشقين لذات، فبذلك صاروا كلهم راحلين قاطنين أبدا، والوجود قائم بين تقلباتهم، بين ذات وصفات. من كمل غلب ذاته على صفاته فهو راحل من ذاته إلى صفاته، ومن كمل غلب صفاته على ذاته فهو راحل من صفاته إلى ذاته، والذات لا تقوم بغير صفات، كما أن الصفات لا تقوم بغير ذات، ولكن لا بد أن يكون الغلب للذات على الصفات، أو الصفات على الذات. الحكم للغالب، من غلبت عليه الذات فهو من أهلها، ومن غلبت عليه الصفات فهو من أهلها)، وقال:

واعلم أن الروح في دار الدنيا غريبة مقطوعة، والجسد موصول في أهله، من أجل ذلك كان أكثر الناس في الدنيا أجسادهم حاكمة على أرواحهم. وسيكون في الآخرة الأمر بالعكس، الجسد يكون غريبًا مقطوعًا، والروح تكون موصولة في أهلها، وسيكون في الآخرة أكثر الناس أرواحهم حاكمة على أجسادهم، يعني من كان جسده حاكمًا على روحه في الدنيا هو الذي تكون روحه حاكمة على جسده في الآخرة، وهؤلاء هم العامة. وأما الخاصة ليس لأجسادهم حكم على أرواحهم في الدنيا، وليس لأرواحهم حكم على أجسادهم في الآخرة، بل كما كان الحكم لله، لا لأجسادهم ولا لأرواحهم في الدنيا، كذلك سيكون الحكم لله في الآخرة، لا لأرواحهم ولا لأجسادهم. يموت المرء على ما عاش عليه، ويبعث على ما مات عليه. من كان عبد شيء في الدنيا فهو عبده في الآخرة يعني من الأكوان، ومن كان عبد الله مخلصًا إليه في الدنيا فهو عبد الله مخلصًا إليه في الآخرة. ثم يقال لعبد الأكوان: ﴿ **إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ** ﴾ [الأنبياء: 98]. ويدخل في زمرة عبيد الأكوان: عبد نفسه، وعبد الآدمي من جنسه، وعبد الدرهم والدنيا. نسأل الله تعالى أن يعصمنا من رقية أنفسنا ومن رقية الأكوان، وأن يجعلنا بفضله عبيداً له مخلصين إليه في جميع الحالات، وأن يوفقنا لذكره، برحمته وجوده وكرمه)، وقال: (اعلم أن الفناء على وجهين: فناء وجود قهري وهو فناء العامة، وفناء نفساني اختياري وهو فناء الخاصة، فناء العامة: الوجود يفنيهم قهرًا عليهم ويلتقمهم في جوفه، وفناء الخاصة: هم يفنون الوجود قهرًا عليه ويتلقمونه في أجوافهم. الوجود مقابل لك وأنت مقابل له، وهو لا يخلو إما أن تفنيه بالله اختيارًا منك وجبرًا عليه، وإن لم تفعل يفنيك هو اختيارًا منه وجبرًا عليك. من لم يجب داعي الإحسان مع الخاصة فقد يجيب داعي السلطان في زمرة العامة، وشتان ما بين من يساق بالامتنان ومن يساق بسلاسل الامتحان. يقول الشيخ الششتري في بعض كلامه لبعض أصحابه:

إذا شعرت بالوجود قد لاح في ذاتك * هو دس ولازم الجحود هدك صفاتك

واضرب بترسك العقود والق عصاتك

ولا فرق بين العامة والخاصة، إلا أن الخاصة كانوا عبيدًا لله ملكوا الوجود بالله حتى صار الوجود مملوكًا لهم يتصرفون فيه بما شاءوا، والعامة بالعكس كانوا عبيدًا للوجود ملكهم الوجود حتى صار الوجود مالكًا لهم يتصرف فيهم بما شاء. يرحم الله ابن الفارض حيث يقول:

انت القتيل باي من احببته * فاختر لنفسك في الهوى من تصطفي

انظر عبودية الأكوان وانظر عبودية المكون وتأمل)، وقال: (اعلم قال تعالى: ﴿ **إِنْ**

كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلَّا آَتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾ [مريم: 93]. والعبودية على أربعة فرق: العامة على فرقتين والخاصة على فرقتين. العامة منهم فرقة قهرية وفرقة إرادية، والخاصة منهم فرقة ظاهرية وفرقة ظاهرية، والله تبارك وتعالى هو الظاهر والباطن. ومن علو قدرهم عند الله تعالى أضافهم إلى هذا الاسم الشريف وشرفهم به: فرقة أضافها إلى اسمه الظاهر، وفرقة أضافها إلى اسمه الباطن. أهل الظاهر تجلى لهم الحق تعالى بهيبته وعظمته فشدوا للخدمة والتملق لبابه. وأهل الباطن تجلي لهم الحق بصفة الجمال والمحبة فتعلقت قلوبهم به وهاموا في بحر مشاهدته فصاروا سكارى بلذيذ خمرة قربه. أما أهل الظاهر، هم السالكون {، سلكوا مع الظاهر، ولا أخذوا من الباطن إلا ما كلفهم به الشارع >، لأن الظاهر لا يقوم إلا بالباطن ولو بشيء منه، والباطن لا يقوم إلا بالظاهر ولو بشيء منه، ولكن الحكم للغالب، قال تعالى: ﴿ **وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا** ﴾ [النساء: 129]. والسالك والمجذوب كلهم سائر إلى الله ولكن اختلفوا باختلاف الأسماء. أهل ظواهر السلوك سلكوا بالترقي، وأهل بواطن الجذب سلكوا بالتدلي، ونهاية السالك هي بداية المجذوب، ونهاية المجذوب هي بداية السالك، قال تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الحَكِيمُ العَلِيمُ** ﴾ [الزُّخرف: 84]. وبهذا يفهم أن المترقي والمتدلي مقصودهما واحد وهو الله تبارك وتعالى، وإليه سالكون، ولكن ألوان السلوك اختلفت، فلذلك صح إنكار أهل الظاهر على أهل الباطن، ولم يصح إنكار أهل الباطن على أحد من أهل الظاهر، لأن نظر المجذوب أخص من نظر السالك. السالك محب، والمجذوب محبوب، وفي الحقيقة كلهم محبوبون لأن الكل منه وإليه سبحانه وتعالى).

العامة والخاصة وخاصة الخاصة

قال: (اعلم أن العامة إذا فعلت معهم خيرًا يجازونك عليه بشر، وإذا فعلت معهم شرًا يجازونك عليه بخير وذلك لضعفهم وغلبة الحقيقة عليهم. والخاصة إذا فعلت معهم خيرًا يفعلون معك خيرًا، وإذا فعلت معهم شرًا يفعلون معك شرًا، وذلك لأن الشرائع غالبة عليهم. وخاصة الخاصة إذا فعلت معهم خيرًا فعلوا معك خيرًا، وإذا فعلت معهم شرًا فعلوا معك خيرًا، وذلك لغيبتهم في الحق عن خيرك وشرك، حتى صار الكل عندهم خيرًا ﴿ **وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا** ﴾ [النحل: 30]. وهذا وصف أخذوه من أوصاف النبي > لأنه كان يجازي السيئة بالحسنة)، وقال: (اعلم أنك ما اجتمعت بذاتك إلا افترقت بصفاتك، ولا افترقت بذاتك إلا اجتمعت بصفاتك. والثانية الحق ظهر للمسلمين كافة وبطن للكافرين كافة، إلا أن المسلمين اختلفت مقاماتهم في تجليات الظهور: العامة ظهر لهم بالدليل والبرهان في مقام الإسلام، والخاصة ظهر

لهم باليقين في السر والإعلان في مقام الإيمان، وخاصة الخاصة ظهر لهم بالشهود والعيان في مقام الإحسان)، وقال: (اعلم أن العامة عندهم كل ما هو مليح فهو معروف، وكل ما هو قبيح فهو منكر. والخاصة عندهم كل ما يجمعهم على الله، فهو معروف ولو ظهر للناس أنه منكر، وكل ما يشغلهم عن الله فهو منكر ولو ظهر للناس أنه معروف. وخاصة الخاصة عندهم كل ما هو موجود فهو معروف ولا منكر، وذلك لأنهم عرفوا الله في كل حال فصاروا لا ينكرونه في جميع الأحوال)، وقال: (اعلم أن العامة غابوا في طلب شهوات نفوسهم، والخاصة غابوا في طلب الخير ليجلبونه وفي طلب الشر ليدفعونه. وخاصة الخاصة غابوا في مولاهم حتى لا يشهدوا سواه، حجبت عنهم الأكوان كلها حتى أنفسهم، وذلك لما أشرقت عليهم شموس المعرفة بأنوار العيان. نفعنا الله بذكرهم ونفعنا بمحبتهم آمين)، وقال: (اعلم أن العامة هم عوام المسلمين، منهمكون في الأشياء وفي أضدادها، بجهل وعدم المعرفة. والخاصة هم الذين وقفوا مع ما حد لهم الشرع وهو النبي >، يحلون الحلال ويفعلونه، ويحرمون الحرام ويجتنبونه ويتركونه. وخاصة الخاصة هم الذين استوت عندهم الأشياء وأضدادها، بعلم ومعرفة، ولا تقف هممهم مع شيء سوى مولاهم أبدًا. أقوالهم وأفعالهم كلها بالله ولله ومن الله، ولا يشهدون أبدًا سواه)، وقال: (اعلم أن العامة يقولون: نحن أهل ظواهر، وهو لا إله إلا الله. والخاصة يقولون: نحن وهو، ولا حول لنا ولا قوة إلا به. وخاصة الخاصة يقولون: هو نحن ونحن هو، ولا إله إلا هو، ولا شيء موجود سواه، كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان، وقولهم هذا لما تجلى لهم الحبيب بالمشاهدة والعيان حتى ملئت قلوبهم بنور الإيمان فحجبوا عند ذلك عن وجود الأكوان، ولم يجدوا في الوجود إلا الملك الديان، لأنه من رأى الحق حجب عن نفسه، ومن رأى نفسه حجب عن الحق)، وقال: (اعلم أن الناس عامي وخاص. العامة يشهدون الفعل من الخلق، والخاصة يشهدون الفعل من الحق، ومنتهى خاصة الخاصة لا يشهدون في الوجود سوى الله: لو كلفوا أن يشهدوا غيره ما أطاقوا ذلك لانجماع سرهم على مولاهم، استوت عندهم الأشياء وأضدادها حلوها ومرها خيرها وشره. الأول ليشهد فعله بنفسه لا يقوم أمره. والثاني ليشهد فعله بربه، هذا فعله مستوجب الزيادة لأنه أسند الأمر لأهله، لما عرف أن الله تعالى أنعم عليه بتلك الأفعال صار شاكر هذا لا ينقطع. والثالث لا يشهد إلا مولاه في الحركات والسكون، آخذ بقوله تعالى: ﴿ **قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ** ﴾ [**الأنعام: 91**]، هذا مستغرق في مشاهدة مولاه: كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان)، وقال: (اعلم أن العامة أهل حمل الكلف، والخاصة أهل استراحة من الكلف، وخاصة الخاصة تارة يحملون الكلف وتارة لا يحملون الكلف. العامة حجبوا

بالاشتغال بالكلف عن خالق الكلف، والخاصة حجبوا بالاشتغال بخالق الكلف عن الكلف وعن أهل الكلف، وخاصة الخاصة لم يحجبوا بالاشتغال بالكلف عن خالق الكلف كما لم يحجبوا بالاشتغال بخالق الكلف عن الكلف)، وقال: (وسمعت من الشيخ نفعنا الله به قال لي: الفقير الذي لم يكن معه في نفسه ما يدفع به الهموم حتى لا يضره شيء منها، قلت الهموم أو جلت، ليس بفقير. وأما العارفون بالله { فعندهم في نفوسهم ما يردون به الهموم والشريات خيريات وأفراحًا. الفرقة الأولى هم الخاصة فعندهم ما يدفعون الهموم حتى لا يضرهم شيء منها، والفرقة الثانية هم خاصة الخاصة فعندهم ما يقلبون به الهموم حتى تصير أفراحًا، والشريات حتى تصير خيريات، لأجل ذلك ينتفعون بالشريات كما ينتفعون بالخيريات)، وقال: (اعلم أن العامة يجدون التعب في تجلي الذات ويجدون الراحة في تجلي الصفات، والخاصة بالعكس لا يجدون الراحة إلا في تجلي الذات ولا يجدون التعب إلا في تجلي الصفات، وخاصة الخاصة استوت راحتهم في الحالتين معًا: راحتهم في الذات كراحتهم في الصفات، وراحتهم في الصفات كراحتهم في الذات، وذلك لأن شهودهم الحق في الأحوال كلها، فلذلك استوت عندهم الأحوال وأضدادها، جلالها وجمالها، علويها وسفليها، أكبرها وأصغرها، أحلاها وأمرها، أرفعها وأوضعها، طعم الشهد وعروق الدفلة واحد)، وقال: (« **إن الله يرزق العبد على قدر همته** » الحديث. ومن ذلك أن الله تعالى يمد كل فرقة من خلقه بما طلبت: يمد من طلب الاسم بالاسم، ويمد من طلب الصفات بالصفات، ويمد من طلب الذات بالذات، ومادة كل واحد على قدر همته، القوي مادته على قدر قوته، والضعيف مادته على قدر ضعفه. وأهل الاسم يطلبون الاسم بالاسم، يمدهم الله بالاسم، كعامة المسلمين. وأهل الصفات يطلبون الصفات بالصفات، يمدهم الله تعالى بالصفات، كخاصة المسلمين. وأهل الذات يطلبون الذات بالذات، يمدهم الله بالذات، كخاصة الخاصة. نفعنا الله بالجميع. أما صاحب الاسم واقف مع نفسه، له الأجرة ما دام في عمله حتى يقطع، وعلامته تارةً في شدة وتارةً في رخاء. وطالب الصفات واقف مع القدرة، شاخص بصره لما يبرز منها، لا يرى لنفسه قدرًا ولا يعني بها، هذا مقامه مقام الشكر، والشاكر لا ينقطع أبدًا، وعلامته الرجوع إلى الله في السراء والضراء. وطالب الذات لا يشهد في الوجود إلا الله، غائب عن الأكوان مع المكوّن، مستغرق في شهود مولاه، لا يخطر على قلبه سوى مولاه، ولا يرى بعينه ولا يسمع بأذنه إلا هو، استوى رجاؤه وخوفه، وعلامته أن استوت عنده الأشياء كلها، الأشياء وأضدادها، لا فرق عنده بين الحلو والمر، وبين العدو والحبيب، وبين العطاء والمنع، وبين الإساءة والإحسان، وبين العلو والسفل، إلى ما لا نهاية له. نسأل الله تعالى بجاه هؤلاء الأولياء عنده، أن يجعل لنا نصيبًا



معهم بفضله وإحسانه أنه على كل شيء قدير، كما قال بعض العرافين: من بلغ حقيقة الإسلام لم يقدر أن يفتر عن العمل، ومن بلغ حقيقة الإيمان لم يقدر أن يلتفت إلى العمل، ومن بلغ حقيقة الإحسان لم يقدر أن يلتفت إلى ما سواه)، وقال: (اشتركت العوام مع خاصة الخاصة في المقام، ولم يشتركا في المشاهدة ووحي الإلهام. العوام في مقام الذات، مع جهل في الذات، وجهل بالصفات. والخاصة في مقام الصفات، مع علم بالصفات، وجهل بالذات. وخاصة الخاصة في مقام الذات، مع علم بالصفات، ومشاهدة بالذات في الذات. الذات من غير صفات، سفليات، ما لها نسبة للعلويات. والصفات من غير ذات، علويات، ما لها نسبة للسفليات. وباجتماع الذات مع الصفات، حصل شرف الذات بالصفات، كما حصل شرف الصفات بالذات. ونور الذات أشرقت به الصفات، فحصل منه علم العلويات وعلم السفليات. ونور الصفات أشرقت به الذات، فقام به عمل السفليات وعمل العلويات)، وقال: (اعلم أن الوسائط إلى الله على فرقتين: فرقة يقال لها أهل الوسائط النفسية، وفرقة يقال لها أهل الوسائط الجنسية. الوسائط الجنسية أخذ بها الخاصة، والوسائط النفسية أخذ بها خاصة الخاصة وشاركهم فيها العوام. أما العوام فوقفوا مع الوسائط النفسية بجهل وظلمة فحجبوا بذلك عن شهود الحق ولم يشهدوا إلا أنفسهم، وخاصة الخاصة أخذوا بالوسائط النفسية بعلم ومعرفة ونور وذلك لما فقدوا الوسائط الجنسية اضطروا إلى الوسائط النفسية ومع هذا لم يقفوا معها إلا قدر ميلادها، لأن الشيء يلد ضده، كما أن الوسائط النفسية تلد الوسائط الجنسية، والجنسية تلد النفسية، يعني بذلك للعموم، وكذلك خاصة الخاصة وسائطهم النفسية تلد الوسائط الجنسية والجنسية تلد النفسية، لأن مقام خاصة الخاصة كمقام العامة لا يفرق بينهما إلا العارف، وأما الجاهل فلا يفرق بينهما بل يظهر له أنهما واحد. وما دام الإنسان مع وسائط نفسه فهو عامي، ومهما انتقل إلى الوسائط الجنسية وكان تنقله قولاً وفعلاً فإنه ينتقل إلى مقام الخاصة: أنظر الشيخ الشاذلي لما كان مع وسائط نفسه من تدبير واختيار وغيرهما وجاء لمولانا عبد السلام نفعنا الله بالجميع وقال: اللهم إني اغتسلت من علمي وعملي وكان ذلك منه قولاً وفعلاً وانتقل إلى الوسائط الجنسية فعند ذلك فتح له وانتقل من العمومية إلى الخصوصية)، وقال: (اعلم أن باب الخصوصية التي لا محيد لطالب الخصوصية عنه هو اللهم إني اغتسلت من علمي وعملي إلا ما يرد عليَّ من هذا الشيخ، تركها أبو الحسن الشاذلي رحمه الله سنة لمن يأتي بعده يطلب الخصوصية. والله ما وجدنا في علوم الظاهر وعلوم الباطن بابًا أسرع وأقرب وأنفد من هذا الباب للدخول الخصوصية، لأن الانتقال من تقليد نفسك إلى تقليد جنسك هو الخصوصية بنفسها، وما دام الإنسان في تقليد نفسه فهو عامي إلا من رجع من تقليد نفسه إلى تقليد جنسه فهذا رجع للحق

بالحق: وهذا الرجوع يقال له: مقام خاصة الخاصة. يا له من رجوع، رجوع بالإذن والتمكين والرسوخ في اليقين. وهذا مقام يشبه مقام العامة، إلا أن مقام العامة ظلماني بالنفس، وهذا المقام نوراني بالله، ولا يعرف هذا من هذا إلا العارف بالله الذي سلك بلاد المعاني، وأما الجاهل فيلتبسان عليه حتى يظن هذا هو عين هذا ويظن هذا عين هذا)، وقال: (اعلم أن العامة هم الذين فرقوا من غير جمع، والخاصة هم الذين جمعوا بعدما فرقوا، وخاصة الخاصة هم الذين فرقوا بعدما جمعوا هذا كله، والجمع هو عين الفرق، والفرق هو عين الجمع)، وقال: (اعلم أن الحقيقة كلها في الباطن جمال جمع، وفي الظاهر جلال فرق. والشريعة بالعكس أي كلها في الظواهر جمال جمع، وفي الباطن جلال فرق. وإن حققت الأمر تجد كل شريعة أصلها حقيقة، وكل حقيقة أصلها شريعة. العامة يبادرون إلى الشريعة ويهملون الحقيقة، والخاصة يبادرون إلى الحقيقة ويهملون الشريعة. العامة لاشتغالهم بظواهر الأمور، والخاصة لاشتغالهم ببواطن الأمور. وخاصة الخاصة يبادرون إلى الحق ويهملون الباطل، يتبعون الحق أينما وجدوه وكيف ما وجدوه، ولما تعلقت هممهم به تعالى لم يجدوا شيئًا سواه بل حجبوا عن الأكوان كلها حتى على نفوسهم، كما قال الشيخ ابن عطاء الله في حكمه: لو أشرف نور الإيمان لغطى وجود الأكوان ولوقع العيان على فقد الأعيان)، وقال: (اعلم أن من غلب جهله على علمه فهو شريعة، ومن غلب علمه على جهله فهو حقيقة، والعامة إنما هم شريعة خرجت من حقيقة، والخاصة إنما هم حقيقة أخرجت من شريعة. ومن الخاصة من هو ظاهره حقيقة وفي باطنه شريعة وهم الخاصة، ومنهم من هو في ظاهره شريعة وفي باطنه حقيقة وهم خاصة الخاصة وهؤلاء أعلاهم مرتبة وأشرفهم، ولا خصوصية للعلم دون العمل « **أعوذ بالله من علم لا ينفع** » أو كما قال الصادق المصدوق > وشرف وكرَّم ومجَّد وعظَّم. وكلامنا هذا في شرائع الخاصة لا شرائع العامة، لأن الخاصة عندهم كل شيء له شريعة وحقيقة، والعامة لا يفهمون إلا شريعة واحدة ولا يعرفون إلا هي)، وقال: (اعلم أن الناس على ثلاثة أنواع: العامة وهم أهل حقائق متعشقين للشرائع، والخاصة وهم أهل شرائع متعشقين للحقائق، وخاصة الخاصة وهم أهل حقائق متعشقين للشرائع. وهذه الثلاثة مراتب، لا يحسب أحد أنه حاز واحدة منها إلا إذا ظهر عليه أثر فعلها، لا قولها. وذلك لأن الأقوال إخبار بالفن، والأفعال هو الفن بنفسه. العامة لما حازوا الفعل بالحقائق، وفعلهم بها عن تقليد، فبذلك صاروا عوامًا. والخاصة لما حازوا الفعل بالشريعة، وفعلهم بها عن أدلة وبراهين، فبذلك صاروا ؟؟ خصوصًا. وخاصة الخاصة لما حازوا الفعل بالحقائق، وفعلهم بها عن مشاهدة وعيان، فبذلك صاروا خاصة الخاصة. أهل هذه الحضرة، يعني حضرة العيان {، إذا نظروا لحبيبهم، نظروا إليه بلا علة، معششين

في مقام الإحسان، قال تعالى: ﴿ قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنعام: 91])، وقال: (اعلم أن الدنيا لها وجهان: وجه للقرب ووجه للبعد، من نظر فيها من الخلق من جهة القرب أحبها، ومن نظرها من جهة البعد أبغضها، ومن كشف له عن خير بعدها كم كشف له عن خير قربها فهذا استوى عنده قربها وبعدها، قال ابن الفارق وغيره: وصل وهجر عندي سواء. العامة حصلوا على لذة الوجد ولم يحصلوا على لذة الفقد، والخاصة { حصلوا على لذة الفقد ولم يحصلوا على لذة الوجد. وخاصة الخاصة حصلوا على لذة الفقد كما حصلوا على لذة الوجد، حتى صار عندهم الفقد والوجد واحدًا على حد سواء، في الأشياء كلها، حتى أنهم لا يرجحون شيئًا على ضده)، وقال: (اعلم أن الملك على ثلاثة أقسام: ملك أرضي بشري، وملك سماوي روحاني، وملك عرشي ملكوتي. الملك الأرضي ملك العامة، والملك السماوي ملك الخاصة وهم أهل السلوك، وحكم الجميع واحد، إلا أن أهل الملك الأرضي حكمهم في الأرض فقط، وأهل الملك السماوي حكمهم على أهل السماء وأهل الأرض، وأهل الملك العرشي خلائف الحق: أمرهم أمره وفعلهم فعله، والكل فضله تعالى، وهو غني عن العالمين)، وقال: (اعلم أن التصرف بالقدرة هو التصرف بالجمع، كما أن التصرف بالحكمة هو التصرف بالفرق. صاحب الجمع يقول للشيء: كن فيكون بالوحدانية، وصاحب الفرق يقول للشيء: كن فيكون بالإثنينية، والتصرف بالحكمة فقط عند العامة، والتصرف بالقدرة فقط عند الخاصة، والتصرف بهما معًا، بالحكمة في وقتها وبالقدرة في وقتها، عند خاصة الخاصة. الحكمة حكمته تعالى، خلق عبده الآدمي ووهبها له فضلًا منه عليه. والقدرة قدرته تعالى، جعلها خاصة به تعالى، لم يملك التصرف بها من عباده إلا لمن أدخله حضرته من الخاصة أو من خاصة الخاصة. وأما من لم يدخله الحضرة من العامة فليس له نصيب في التصرف بالقدرة بل حسبهم التصرف بالحكم، وإن كانت الحكمة حكمته تعالى، والقدرة قدرته. سبحان من خص الخصوص وعم العموم بالحكمة والقدرة)، وقال: (اعلم أن الجذب على قسمين: جذب العامة وجذب الخاصة. جذب العامة جذب منشئة عشقًا وشوقًا ومحبة للمخلوق، وجذب الخاصة جذب منشئة عشقًا وشوقًا ومحبة لله تبارك وتعالى، وجذب خاصة الخاصة هو الذي جمع خير الحالتين: ظاهره جذب العامة وباطنه جذب الخاصة، حصّلوا على خير الحضرتين: حضرة المخلوق وحضرة الخالق، وهذه الفرقة هي أشرفهم)، وقال: (اعلم وصولك إلى الله وصولك إلى العلم به. ولا شك أن العلم منه ما يكون عيانًا وهو علم أهل الشهود والعيان بلا حجاب، ومنه ما يكون خبرًا وهو علم أهل الدليل والبرهان مع وجود الحجاب. الأول وصول



الخاصة، والثاني وصول العامة. والجامع بين العلمين في مقام خاصة الخاصة: يأخذ بيد الخاصة فيوطهم بالمشاهدة والعيان، كما يأخذ بيد العامة فيطهم بالدليل والبرهان. صار برزخًا بين بحرين: بحر الشريعة وبحر الحقيقة، يعطي لكل ذي حق حقه، ويوفي كل ذي قسط قسطه. رزقنا الله محبة الجميع، وجعلنا بفضله من السالكين على منهجهم القويم)، وقال: (اعلم أن العامة يأتون الحقائق العلوية اختيارًا، ولا يردون الحقائق السفلية إلا إذا وردوها قهرًا. والخاصة أبدًا يأتون الحقائق السفلية اختيارًا، ولا يردون الحقائق العلوية إلا إذا وردوها قهرًا. وخاصة الخاصة أبدًا شاخصون بقلوبهم لما يبرز من الله، يسيرون عليه من غير تبرم ولا التفات، سواء كان علويًا أو سفليًا. قال جل من قائل: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ** ﴾ [الزُّخرف: 84])، وقال: (اعلم أن العامة: قربهم إلى الله من جهة أفعالهم، وبعدهم منه من جهة هممهم، والخاصة بالعكس: قربهم إلى الله من جهة هممهم، وبعدهم منه من جهة أفعالهم. وخاصة الخاصة بعدهم في قربهم، وقربهم في بعدهم، وجمعهم في فرقهم، وفرقهم في جمعهم، وفناؤهم في بقائهم، وبقاؤهم في فنائهم: الأمر عندهم واحد، في الأحوال وفي أضدادها. رضي الله عن الجميع)، وقال: (اعلم أن الله تعالى جعل لعبده رزقين: رزق الأرواح وهو معنوي، ورزق الأشباح وهو حسي، وتكفل سبحانه لعبده رزقين: رزق الأرواح وهو معنوي، ورزق الأشباح وهو حسي، وتكفل سبحانه لعبده بهما، وأمره بالتسبب فيهما، فالتكفل حقيقة، والتسبب شريعة. العامة شغلوا بالتسبب في الرزق الحسي والبحث عنه، ولم يعبؤوا بالرزق المعنوي ولا عرفوه هل هو موجود معهم أو مفقود من شدة إعراضهم عنه، مع أنهم لو فقدوا الرزق المعنوي لهلكت أرواحهم. والخاصة شغلوا بالتسبب في الرزق المعنوي والبحث عنه، ولم يعبؤوا بالرزق الحسي ولا عرفوه هل هو موجود معهم أو مفقود من شدة إعراضهم عنه، مع أنهم لو فقدوا الرزق الحسي لهلكت أشباحهم. وخاصة الخاصة يتسببون في الزرق الحسي والمعنوي، وليس هم مع إرادتهم في واحد منهما، وإنما هم مع إرادة مولاهم، راتعين أبدًا، حيث دفعتهم إرادة سيدهم في الحس أو في المعنى، من غير تبرم، ولا التفات لغيره، كما قال القائل وهو الجيلاني }:

ارانـــي كـــالالات وهـــو محركـــي * انـــا قلـــم والاقتـــدار اصـــابع

العامة قد حجبوا عن الله بإرادتهم للرزق الحسي، حيث صار الرزق الحسي هو حظ النفوس، صاروا مع نفوسهم لا غير. والخاصة وجدوا الله في طلبهم للرزق المعنوي، لأن الرزق المعنوي هو حق الله لا حظ النفس، من أجل ذلك لما كانوا لله كان الله لهم. وخاصة الخاصة ليسوا مع إرادتهم في شيء، بل هم بالله في الأحوال كلها لا بنفوسهم، ولما كانوا بالله، كان وجود الوجود قائمًا بهم. لما عرفوا الله بلا وسائط، صاروا بين الوجود وخالق الوجود هو الوسائط، وهم الخلائف. قد امتحت

إرادتهم في إرادة مولاهم فصارت إرادتهم إرادة الله وفعلهم فعله تعالى.

وامري بامر الله إن قلت كن فيكون * وكل بامر الله يحكم بقدرتي

وهذا المقام يقال له: مقام التمكين بالتلون. رزقنا الله محبة الجميع بفضله وإحسانه، إنه على كل شيء قدير)، وقال: (اعلم أن من أراد أن يكون هو سيد أقرانه فليكن أقل أقرانه يجد نفسه هو سيد أقرانه، لكن بمرافقة أهل فنه. ومن اشتغل بقوت القالب فاته قوت الروح، والقلب بمشاهدة الرب في حضرة الوصل والقرب. صاحب الحقيقة مقطوع غريب، لكنه بغربته وانقطاعه ملك البعيد والقريب، وكثير الأعداء هو كثير الأحباب، والبعيد هو القريب، وأين عظم الخسران والرزاية كمثل الربح وعظمت العناية، وأين سعّرت النيران زخرفت الجنان، ولا تجد الرقيب إلا بلصق الحبيب. ومن وقي هم المعاش عاش، ومن طلب المعاش فلا همة له، ومن طلب الهمة وجد الهمة والمعاش، لأن أكثر الناس ما شغلهم عن شهود الحق والفعل بالحق إلا خوف الخلق أو الاهتمام بالرزق .

قل للذين راوا ما ينكرون فينا * لصفاء شربنا راوا صفاتهم فينا

واعلم أن الذل من الفقر، بمنزلة الجير من البنيان. فإذا لم يكن جير فلا بنيان، ولو رأيت البنيان في غاية الحسن والإتقان. كذلك الفقر إذا لم يدخل صاحبه إليه من باب الذل فلا فقر، ولو رأيته في غاية الحسن والإتقان. مقام العامة إنكار بالظاهر وبالباطن، وإقرار بالظاهر وبالباطن. ومقام الخاصة إقرار بالظاهر وبالباطن، ولا إنكار لا بظاهر ولا بباطن. ومقام خاصة الخاصة إقرار بالباطن لكل شيء، وبالظاهر إقرار شيء وإنكار شيء. صار العامة يقرّون وينكرون، والخاصة يقرون ولا ينكرون. وخاصة الخاصة يقرون ببواطنهم كل شيء، وبظواهرهم يقرون شيئًا وينكرون شيئًا كما قلنا)، وقال: (اعلم أن الجلال تملك به الرقاب إذا صادف وقته، كما تملك حكمة الله في هذا المعنى: كل ما تقابله بالجمال ولم يفتح عليك، اقلب المر ترى العجب، يعني اقلب جمالك جلالًا ترى سر الله واضحًا. وكذلك من قابلته بالجلال ولم يفتح لك، اقلب جلالك جمالًا، فإنك تظفر به، سواء كان ذلك الذي قابلت جمادًا أو بشرًا، ملكًا أو مملوكًا. ومفتاح الكمال في الأمور كلها، هو الجلال الظاهر في البدايات، يعني حسنًا في البدايات مع نفسك ومع الخلق كلهم بل مع الوجود بأسره، لأن البدايات ضد النهايات: وكل ما يكون في بدايته جلالًا لا يكون في نهايته إلا جمالًا، وبالعكس، وعلى قدر ما يعظم الجلال في البدايات يعظم الجمال في النهايات. من أشرقت بدايته أشرقت نهايته. وهذا الجلال في البدايات لا يوجد إلا عند فرقتين من الناس: العامة وخاصة الخاصة، وأما الخاصة فلا نصيب لهم فيه. العامة يردونه عن جهل، وعباراتهم

عنه قولهم، لا صحبتها إلا بعد عركة. وأما خاصة الخاصة يردونه عن علم ومعرفة وحكمة بالغة. وأما الخاصة فعندهم خلاف ذلك في طريقتهم وهو الجمال الظاهر في البدايات، ولا يليق بهم إلا هو. والعلة في اختلاف هذه الثلاثة فرق هو أن خاصة الخاصة راتعون في مقام العز، والعامة يشيرون لمقام العز وهم لا يعرفونه لكن لما كانت نفوسهم جاءت من حضرة العز قبل دخولها لأجسامهم بقيت محلات بتلك الحلية وهي حلية العز بعد الدخول، ولما كانت لم يؤثر فيها أدب الشرائع بعد الدخول بل صارت غالبة على أهلها حاكمة فيها فاتهم أدب الشرائع فصاروا عوامًا من جهلهم وغيبتهم في شهود المخلوق عن شهود الخالق. صارت نفوسهم أصدق منهم لأنها على فطرة الله التي فطرها عليها، ولما كانت حكمة فيهم صاروا لا يشيرون إلا للحضرة التي جاءت نفوسهم منها وهي حضرة الحق، ولما كانت أجسامهم تشير لحضرة الباطل وهو المخلوق ولما كان الحكم لها عليهم، اشتركوا مع خاصة الخاصة في المقام لكن ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [الزُمر: 9]. العامة جاهلون بما يفعل بهم، تالفون في نفوسهم عن أنفسهم بنفوسهم، بخلاف خاصة الخاصة فإنهم عالمون عاملون بعلمهم، عارفون بقربهم، ومشاهدتهم في حضرة حبيبهم. وأما الخاصة فلا نصيب لهم في العز لأنهم مؤدبون بأدب ذل العبودية لأنفسهم بدلائل الشريعة وبراهينها، بهذا المعنى استعلوا فوق العامة. الخاصة في سفليات الذل لله بذلك صاروا خصوصًا، وخاصة الخاصة في علويات العز بالله بذلك صاروا خصوص الخصوص. والعامة مذبذبون بين ذلك: نفوسهم تشير للعز بالربوبية، وأجسامهم تشير للذل بالربوبية، بقوا لا إلى هؤلاء وغلا إلى هؤلاء، فبذلك صاروا عمومًا. سبحان من خصَّ بما خصَّ، وعمَّ ما عمَّ، واختار من خلقه من اصطفاه لحضرة العز والقدم. سبحان الحكيم العليم).

العبودية

قال: (اعلم يا أخي لولا الحجاب ما عبد رب الأرباب، وذلك أن الله تبارك وتعالى لما ظهر لنفسه بنفسه أضرب على خلقه الحجاب وجمعهم على عبوديته ليتفرّد هو وحده بالألوهية ولا يدعي أحد من عباده شيئًا. قهرهم بقهريته، وملكهم في قبضته، ومنعهم الدلالة عليه إلا من ارتضى من أشرف خلقه الذين فضلهم وشرفهم بمعرفته وقربه ومجالسته فضلًا وتكرمًا ورحمة منه عليهم، لا إله إلا هو الكريم المتعال)، وقال: (اعلم أنه إذا أردت أن تكون سيدًا حقًا فكن عبدًا حقًا تكن سيدًا حقًا لقول رسول الله > : « **خادم القوم سيدهم** »، على قدر عبوديتك تكون سيادتك قلت أو جلت)، وقال: (اعلم أن كل من ينزل نفسه عبدًا لعبيد الله حقًا، فهو

سيد عبيد الله حقًا. وكل من ينزل نفسه سيد عبد الله حقًا، فهو عبد عبيد الله حقًا. هكذا جرت حكمة الله تعالى في خلقه، من أحب أحبَّ، ومن كر كره. أنظر قول الصادق المصدوق: « **خادم القوم سيدهم** » الحديث)، وقال: (ومما قال لي أيضًا رحمه الله يا ولدي كن عبد العبيد تظفر بخير الموالي وخير العبيد)، وقال: (اعلم أن أهل العبودية ينقسمون على فرقتين فرقة يعبدون الله على خوف وهيبة، وفرقة يعبدونه على شوق وعشق ومحبة. أما أهل الخوف والهيبة فمنهم يعلم فيوجد، وأما أهل الشوق والمحبة فمنهم يوجد فيعلم)، وقال: (اعلم أن عبادة الله تعالى تنقسم على قسمين: عبادة الحس وعبادة المعاني، مع أن عبادة الحس لا تقوم عبادتهم إلا بالمعاني ولكن الغالب عندهم هي عبادة الحس، وأهل عبادة المعاني لا تقوم عبادتهم إلا بالحس ولكن الغالب عندهم هي عبادة المعاني، لأن عبادة الله في الوجود ما اجتمع اثنان إلا كان الحكم للواحد على الآخر، وإلا واحد يهلك الآخر. أما أهل عبادة المعاني أهل راحة وبسط، وأهل عبادة الحس أهل تعب وقبض. وأهل المعاني البسط هو الغالب عليهم، وأهل الحس القبض هو الغالب عليهم، والحكم واحد. سبحان من أعطى كل قلب ما أشغله وجعل كل حزب بما لديهم فرحون)، وقال: (اعلم أن الإنسان نهاية شر هو العبودية، والعبودية على وجهين: عبودية الحس وعبودية المعني. وبين عبودية الحس وعبودية المعني ما بين الدرهم والدينار. فأهل عبودية الحس لا نصيب لهم في المعاني، وأهل عبودية المعاني لا نصيب لهم في الحس. إلا أن صاحب العبودية الحسية لا بد له من العبودية المعنوية، يعني إذا انتهى في الحسية لا تطلقه إلا في المعنوية. وصاحب العبودية المعنوية لا بد له من العبودية الحسية، يعني إذا انتهى في المعنوية لا تطلقه إلا في الحسية، لأن مادة الإنسان محصورة في هذين الوصفين: الحس والمعنى، إما هذه أو هذه، ولا بعد هذه إلا هذه، يتعاقبان على الإنسان كتعاقب الشتاء والصيف)، وقال: (اعلم أن عبودية الله تنقسم إلى أربعة أقسام، كل قسم يسمى عبودية: عبودية النفس، وعبودية الفل، وعبودية أهل الدنيا، وعبودية أهل الله تعالى. وبالجملة: كل ما تطلبه فأنت عبد له، وكل ما يطلبك فهو عبد لك. يجب أن تكون عبد الله فيه، كما يجب عليك أن لا تطلب إلا من يجمعك على مولاك. إذا كان المقصود هكذا، فأنت وإن كنت عبدًا له، فأنت عبد لمولاك لا له، لأن الحكم على القلوب والهمم. ما كان لله دام واتصل، وما كان لغير الله انقطع وانفصل)، وقال: (اعلم يا أخي مهما تركت الأمور لمولاها، يتصرف فيها كما يشاء، يردها سبحانه إليك ويمكنك من زمامها، ويأمرها أن تكون عند أمرك ونهيك، تتصرف فيها بمشيئتك حتى لا يكون منها إلا ما تريد. ومهما تعرضت للأمور وأردتها أن تكون عند أمرك ونهيك، يردك مولاك إليها ويمكنها من زمامك. كانت الأمور خادمة لك مملوكة لك، فصرت

أنت خديمًا لها مملوكًا لها تفعل بك ما أرادت، وشتان ما بين المالك والمملوك. سبب عبوديتك للوجود هو حب عبودية الوجود إليك، وأنت والوجود عبيد الله. وسبب عبودية الوجود إليك هو عبوديتك لله. « **يا دنيا اخدمي من خدمني** » الحديث القدسي)، وقال: (اعلم أنك أنت من الوجود، والوجود منك، ومهما كنت عبد الله في الوجود كان الوجود عبدًا لك، ومهما أردت أن يكون الوجود عبدًا لك تجد نفسك عبدًا للوجود: كأن العبودية في الحرية، والحرية في العبودية، ولا شك أن العبودية كلها جلال، كما أن الحرية كلها جمال يعني في الأصل. والجمال على قسمين: منه ما هو ضعيف ومنه ما هو قوي، وكذلك الجلال على قسمين: منه ما هو قوي ومنه ما هو ضعيف، ومن كان في مرتبة لا يصلح به إلا طعمها. كأن صاحب مرتبة العبودية، وهي مرتبة الجلال، يحرم عليه الجمال، إلا عند الاضطرار يباح له ارتكاب الجمال الضعيف فقط، وهذه الإباحة كإباحة جرعة الخمر عند الغصة. لكل مقام مقال. الدنيا جمال، والزهد فيها من الجلال، رأيت في بعض تآليف الشيخ زروق نفعنا الله به قال: الدنيا كنهر طالوت لا ينجو منها شارب إلا من اغترف غرفة بيده)، وقال: (قوم حجبوا الطاعة بالمعصية عمن قدر المعصية، وقوم حجبوا بالطاعة عمن قدر الطاعة، وقوم وجدوا الطاعة حقًا فيما يبرز من حضرة الحق فلم يحجبوا عن حبيبهم بأنواع الطاعة ولا بظلام المعصية، بل صاروا في كل حال عبيدًا مخلصين لله بلا علة كما قال إمام الطريقة الشاذلي رضي الله عنه ونفعنا: « واجعلنا عبيدًا لك في جميع الحالات وعلمنا من لدنك علمًا نصير به كاملين في المحيا والممات »)، وقال: (اعلم يا أخي ما من معصية ردتك إلى الذل والانكسار بين يدي مولاك إلا كانت أفضل من كل طاعة تعظم بها نفسك وترى لها قدرًا أو مزية منك، لأنك إذا كنت عبد الطاعة فأنت عبد الطاعة، وإذا كنت عبد المعصية فأنت عبد المعصية، وإذا كنت عبد الله مخلصًا إليه فكن له عبدًا في الحالة التي أقامك فيها، لأنك إذا نظرت الفعل كله فعله، صار لك كل ما فعل المليح مليحًا، لأن الملك ملكه وأنت من جملة ملكه، وهو المدير المختار، يفعل في ملكه ما يريد، هو الحاكم العادل، الذي يقضي ولا يقضي عليه. دبر الزمان والمكان، وخلق الأشياء وأوجدها، ويعلم ما يفسدها وما يطحها، وكل ما أبرز من بديع صنعته فهو غاية الكمال والإتقان. نسأل الله تعالى أن يجعلنا من المستسلمين له الراضين بحكمه وقضائه. قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا** ﴾ [فاطر: 6]، ومراد العد منك أن يحول بينك وبين الحبيب، وإذا اشتغلت بعداوة العدو نال مراده منك وفاتتك محبة الحبيب، وعداوة العدو حقًا هي اشتغالك بالحبيب، وإذا اشتغلت بالحبيب كفاك شأن العدو وفزت بمحبة الحبيب)، وقال اعلم أنك إذا فهمت من نفسك الركون للعبادة، فاحذر أن تبدل عبودية الله بعبودية العباد. عبد الله

حقًّا هو العبد في جميع الأحوال، وكل من ركنت نفسه لحال دون حال فهو عبد لذلك الحال)، وقال: (ومما أوصاني به الشيخ نفعنا الله به قال لي: يا ولدي سر مع العبودية ما كان جلالها أقوى من جمالها، ومهما تقوى جمالها على جلالها: ينقلب حكمها فتصير حظ النفس لا عبودية. انظر قول البوصيري: « وإن هي استحلت المرعى فلا تسم ». العارف مهما يرى العبودية صارت عادة، ويفهم من نفسه أنها ركنت لذلك، يعرف أن الجمال غلب على الجلال، فيرحل نفسه من ذلك الحال إلى ضده. « **حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات** » الحديث. يرحم الله صاحب الحكم (ما أرادت همة سالك أن تقف عندما كشف لها إلا ونادته هواتف الحقيقة: الذي تطلب أمامك، ولا تبرجت ظواهر المكونات إلا ونداتك حقائقها: ﴿ **إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ** ﴾ [البقرة: 102]، لأن طالب هذا الفن دائر على خرق العوائد، وطالب خرق العوائد لا يركن إلا ألعوائد، لأنك لا تجد نفسك إلا في المكان الذي طرحتها فيه: إذا طرحتها في العوائد لا تجدها إلا في العوائد، وإذا طرحتها في خرق العوائد لا تجدها إلا في خرق العوائد. قال في الحكم: « كيف تخرق لك العوائد وأنت لم تخرق من نفسك العوائد »، لأن من عادة النفس ما وجدت شيئًا إلا قنعت به وتريد الوقوف معه، والقناعة من الله حرمان. من عادته تعالى أنه إذا ما أعطاك شيئًا وزهدت فيه، ورجعت إلى عبوديته تعالى، إلا أعطاك ما هو أشرف منه وأحسن وأعظم، وما أعطاك شيئًا وقنعت به، ووقفت معه إلا أقرك فيه وأمدك به ومنه. أنت تريد زهدًا فيما أعطاك، وعطاؤه يعظم ويكبر ويتسع ولا نهاية، حتى تقنع وتقف همتك. أنظر ما أعظم هذا الرب الكريم)، وقال: (اعلم يا أخي أنك مهما أحببت أحدًا سوى مولاك كنت له عبدًا، ومهما رفعت إلى أحد حاجتك سوى مولاك كنت له عبدًا، ومهما طمعت في أحد سوى مولاك كنت له عبدًا، ومهما رفعت همتك لأحد سوى مولاك كنت له عبدًا، ومهما رأيت نافعًا أو ضارًا سوى مولاك كنت له عبدًا، ومهما تذللت لأحد سوى مولاك كنت له عبدًا، ومهما طلبت أحدًا سوى مولاك كنت له عبدًا، ومهما فرحت بأحد سوى مولاك كنت له عبدًا، ومهما تملقت لباب أحد سوى مولاك كنت له عبدًا، ومهما اعتمدت على أحد سوى مولاك كنت له عبدًا، ومهما فزعت لأحد سوى مولاك كنت له عبدًا، ومهما انتصرت بأحد سوى مولاك كنت له عبدًا)، وقال: (اعلم أن الصمت عبودية، والكلام حرية، ولا يشك في أن مادة صاحب العبودية أقوى من مادة صاحب الحرية، ولولا ذلك ما اختار النبي > العبودية عن كل شيء، وذلك لأنها أقوى من كل شيء مادة وأوسع منكبًا وأعلى من كل شيء قدرًا وأشرف من كل شيء حسبًا)، وقال: (إذا أردت أن تفتح لك المواهب: مواهب العلم ومواهب العمل، عليك بلبس المرقع من الثياب والصمت مع وجود التوجه للطريقة. والانتساب للفقر بالصمت

تخرق العادات بالعلوم اللدنية، وبخرق العوائد بلبس المرقعة تخرق العوائد بالمواهب الفعلية « وأمري بأمر الله إن قلت كن يكن ». وذلك لأن هذين الوصفي، يعني الصمت ولبس المرقعة وصفان من وصف العبودية، ولا شك أن العبودية هي مفتاح الفتوحات كلها، وهذا القياس يقتضي وجود ضده، وهو أنك إذا أردت أن تنطمس عنك فتوحات الباطن حتى لا تجد لها خبرًا حتى كأنها لم تكن: عليك بلبس الثياب الجميلة وكثرة الكلام مع أبناء الدنيا، فإذا اتصفت بهذين الوصفين فإن الفرق يملكك عند ذلك حتى لا تجتمع لك فكرة، فعند ذلك يحصل لك نسيان نفسك، وإذا نسيت نفسك على كل حال يحصل لك نسيان ربك، قال تعالى: ﴿ **نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ** ﴾ [الحشر: 19])، وقال: (اعلم أن الاعتكاف هو مخ التجريد، وهو من لباب العبودية، وهو أعظم أوصاف الذات. وفي الأصل: العبودية كلها اعتكاف. فالصلاة والصوم والذل والقراءة وقيام الليل والعزلة والصمت، وغض البصر والسمع، والمجالسة بين يدي الرجال، وعدم التدبير والاختيار، والرضى بالواقع، ومراقبة الله تعالى، والتجريد والزهد، والقناعة من الدنيا، واليقظة، ومجانبة أهل النقض: كل ذلك اعتكاف، وتخريب الجاه وعدم الرياسة: اعتكاف أيضًا، إلى ما ليس له حصر من أوصاف العبودية الظاهرية والباطنية. والعبودية كلها جلال وهي مفتاح الجمال، وأي جلال أعظم من الاعتكاف. بل الاعتكاف شجرة، وأوصاف العبودية كلها أغصان لها)، وقال: (اعلم أن العبودية ضد الخصوصية، والخصوصية ضد العبودية. من طلب العبودية وجد الخصوصية، ومن طلب الخصوصية وجد العبودية. صارت الخصوصية تطلب في العبودية، والعبودية تطلب في الخصوصية. أنظر الشيخ الشاذلي } كيف طلب العبودية في جميع الحالات، اقتداء بالنبي > لما طلب من مولاه أن يكون نبيًا عبدًا. «**خادم القوم سيدهم** » الحديث)، وقال: (اعلم أن من وصل حقيقة العبودية لا يحتاج لأحد من الخلق أبدًا، وهذه المرتبة حصولها يستلزم ضدها، وضدها هو من لم يحتج لجميع الخلائق وكان مستغنيًا بمولاه عنهم. ما بعد هذه المرتبة إلا احتياج جميع الخلائق إليه، لأن من لم تتوقف له حاجة عند الخلق: تتوقف عنده حوائج جميع الخلق، لأن الارتباط لا بد منه: إما من جهته يكون طالبًا للخلق أو من جهة الخلق يكونون طالبين له. الارتباط لا يخلو إما من جهته للخلق، أو يكون من جهة الخلق له: ومن كانت فيه هذه المزية يكون إبراهيميًا، لأن سيدنا إبراهيم لما قال له سيدنا جبريل: ألك حاجة؟ قال له: أما إليك فلا وأما إلى الله فبلى، فقال له: اطلبه إذًا، فقال له: علمه بحالي يغنيني عن سؤالي. هذا وهو في المنجنيق وفي أضيق حالة، ومع هذا لم يحتج إلا لمولاه، عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، وحينئذ غيبته حلاوة مشاهدة مولاه عن كل ما وقع به ولم يبال بذلك ولم يلتفت إلا لمولاه)، وقال:

(اعلم أن من أراد أن يملك الوجود بأسره حتى يكون الوجود وما فيه عبدًا له، فعليه بعبودية النفس لله وعبودية الفلس لله. انظر النبي > لما أراد الله تعالى أن يمكنه من مفاتيح الوجود بأسره يتصرف فيه تصرف السيد في عبده، ألهمه الله للعبودية فاختار > أن يكون نبيًا عبدًا، يجوع يومًا ويشبع يومًا. اليوم الذي يجوع فيه يسأل فيه مولاه، واليوم الذي يشبع فيه يحمده فيه مولاه سبحانه، وذلك بتوفيق الله تعالى له >. ولولا أن العبودية هي أشرف المقامات كلها وأعلاها ما اختارها النبي > بعد أن خيره الله تعالى أن يكون ملكًا أو يكون نبيًا عبدًا، فاختار العبودية على الملك. صار الملك حقًا هو العبودية لا الملك، فيجب على كل مسلم، فضلًا عمن يطلب حرية الخصوصية من باب أولى وأحرى، أن يتأسى بسنته > في هذا المقام الشريف وهو مقام العبودية لله، ويجاهد نفسه بالترييض عليها حتى يأخذ حظه من الإرث يعني إرث النبوءة، الذي أخبرنا به الصادق المصدوق > بقوله: « **العلماء ورثة الأنبياء** » أو كما قال، ويكون ذلك الترييض بصحبة العارفين بالله ومجالستهم، لأنه ما أفلح من أفلح إلا بصحبة من أفلح. قال قطب العارفين سيدي أبو الحسن الشاذلي }: « واجعلنا عبيدًا لك في جميع الحالات، وعلمنا من لدنك علمًا نصير به كاملين في المحيا والممات ». انظر كيف قرن } العلم بالله مع العبودية، ولا شك أنه إذا فتحت مواهب العلم حتمًا يفتح مواهب العمل بإثرها، لأن عطية الكامل لا تكون إلا كاملة. قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾ [فاطر: 28]. جعلنا الله وإياكم من العلماء العاملين، بفضله وإحسانه، إنه على كل شيء قدير)، وقال: (اعلم أن الله تعالى، وهو أحكم الحاكمين، جعل العبودية كلها ذلًا، كما جعل الحرية كلها عزًا، وجعل النفوس تميل للحرية وتحبها، كما جعلها تفر من العبودية وتبغضها. من كان عارفًا أو ملك نفسه لعارف لا تجده راتعًا إلا في العبودية، ممن كان جاهلًا أو ملك نفسه لجاهل لا تجده راتعًا إلا في الحرية، وصاحب العارف عارف، وصاحب الجاهل جاهل. والعارفون ملوك خلائف الله في أرضه، والجاهلون مماليك كالأنعام بل هم أضل، ولا شك أن العامة خلقهم الله تعالى كرامة لعباده العارفين به: يحملون أثقالهم ويستريحون على ظهورهم ولهم فيهم منافع كثيرة ما لها حصر. كما جعل سبحانه الأنعام مماليك لبني آدم يستريحون على ظهورها وينتفعون بها أعظم النفع، كذلك جعل سبحانه الجاهلين لبني آدم يستريحون على ظهورها وينتفعون بها أعظم النفع، كذلك جعل سبحانه الجاهلين من بني آدم مماليك للعارفين من بني آدم يستريحون على ظهورهم وينتفعون بهم أعظم النفع. قال تعالى: ﴿ **وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا** ﴾ [طه: 114]. وقال جل من قائل: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾ [فاطر: 28]. والله ما فات أهل المعرفة بالله تعالى الجاهلين به إلا أنهم عبيد الله في الوجود بأسره، وجدوا الوجود بأسره عبدًا لهم يفعلون به ما أرادوا. ولا فات الجاهلون به العارفين، إلا أنهم

تجبروا وتكبروا عن عبودية الله تعالى في الوجود وأنكروا ذلك، فحينئذ وجدوا نفوسهم عبيدًا للوجود بأسره، والوجود ملكًا عليهم، يفعل بهم ما أراد، إذ لم يعرفوا أنه ما في الوجود إلا خالق الوجود: كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان. قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ** ﴾ [آل عمران: 31] فافهم. « **يا دنياي اخدمي من خدمني وأتعبي من خدمك** » الحديث)، وقال: (اعلم أن حكمة الله تعالى لا تشفق من أحد ولا تبالي بأحد. مهما توفرت شروطها تظهر على كل حال، سواء توفرت شروطها عن علم من علمها أو عن جهل من جهلها، وحكمة الله تعالى في الأمور كلها هي العبودية، قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا** ﴾ [البقرة: 269]. وقولنا: « مهما توفرت شروطها تظهر » أي تظهر ثمرتها، وثمرة أوصاف الربوبية هي ظهور أوصاف الربوبية. ما ظهرت أوصاف العبودية إلا ظهرت أوصاف الربوبية بلصقها، قال في الحكم: « تحقق بأوصافك يمدك بأوصافه »، وقال أيضًا: « إن كنت لا تصل إليه إلا بعد فناء مساويك ومحو دعاويك لا تصل إليه أبدًا، ولكن إذا أراد أن يوصلك إليه غطى وصفك بوصفه ونعتك بنعته، وصلك إليه بما منه إليك، لا بما منك إليه ». أنظر كيف قدر الشيخ نفعنا الله به تغطية أوصاف العبودية بأوصاف الربوبية. والعبودية على قسمين: عبودية قبل الفناء وهي عبودية المريدين لمشايخ أهل الطريقة، وهي شرط في الدخول للطريقة، فإذا بطلت بطل الدخول. وعبودية أخرى بعد الفناء، وهي التي تسمى بالبقاء، ويقال لها عبودية أهل النهايات وهي مرتبة الملك. عبودية أهل البدايات أدب مع مشايخ أهل الطريقة، وعبودية أهل النهايات أدب مع الحق في حضرة الشهود على بساط التحقيق. العبودية بها يكون المبتدأ، وإليها يكون المنتهى، وعلى قدر تقويتها في االبدايات يكون تقويتها في النهايات. قال في الحكم: « البدايات مجلى النهايات »، وقال أيضًا: « من أشرقت بدايته أشرقت نهايته ». وما بين البدايات والنهايات هو مقام الفناء، وهو مقام ارتحال العبد من عالم نفسه إلى عالم ربه. عبودية البدايات هي مفتاح الفناء. من لا عبودية له في البدايات، لا نصيب له في الفناء، فضلًا عما بعده. كما أن عبودية النهايات هي مفتاح البقاء. من لا عبودية له في النهايات لا نصيب له في البقاء، فضلًا عما بعد البقاء. ومن المبتدئين من تختلف عليه عبودية البدايات، ويظن أنه قد حصل على عبودية النهايات ويقف معها فتزل قدمه، يتحصل له من ذلك الوقوف والرضى على النفس ورؤية التعظيم لنفسه على عباد الله وحب الرياسة وحب الدنيا وحب الجاه والفرح بإقبال الخلق عليه والحزن عند إدبارهم عنه، إلى ما ليس له حصر من الخصال الرديئة التي تناقض له عبوديته، فإذا انتقضت له عبوديته غلق الباب في وجهه وطرد عن باب مولاه، أعاذنا الله من ذلك، وهذه أعظم المصائب وهي ليصاب بها الكثير من أهل البدايات إلا من دخل

الطريقة مع غير رفقة المشايخ الماهرين العارفين بدسائس النفوس وشعبها وسياستها في ذلك كما قيل: ما أفلح من أفلح إلا بصحبة من أفلح، وقال في الحكم: « إنما حرموا الوصول لتضييعهم الأصول ». وما بين عبودية المبتدي وعبودية المنتهي: ما بين الحي والميت. يقول في هذا المعنى أبو المواهب: تشبه الجهال بالرجال، هيهات هيهاتَ ليس الحال كحال الفناء مهر الولاية، ومن لا مهر له لا ولاية له، ومن لا عبودية له لا فناء له. العبودية هي مفتاح الفتوحات كلها غيبًا وحاضرًا. وكل من تصدر لتربية المريدين قبل ورود مقام البقاء فهو ضال لنفسه ولمن تبعه، وذلك لأن صاحب مقام البقاء قد فرغ من تربية نفسه وتهذيبها، ومن فرغ من تربية نفسه وتهذيبها لا بأس به إذا تصدر لإرشاد غيره، بخلاف صاحب مقام الفناء. مثل صاحب الفناء مثل الفخارة الملقية في بيت النار تطبخ، لا تدري هل تخرج منه صحيحة أو معيبة، فصاحب الفناء بمنزلة ابن العشرين سنة، وصاحب مقام البقاء بمنزلة ابن الأربعين سنة، وما قبل العشرين إلى العشرين تشوير للفناء، كما أن ما بين العشرين إلى الأربعين تشوير للبقاء. والعبودية كما قلنا هي مفتاح الجميع في الأحوال كلها. اللهم اجعلنا عبيدًا لك في جميع الحالات وعلمنا من لدنك علمًا نصر به كاملين في المحيا والممات. أنظر يا أخي هذه العبودية ما أشرفها وما أعظمها التي اختارها المصطفى > عن كل ما خيره الله تبارك وتعالى فيهن فاختار أن يكون نبيًا عبدًا، يجوع يومًا ويشبع يومًا، ولو وجد شيئًا أفضل منها لاختاره في كل ما خيره فيه مولاه سبحانه، والنبي > هو إمام العارفين، لم يجد شيئًا أفضل منها فاختارها لنفسه وأمر بها كافة الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وتابع التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ??? ??? ???).

العبودية والحرية

قال: (اعلم أن العبودية في الحرية، والحرية في العبودية. العبودية: كل ما هو سفلي فهو عبودية، والحرية: كل ما هو علوي فهو حرية. الأدب مع عباد الله وصف من أوصاف العبودية، وهو ذل اكتسابي يجر عزًا قهريًا. وسوء الأدب مع عباد الله ربما يكون من أوصاف الحرية، وهو عز اكتسابي يجر ذلًا قهريًا، وكذلك الكلام والصمت: الصمت وصف من أوصاف العبودية وهو ذل اكتسابي يجر عزًا قهريًا، والكلام وصف من أوصاف الحرية ربما يجر ذلًا قهريًا، وهكذا في جميع أوصاف العبودية والحرية: جرت عادة الله هكذا، ولن تجد لسنة الله تبديلًا، وقد تكون العبودية قهرية في ابتدائها، وقد تكون الحرية قهرية في ابتدائها أيضًا وهذا نادر والنادر لا حكم له، وإنما الحكم للجل وهو ما ذكرنا أولًا. والعبودية أيضًا تكون ظاهرية حسًا، وقد تكون باطنية معنىَ. وكذلك الحرية قد تكون باطنية معنىَ، وقد تكون ظاهرية حسًا، كم من متحبر



لبس ثيابًا مرقعة رثة، وكم من متواضع لبس ثيابًا شريفة حسنًا، والكل خير: لبس الثياب الرثة ولبس الثياب الحسنة لمن يكون عارفًا بحكم هذه وهذه، والكل شر لمن يكون جاهلًا بأحكامها. يقتل البلاد من يعرفها، وتقتل البلاد من لا يعرفها، اللهم إلا أن يكون الجاهل مرافقًا لعارف فحكمه حكم العارف)، وقال: (اعلم أن أوصاف الربوبية كلها جمع، والجمع حتمًا لا يخرج منه إلا الفرق. كما أن أوصاف العبودية كلها فرق، والفرق حتمًا لا يخرج منه إلا الجمع. ومن أراد أن يفترق عن كل شيء وفي كل شيء وبكل شيء وربما يفترق عن نفسه فعليه بالتخلق بأوصاف الحرية. ومن أراد أن يجتمع بكل شيء وفي كل شيء وعلى كل شيء وربما يجتمع حتى بنفسه فعليه بالتخلق بأوصاف العبودية. وأوصاف الحرية مثل العز والكبرياء والقدرة والغنى والقوة والسمع والبصر والكلام: هذه أوصاف الحرية، وهي كلها جمع، من تخلق بشيء منها افترقت أموره، أحب أم كره، حتى ربما يؤديه ذلك لافتراق روحه مع جسده، وأوصاف العبودية مثل الذل والتواضع والعجز والفقر والضعف والصمت وغض البصر وعدم السمع: هذه بعض أوصاف العبودية التي تقابل ما ذكرنا من أوصاف الحرية، وهي كلها فرق: من تخلق بشيء منها أي من أوصاف العبودية فإن أموره تجتمع كلها، أحب أم كره، حتى ربما يؤديه ذلك لاجتماع قلبه على ربه وبربه، وهذا هو المطلوب. قال بعض الفقراء: « والله ما وجدنا العز حقًا إلا في الذل ». قال في الحكم: « تحقق بأوصافك يمدك بأوصافه »، من أراد أن تفتح الأبواب كلها في وجهه فعليه بالتخلق بأوصاف العبودية، ومن أراد أن تغلق الأبواب كلها في وجهه فعليه بالتخلق بأوصاف الحرية)، وقال: (ومن أعظم وجوه سوء الأدب ترك المقابلة والذهاب للسلام على الناس، ومن أعظم وجوه سوء الأدب في المريدين: السبق للجواب بين يدي المشايخ وكثرة الكلام والتعبير بين أيديهم، وذلك لأن الكلام في الأصل كله عز وعلو، والعلو من شأن الموالي لا من شأن العبيد، والمريد المطلوب منه هو وصف العبودية، ووصف العبيد هو ضد وصف الموالي، ومهما ظهر وصف الموالي بطلت العبودية. قال في الحكم خطابًا للمريد: « أخرج من أوصاف بشريتك وعن كل وصف مناقض لعبوديتك، لتكون لنداء الحق مجيبًا ومن حضرته قريبًا »، وكذلك أن كل ما يشير للدنو والانخفاض هو ناقض الحرية، وهو باب الحرية ومفتاحها، يعني من أتى للعبودية اختيارًا لا بد أن تأتيه الحرية على قدر تلك العبودية قهرًا. وكذلك العكس كلما يشير للعلو والارتفاق فهو حرية، وهو ناقض للعبودية، وهو أيضًا باب العبودية ومفتاحها، يعين من أتى الحكم إختيارًا لا بد أن تأتيه العبودية قهرًا على كل حال، وهكذا. قال في الحكم: « من رأيته مجيبًا عن كل ما سئل ومعبرًا لكل ما شهد وذاكرًا كل ما علم، فاستدل بذلك على وجود جهله »)، وقال: (أنت حر من الأحرار ما لم ترد وتختار، وكل من يختار ويريد يجد نفسه عبدًا من العبيد. ومن عادته تعالى مع عبده:

ما اتصفت بأوصاف العبيد إلا وجدت نفسك من الأحرار، ولا اتصفت بأوصاف الأحرار إلا وجدت نفسك من العبيد. كأن الشيء كامن في ضده)، وقال: (ومما قال لي الشيخ نفعنا الله به: يا ولدي إذا أردت الحرية: أقبض من جل الناس ولا تختر ممن تقبض، وادفع لجل الناس ولا تختر لمن تدفع. فإذا كنت هكذا فإنك تصير حرًا، فالذين تقول لهم: هاتوا لم يملكوك بها، والذين تقول لهم: خذوا لم يملكوك بها. وإذا خصصت أهل هاتوا ودمت معهم فإنك تصير مملوكًا لهم، وكذلك خصصت أهل خذوا ودمت معهم فإنك تصير عبدًا لهم. ومقصودنا كله بالدخول لهذا الفن هو الخروج من عبودية المخلوق لعبودية الخالق وهو الله تبارك وتعالى. وأما إذا كنت فررت من الفنون كلها لتكون عبد الله، ودخلت لهذا الفن لئلا تكون عبدًا لله ثم تحصل على عبودية العبيد، فلا فائدة في دخولك ولا في خروجك)، وقال: (اعلم أن الفقير المخصص هو الذي زهد في الناس وزهد ما في أيدي الناس وزهد في نفسه وزهد فيما في يد نفسه وزهد في شهوته وإرادته حتى لم تكن له إرادة إلا ما أراد مولاه، ولا ينكر على الخلق حالًا من أحوالهم حتى يرى الخلق كلهم على صواب، وكل ما يبرز يراه في غاية الحسن والإتقان: هذه بعض أوصاف العبيد المتأدبين مع سيدهم. والعبيد حقًا هم الأحرار حقًا لأن من رضي بالعبودية واطمأنت نفسه إليها لله تبارك وتعالى فهو أكرم من أن يتركه عبدًا له لأنه غني عن عبادة العالمين بل يجعله خليفة في أرضه وفعله بأمر سيده كفعل سيده وما ذلك على الله بعزيز)، وقال: (اعلم أن الفقر ملك وأهله على فرقتين: فرقة ملوك بذل أفعال العبودية لله، وفرقة ملوك بذل أقوال الحرية بالله. والفقير أي الملك الذي لم يكن يفعل في ملكه ما يريد لا يسمى ملكًا وإنما هو صاحب تخليط، والتخليط يؤدي صاحبه إل الفسق، وهذا الملك أي ملك الفقر الذي ذكرنا رعيتهم فيه هم العامة، والعامة أيضًا ينقسمون إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول الطلباء من أهل العلم الظاهر، والقسم الثاني أهل الرياسة، والقسم الثالث عامة الناس من أهل الأسواق وأهل الحرف. والعامة لا يملكون إلا بعبودية كاملة وهي عبودية الأفعال لله أو بحرية كاملة وهي حرية الأقوال بالله لا زائد. ومن تمادى إلى هذا الفن ولم يأخذه عن أربابه فقد عرض نفسه للهلاك ظاهرًا وباطنًا)، وقال: (اعلم أن العبودية لا تفارق الحرية، وكذلك الحرية لا تفارق العبودية، والكلام في هذا المعنى المراد به ثلاثة أصناف من الناس. أهل مقام الفناء في الله حريتهم في بواطنهم وعبوديتهم في ظواهرهم هذه الفرقة الأولى. والفرقة الثانية أهل مقام البداية وهم بعكس الفرقة الأولى أي عبوديتهم في بواطنهم وحريتهم في ظواهرهم. والفرقة الثالثة وهم رروساء العامة وهم أيضًا: عبوديتهم في بواطنهم وحريتهم في ظواهرهم. الفرقة الأولى هم أهل البواطن، والفرقة الثانية إن شئت قلت: هم أهل الظواهر الدينية، والفرقة الثالثة إذا

شئت قلت: هم أهل الظواهر الدنيوية. ومما جرت به عادة الله في الوجود أن الوجود يقابل الإنسان بما قابله، قال تعالى: ﴿**إِنْ يَعْلَمِ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا**﴾ [الأنفال: 70]. الفرقة الأول وهم أهل الفناء، قابلوا الوجود بقلوبهم مملوءة حرية، قابلهم الوجود بالحرية كما قابلوه، فوجدوا أهل الأرضين والسماء ومن فيهن كلهم أحرارًا، فلذلك تجدهم منكورين عند جميع الخلق. وأهل الفرقة الثانية وهم المبتدئون في طريق الفقر، قابلوا الوجود بقلوبهم مملوءة عبودية لله، قابلهم الوجود بالعبودية كما قابلوه، فوجدوا أهل الأرضين كلهم عبيدًا لهم، « **يا دنياي اخدمي من خدمني وأتعبي من خدمك** » الحديث، فلذلك تجدهم مبرورين عن الخلق حتى الوحوش والجمادات والنباتات والحيوانات بل عند الوجود بأسره مبرورين. وأما الفرقة الثالثة وهم رؤساء العامة، قابلوا الوجود بقلوبهم مملوءة عبودية لنفوسهم، قابلهم الوجود عبدًا لهم، لكن لا يدوم لهم ذلك، لأن ما كان لله دام واتصل، وما كان لغير الله انقطع وانفصل. الفرقة الأولى وهم أهل عز الفناء، يتعزز عليهم الوجود حتى لا يجدوا فيه رفيقًا إلا العزيز المتعال، ثم يؤول أمرهم فيندفعون للمقام الذي بعده، وهو مقام عبودية البقاء، وهذه المرتبة يقال لها: مرتبة الإرث النبوي، وصاحب هذا المقام هو خليفة الله في أرضه، أقدامه على أقدام الأنبياء والرسل عليهم السلام، لا ينكره شيء، كما هو لا ينكر شيئًا، يقول بأمر الله للشيء: كن فيكون. وصاحب مقام ذل عبودية البدايات، يعني بدايته طلب الله، يتذلل له الوجود، يكون الوجود كله عند أمره ونهيه، وإذا دام على طلبه وسلم من الآفات ولم يتعذر له في سيره شيء، فإنه يندفع للمقام الذي بعده وهو المقام الذي ذكرنا، فإذا حصل فيه فإن الوجود ينكره بأسره كما وصفنا، بعدما كان خديمًا له، حتى لا يجد رفيقًا إلا مولاه. وأما صاحب عبودية النفس من رؤساء العامة، مثل أهل الدنيا وما يشبههم، فإن الوجود يكون خديمًا لهم ثم ينقطع، وذلك لأنهم عبيد للفاني وهم فانون، وكل فان فهو زاهق، والزاهق إذا تعلق بالزاهق عندما يظهر الحق يزهقون جميعًا، قال تعالى: ﴿ **وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا** ﴾ [الإسراء: 81].

العبودية والربوبية

قال: (اعلم أن علو العبد في عزه وشرفه، يدل على كبرية مولاه ورفعته وعظمته)، وقال: (اعلم أن المراد بالأسباب هو الخروج عن الأسباب، ولو خرجت عن الأسباب لشهدت مسبب الأسباب. ما كان العبد مع العبد ألبس حلية العبودية، وما كان العبد مع الرب ألبس حلية الربوبية)، وقال: (اعلم أن هذا البشر جعله الله تبارك وتعالى، مادتان: مادة نسبت للعبودية، ومادة نسبت للربوبية، والكل من الله وإليه.

المادة التي نسبت للربوبية هي مادة العزل بالله، منها دخل على الله أهل الجذب. والمادة التي نسبت للعبودية هي الذل لله تعالى، منها دخل على الله أهل السلوك. وهذان المادتان: مادة العزل بالله ومادة الذل بالله أبدًا يتواردان على السالك وعلى المجذوب، بل ولا على كل أحد في الحقيقة أبدًا، لكن أهل الجذب غلب عليهم شهود العز بالله، لأجل ذلك نسبوا إليه، وأهل السلوك غلب عليهم شهود الذل لله لأجل ذلك نسبوا إليه ولذلك تجد أهل الجذب بواطنهم عزًا وظواهرهم ذلًا، وأهل السلوك بالعكس ظواهرهم عزًا وبواطنهم ذلًا. المجذوب ملك بالله، والسالك مملوك لله. رزقنا الله بركة الجميع)، وقال: (اعلم أن كل من أردت أن يكون لك عبدًا كن أنت له عبدًا، وكل من أردت أن تملكه حتى يكون طوع يدك كن مملوكًا له طوع يديه تجده مملوكًا لك طوع يديك، والكلام كله بين العبودية والربوبية. العبودية وهي الذل لله، ولعباد الله بالنفوس، يقذف صاحبه في أوصاف الربوبية، وهي العز بالله جبرًا على النفوس، كما أن التشبه بالربوبية وهو العز على عباد الله، باكتساب النفوس، يقذف صاحبه في أوصاف العبودية وهو الذل لله ولعباد الله جبرًا على النفوس. العبودية اكتسابًا تملكك كل شيء قهرًا، كما أن الحرية اكتسابًا تملكك لكل شيء قهرًا).

العجب

قال: (سمعت الشيخ نفعنا الله به يقول: من أراد أن يرى العجب فليفعل العجب. ومن أراد أن يرى العجب. وهو لا يفعل العجب، فهو كم أراد أن يجني من الشوك العنب).

العز

قال: (ومما قال لي سيدنا رحمه الله: إذا لقيت أحمد اموسي ارفع همتك عنه وعن أصحابه، وإياك أن تقوي كلام ولا التفات لا بوجه ولا بحال، وإذا طولت معهم الكلام غير فزك اقفاتك باش تاكل الززا بزايد ولا يضركش، لأن من أراد العز الذي ليس له مثيل يرفع همته عن أهل الدنيا ولا يبالي بهم، وكما أنه من أراد أن يظفر بعز الدنيا والآخرة العز الأبدي يقرب لأهل الله ولا يلتفت لمن سواهم ولا يعبؤا به).



الجزء الثاني من:
ترتيب وتبويب كتاب سيدي علي الجمل رضي الله عنه
مع وضع فهارس له، وترجمتين لسيدي علي الجمل

إعداد وكتابة: الدكتور محمد بن محمد المهدي التمسماني

العز والذل

قال: (اعلم باختصار، أن عز الظاهر لا يخرجك إلا من ذل الباطن، وعز الباطن لا يخرج إلا من ذل الظاهر. واشتغالك بالشيء ومباشرتك إياه هي التي تمكنك منه من غير منة لأحد عليك، لأن حياة الشيء هي مباشرته بالدوام، وموت الشيء هو الاشتغال بغيره)، وقال: (اعلم أن الذل هو الذل الظاهر الحسي، وأما الذل المعنوي الباطني فلا يسمى ذلًا وإنما يسمى عدم الرضى عن النفس. كما أن العز هو العز الظاهري الحسي، وأما العز المعنوي الباطني فلا يسمى عزًا وإنما يسمى بالرضى عن النفس. وصاحب الذل الظاهري أرفع من صاحب الذل الباطني بدرجات، كما أن صاحب العز الباطني أقبح وأوضع من صاحب العز الظاهري بدرجات، لهذا المعنى قال صاحب الحكم: « لأن تصحب جاهلًا لا يرضى عن نفسه أفضل من أن تصحب عالمًا يرضى عن نفسه. أي علم لعالم يرضى عن نفسه وأي جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه ». على هذا القياس صار الذي كان جهله في ظاهره، وعلمه في باطنه، هو العالم حقًا. والعالم الذي علمه في ظاهره، وجهله في باطنه، هو الجاهل حقًا. وذلك لأن العلم أصله معنوي باطني، لأجل ذلك من كان علمه في باطنه فهو العالم حقًا. والجهل أصله حسي ظاهر ولأجل ذلك من علمه في ظاهره وهو راض عن نفسه فهو الجاهل حقًا)، وقال: (اعلم أن أهل العز الظاهري الدنياوي يتنافسون، من يكون أعلى من صاحبه، فبذلك ثبت ذلهم أبدًا. وأهل الذل الظاهري لله يتنافسون، من يكون أدنى من صاحبه، فبذلك ثبت عزهم أبدًا. قال تعالى: ﴿ **كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا** ﴾ [الإسراء: 20])، وقال: (اعلم أن الذل شرط في حق من أراد الخصوصية، سواء كانت خصوصية الظاهر أو خصوصية الباطن، لأن الخصوصية عز، ولا شك أن مفتاح العز هو الذل، كما أن مفتاح الذل هو العز. من أراد أن يكتسب عزًا فوق عز العامة فليكتسب ذلًا تحت ذل العامة، وعلى قدر نزول الذي يكون طلوع العزل، كثرت أو قلت. أهل الظاهر ذلهم بالأقوال دون الأفعال، حصل لهم به العز بالأقوال دون الأفعال، لأجل ذلك صاروا أهل صفات. وأهل الباطن بالعكس، ذلهم بالأفعال دون الأقوال، حصل لهم به العز بالفعل لا بالقول، لأجل ذلك صاروا أهل ذات، كما قال القائل:

ثمــار مــا قــد غرســت تجنــي * وهـــــذه عـــــادة الزمـــــان

والذل لا يفارق العز، كما أن العز لا يفارق الذل، وهما مجتمعان في الإنسان أبدًا، إلا أنه تارة يتجلى العز في الإنسان ظاهرًا فيكون حينئذ فيه الذل باطنا، وتارة بالعكس يتجلى الذل في الإنسان ظاهرًا فيكون فيه العز باطنًا. هكذا جرت سنة الله في خلقه، عرفها العارفون { وساروا فيها على بصيرة وعلم: فازوا بثمارها وأنوارها، وجهلها الجاهلون عفى الله عنا وعنهم فساروا فيها على عمى وجهل فبذلك فاتتهم أنوارها وثمارها. والأنوار: أنوار العلم، والثمار: ثمار العمل به، قال تعالى: ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [الزُّمر: 9]. وقال جل من قائل: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾ [فاطر: 28]. قال الشاعر:

تـذلل لمـن تهـوى فليس الهـوى سـهل * إذا رضـي المحبوب صـح لك الوصـل

تـــذلل لـــه تحـــظ برؤيـــا جمالـــه * ففي وجه من تهوى الفرائض والنفل)

وقال آخر:

إذا انت لم تصبر على الذل في الهوى * تفـــارق مـــن تهـــوى وانفـــك راغـــم

تحمـــل عظـــيم الـــذل لمـــن تحبـــه * فـــإن كنـــت مظلومًـــا فقـــل انـــا ظـــالم)

وقال: (اعلم أنه لا ينبغي لطالب العبودية الذل على العز في الأمور كلها لأن الذل هو الأدب وهو المطلوب لمن تعلقت همته بطلب الخصوصية، قال الشاعر:

ادب العبـــــــــــد تـــــــــــــذلل * والعبـــــــــــد لا يـــــــــــدع الادب

فـــــــــإذا تكامـــــــــل ذلـــــــــه * نـــــــــال المـــــــــودة واقتـــــــــرب)

فلهذا المعنى أردت أن نبين شيئًا من أحوال الذي ينبغي للعبد أن يريض نفسه عليها حتى تكون طبعًا طبيعيًا، وبالله التوفيق، في الأقوال وفي الأفعال وفي المقاصد وفي الهمم. أولهم الأقوال عز، والصمت ذل، وإذا كان ولا بد من الأقوال تكون سفلية والصمت أفضل منها، وغض البصر ذل وكثرة النظر عز، والعزلة ذل وكثرة الاختلاط مع الخلق عز، وكثرة العمل عز والسكون ذل، وإن كان ولا بد من العمل فليكن مخالفًا لما يفعل العوام، وهذا ما حضر لنا في الظواهر. وفي البواطن: طلب الأشياء بالعشق لها عز وعدم الطلب ذل، والتدبير والاختيار عز، والسير مع ما يبرز من غير اختيار ولا تدبير ذلك، والإنكار على عباد الله فيما يبرز منهم عز، والتسليم ذل، والفرح بوجود الشيء والحزن على فقده عز، وعدم الفرح بالموجود وعدم الحزن على المفقود ذل، إلى ما ليس له حصر من أوصاف العز بالنفس كلها مفاتيح لأوصاف الذل القهري، وأوصاف الذل بالنفس كلها مفاتيح لأوصاف العز بالله الوهبي وهو المطلوب. وأما الفعل: الصمت فعل، والنوم فعل، والذل فعل، وإذا أردت الفعل فاخلق عنصر اللسان ترى الفعل يبرز من خلال الجنان فتنخضع له الرقاب

سائر الأكوان بأمر الملك الديان، لأن كل ما عدى جارحة اللسان فهو فعل. والولي الكامل هو الذي يكون قائلًا فعله بقوله، وأما إذا كان قائلًا غير فاعل لا خصوصية له وإنما عنده أخبار الخصوصية، لأن من كان بالله لا يكون إلا عالمًا. وكذلك من كان فاعلًا غير قائل فهو جاهل، والولي لا يكون إلا جاهلًا. ما اتخذ الله وليًا جاهلًا إلا وعلمه)، وقال: (اعلم أن الله تعالى أوجد العز، وجعله منبع قدرته، وأضافه إليه، كما أوجد الذل، وجعله منبع حكمته، وأضافه لخلقه، والكل منه وإليه. الربوبية قائمة بين قدره وحكمة، كذلك العبودية قائمة بين قدرة وحكمة. صار العز منه نبعث قدرة جميع الخلق، كما أن الذل هو منبع حكمتهم، والقدرة قدرته تعالى، كما أن الحكمة حكمته تعالى، والكل إهابة منه وفضلًا على عبده)، وقال: (اعلم أنه بين الذل القهري والذل الاكتسابي فرق عظيم، وكذلك العز القهري والعز الاكتسابي بينهما فرق عظيم. كأن الذل القهري حقيقي، والعز القهري حقيقي، وكأن الذل الاكتسابي شرعي، وكذلك العز الاكتسابي شرعي، والاكتساب هنا بمعنى الاختيار. والعز شرعي، والذي الشرعي، هو الذي يأتي باختيار صاحبه اكتسابًا. والعز القهري، والذل القهري، هو الذي يأتي قهرًا على صاحبه، يعني بغير اختياره. والعز لا يفارق الذل، كما أن الذل لا يفارق العز. وكل من لبس الذل اختيارًا حتمًا يلبس العز قهرًا، وكذلك العكس، كل من لبس العز اختيارًا حتمًا يلبس الذل قهرًا، وكل ما كان اختياري لا يكون إلا رطبًا هينًا، وكل ما يكون قهرًا لا يكون إلا شديدًا قويًا متينًا، فلهذا المعنى اختار أرباب العقول الذل الاختياري على الذل القهري، واختاروا العز القهري على العز الاختياري)، وقال: (اعلم أن سيف القهر والغلبة سيفان: سيف قهر فهوي وهو سيف العز، وسيف قهر سفلي وهو سيف الذل، وهما على حد سواء في التصرف قبل أن يفجئ بعضهما بعضًا. سيف الذل في سراداقات ملكه يتصرف بما شاء، كن فيكون، وسيف العز كذلك أيضًا في سراداقات ملكه يتصرف بما شاء كن فيكون. وإذا تلاقيا وكانت ملاقاتهما على خير، اتفقا عليه معًا، خيرهما لا نهاية له، وخير السفلي أقوى من خير الفوقي. وإذا تلاقيا أيضًا، وكانت من شر الفوقي. وإذا تلاقيا أيضًا، وكان الفوقي إرادته شر، والسفلي إرادته خير، السفلي يغلب خيره على شر الفوقي. وإذا تلاقيا، وكان السفلي إرادته شر، والفوقي إرادته خير، السفلي يغلب شره على خير الفوقي. سمعت من الشيخ سيدي العربي أنه سمع من أبيه سيدي أحمد قال: كان أبوه سيدي محمد بن عبد الله - نفعنا الله بهم - يقول: « إذا اجتمع الريح السفلي والريح الفوق في وقت واحد، فالريح السفلي يغلب على كل حال »، قال جل من قائل: ﴿ **وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ** (5) **وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ** ﴾ [القصص: 5 - 6]. ملك العز أخذه العوام، وملك الذل أخذه الخصوص.

ولو كان ملك العز قويًا من ملك الذل ما ترك الخصوص العز للعوام وتمسكوا بالذل. أنظر قول الشاذلي رضي الله عنه ونفعنا به: « اللهم أن القوم قد حكت عليهم بالذل حتى عزوا، وحكمت عليهم بالفقد حتى وجدوا ». أدخلنا الله في زمرة هؤلاء القوم الذين حكم عليهم الحق سبحانه بالذل حتى عزوا، بفضله وإحسانه، وأحيانا وأمتنا على محبتهم آمين).

العزلة

قال: (ومما قال لي سيدنا يا ولدي ما دمت مختلطًا مع الخلق لا يصفى لك شغل أبدًا)، وقال: (اعلم أننا ما وجدنا الخير كله مجموع إلا في العزلة من الخلق، فلو ألفنا وكتبنا في العزلة ما يملئ ما بين السماء والأرض ما وصلنا لها قدرًا)، وقال: (اعلم أن الملك في العزلة، من أحب أحب، ومن كره كَره. من أراد أن يملك الوجود فليعتزل عنه، سواء كان ملكًا ظاهرًا أو باطنيًا، حكمهما واحد، كما أن حكم الوجود كله كحكم رجل، وحكم رجل كحكم الوجود، من غير زيادة ولا نقصان، قال تعالى: ﴿ **كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا** ﴾ [المائدة: 32])، وقال: (العزلة الصادقة الكاملة، بدل مجالسة الحماق، بمجالسة أهل الصدق الطالبين لمشاهدة الخلاق. والعزلة الصغرى عند ضعفاء أهل التصديق: اعتزالك في البراري من جميع الخلق: عدو وصديق. العزلة بالقلوب دون الأشباح، من وصف الأقوياء الماهرين المعشّشين في عالم الأرواح. والعزلة بالأشباح دون القلوب من وصف الزهاد الفارين بنفوسهم لعالم الغيوب. والمعتزل بقلبه وببدنه سالم من كل آفة إلا أنه حاز فضل الفذ وفاته فضل الجماعة).

العشق

قال: (اعلم أنه من يلحاق ما يعشاق، ومن يعشاق ما يلحاق)، وقال: (وقال لي أيضًا: كن طالبًا ولا تكن طالبًا، وكن عاشقًا ولا تكن معشوقًا)، وقال: (اعلم ومما قال لي رحمه الله: لا تكن عاشقًا لأحد، لا تكن إلا معشوقًا، وإن لم تجد لا تعشق إلا من يعشقك).

العلاج

قال: (اعلم أن ضر كله، حسي أو معنوي، لا يعالج إلا بقرب العهد. وأما إذا

طال فيضعف علاجه حتى لا ينفع فيه علاج. الأضرار في نزولها مثل الأشجار، أولًا تكون صغيرة تعالج ما لم تمد عروقها وتسكن. وأما إذا مدت عروقها وسكنت واستقرت في الإنسان فإن علاجها يصعب، قليلًا ما تعالج. هذا في الحس وفي المعنى)، وقال: (ومما قال لي الشيخ رضي الله عنه ونفعنا به يا ولدي كثيرًا ما تداوى الأشياء إلا مع فتّوها ورطوبتها ورخفها، وأما إذا طالت وعظمت وتبلغمت، قليلًا ما تداوى، وهذه عند أطباء الظاهر وأطباء الباطن)، وقال: (ومما قال لي الشيخ في شأن المريض - نفعنا الله به - قال لي: إذا رأيت المريض يشتهي فاعلم أنه بخير، وإياك أن تمنع المريض شهوته، لأن دواءه في شهوته، وإن اشتهى ما يظهر لك ضرره فيه فأعطيه منه ولو شيئا قليلًا ولا تمنعه شهوته)، وقال: (ومما قال لي نفعنا الله به: الولي المربي هو الذي يقبض صاحبه بالطعم الذي ألف به، خيرًا كان أو شرًا، به يداويه ومنه يداويه، كما قال الشاعر: « وداوني بالتي كانت هي الداء »)، وقال: (اعلم قال تعالى: ﴿ **وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ** ﴾ [هود: 118]. هذا حكم حَكَمَ الله تعالى به على هذا الوجود لا يقوم ولا يستقيم إلا به. إذا أردت أن تستقيم لك الأشياء قابلها بأضدادها تستقيم لك ولو بالعقود أو بالكلام أو بما أمكن تستقيم لك على كل حال بقدرة الله تعالى، بذلك جرت عادة الله في الوجود، لأن الأشياء كامنة في أضدادها. الفساد هو عين الصلاح، والصلاح هو عين الفساد، كما قيل متى يكون داء النفس دواءها؟ قيل: إذا تخالف هواها يكون داء النفس دواها، وهذا لا يفهمه إلا عارف بالله أو حكيم بالله. واعلم أن الإنسان عروس المملكة: الوجود كله عشقه ظاهر وباطن. وقلب الإنسان ما له إلا وجه واحد، إذا غفل عن ظواهره أقبلت عليه بواطنه وخدمته خدمة العبيد لسيده وتبقى ظواهره بحسب التبع، وإذا غفل عن بواطنه أقبلت عليه ظواهره وخدمته خدمة العبد لسيده وتبقى بواطنه بحسب التبع وهكذا)، وقال: (اعلم أن الحكمة التي قام بها الوجود وقام بها الإنسان هي الاختلافات. صلاح الإنسان وبقاؤه جعله الله بالاختلافات، وفساد الإنسان وفناؤه بالوقوف مع حال دون حال، وكذلك الوجود حكمه وحكم الإنسان واحد، هكذا في الحسيات وهكذا في المعنويات، لأن الله تعالى حكيم جميل، وكل ما خلقه الله فهو غاية الحكمة ونهاية الجمال، وكل ما أوجد لك وفي الوجود فأنت فيه في غاية الاحتياج، لكن قال تعالى: ﴿ **وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ** ﴾ [هود: 118]. صار الاختلاف شرطًا في بقاء الإنسان وبقاء الوجود، وعدم الاختلاف شرطًا في فناء الإنسان وفناء الوجود، لأجل هذا المعنى لا تجد الإنسان وكذلك الوجود ما دام مختلفًا في أكله أو في كلامه أو في سمعه أو في بصره أو في شمه أو في مشيه أو في جلوسه أو تحريك يده أو سكونها أو تحريك فرجه أو سكونه، وهو زائد في صحته من جهة الحس أو المعنى. ومهما يقف مع شيء دون ضده يدخل عليه الفساد على قدر

وقوفه، حتى لو تمادى الوقوف وطال، لاضمحل الإنسان وتلاشى، وكلما يقول يليق كذا ولا يليق كذا فهو جاهل بحكمة الله تعالى في نفسه وفي غيره. وهذه الحكمة جمعت بين طب الأشباح وطب الأرواح وطب الوجود. وكذلك الزيادة كلها ما هي إلا مع وجود الاختلاف، والنقص كله ما هو إلا مع عدم الاختلاف، في الوجود وفي الإنسان)، وقال: (اعلم يا أخي ومن أسرع حكمة يعالج بها الحكيم وأقوالها وأنفذها وأقربها للإجابة، أن يعالج الحس بالمعنى، والمعنى بالحس، والذات بالصفات، والصفات بالذات. هكذا سمعت من الشيخ - نفعنا الله به - وجربتها فحصلت لي إجابتها وثمرتها)، وقال: (اعلم أنني رأيت الشيخ - نفعنا الله به - كثيرًا ما يداوي نفسه والناس، يداوي جل علل ظواهر الجسد بالزيت، وبواطن الجسد باللبن، أو الكسكس مع اللبن، وكنا نرى لهذين الدواءين، الزيت واللبن، سرًا عظيمًا في الشفاء حين يأمر بهما، وكذل لا نشك أن الشفاء في نطقه لا في الزيت واللبن. وكان يستند } في التداوي بالزيت لدعاء النبي > : « **بارك الله في الزيت أكلًا ودهنًا ونورًا في البيت** » أو كما قال، وباللبن على أن والده كان كثيرًا ما يداوي المرضى به فيشفيهم الله تعالى، وهو كان يتأسَّى بسنة أبيه في ذلك)، وقال: (سمعت الشيخ } يقول: نحن قوم لا نسبب العود للنار حتى لم نجده يصلح لشيء. إذا لم يصنع منه شيء فعند ذلك نسببه للنار)، وقال: (اعلم يا أخينا أحمد، أن العلة التي رفعت أترك فيها إلى الله يقال لها ظلمة الأغيار، لا ينقذك منها إلا نور المعرفة بالواحد القهار. فإن كنت صادقًا في طلب الدواء وأردته من جهة الشريعة فعليك بصحبة أهله، وإن أردته من جهة الحقيقة فعليك بالرضى بالواقع ورد الصنعة إلى الصانع، لأن الممرض هو الطبيب، ورأس الدواء هو جب الحبيب، فنسأل الله تعالى أن يلهمنا وإياك إليه حتى نعرفه حق معرفته. ودواء آخر: لا ينجيك من تلك العلة إلا بمعرفة اسم الله العظيم الأعظم، واسم الله العظيم الأعظم هو الدال عليه. اعرف ما طلبت. من عرف ما طلب هان عليه ما ترك. قال الشاعر: « ومن طلب الحسناء يصبر على البذل »)، وقال: (حكمة: عبيدي إذا ذكروا ذكروني، وإذا شكروا شكروني، وإذا مجدوا مجدوني، وإذا عظموا عظموني، لم تشغلهم نعمائي عن الالتجاء عني ولم يفرحوا بشيء سواي، تالفين في جلالي وجمالي، غابوا عن الأكوان بمشاهدة عظمتي وكبريائي. صارت الحضرة معشش قلوبهم، إليها يأوون وفيها يسكنون، مؤنسين بقربي، ساكرين بخمرة جدي، يسرحون ويروحون في حضرة المؤانسة، فائزين بعطور نسمة المجالسة، فازوا بالمحبوب، ونالوا المطلوب. وغيرهم في رقية الشهوات مكسوب، شغله التدبير والاختيار عن أن يكون من جملة الأحرار، حازته نفسه لها عبدًا بإتباع دعاويها، فصارت تسلك به طريق الظلمة والجهالة، كلما أراد النهوض، حبسته بأحبال الشهوات

والإرادات، وحالت بينه وبين طريق أهل النجاة، فصير أنيسه للشيطان والنفس والهوى عليه أعوان، لا يمكنه الرحيل من عوالم طبعه، بسبب الرأي الناشئ عن وسوسة نفسه. قال جل من قائل: ﴿ **بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾ [المطففين: 14]. وبالجملة ليس الدواء إلا في الرجوع إلى الله والفرار لبابه، لأن الصنعة إذا عابت ترد إلى صانعها. واعلم يا أخي أن هذه الأعداء لا ينجيك منها إلا الاشتغال بالحبيب لأنك مهما اشتغلت بمحبوبك كفاك مؤونة الأعداء، لأن العبد لا ملجأ له من مولاه إلا إليه، لأن الممرض هو الطبيب، والمداوي هو الحبيب)، وقال: (اعلم أن دواء القلوب لا تحتوي عليه الكتب وإنما تداوى القلوب بصحبة أرباب القلوب، وعلوم الكتب فظة من علوم القلوب، وعلوم القلوب محال أن تحيط به الكتب، وعلم الكتب إشارة لعلم القلوب، ولا يحيط بما احتوت عليه القلوب إلا علام الغيوب. يمتد الإنسان من الكتب ما لم يشاهد المحبوب، فإذا شاهد المحبوب صارت تمتد منه الكتب. يمتد الباطن من الظاهر ما لم تشاهد الباطن والظاهر، ومهما شاهدته في كل شيء صار الباطن يمتد منه الظاهر، وإذا امتد الباطن من الظاهر استوى عندك الباطن والظاهر واستوى عندك الخوف والرجا ولم يبق لك سمن سواه ملجأ، صرت تنسب الفعل لأهله وتعرف كل شيء في ضده: استوى عندك العدو والحبيب، ولم تشهده في الوجود سوى الحبيب. شتان بين طالب الحكمة وطالب الحكيم، وطالب النعمة وطالب المنعم. يا عجبًا لطالب الحكمة كيف لا يطلب الحكيم، وطالب النعمة كيف لا يطلب المنعم، وما حبسك في الحقيقة عن الحق إلا اشتغالك بالحقيقة عن الحق، ولا شغلك عن حي ديار الحبيب إلا اشتغالك بالمحبة دون الحبيب. صاحب الأقوال غنَّى اعليها وما اكلها، وصاحب الأفعال اكلها أو وكلها. صاحب الأقوال زمزم باسمها، وصاحب الأفعال عرس في مرصعها. صاحب الأقوال يمتد بعبارة معالم الأفعال، وصاحب الأفعال يمتد بعناية عوالم الأحوال. العوالم عالمان: عالم الظاهر وعالم الباطن. أما أهل عالم الظاهر لا يسرحون إلا في عالم الظاهر، وأما أهل عالم الباطن يسرحون في الظاهر والباطن. واعلم أن حقيقة هذا البشر إنما هو تراب تجلت فيه قدرة الجبار، صار وجوده به لا معه، وقيامه به لا بنفسه. الذكر بالظواهر شريعة وبالبواطن حقيقة، ولا يشهد الحق حقيقة إلا بين الشريعة والحقيقة. شتى بين من تاه في الجمال وبين من تاه في الجلال. المحبوب تائه في الجمال. والمحب تائه في الجلال).

العلم

قال: (اعلم أن الله تعالى شرف العلم وشرف أهله بقوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾ [فاطر: 28]. وقال رسول الله > : « **علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل** ».

وقال: « **العلماء ورثة الأنبياء** » أو كما قال. وهذا الميراث أهله على فرقتين: فرقة أهل علم شرعي ظاهري، وفرقة أهل علم إلهامي باطني حقيقي. العلم الحقيقي ورد من حضرة الجمع إلى حضرة الفرق، والعلم الشرعي ورد من حضرة الفرق إلى حضرة الجمع. وأهل العلم الشرعي لا يقوم علمهم إلا بالعلم الحقيقي، ولكن الحكم للغالب عليهم، وهو العلم الشرعي. وأهل العلم الحقيقي لا يقوم علمهم إلا بالعلم الشرعي ولكن الحكم للغالب عليهم وهو العلم الحقيقي وفي الأصل الجمع والفرق واحد، والعلم الحقيقي والشرعي واحد، ولكن اختلفت الألوان باختلاف الذات، والصفات الأولية التي ليس لها بداية، والآخرية التي ليس لها نهاية).

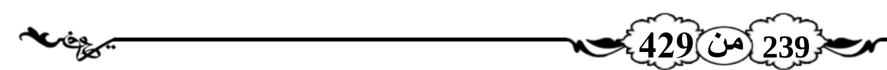
العلم والجهل

قال: (اعلم أنه لا يكون العالم عالمًا حتى يكون عالمًا بجهله كما يكون عالمًا بعلمه، ولا يكون الجاهل جاهلًا حتى يكون جاهلًا بعلمه كما يكون جاهلًا بجهله، يعني العالم حقًا هو الذي يعلم علمه وجهله، كما أن الجاهل حقًا هو الذي يجهل جهله وعلمه، وأما إذا كان العالم عالمًا بعلمه جاهلًا بجهله فهذه مرتبة العوام وصاحبه عامي لا يسمى بالعالم، وكذلك إذا كان الجاهل جاهلًا بجهله عالمًا بعلمه فهذا أيضًا عامي محض. وذلك أنه كما أن الجهل لا يقوم إلا بالعلم، كذلك العلم لا يقوم إلا بالجهل. ولذلك المعنى صار العارفون بالله { لا ينكرون جاهلًا ولا عالمًا، لأن الشيء لا يقوم إلا بضده: المعنى بالحس، والحس بالمعنى، والظاهر بالباطن، والباطن بالظاهر، والخير بالشر، والشر بالخير، والحلو بالمر، والمر بالحلو، والعلم بالجهل، والجهل بالعلم، والذات بالصفات، والصفات بالذات، والجمال بالجلال، والجلال بالجمال، والعطاء بالمنع، والمنع بالعطاء، والحياة بالممات، والممات بالحياة، إلا ما لا نهاية له من الأضداد التي لا يقوم بعضها إلا ببعض)، وقال: (اعلم أن لله حقيقتين ظهر بهما في هذا الوجود وهما: العلم والجهل. العلم به قامت الربوبية، والجهل به قامت العبودية. ومن فضله أن خلق الإنسان وفضله على سائر الأكوان، وقال له على لسان نبيه > : « **أن خلق الإنسان وفضله على سائر الأكوان** »، وقال له على لسان نبيه > : « **عبدي خلقت الأشياء كلها من أجلك وخلقتك من أجلي** » الحديث. ومن جملة فضله عليه أي على عبده الإنسان أن جعل له وجهتين: وجهة لمالكه أي للربوبية، ووجهة لممالكه أي للعبودية، وجعل الإنسان برزخًا بينهما، وظهر فيه بكمال الأوصاف: من جهة العلم جعله ؟؟؟ عالمًا حرًا، ومن جهة الجهل جعله جاهلًا عبدًا. وعلى قدر العلم تعظم الحرية، وعلى قدر الجهل تعظم العبودية، وهذا الحقيقتان لا نهاية لهما، لأن العلم حقيقته جمالية، والجهل

حقيقته جلالية، والجلال والجمال إلى ربك المنتهى. ومرتبة الإنسان على قدر رفع همته أو وضعها، وترفع همة الإنسان على قدر علمه، وتوضع همته على قدر جهله، وبالله التوفيق)، وقال: (اعلم أن الخلق كلهم أي بأسرهم يقولون بأمر الله تعالى للشيء كن فيكون، إلا أنهم تارة يأخذون الأشياء بحكمة الله تعالى وتارة بقدرته، وكل واحد من الخلق أمده الله تعالى منهما على مقدار علو همته. وهذا العلم، من الناس من هو سائر فيه على علم وبصيرة، منهم من هو سائر فيه على جهل وظلمة وتلف ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [الزُّمر: 9]. صاحب المعرفة كأنه سائر في ضوء شمس الضحى، بصير بما زاد وما نقص، وصاحب الجهل كأنه سائر في ظلمة الليل لا يدري أين يطرح رجله، أيصيبه حجر أو يسقط)، وقال: (الجهل هو سبب البعد والحرمان، والعلم هو سبب القرب والملك على سائر الأكوان، ومفتاح العلم هو مجالسة العارفين بالله، كما أن مفتاح الجهل هو مجالسة الجهال التالفين عن الله، قال جل من قائل: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾ [فاطر: 28]. وقيل لبعض العارفين من رجال الحلية أن رجلًا ناداه: يا عالمًا، فقال له: قل يا فقيهًا فإن العالم هو من يخشى الله تعالى وقال سهل بن عبد الله: العلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل. ومن كتاب قوت القلوب لأبي طالب المكي قال: وقد روينا في خبر: قيل يا رسول الله كيف نصنع إذا جاءنا أمر لم نجد في ككتاب الله عز وجل ولا في سنة رسول الله >؟ فقال > : « **اسألوا الصالحين واجعلوه شورى بينهم ولا تقضوا فيه أمرًا دونهم** ». ومنه أيضًا عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله > : « **إن أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم وأهل الجهاد. أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الأنبياء عليهم السلام وبينوه لهم. وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم وبذلوا أرواحهم على ما جاءت به الرسل. وعلماء الدنيا يحشرون مع الولاة والسلاطين** ». وقال بعض السلف: العلماء يحشرون في زمرة الأنبياء عليهم السلام، والقضاة يحشرون في زمرة السلاطين).

العلم والعمل

قال: (اعلم أنه من لم تكن فيه أحد أربعة خصال لم تصلح معرفته: إما أن يكون من أهل العلم، أو من أهل العمل، أو من أهل الرياسة، أو من أهل الدنيا)، وقال: (اعلم أن العلم إذا قارنه شيء يسير من العمل، فضله ما له حد ولا حصر ولا نهاية، وتلك هي مرتبة الخاصة من خاصة أهل الخصوصية، وينقسمون على أربعة أقسام: صاحب علم من غير عمل وهذا بطال، وصاحب عمل من غير علم وهذا جاهل، وصاحب عمل يصحبه شيء يسير من العلم وهذا مبتدئ، وصاحب علم



يصحبه شيء من العمل وهذا منتهي. الأول إذا دام علمه يرجى له أن يدفعه العلم إلى العمل، ولا ينقلب علمه جهلًا. وصاحب العمل من غير علم إذا دام في عمله يرجى له أن ينقلب عمله علمًا، لأن من عادته تعالى أن يخرج الأشياء من أضدادها. وصاحب العمل مع شيء يسير من العلم، أشرف من الفرقتين الأوليين، لأنه راتع في بلاد الخاصة. وصاحب العلم الذي قارنه شيء يسير من العمل، فهذا من أهل المقامات والأحوال. وذلك مرتبة خاصة الخاصة. رزقنا الله محبة الجميع، وجعلنا عبيدًا لهم بفضله وإحسانه)، وقال: (اعلم أن العلم معرفة بالفن وليس هو الفن، والعمل هو الفن بنفسه. من لا علم له بالفن فهو جاهل بالفن، ومن لا عمل له بالفن ليس هو من أهل الفن ولو كان عالمًا بالفن)، وقال: (اعلم أن العلم إخبار بالفن، والعمل هو الفن بنفسه. كأن العلم بمنزلة روح الإنسان، والعمل بمنزلة الجسد، والجسد هو الإنسان بنفسه، مع أن الجسد بلا روح لا عبرة به، كذلك العمل بلا علم لا عبرة به. صار الأمر إذا وجد العلم والعمل قام وجود الفن، وإذا لم يوجد العلم والعمل لا وجود للفن، كما أن الإنسان إذا وجد جسد بروح وجد الإنسان، وإذا لم يوجد الجسد والروح فلا إنسان ولا وجود)، وقال: (اعلم أن من لم يجز شيئًا من الفعل، لا يحسب من أهل الفن، ولو بلغ في العلم ما بلغ، لأن العلم إخبار، والأفعال تنفي أو تثبت. العلم أنوار، والفعل ثمار، وماذا يصنع بأنوار إذا لم تكن ثمارًا، ومن حاز شيئًا من أفعال الفن فهو من أهله، ومن يجز شيئًا من أفعاله فليس هو من أهله، أحب أم كره، والعلم تغرسه علمًا وتضحيه وتسقيه وتربيه حتى يكتمل نباته فيثمر لك بعلوم ليس لها حصر ولا حد ولا نهاية. وكذلك العمل تغرسه عملًا وتحضيه وتسقيه وتربيه حتى يكمل نباته وتأتيك نتائجه فيثمر لك بأفعال ليس لها حصر ولا حد ولا نهاية. لا يعرف قدر ثمار العلم وثمار العمل إلا أهل الفن الراسخون فيه، وقليل ما هم. حاصله: ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)، قال: (اعلم أن شجرة العلم لا تؤخذ إلا من صدور الرجال: المنتهي يأخذها من صدر نفسه، والمبتدي يأخذها من صدر غيره. قيل: إن أرباب القلوب يستفتون أنفسهم ويأخذون جواهر العلم عنها، قال تعلى: ﴿ **وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ** ﴾ [العاديات: 10]. وإن فتشت وجدت العلم يخرج من العمل، كما أن العمل لا يخرج إلا من العلم. كأن العَلم كامن في العمل، والعمل كامن في العلم)، وقال: (اعلم أن العلم محال أن يكون من غير عمل، وكذلك العمل محال أن يكون من غير علم. ما طلع العلم إلا طلع العمل معه على قدره، وما طلع العمل إلا طلع العلم معه على قدره، لا ترجيح بين العلم والعمل. إلا أنه تارة يكون الحكم العلم، والعمل تابع. وتارة يكون الحكم للعمل، والعلم تابع. والذي يكون الحكم له في الوقت، يصير كأنه ملكًا، والآخر مملوكًا يعني المحكوم عليه. الوقت

الذي يكون فيه العلم ملكًا، يظن الجاهل بالحكمة أن العمل لم يكن، وهو تم، إلا أن الحكم لغيره. وكذلك الوقت الذي يكون فيه العمل ملكًا، يظن أيضًا الجاهل أن العلم لم يكن، وهو تم، إلا أن الحكم لغيره. والعارف بأحكام الحقيقة لا يشك أن الله تعالى ما أوجد شيئًا إلا ويوجد ضده معه على قدره، جرت سنة الله بذلك، ولكن إذا ظهر الضد يبطن ضده، وإذا بطن الضد يظهر ضده على كل حال)، وقال: (اعلم أن أهل العلم الظاهري وأهل العلم الظاهري لا نصيب لهم في سر القلوب وما احتوت عليه من علوم الغيوب، وإنما نصيبهم في ظواهرهم فقط، إلا إذا كان صاحب الظاهر قاصدًا به وجه الله صادقًا في دعواه مخلصًا فيها، فإن هذا يصير له الظاهر منزلة من المنازل ومقامًا من المقامات. لما كان قاصدًا وجه الله لم يكن له مستقر في مقام، قال تعالى: ﴿ **يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ** ﴾ [الأحزاب: 13]. وعلامة أهل هذه المنزلة ما ذكرنا من الانتقال في المقامات والأحوال)، وقال: (اعلم أن إيجاد العلم هو الدليل على ضعف العمل، وهو الضامن لإيجاد العمل. كما أن إيجاد العمل هو الدليل على ضعف العلم، وهو الضامن لإيجاد العلم. يعني وقت العلم ليس هو وقت العمل، ولكن هو بساط العمل. كما أن وقت العمل ليس هو وقت العلم، ولكن هو بساط العلم. قال تعالى: ﴿ **وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ** ﴾ **[البقرة: 282]**، انظر كيف جعل الحق سبحانه التقوى بساط العلم. وقولنا: « وقت العلم ليس هو وقت العمل » وذلك لأن قلب الإنسان ما له إلا وجه واحد، إذا توجه إليه انقطع عما سواه، قال تعالى: ﴿ **مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ** ﴾ [الأحزاب: 4]. وكذلك إيجاد الجمال هو الدليل على فقد الجلال، وهو الضامن لإيجاد الجلال. كما أن إيجاد الجلال هو الدليل على فقد الجمال، وهو الضامن لإيجاد الجمال، وهكذا في سائر وجوه الحقيقة كالفرق والجمع، والحس والمعنى، والشريعة والحقيقة، والظلمة والنور، والعبودية والحرية، والذل والعز، والفقد والوجد، والفناء والبقاء، والبسط والقبض، والعلوم والدنو، والمِلك والمُلك، إلى ما لا نهاية له من الأسماء والأفعال التي افترقت حتى لم يوجد فيها جمع، كما اجتمعت حتى لم يوجد فيها فرق، وفرقها ممزوج في جمعها كامتزاج الجسد بالروح، كذلك جمعها ممزوج في فرقها كامتزاج الروح بالجسد، والكل حق، وما تم إلا الحق. كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان)، وقال: (اعلم أن العلم هو العمل بنفسه، كما أن العمل هو العلم بنفسه، لكن المادة واحدة جمع، وألوانها اثنان فرق. المادة واحدة دائمة أبدية سرمدية إلا أنها تارة معنوية علمًا، وتارة تكون حسًا عملًا. صار كل من فتح له في العمل ودام عليه فإن العمل ينقلب له علمًا، شعر به أم لم يشعر، أحب أم كره، قوله > : « **من عمل بما عَلِمَ أورثه الله عِلْمَ ما لم يعلم** » الحديث، ولا ينقطع ويقف مع العلم دون العمل، أو مع العمل دون العلم، إلا

من سخفت شمس همته. وسخوف شموس الهمم هو كونها كانت طالبة لمولاها قاصدة إليه زائدة من صعود إلى صعود، فبينما بعض المريدين كذلك إذ تعرض لهم الدنيا بزينتها وزخرفها، فإن أعرضوا عنها وفروا الملازمة المشايخ وكثرة الجلوس بين أيديهم ونبذ ما يعرفونه من علم وعمل، والعمل بما يسمعون من أفواههم ويشهدون من أحوالهم، فهم سالمون من شرورها لا تكون عليهم إلا بردًا وسلامًا، وربما يستعينون بها على السير إلى الله فتصير لهم مطية، قال تعالى: ﴿ **وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ** ﴾ [المؤمنون: 22]. فمن كان من المريدين على هذا الوصف فهو سالم نجي، وإلا فهو غريق. وجدت عند الشيخ زروق - نفعنا الله به - في شرح من شروحاته على الحكم قال: الدنيا كنهر طالوت لا ينجو منها شارب إلا من اغترف غرفة بيده. ومن قال بأن الهمم قاصدة إلى الله بموافقة العارفين بالله تقف مع شيء سوى الله تعالى فإنه جاهل يعلم الطريق. الهمم لا تنقطع ولا تقف ولا تنحصر إلا إذا طلبت المخلوق وأعرضت عن الحق. المخلوق محيز مكيف محصور والهمة تتحير مطلوبها وتتكيف بتكييفه وتنحصر بحصره والهمة الطالبة للحق، كما أن الحق تعالى لا يحيز ولا يكيف ولا يحصر، كذلك هي لا تكيف ولا تحيز ولا تحصر، لهذا قالوا: عبد الدنيا أسير، وعبد الآخرة أجير، وعبد الله أمير. وكل من لم يكن في زيادة فهو في نقصانه إلا المتوجه إلى الله الصادق زيادته كزيادته بالنقصان، كما أن المتوجه لغير الله نقصه بالزيادة كنقصه بالنقصان، مع أن غير الله ما كان ولا يكون، لكن توهّم الغير، والوهم باطل).

العلوي والسفلي

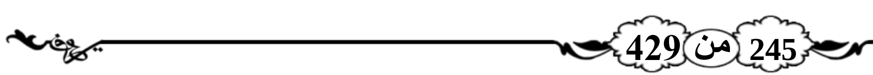
قال: (اعلم أن الريح السفلي يغلب الفوقي على كل حال، إن الله لا ينظر إلى صوركم وإنما ينظر لقلوبكم)، وقال: (اعلم أنه بين الحقائق السفلية والحقائق العلوية، ما بين الذهب والفضة. الحقائق السفلية من الذهب، والحقائق العلوية من الفضة. فلو يكن الكلام في القياس، من فضة بيضاء عند الناس، إذا لكان الصمت من ذهب. فافهم رعاك الله آداب الطلب)، وقال: (اعلم أن الله مع أهل السفليات أين ما كانوا، وانظر إلى القرص يكون من أربعة أرطال تقرص به على أربعين قنطارًا، وذلك حين جاء من أسفل، وذلك أن السفلي كله مستضعف، قال تعالى: ﴿ **وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ** (5) **وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ** ﴾ [القصص: 5 - 6])، وقال: (اعلم أن صاحب الحقائق العلوية ضعيف لأن هذا الوصف له عاري لا حقيقة، والعلو وصف الربوبية، وكل من اتصف بوصف الربوبية اختيارًا فهو مخذول. وصاحب الحقائق السفلية قوي، ذلك لأنه اتصف بوصفه



الأصلي، وكل من اتصف بوصف العبودية اختيارًا فهو منصور، وقال: (اعلم أن صاحب الحقائق العلوية موكل إلى نفسه، وصاحب الحقائق السفلية متوكل على ربه، وشتان بين المتوكل على ربه والمتوكل على نفسه، قال في الحكم: تحقق بأوصافك يمدك بأوصافه)، وقال: (انظر يا أخي وتأهل ولادة الأشياء كلها من أسفل البشر والأنعام والأعشاب والجمادات. هذا مما يدلك على تقوية السفلي على الفوقي)، وقال: (اعلم أن الحقائق العلويات لها تأثير، والحقائق السفلية لها تأثير. ولكن إذا اقترنت العلويات والسفليات وتوفرت شروط السفليات كما توفرت شروط العلويات وجاءت هذه على كمالها وهذه على كمالها: فالحكم للسفليات على كل حال. ومن كلام أهل الحكمة قالوا: إذا كان الكلام من فضة كان الصمت من الذهب، وذلك لأن الكلام من الحقائق العلويات والصمت من الحقائق السفليات. عبر صاحب الحكمة بالفضة والذهب إشارة إلى أنه إذا اقترن الكلام والصمت. فالصمت أشرف يعني الحكم للساكت على المتكلم لا للمتكلم على الساكت، وهكذا جرت عادة الله: ما اجتمع صاحب حقيقة سفلية مع صاحب حقيقة علوية إلا كان الحكم لصاحب السفلية على صاحب العلوية في الكلام مع الصمت وفي غيرهما من الحقائق. وأصل هذا المعنى كأن الحقائق السفلية شرائع لنسبتها للمخلوق، والحقائق العلوية حقائق لنسبتها للخالق، والكل منه تعالى وإليه، وعلى هذا القياس صار إذا اجتمعت الحقائق والشرائع في الظاهر فالحكم للشرائع على الحقائق، وإذا اجتمعت الحقائق والشرائع في الباطن فالحكم للحقائق على الشرائع. وأما عند المحققين من أهل الحقائق كلهم حقائق إلا أنهم يسمون هذه حقيقة علوية وهذه حقيقة سفلية، ولا في الوجود إلا الحق: كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان. قال تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ** ﴾ [الزُّخرف: 84]، وقال جل من قائل: ﴿ **اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾ [النور: 35]، صدق الله العظيم وبلغ رسوله المصطفى الكريم >)، وقال: (اعلم أن المتوجهين إلى الله على ثلاثة أقسام: فرقة علوية لا تستطيع النزول أبدًا، وفرقة سفلية لا تستطيع الطلوع أبدًا، وفرقة جمعت بين الحالتين: تارة علوية وتارة سفلية، لا يحجبهم علوي عن سفلي ولا يحجبهم سفلي عن علوي، وهذه الفرقة هي أفظهم. قال صاحب الحكم: منهم من غلب سكره على صحوه، ومنهم من غلب صحوه على سكره، وأفظهم من شرب فازداد صحوًا وغاب فازداد حضورًا. ومن جملة أوصاف صاحب هذه المنزلة الثالثة أن تجده لا يستطيع القرار في حالة واحدة أبدًا، ما تراه في حال إلا ويعقب ضده. كما أن صاحب العلويات لا يستطيع السفليات، وصاحب السفليات لا يستطيع العلويات، كذلك صاحب الجمع بينهما لا يستطيع الاستقرار في العلويات ولا في السفليات: ما رأيته في أعلى شيء إلا وتجده في أدنى شيء، ولا رأيته في أدنى

شيء إلا وتجده في أعلى شيء، هذا دأبه أبدًا)، وقال: (اعلم أن الإنسان إذا ظفر بحقيقة علوية وحقيقة سفلية فقد يملك الوجود بالكلية، هذا في طريق الباطن كما قالوا، وفي طريق الباطن: من يعقد الزواق ويحله يملك الغرب كله)، وقال: (ومما قال لي الشيخ - نفعنا الله به - لما رآني تخلقت بشيء من العلويات: يا ولدي هذا الشأن الذي أنت فيه اليوم خيره بمنزلة شأن من مائة شأن من الذي كنت فيه، يعني من السفليات. كأن الشيخ - نفعنا الله به - أعلمني الحال السفلي الذي كنت فيه كان يصلني منه مائة خير، والحال الذي رآني فيه من العلويات يحصل لي منه خير واحد، لأن السفليات أصول، والعلويات فروع وثمار، ومفاتح الأشياء هي أضدادها. الفقير الصادق أقل أحواله يكون ثلثاه سفليات والثلث الواحد علويات: هذا رأس ماله محفوظ. وأهل الخذلان بالعكس، الثلثان علويات والثلث سفليات، هذا حال الضعفاء الذي يضعوا رأس المال. يقول أهل الأسباب الدنيوية: لا يعدم فضل من يبقى له رأس المال)، وقال: (اعلم أنه من كان رأس ماله علويات، فضله سفليات. ومن كان رأس ماله سفليات، فضله علويات. والفضل على قدر رأس المال، من اتسع رأس ماله يتسع فضله على قدره، ومن ضاق رأس ماله يضعف فضله على قدره. ما اركب عود باحلاس، إلا من خانوا اذراعوا، ولي ابغ صحبة الناس، يخسر عليها امتاعوا. العارق يشتغل بتقوية رأس المال ولا يبالي. بع تبنك وزده في رأسك املك، لأن رأس المال بقدر ما يعظم يعظم أفضل ويثبت. جرت عادة الله أن طالب الله ما أعطي شيئًا وزهد فيه وقصد مولاه، إلا أعطاه الله تعالى ما هو أعظم من ذلك. لا تقف الزيادة حتى تقف الهمة، وعلامة وقوف الهمة القناعة بما يرد)، وقال: (اعلم أن الحقائق مناه السفليات ومنها العلويات، وإذا اقترن صاحب العلويات وصاحب السفليات، فالحكم لصاحب السفليات لا لصاحب العلويات، الريح السفلي يغلب الريح الفوق على كل حال. والأقوال منها ما هو سفلي ومنها ما هو علوي، وإذا اقترن صاحب القول السفلي وصاحب القول العلوي فالحكم لصاحب القول السفلي لا للعلوي. وكذلك الأفعال منها ما هو سفلي ومنها ما هو علوي، وإذا اقترن صاحب الفعل السفلي وصاحب الفعل العلوي فالحكم لصاحب الفعل السفلي لا للعلوي. والأقوال أيضًا كلها علوية، والأفعال كلها سفلية، وإذا اقترن صاحب الأقوال وصاحب الأفعال فالحكم لصاحب الفعل لا لصاحب القول. القول من أوصاف أهل بدايات الأمور كلها، والفعل من أوصاف أهل نهايات الفنون كلها. الأقوال من أوصاف المبتدئين الضعفاء، والأفعال من أوصاف الأقوياء الماهرين الخلفاء. الأقوال أنوار تحتمل وجود الأثمار وتحتمل عدمها، والأفعال أثمار العيان أبطل ريبها واحتمالها ويدلك على شرف السفليات على العلويات قوله تعالى: ﴿ **وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ** (5) **وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ** ﴾

[القصص: 5 - 6]. وكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تدل على ذلك)، وقال: (اعلم أن التصرفات أعين تصرفات الوجود على قسمين: تصرف سفلي باطني إلهامي، وتصرف علوي ظاهري بالجوارح. فالتصرف السفلي بالنفوس وبالهمم، والتصرف العلوي بالفلوس وبالجوارح. صاحب التصرف السفلي زيادته بالهبوط، يزيد بهبوط القول، ويزيد بهبوط الفعل، ويزيد هبوط الدنيا. وصاحب التصرف العلوي زيادته بالطلوع، يزيد بطلوع القول وبطلوع الفعل، ويزيد بطلوع الدين ويزيد بطلوع الدنيا. صاحب التصرف العلوي سلطان ظاهري، وصاحب التصرف السفلي سلطان باطني. صاحب السفليات سلطان: كان عالمًا أو مصاحبًا لعالم، أو كان جاهلًا. لكن إذا كان عالمًا فإنه يكون لله أو بالله، وما كان لله أو باللم دام واتصل. وكذلك إذا كان مصاحبًا لعالم، حكمه حكم من دخل بلادًا لا يعرفها ولكن دخل مع الخبير، فهذا يحصل على خيرها ويفوته شرها. وإذا كان جاهلًا فهذا دخل الأمر بنفسه، صار ملكه ملكًا ولكنه يفنى ويتلاشى ويضمحل ويتخرب، لأن الأصل لغير الله، وما كان لغير الله انقطع وانفصل. وكذلك صاحب العلويات سلطان: كان عالمًا، أو مصاحبًا لعالم، أو جاهلًا ساعده فيه وقته. لكنه إذا كان عالمًا فإنه يكون لله أو بالله، وما كان لله أو بالله دام واتصل. وكذلك أيضًا إذا كان مصاحبًا لعالم، حكمه حكم من دخل بلادًا لا يعرفها ولكنه دخلها من الخبير، فهذا أيضًا يحصل على خيرها ويفوته شرها. وإذا كان جاهلًا فهذا دخلها مع الخبير، فهذا أيضًا يحصل على خيرها ويفوته شرها. وإذا كان جاهلًا فهذا دخل الأمر بنفسه ساعده وقته، صار ملكه ملكًا لا ينكر، ولكنه يفنى ويتلاشى ويضمحل ويصير خرابًا، لأن الأصل لغير الله، وما كان لغير الله انقطع وانفصل. صاحب الملك السفلي، بسكوته يقتل ويحيي ويعز ويذل ويرفع ويضع ويعطي ويمنع ويملك وينزع كما أن صاحب الملك العلوي، بكلامه يقتل ويحيي ويعز ويذل ويرفع ويضع ويعطي ويمنع ويملك وينزع، قال تعالى: ﴿ **كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا** ﴾ [الإسراء: 20]. وإذا اجتمع صاحب الملك العلوي مع صاحب الملك السفلي، وكان اجتماعهم على خير، العلوي يصلح ملكه ويزيد بخير السفلي، والسفلي يصلح ملكه ويزيد بخير العلوي، ولكن السفلي تكون يده على الفوقي لا محالة، لأن السفلي خيره أقوى من الفوقي، وإذا كان خير السفلي أقوى من الفوقي فهو يغلب، قال تعالى: ﴿ **وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ** (5) **وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ** ﴾ [القصص: 5 - 6]. وإذا كان أيضًا اجتماعهم على شر، العلوي يفسد ملكه وينقص بشر السفلي، والسفلي يفسد ملكه وينقص بشر الفوقي، ولكنه أيضًا تكون يد السفلي على الفوقي لا محالة، لأن السفلي أيضًا شره أقوى من الفوقي، لأن من كان قويًا في خيره لا بد أن يكون قويًا في شره، وبالعكس. وكان سيدي محمد بن عبد الله - نفعنا الله به- يقول: إذا اقترن ريح سفلي وريح فوقي فالسفلي يغلب على كل



حال)، وقال: (اعلم أن العين لها حقيقتان: حقيقة علوية وهي النظر، وحقيقة سفلية وهي الغض. ولا رأيت شيئًا أقوى منهما وأنفع منهما للإنسان وأسرع منهما وأقرب منهما للظفر بالمراد. وكما أن النظر يخرق العوائد، كذلك الغض. إلا أن النظر يعرف حكمته جميع الناس لأنه علوي وذلك منزلة العوام، والغض لا يعرف حكمته إلا الخصوص الذين خاضوا في علم السفليات كما خاضوا في علم العلويات. قال الششتري رحمه الله: بين الطلوع والنزول: تخبلت الغزول: أفنى من لم يبق: وابقى من لم يزل).

العوائد وخرق العوائد

قال: (اعلم أنه ما من نبي مرسل ولا ولي مربي، إلا وأول ما يأمر الذين اتبعوه من الناس بخرق العوائد التي يجدهم عليها، وفي الأصل الحقيقة كلها خرق العوائد، وخرق العادة لا بد منه لكل موجود، ولكن شتان بين من يأتيها عارفًا طائعًا وبين من يأتيها جاهلًا عاصيًا. وكل من خرق العادة لأجل شيء بين من يأتيها عارفًا طائعًا وبين من يأتيها جاهلًا عاصيًا. وكل من خرق العادة لأجل شيء أو في طل شيء يظفر به على كل حال، قال صاحب الحكم: كيف تخرج لك العوائد وأنت لم تخرق من نفسك العوائد؟ وخرق العادة يكون بالقدرة قهرًا، أو بالحكمة إرادة. والحكمة والقدرة كلاهما وصف المولى جل ثناؤه، القدرة من عين الحكم، والاكتساب من عين الحكمة، والكل من الله وإليه)، وقال: (وسمعته يقول: نحن قوم لا نعرف العادة، وإنما عندنا كل شيء خرق العادة)، وقال: (اعلم أن عامة الناس كلهم مسجونون في سجن العادة مقيدون مكبلون فيها إلا من أراد الله تبارك وتعالى أن ينقله من دائرة العامة إلى دائرة الخاصة فإنه ينقله إلى خرق العادة: إما ينقله محبة وشوقًا على يد شيخ محقق إذا مكنه الله منه وقليل ما هم، وإلا ينقله قهريًا. أما المنقول على يد الشيخ كما رباه شيخه حتى هو يخرج يربي غيره، وأما المنقول نقلًا قهريًا بلا شيخ فإنه لا يربي يخرج مجذوبًا غير سالك. وخرق العادة له أربعة أوجه: إما تخرق العادة بشوق مقلق وإلا بخوف مزعج وإلا قهرًا. وأهل خرق العادة منهم من تخرق له ولا يدري كيف هو ولا أين هو، ومنهم من تخرق له ويقر كيف انخرقت له ويعرف كيف انخرقت لغيره وهذا هو العارف بالله. وخرق العادة إما فوق عادة الناس أو تحت عادة الناس)، وقال: (اعلم كل ما يظهر على الإنسان من عظمة وتكبر وتجبر فإن الإنسان في ذلك لم يتعد طوره، وذلك لأنه ورد من حضرة العز والكبرياء والعظمة والشرف. صارت الكبرياء والعظمة هي عادته في بلاد الأولية التي ليس لها بداية، ومن جاء على أصله فلا سؤال عليه. وكل ما يظهر على الإنسان من عجز وضعف وتذلل وفقر فذلك هو خرق العادة. لأجل ذلك تجد من يخرق العادة من نفسه قليل، لأن غرس العادة يثمر العادة، وغرس



خرق العادة يثمر بخرق العادة، وأنت: ثمار ما قد غرست تجني، كما قيل، كيف تخرق لك العوائد وأنت لم تخرق من نفسك العوائد؟ صارت العامة كلهم مجبولين على عادتهم الأولى، أحوالهم كلها لا تشير إلا لما كانوا فيه أولًا، وهذا الأمر لا يعرفه من نفسه أو من غيره إلا من سلك بلاد المعرفة أو صحب من سلكها. وخرق هذه العوائد صعب عظيم ثقيل على النفس، لا يظفر به إلا الخصوص، ولا يظفر به الخصوص إلا بصحبة الخصوص. ومن يقدر أن يقتحم لباس الذل بعد العز، ولباس الفقر بعد الغنى، ولباس الضعف بعد القوة، ولباس العجز بعد القدرة: هذا مما لا يكون إلا بتوفيق الله، ومن عرف ما قصد هان عليه ما ترك، وكل من لزم عادة الناس لا يظهر عليه إلا ما يظهر على عامة الناس، وكل من خرق عادة الناس لا يظهر عليه إلا ما يظهر على خاصة الناس. وإذا أمعنت النظر في الناس تجد كل من ظفر بحكمة من حكم الدنيا والآخرة، حكمة النفوس أو حكمة الفلوس، تجده ما ظفر بها حتى خرق العادة من نفسه فيها، ولولا ذلك لم يظفر بها أبدًا. قال الشاذلي رحمة الله عليه: « اللهم إن القوم قد حكمت عليهم بالذل حتى عزوا وحكمت عليهم بالفقد حتى وجدوا »، وقال الشاعر:

ادب العبـــــــــــد تــــــــــــذلل * والعبــــــــــد لا يـــــــــدع الادب

فــــــــإذا تكامــــــــل ذلــــــــه * نــــــال المـــــودة واقتــــــرب)

والذليل شفيع لا يرد أبدًا، لا من جهة الخلق، ولا من جهة الخالق)، وقال: (اعلم أن مفتاح خرق العوائد في العز بالله هو خرق العوائد في الذل لله، والذل لله هو الذل لعباد الله، فالذل لله من العبد حكمة يجر العز بالله من الله قدرة. والحكمة عبودية، ولا شك أن العبودية هي مفتاح كنوز الربوبية، قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الأَلْبَابِ** ﴾ [البقرة: 269] ، وفي الحكم: كيف تخرق لك العوائد وأنت لم تخرق من نفسك العوائد؟)، وقال: (اعلم أعلمك فائدة من الفوائد مأخوذة منا عن الأسانيد أن تقتحم عنو خرق العادة فذاك عندهم عين الزيادة، اخرقها منك علو أم أسفل ذاك عين الحق عنها لا تعدل ففي ملاقاة الخلق والخروج ونفعنا به قال: العبد الذي يخدم بالمحال كما تخدم العامة بالعرف، يفرح به مولاه كما تفرح المرأة بولدها ليلة عرسه، ويدلك على ذلك فرح الناس بمن ظهر على يده شيء من خرق العادة، لأن ألسن الخلق أقلام الحق. إذا أردت أن تنظر منزلتك عند الله فانظر منزلتك عند الناس)، وقال: (اعلم أنه لا تخرق عادة الظاهر حتى تخرق عادة الباطن، لأن الباطن أساس الظاهر. كل ما ألقي في الباطن بانت شواهده على الظاهر، كذلك إذا انخرقت العادة في الباطن تنخرق في الظاهر لا محالة، لأن ما فيك خرج على فيك. والحاصل: المسك لا تخفى روائحه ولو حجبه في سبعين حجاب إلا على من لا يشم



كالمريض أو ما يشبهه، وإذا كان الإنسان مريضًا يجب عليه أن يعالج نفسه ويطلب الدواء من عند أهله، وفي الحقيقة كل شيء بقضاء وقدر « **اعملوا فكل ميسر لما خلق له** » الحديث، وعلى الحقيقة ترتب الشريعة لأن كل شريعة حقيقة، وليس كل حقيقة شريعة)، وقال: (اعلم أن الظاهر والباطن ليسا طرق، وإنما هما مقامان، والله تبارك وتعالى يقول: ﴿ **يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ** ﴾ [الأحزاب: 13]. لكن من أراد خرق العوائد في الأفعال عليه بارتكاب الشرائع الظاهرية. غرس الشرائع الظاهرية يثمر بالأفعال، وذلك لأن الأفعال ظلمة، والظلمة عنصرها الفرق. كما أن من أراد خرق العوائد في العلوم، علوم الخبر وعلوم العيان، عليه بارتكاب الحقائق الباطنية. غرس الحقائق الباطنية يثمر بالعلوم، وذلك لأن العلوم نور، والنور عنصره الجمع. والعارف بالله لا غناء له عن أثمار أفعال الفرق، وكما لا غناء له عن أثمار علوم الجمع، وهو دائمًا ليس هو مع جمع ولا هو مع فرق وإنما هو أبدًا مع الحق، والذي يكون مع الحق حقًا: صفاته تكون في الموجودين، مفقودة مع المفقودين، حيًا مع الحيين، ميتًا مع الميتين، بل كل حال في الوجود أو ضده، فهو مع أهل ذلك الحال أو مع أضداده، وذلك لأن الحق جل ثناؤه غطى وصفه بوصفه ونعته بنعته تعالى. ومن أوصافه ونعوته تعالى أن يكون كل يوم هو في شأن. وكما أن أوصاف الحق ليس لها انتهاء، كذلك أوصاف العبد الذي يكون بالله ليس لها انتهاء، والأمر فوق ما تصف الألسن. تقصر العبارة وتكل، ولا يعلم هذا الأمر على حقيقته إلا الله، وبالله التوفيق)، وقال: (قال صاحب الحكم: « كيف تخرق لك العوائد وأنت لم تخرق من نفسك العوائد؟ ». هذا دليل على أن خرق العادة يكون من جهة العبد ويكون من جهة الحق. خرق العادة من العبد لا يكمل إلا بالمشاهدة، كما أن المشاهدة لا تكمل إلا بخرق العادة من جهة العبد، وذلك لأن الشغل والمشتغل به في الحقيقة واحد، قائم بنفسه لنفسه في نفسه. قال بعض الشعراء:

لــــيس الحبيــــب مُمتعًـــا بحبيبـــه * حتـــى تكـــون صـــفاته كصـــفاته

فهناك يعلم أن روحه من روحه وذاته من ذاته)، وقال: (ليس الشأن في خرق عوائد الوجود وإنما الشأن في خرق عوائد النفوس، لأن خرق عوائد الوجود يجمعك على الخلق، وخرق عوائد النفوس يجمعك على الحق. خرق عوائد الوجود من أوصاف أهل الاجتهاد من أرباب الظواهر، وخرق عوائد النفوس من أوصاف أهل القلوب من أرباب البواطن. خرق عوائد الوجود من أوصاف أهل الاسم من أهل الدليل والبرهان، وخرق عوائد النفوس من أوصاف أهل الذات من أهل الشهود والعيان. خرق عوائد الوجود عند أهل العبادات الظاهرية على يد الوسائط من وراء حجاب، وخرق عوائد النفوس عند أهل العبادات المعنوية بلا واسطة ولا حجاب.

خرق العوائد في الوجود إذا دام عليه صاحبه على كل حال يدفعه لخرق عوائد النفوس كما يدفع زمان الشتاء لزمان الصيف، وخرق عوائد النفوس أيضًا إذا دام عليه صاحبه على كل حال يدفعه لخرق عوائد الوجود وذلك لأن الظواهر هي مفتاح البواطن، كما أن البواطن هي مفتاح الظواهر)، وقال: (اعلم أن خرق العوائد هو الفرق كما أن العوائد هي الجمع، لأن خلق العوائد جلال في الظاهر، جمال في الباطن. وهما مقرونان في كل إنسان كاقتران الروح بالجسد، لكن إذا كان الفرق في ظواهر الإنسان وهو خرق العوائد حتمًا، يكون الجمع في باطنه وهو العوائد. وإذا كان الجمع في ظواهر الإنسان وهو العوائد حتمًا يكون الفرق في بواطنه وهو خرق العوائد، لكن شتان بين الفقير المتوجه الذي يكون فرقه في ظواهره وجمعه في بواطنه، والذي يكون جمعه في ظواهره وفرقه في بواطنه، وذلك لأن شهود الحق محله القلوب للظواهر، والفرق ظلمة والجمع نور، وكيف يشاهد الحق القلب المظلم المفترق؟ يرحم الله سيدي عبد القادر حيث يقول: « وجمعك صله إن فرقك قاطع »)، وقال: (اعلم أن المدار كله على الوحلا، والوحلا هي كل ما خرق عادة الخلق، هي الحقيقة بعينها وكل ما هو عند الخلق عادة كله شريعة، والحقيقة تكون عند الناس حقيقة قبل أن يستأنسوا بها، فإذا استأنسوا بها انقلبت شريعة، فيجب على صاحب طريقتنا إذا كان متمسكًا بحقيقة واستأنسوها الخلق منه صارت كأنها حالت واثبالت، فيجب أن يبدلها بحقيقة أخرى، والحقائق علوية وسفلية، والشرائع علوية وسفلية، في الأصل كلها كانت حقائق حتى وقع الاستئناس. كل ما ألفوه الخلق من الحقائق انقلبت شرائع. فيجب على الصادق في هذا الطريق أن يتخلق بالحقائق أينما كانت ولا يلتفت إلى نفعها ولا لضررها، لأن الإنسان مع ما يصلح به قلبه ويقربه لمولاه)، وقال: (قال في الحكم: كيف تخرق لك العوائد وأنت لم تخرق من نفسك العوائد. ومن جملة عوائد الإنسان، الاكتفاء بعلمه ونظره وعقله، والإنكار على غيره ولو كان أعلم منه وأفقه منه، وأصل ذلك من الاختلاف الطبيعي الذي خلقه الله في الإنسان، وجعله مجبورًا عليه، بل الإنسان وغيره، وذلك من لباب الحكمة، سبحانه الحكيم العليم، قال تعالى: ﴿ **وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ** ﴾ [هود: 118]. وحقيقة خرق العادة أي بعض حقائقها هو فعل الحسن الشاذلي رحمه الله عند ملاقاة مولانا عبد السلام بن مشيش حيث قال: « اللهم إنني اغتسلت من علمي وعملي، حتى لا أملك علمًا ولا عملًا إلا ما يرد علي من هذا الشيخ ». نفعنا الله بالجميع. هذا والله ممن خرق العادة من نفسه. انظر يا أخي ماذا جاز رحمه الله من خير بهذه الكلمات، فيجب على كل مبتدئ في هذه الطريقة الشاذلية أن يتمسك بفعل هذا الإمام الجليل ويسير على هذا المنهاج القويم، لينال بعض ما نال هؤلاء الأئمة الراسخين، جعلنا الله من المتمسكين بأذيالهم السالكين على سننهم



الوارثين لأسرارهم، بفضله وإحسانه آمين)، وقال: (قال في الحكم: كيف تخرق لك العوائد وأنت لم تخرق من نفسك العوائد. كأن الخصوصية كلها هي خرق العوائد من النفس، وخرق العوائد من النفس أهل الخصوصية فيه على فرقتين: فرقة خرقوا العوائد من نفوسهم بمخالفتها وهم أهل الشرائع بالحقائق، وطريقهم طريق الجلال، وفرقة خرقوا العوائد من نفوسهم بالمساعفة لها وهم أهل الحقائق بالشرائع، وطريقهم طريق الجمال. أهل المخالفة خرقوا العوائد بالمبالغة في مخالفة نفوسهم ومخالفة الخلق، انخرقت لهم العوائد في ظواهر نفوسهم وفي ظواهر الوجود حتى صاروا يتصرفون في الظاهر تصرف السيد في عبده. وكذلك أهل المساعفة خرقوا العوائد بالمبالغة في مساعفة نفوسهم ومساعفة الخلق، حتى انخرقت لهم العوائد في مغيبات نفوسهم وفي غيب الوجود بأسره، حتى صاروا يتصرفون بالغيب تصرف السيد في عبده. أهل الظاهر لما خرقوا العادة من نفوسهم بالمخالفة أمدهم الله تبارك وتعالى بعلم الظاهر وبعمله، حتى صار الظاهر كأنه طوع أيديهم، وذلك لما كان مقصودهم في ذلك الله، لا شيء سواه. وأهل الباطن لما خرقوا العوائد من نفوسهم بالمساعفة لها، أمدهم الله تعالى بعلم الغيب وعمله، حتى صار الغيب كأنه طوع أيديهم، وذلك لما كان مقصودهم في ذلك الله، لا شيء سواه. صارت حكمتهم جميعًا إنما هي في المقاصد، لما قصدوا ذلك الله، لا شيء سواه. صارت حكمتهم جميعًا إنما هي في المقاصد، لما قصدوا الحق جميعًا وجدوا الحق جميعًا، إلا أن الماء واحد والزهر ألوان. الطلاب اختلفت ألوانه والمطلوب واحد. أما أهل الظاهر وهم أهل المخالفة، غلب عليهم شهود الفرق فلذلك صاروا أهل مجاهدة وذلك لما افترق لهم الأمر، لم يجدوا في أيديهم سوى المجاهدة، بها التأم شغلهم، ولو عدمت مجاهدتهم لانطمست أنوارهم، ولكن داموا عليها فبذلك استمر شغلهم ودام. وأهل الباطن وهم أهل المساعفة بخلاف ذلك، غلب عليهم شهود الجمع فلذلك صاروا أهل مشاهدة، وذلك لما اجتمع لهم الأمر لم يجدوا في أيديهم سوى المشاهدة، بها التأم أمرهم، ولو عدمت مشاهدتهم لانطمست أنوارهم، ولكن داموا عليها فبذلك استمر شغلهم ودام. مع أن أهل الفرق ما قام شغلهم إلا بالجمع ولكن الحكم للغالب وهو الجمع، وفي الحقيقة الفرق هو عين الجمع، والجمع هو عين الفرق، ولا ثم إلا الحق بالحق في الحق للحق)، وقال (اعلم أن صاحب الحقائق كل ما يعجبه ويلذ على خاطره يرتكبه، كان علويًا أو سفليًا، يأخذ مراده من أعلى شيء ومن أدنى شيء، هو مع مراد نفسه، هذا صاحب خرق العادة. وأما صاحب العادة بالعكس، كل ما يلذ على نفسه يتركه ويعمل خلافه. إلا أن الأول صاحب بسط، يأخذ بسطه أينما وجده. والثاني صاحب قبض يأخذ قبضه أينما وجده، وهذه طريقتنا واحدة ضد الأخرى).

عين الوحدة

قال: (اعلم أن الإنسان بإسقاط التكاليف على نفسه، يصير يقول للشيء كن فيكون، وهو مقام عين الوحدة الذي طلب مولاي عبد السلام بن مشيش نفعنا الله به، وجعلنا من السالكين على منهجه القويم)، وقال: (اعلم أنه عند هؤلاء الرجال، أهل هذه الطريقة {، مقام تطونه يقال له مقام الربوبية، وهو أرفع المقامات وأعلاها وأكبرها وأرفعها. من جهة الحقيقة لا ينال إلا بفضل الله تعالى، ومن جهة الشريعة لا ينال إلا بعدم الكلف، وهو مقام عين الوحدة الذي طلب مولانا عبد السلام بن مشيش نفعنا الله به آمين)، وقال: (اعلم أن الموضع الذي عظم فيه الخير عظم الشر فيه، والموضع الذي عظم فيه الربح عظم فيه الخسران، والموضع الذي قربت فيه الأحباب قربت فيه الأعادي. أين هو حبيبك ثم فيه عدوك، يعني كل موضع وجدت فيه الحبيب، فيه تجد العدو، وموضع قوي فيه النور، قويت فيه الظلمة، موضع القرب هو موضع البعد، وموضع العطاء هو موضع المنع، وموضع الضيق هو موضع الوسع، موضوع الشدة هو موضع الرخاء، موضع العبيد هو موضع الموالي، موضع الذل هو موضع العز، وموضع القوة هو موضع الضعف، وموضع الفقد هو موضع الوَجد، وموضع الفرق هو موضع الجمع. العارف إذا رأى الأشياء ويتحقق أن الأشياء كلها كامنة في أضدادها، صارت الأشياء وأضدادها واحد لا فرق فيها. وإذا تحقق عنده هذا المقام وثبت، لم يبق بعده إلا الاستغراق في عين بحر الوحدة، وذلك عين المقصود، وهذا الاستغراق هو المعبر عنه بالفناء. نسأل الله بفضله وإحسانه أن يجعل لنا نصيبًا مع أهل هذه المراتب العالية، إنه على كل شيء قدير)، وقال: (اعلم أنه إذا ضعفت مواصلة الذات قويت مواصلة الصفات، وبالعكس إذا قويت مواصلة الذات ضعفت مواصلة الصفات، لأن كل اثنين لا يجتمعان ويأتلفان إلا إذا مات الحكم لواحد منهما على الآخر، وإن لم يكن ذلك فيفترقان على كل حال. والحكمة في ذلك هو أن الأمور كلها كل أمر لا تكون فيه الوحدانية قولًا وفعلًا فهو باطل لا يقوم أبدًا سواء كان أمرًا دينيًا أو دنيويًا أو أخرويًا. وبعدما يكونان اثنين يكون واحد منهما حاكمًا على الآخر، يأتلفان بذلك مع بعضهما، ومع هذا يخرج الثالث بينهما على كل حال، فذلك نتيجة اجتماعهما. وعلى قدر تقوية وحدانية الاثنين تتقوى نتائجهما وتثبت، وعلى قدر ضعفها تضعف. ومهما انقطعت وحدانية الاثنين يفترق الشمل في الحين على كل حال، ولا خصوصية للاثنين في ذلك، بل ولو كانوا مائة ألف ووحدوا واحدًا منهم وصاروا على سيره ونظره: يقوم أمرهم وتظهر نتائجهم، سواء كان ذلك الواحد صديقًا أو زنديقًا، وهذا كله مما يدل على أثر الأمر واحد لا ثاني له. ومقصدنا في الخوض في هذا الفن. سيادة قرب وانحياش لبحر عين الوحدة، جعلنا الله من المستغرقين فيها

بفضله وإحسانه وجوده وكرمه)، وقال: (اعلم أن روح الإنسان أخذت من بساط العز وجعلت في هذه الجثة، من أجل ذلك لا تريد إلا العلو ولا تشير إليه، من أجل ذلك أيضًا لا يملأ عينها شيء ولا يدرك رضاها أبدًا، ومن ذلك أنها ما رأت شيئًا جميلًا عاليًا إلا اشتاقت للوصول إليه والظفر به ولا تزال تمتد وتتطاول إليه حتى تظفر به، فإذا ظفرت به أهانته ولم تقنع به ولم تقف معه وتسرع في طلب غيره، وهكذا سيرتها ودأبها أبدًا وذلك أنها ما دامت لم تصل إلى ما كانت فيه أولًا وهي كلما رأت شيئًا جميلًا طاشت وتطاولت إليه لتستنشق فيه رائحة منزلها الأول الذي كانت فيه. مثلها في ذلك كالنحلة إذا افترقت على جيحها وتلفت عنه فإنه تطلب رائحة العسل أين ما استنشقته، ومقصودها في طلبها العسل الوصول لجبحها، كذلك الروح مقصودها في طلب العز والعلو والوصول لحضرة العز والعلو والكبرياء والعظمة والمال والشرف لأن هذا منزلها ومنه وردت وإليه تعود، وهذا المعنى إن فتشت تجده في أضعف المخلوقات وفي أعظمها، وهذا مما يدل على عين الوحدة لأن الكل من الله وإليه. كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان).

الغفلة

قال: (اعلم أنه قيل: إن الحية تهلك الإنسان إذا فاهت عليه، وصاحب الغفلة يهلك الإنسان بالتقاء بصَره ببصره، وقيل إن صاحب الجذام يعادي الإنسان وبينهما طول رمح، وصاحب الغفلة يعادي الإنسان وبينهما قدر ما يميز الرجل من المرأة).

الغيب

قال: (يا أخي كل ما يعرض لك من شغل الغيب حاول حتى لا تقابله بغيب آخر فإنه يؤثر فيه لما كان من جنسه، لأن الجنس يؤثر في الجنس على كل حال).

الغيرة

قال: (اعلم أن أهل الحقيقة، يغيرون عليها من الظهور أكثر من غيرتهم على ظهور عورتهم وعورة سنائهم)، وقال: (اعلم يا أخي، أن كل بلد من البلدان ما تلبسك إلا لباسها، ولا تلبسك لباسها حتى تجردك من اللباس الذي يكون عليك يعين لباس غيرها، أحببت أم كرهت، حسًا أو معنى سواء).

الفعل

قال: (ومما سمعت الشيخ رحمه الله يقول: بين الفعل الذي يكون مستعملًا مع الفعل الذي يكون جبليًا: كأن المستعمل شغل كامل، والذي يكون جبليًا نصف الشغل، والناس يفهمون خلاف ذلك).

الفقر

قال: (اعلم أن الفقر له علمان: علم القول وعلم الفعل، علم القول شريعة، وعلم الفعل حقيقة، وكلاهما متوجهين للحق، وكل واحد منهما يناديه الله تبارك وتعالى في مقامه وفي حاله وعلى قدر حاله. صاحب الأقوال يمتد في الأقوال، وصاحب الأفعال يمتد في الأفعال. ولو أقبلت ليه إيماء لأمدك إيماءكما كما روى عن النبي > قال: يقول الله تبارك وتعالى: « **من تقرب إلي شبرًا تقربت إليه ذراعًا ومن تقرب إلي ذراعًا تقربت إليه باعًا** ». لكن شتى بين صاحب الأقوال وصاحب الأفعال، صاحب الأقوال حد الحلاوة لسانه، وصاحب الأفعال مكنوا في كنانه)، وقال: (اعلم أن الفقر بيت وسكانه موتى، ولا شك أن بيت الموتى ليس لأهل الحياة فيه مدخل ولا نصيب، إلا أن المبتدئين قد رخص لهم أن يتصفوا بأوصاف الموتى ويدخلون مع الموتى حتى تحصل لهم الموت حقيقة بمرافقة الموتى لأن المرء على دين خليله، والموت هذا بمعنى الفناء، والرخصة التي جعلت للمبتدي بتشبهه بالموتى بمعنى الأدب والتعظيم لعباد الله والتحقير لنفسه حتى يصير كالميت، فإذا كان المبتدي هكذا يدخل مع الموتى الذين قتلوا أنفسهم في الله وحييت قلوبهم بالله وهم المسمون عند الناس، بالفقراء. وحقيقة هذا الاسم يعني الفقر: هو الفقر من الشرك حقيقة والغنى بالله طريقة. والغنى بالله الحقيقة لا يحصل إلا لمن افتقر الله الفقر الحقيقة، والفقر الحقيقي هو الفناء الذي عبر عن بالموت كما قال بعض الفقراء في بعض كلامه:

المـــــوت فيـــــه حيـــــاتي * وفـــــي حيـــــاتي قتلـــــي

وقال آخر:

عزتـــــي فـــــي هـــــوان * وغنـــــــاء فقـــــــري

قال في الحكم: « من أشرقت بدايته أشرقت نهايته ». يعني النهاية تعظم على قدر البداية، كأنه يقول: الأدب في مقام البدايات على قدره يكون الفناء في مقام النهايات، والفناء في مقام النهايات على قدره يكون البقاء في مقام نهاية النهاية. أو كأنه يقول: البقاء في مقام نهاية النهاية نسخة من الفناء في مقام النهايات، والفناء في مقام النهاية نسخة من الأدب في مقام البدايات. وهذه المرتبة الأولى ما عدت في هذه المراتب وأضيفت لهم إلا بالتشبه يعين مرتبة أدب البدايات مقام أهل التشبه بالفناء يقوم مقام

أهل الفناء. الأدب فناء مجازي وهو باب الفناء الحقيقي، كما أن الفناء الحقيقي هو باب البقاء الشرعي. أدب أهل البدايات فناء في الفرق، وأدب أهل النهايات فناء في الجمع، وأدب أهل نهاية النهاية فناء في الجمع بالفرق وبقاء في الفرق بالجمع، وذلك لأن الطريقة كلها أدب. يرحم الله القائل: « اجعل عملك ملحًا وأدبك دقيقًا »، وقال الشاعر:

ادب العبــــــــــد تــــــــــذلل * والعبـــــــــد لا يـــــــــدع الادب

فـــــــــإذا تكامــــــــــل ذلـــــــــه * نـــــــال المـــــــودة واقتـــــرب)

الفقير

قال: (اعلم أن حقيقة الفقر هو الفناء في الله والغناء بالله، ولا يتميز الفقير من العامي إلا بالدعوى: إما بلسان الحال أو بلسان المقال. أهل لسان الحال هم المتكنيون بالحال، وأهل لسان المقال هم الضعفاء المستشرفون على شهود الجمال، ومن لا دعوى له لا نصيب له في فقر. أهل لسان المقال في مقام العبودية، مستشرفون على مقام الفنا في الله، وأهل لسان الحال هم في مقام الفنا مستشرفون على مقام البقاء بالله. أهل لسان المقال قولهم ينبئ بأخبارهم، وأهل لسان الحال فعلهم ينبئ بأحوالهم. المستشرف على مقام الفناء يقول، والمستشرف على مقام البقاء بفعله يصول ولا يقول، كما وقع للحسين بن منصور الحلاج لما استشرف قال، ولو فعل ما قال، لأن من قال ما فعل، كما أن من فعل ما قال)، وقال: (اعلم ومن علامة الفقير الظاهري المتعشق للباطن أنك تجده كثيرًا ما يتكلم على الحقائق والمغيبات، ومن علامة الفقير الباطني المتعشق للظاهر أن أكثر كلامه على الشرائع أي الخلق وعلى الظواهر، لأنها من عوائد نفوس الخلق أنها ما أحبت شيئًا إلا أكثرت من ذكره، وما ملكت شيئًا إلا أحبت غيره، وقد قيل لبعضهم متى تستريح؟ قال: إذا لم نجد له ذاكرًا.

ومـــن علمـــه ان لـــيس يـــدعي بعـــالم * ومـــن فقـــره الا يـــرى يـــدعي الفقـــر

ومـــن حالـــه إن غـــاب شـــاهد حالـــه * فلا يـدعي وصـلا ولا يشـكو هجـرًا)

قال: (اعلم أن الفقير الصادق هو الذي لا يجد عدوه سبيلًا إلى الوصول لإذايته، هذه علامته، لأنه يكون دائمًا لا شغل له إلا حبيبه، واشتغاله بحبيبه يحجبه عن عدوه، والحبيب مع العدو ومثل الليل والنهار لا يجتمعان أبدًا)، وقال: (اعلم أن الفقير الصادق في توجهه لله، ماله بين الخلق حق، ولا له على الخلق حق، بل للخلق كلهم عليه حق، وما له عليهم حق. والفقير الصادق أيضًا، لا يرى نفسه مظلومًا ولا

ظالمًا أبدًا، لأنه لا يشهد إلا الحلق)، وقال: (اعلم أن الفقير المستغني بالله، هو الذي ترك الدنيا للخلق حتى لا يكون له فيها حق معهم، إلا ما فضل عليهم من بعد اضطراره واحتياجه إليه، ويترك أيضًا الآخرة لمولاه حتى لا يكون له فيها حق إلا النظر في وجه الله، ويترك أيضًا نفسه حتى لا يكون له فيها حق إلا حق مولاه، ولا إرادة إلا ما أراد مولاه، ويكون كالغصن الرطب أين ما مالت به الريح يلين ويميل معها، ولا ينكر على الخلق حالًا من أحوالهم)، وقال: (ومما قال لي الشيخ: يا ولدي الفقير حاجته هي الحاجة التي بقيت ولم يحتجها الخلق كلهم)، وقال: (اعلم أن الفقير الصادق، الكلام محرم عليه إلا على فنه مع أهل فنه، لا يتكلم إلا كلمة أو كلمتين أو ثلاثة رخص له فيها بعد الاضطرار الكثير، وإن لم يضطر فالكلام عليه حرام مع غير أهل فنه، على غير فنه)، وقال: (ومما قال لي } ما أيكون الفقير أفقير حتى يكون أبحال ذي ركلوا الجمل مزوي بالضربا ذي ابجبنبوا الضربا ذي فيه الهات عن كل أشغال ما خلات يتلفت لأحد الضربا الهات عن غير)، وقال: (اعلم أن الفقير الذي يكون عنده ممن يخاف من الخلق أو يخاف من شيء يخوفه به الخلق ليس بفقير، وإنما الفقير هو الذي يكون كما قال سيدي محمد بن عبد الله ـ نفعنا الله به ـ قال: الفقير هو الذي يكون مثل العظم الراشي لا يجد فيه الكلاب رائحة الدم وإنما ينظرون فيه من بعيد ولا يقربونه. والفقير حقًا لا ينكر شيئًا ولا يفزعه شيء من عوائد النفوس التي تفزع من السفليات وتحذر الوقوع فيها. والفقير المخصوص هو الذي ريض نفسه على السفليات حتى لا تنكر نفسه شيئًا منها كان ريض نفسه على العلويات حتى لا تنكر نفسه شيئًا منها، حتى صارت عنده السفليات والعلويات كأنها شيء واحد. شله كرجل يصطاد بالأسد لا يبقى له في الغابة شيء يخاف منه، كما قال بعضهم: والله لو خيرت بين الجنة والنار ما اخترت واحدة منهما)، وقال: (اعلم أن فضيحة عورة العامي: كشف سوءة بدنه من ثياب أهل الدنيا، وفضيحة عورة الفقير كشف سوءة قلبه بمجالسته أهل الدنيا. الفقير وإن زنى وإن شرب الخمر لا تسقط مروءته ولا تكشف عورته ولا تسقط مروءته بشيء مثل البخل بالدنيا ومزاحمته مع كلاب الدنيا بالتناهش عليها، وكلاب الدنيا هم أبناؤها وأحباؤها، لأن الإنسان ما حال بينه بين مولاه شيء إلا الدنيا الفانية. الخوض في الفناء يحجبك عن البقاء، كما أن الخوض في البقاء يحجبك عن الفناء، والفاني هو نفسك والوجود، والباقي هو اسم مولاك وذاته وصفاته. الجاه والمروءة من قبل النفس، وهما دنيا، والخلق والنفس من قبل الوجود، وهما دنيا، والدنيا ظلمة، والحق نور، والنور لا يجتمع مع الظلمة في القلب أبدًا، ومهما امتلأ القلب بالنور يفيض نوره على الجوارح كلها. وكذلك إذا امتلأ القلب بالظلمة تنفجر الظلمة وتظهر وتلوح من الجوارح كلها، كما قيل: ام فيك خرج على

فيك، ولا تنطق الأواني إلا بما سكن فيها)، وقال: (إذا رأيت الفقير المتوجه يباشر الحقائق العلويات بعد مباشرته للسفليات،، فاعلم أنه عارف بغير تالف، وذلك مما يدلك على أنه حصل على خيرياتها وفاتته شرياتها. وإذا رأيته أي المتوجه المذكور يعكس ذلك يباشر الحقائق العلوية قبل مباشرته للحقائق السفلية، فاعلم أنه تالف غير عارف، حصل على شرياتها وفاتته خيرياتها، وذلك دليل على أنه مخذول مطرود عن جانب الحضرة والعياذ بالله، لأن نفوس الخلق جبلت على السبق لمباشرة الحقائق العلوية، وإمام الطريقة الشاذلية الشاذلي رحمه الله يقول: اللهم إن القوم حكمت عليهم بالذل حتى عزوا وحكمت عليهم بالفقد حتى وجدوا ». صار كل متوجه يدخل بلاد العز قبل دخوله للذل، لا يكون حتمًا دخوله إليها إلا بنفسه، لا بربه، وبالعكس أيضًا إذا رأيت أي المتوجه دخل بلاد العز بعد دخوله للذل فهذا لا يدخله حتمًا إلا بربه، وكل من دخل الأشياء بربه فهو حاصل على خيرياتها مأمون من شرها، قال في الحكم: « ما توقف مطلب أنت طالبه بربك ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك ». والفقير المتوجه حتمًا لا يدخل جنة الوصول وهي حضرة العز حتى يسلك نار الذل، قال تعالى: ﴿ **وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حتمًا مَقْضِيًّا** ﴾ [مريم: 71])، وقال: (اعلم أن الفقير مثل الحمام، إذا كان سخنًا كثيرًا ولا فيه بارد لا عبرة به، وإن كان باردًا كثيرًا ولا فيه سخون لا عبرة به أيضًا، وإذا كان جامعًا بين السخانة والبرودة: نعم ذلك فهم كلمة الله التي لا نفاذ لها، وذلك هو ليلة القدر السامية، وهو الوارث لنور النبوءة، لأن العارف بالله أول ما يمن الله عليه به يجعل له زمام نفسه بيده حتى تطاوعه، يقلبها حيث شاء ويفعل بها ما يشاء، ثم بعد ذلك يمن عليه منة أخرى يجعل له زمام الوجود كله بيده وعند أمره ونهيه تقلبه حيث شاء ويفعل به ما شاء. وذلك لما علم أدبه معه، لأنه لا مشيئة له إلا ما شاء مولاه، فعند ذلك يملكه التصرف في الملكوت العلوي والسفلي وذلك أن صاحب هذا المقام مشتغل عن المشيئة باستغراقه في النظر إلى مولاه فلا يشهد إلا إياه، وإذا ظهرت منه مشيئة فإنما هي مشيئة مولاه ظهرت عليه، وأما هو فالأمر الذي هو فيه لا يزيد عليه قدر حبة خردل ولا أقل منها، امتحت لديه الأكوان وانطوت ولا بقي إلا المكون، قال ابن عطاء الله في الحكم: « لو ظهرت صفاته لاضمحلت مكوناته ». وصاحب هذا المقام لا فرق عنده في وجود الأشياء وعدمها، يعني استوت عنده الأحوال وأضدادها، لو وزن في جميع أحواله لتعادل، وذلك لغيبته في حضوره، وحضوره في غيبته، وبعد هذا فإن الأمر فوق ما يصفه الواصفون كما قال القائل:

من ذاق عرف لا يعرف الشوق إلا من يكابده * ولا الصبابة إلا من يعانيها)

وقال: (اعلم أن الفقراء على ثلاثة فرق: فرقة صالحون لأنفس الخلق مفسدون

لأنفسهم، وفرقة صالحون لأنفسهم مفسدون لأنفس الخلق، وفرقة صالحون لأنفسهم وأنفس الخلق: هؤلاء هم الذين جمعوا بين صلاح الجانبين/ قال تعالى: ﴿ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ ﴾ [ص: 24])، وقال: (اعلم أن المنتسبين لله على فرقتين: فرقة يقال لهم الفقراء إلى الله، وفرقة يقال لهم الأغنياء بالله. وهاتان الفرقتان هما أهل الله، وهما ضدان لبعضهما بعض: كل ما يليق بالفقراء لا يليق بالأغنياء، وكل ما يليق بالأغنياء لا يليق بالفقراء، لكل مقام مقال. من جملة ذلك أن الفقراء لله لا يضرهم شيء مثل التدبير والاختيار ولا ينفعهم شيء مثل عدم التدبير والاختيار، والأغنياء بالله بالعكس لا ينفعهم شيء مثل التدبير والاختيار، والفقراء إلى الله لا يضرهم شيء مثل الظهور ولا ينفعهم شيء مثل الخفاء والخمول، والأغنياء بالله بالعكس لا ينفعهم شيء مثل الظهور ولا يضرهم شيء مثل الخفاء. الفقراء إلى الله يضرهم البسط وينفعهم القبض، والأغنياء بالله ينفعهم البسط ويضرهم القبض. الفقراء إلى الله يضرهم الاشتغال مع الخلق وينفعهم الاشتغال بنفوسهم، والأغنياء بالله يضرهم الاشتغال بنفوسهم وينفعهم الاشتغال مع الخلق، إلى ما لا نهاية له. حاصله: كل ما يليق بهؤلاء لا يليق بهؤلاء. سبحان من جعل هذا الوجود كله قائمًا بين الأضداد، بحيث صارت حسنات قوم عند قوم مصائب، ومصائب قوم عند قوم هي الحسنات. وقولنا في الفقراء يليق بهم هذا، يعني هو الغالب على أحوالهم، مع أن ما يليق لا يقوم إلا بما لا يليق، لكن الحكم للغالب. وكذلك قولنا في الأغنياء يليق بهم هذا، يعني هو الغالب على أحوالهم، مع أنهم كذلك ما يليق بهم لا يقوم لهم ولغيرهم إلا بما لا يليق، لكن الحكم للغالب. جرت سنة الله تعالى أن الوجود وما فيه لا يقوم إلا بين ضدين، ولكن يكون الحكم للواحد من تلك الضدين على الآخر في الوقت، والذي يكون له الحكم هو الغالب على كل حال)، وقال: (اعلم أن الفقراء المنتسبين ينقسمون إلى خمسة أقسام: القسم الأول هم أهل الانتساب بمجرد القول جاهلين لا يفقهون شيئًا ولا يفرقون بين ظاهر ولا باطن، والفرقة الثانية أهل ظاهر لم تحصل لهم ثمرته ولا يعرفون شيئًا من الباطن، والفرقة الثالثة أهل ظاهر مع حصول ثمرته ولا يعرفون شيئًا من الباطن، والفرقة الرابعة حصل لهم الظاهر وحصلت لهم ثمرته وحصلوا الباطن ولم تحصل لهم ثمرته. والفرقة الخامسة حصلوا الظاهر وحصلوا ثمرته كما حصلوا الباطن وحصلوا ثمرته، ويكون بالعكس حصلوا الباطن وحصلوا ثمرته وحصلوا الظاهر وحصلوا ثمرته: صاحب هذا المقام هو الذي قالوا فيه إنه برزخ بين بحرين بحر الشريعة وبحر الحقيقة، كما قال الشيخ المجذوب:

افقيـــــر او غنـــــي او مـــــداح * او لانـــي فـــي ذا الحـــال بـــادي

يمنـــــي او عســـــري مســـــرح * نضـــرب ابهـــادي او هـــادي)

وقال: (اعلم يا أهي نحن عندنا الفقير الذي لم يكن برزخًا بين بحرين ليس بفقير، يعين بحر الشرائع وبحر الحقائق. فإن كان هكذا صار يغترف من كل بحر ما يليق به منه، وليس له قرار في واحد منهما دون الآخر، قال تعالى: ﴿ **يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ** ﴾ [الأحزاب: 13]. ومما يتصف به العارف بالله الكامل أن تجده لا مقام له ولا قرار له أبدًا سرمدًا، كأنه فلك سيار كسير الشمس في بروجها، أبدًا راجل قاطن، غائب بائن)، وقال: (لا تحصل للفقير ثمرة العلم حتى تكون شريعته وحقيقته شيئًا واحدًا، كما كان السلف الأول {، لا يحجبهم جمع على فرق، ولا يحجبهم فرق على جمع).

الفكر

قال: (اعلم أن الفكر هو أشرف وجوه العبادات كلها إذا اجتمع، وأما إذا تفرق فالعبادة الحسية أولى، قال تعالى: ﴿ **فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا** ﴾ [المائدة: 6]. وأعظم ما يتفرق به الفكر الجلوس مع العوام وذلك لأنهم تالفون في عوالم الفرق: كلامهم فرق، وأفعالهم كلها فرق ناشئة عن فرق. ولا شك أن جليس صاحب الفرق مفروق بفرق جليسه، كما أن جليس صاحب الجمع مجموع بجمع جليسه. العامة مثل النساء والصبيان والمجانين، وجهالة المتفقرة وهم أقبح من النساء والصبيان والمجانين. الجلوس مع الفقير الجاهل هو للأرواح مثل أكل السم الخارق للأشباح، والفقير الجاهل الراضي عن نفسه هو أشد بعدًا من العامة بأضعاف كثيرة، لأن العامي مثل الفخار الجديد يقبل كل ما يلقى فيه، والفقير الجاهل مثل الفخار الذي طلي بالقطران لا يقبل العسل ولا يصلح للطيبات)، وقال: (اعلم أن مثل صاحب الأذكار وصاحب الأفكار، مثل الصانع مع المسبب، لأن التجار الكبار لا يكونون من أهل الصنائع وإنما يكونون من أهل الأسباب، قالوا: درهم التجارة خير من عشر إجارات، لأن الدنيا لا تكثر إلا عند أهل التجارات، وإذا كان أحد من أهل الصنائع تملك الدنيا لا يكون إلا ناقصًا بالنسبة لأهل التجارات، وبهذا جرت عادة الله في أرضه، ولكن الصنعة إنما هي للسترة، قالوا: « الصنع إذا ما اغنت تستر » هذه نهايتها، والأسباب هي محل الغنى لأهل التجارة، وهذا قياس صحيح، لأن الفكر جعله الله لا يعادله شيء من جوارح الإنسان كان في الحديث الصريح: « تفكر ساعة أفضل من عبادة سنة » وكما قال ابن عطاء الله في الحكم: « ما نفع القلب شيء مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة »، لأن أهل الأفكار هم أهل العز وأهل الكنز: الفكر عبادتهم وهو أشرب العبادات لأن صاحب الفكر سلطان لا يعادله أحد، بيته بيت العلوم والمعارف بالله. ما بين أعمال الفكر وأعمال الجوارح، ما بين التطهر بالماء والتيمم، إن لم يجد الإنسان الماء انتقل إلى

التيمم. كذلك إذا لم يجد الإنسان سبيلًا إلى الفكر انتقل إلى الذكر كما قال القائل:

تطهـر بمـاء الغيـب إن كنـت ذا سـر * وإلا تــيمم بالصـــعيد او الصـــخر

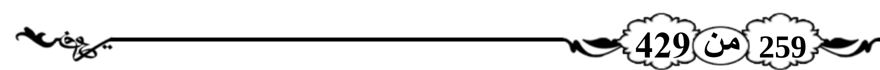
ماء الغيب يعني الفكر، والصعيد أو الصخر إشارة إلى أعمال الجوارح، كما قيل أيضًا: ذرة من أعمال القلوب أفضل من الجبال من أعمال الجوارح).

الفلاحة

قال: (اعلم أن أهل الفلاحة الظاهرية يقولون في زرع أرض الوجود: من قتله العطش يحييه الماء، ومن قتله الماء لا يحييه العطش. ونحن نقول في الفلاحة الباطنية في زرع النفوس: من قتله الجلال يحييه الجمال، ومن قتله الجمال لا يحييه الجلال، ومن قتله الشوق تحييه المحبة، ومن قتلته المحبة لا يحييه الشوق، ومن قتله الفرق يحييه الجمع، ومن قتله الجمع لا يحييه الفرق، ومن قتل بالذات تحييه الصفات، ومن قتل بالصفات لا تحييه الذات، ومن قتل بالذل يحييه العز، ومن قتل بالعز لا يحييه الذل، ومن قتل بوصف بالعبودية يحيى بوصف الربوبية، ومن قتل بوصف الربوبية لا يحييه وصف العبودية، وهكذا).

الفن

قال: (اعلم أن حياة الفن هو رباطه، ورباط الفن هو مجالسة أهله. وموت الفن هو طلاقه، وطلاق الفن هو مجالسة غير أهل فنه)، وقال: (اعلم أن كل من يتشبه بأهل الفن فهو منهم، كان منهم أو لم يكن منهم. ومن لم يتشبه بأهل الفن فليس هو من أهله، كان من أهله أو لم يكن من حاز التشبه بالفن حاز الفن، ومن لم يحز التشبه بالفن ما له نصيب في الفن، كان من أهله أو من غير أهله، هذه حكمة الله في الفنون كلها. والتشبه ينقسم على قسمين: حسي ومعنوي. التشبه الحسي هو لباس ثياب أهل الفن والجلوس معهم على الدوام، والتشبه المعنوي المذاكرة بحديث الفن مع أهل الفن. ما توفرت هذه الشروط في طالب فن إلا حاز ما طلب، أحب أم كره، وما عدمت هذه الشروط من صاحب فن إلا خرج من ذلك الفن، أحب أم كره. صاحب التشبه للفن من أهل الفن حقيقة، وصاحب عدم التشبه للفن ليس هو من أهل الفن حقيقة. كأن هذه الأوصاف شرط في الفنون، ومهما بطل الشرط بطل المشروط)، وقال: (اعلم أن صاحب الدنيا لا يتم ظهوره ويمتاز قدره وشرفه حتى يجد أهل فنه، وكذلك صاحب الآخرة لا يتم ظهوره ويمتاز قدره وشرفه عن غيره حتى يجد أهل فنه، وهكذا عز كل واحد بفنه لا يظفر به حتى يجد أهل فنه.



إذا انطـــح فـــي اهـــل محبتـــي * ايعملـــــوني جمـــــل بقيتـــــي

وإذا انطـح فـي غيـر اهـل محبتـي * ايعملـــــوني حمـــــار بكربتـــــي

وقال: (اعلم أن من لم يشتهر بفنه لا يحسب من أهله، ولو حاز فيه من العلم ما حاز، لأن العلم خبر، وليس الخبر كالعيان. العلم من غير عمل كأنه أساس في بطن الأرض من غير بنيان على وجه الأرض، أعوذ بالله من علم لا ينفع، لأن العلم روح والعمل جسده، ولولا الجسد ما عرفت الروح، ولولا الروح ما عرف الجسد)، وقال: (اعلم أن كل فن توجهت إليه لا تج فيه إلا الحق، وكل فن توجهت إليه لا تظفر بمقدار حبة الخردل منه إلا بعبوديتك لله في عبوديتك لأهله. والفنون كلها تنقسم إلى قسمين: فنون منسوبة إلى الله، وفنون منسوبة إلى توهم غير الله، ولا غير. والخلق كلهم عبيد الله على الإطلاق، طوعًا أو كرهًا، لكن منهم من جعله الله سبحانه بفضله عبدًا له، بفنون نسبته تعالى، فأدخله جنة قربه ومشاهدته. ومنهم من جعله سبحانه بعدله عبدًا له، بفنون نسبة غيره، ولا غير، فأدخله جحيم بعده وحجابه، قال تعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾ [الذاريات: 57]، وقال جل من قائل: ﴿ **فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ** ﴾ [الشورى: 7]. « **هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي وهؤلاء إلى النار ولا أبالي** » الحديث. ومن طلب أن يخرج من عبودية الله فقد طلب شيئًا لم يخلقه الله تعالى. يرحم الله الشيخ الشاذلي حيث قال: « فإنه قد ظهرت السعادة على من أحببته، وظهرت الشقاوة على من غيرك ملكه »)، وقال: (اعلم أن أرًا لها تخمة، وخذ لها تخمة. إذا أتخمتك أرًا لا تجلي عنك التخمة إلا خذ، وإذا أتخمتك خذ لا تجلي عنك إلا خُذ. وكل شيء يقبل منك فيك العذر إلا الصحبة لا يقبل منك فيها عذر، يعني صحبة أهل الفن).

الفناء

قال: (اعلم قال ابن عطاء الله في المنن: لا يدخل على الله إلا من بابين: باب الفناء الحسي وهو الموت، والفناء الذي تعنيه هذه الطائفة يعني الطائفة الشاذلية. والفناء أيضًا له بابان هذا قولنا: باب السير بالعادة وباب السير بخرق العادة. السير بالعادة هو السير بالشرائع، والسير بخرق العادة هو السير بالحقائق، وهذه الطرق كلها واحدة ضد الأخرى: طريق الشرائع رطبة باردة، وطريق الحقائق حارة يابسة. طريق الشرائع الخدمة فيها بالجوارح الظاهرية، وطريق الحقائق الخدمة فيها بالجوارح الباطنية: الهمة والقلب. ومهما مال الإنسان إلى واحدة الحكم لها، إلا أن طريق الشرائع رطبة بطيئة، وطريق الحقائق حارة عاجلة. وهؤلاء الطرق مقامات المبتدئين السائرين، وأما ساداتنا { لا مقام لهم كما قال الله تباك وتعالى: ﴿ **يَا أَهْلَ**

يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ ﴾ [الأحزاب: 13]. لأنهم مع مولاهم أين ما أراد وكيف أراد، امتحت إرادتهم في إرادة مولاهم يسيرون مع الخلق على الحالة التي وجدوهم لا ينكرون شيئًا من أنفسهم ولا من الخلق لأنه لا يشهدون سواه)، وقال: (اعلم أن الفناء فناءان: فناء من حضرة العوام إلى حضرة الخواص، وفناء من حضرة أهل الدنيا إلى حضرة أهل الآخرة. صاحب حضرة العموم هو في الوجود، وصاحب حضرة الخصوص الوجود فيه، كما أن حضرة أهل الدنيا كذلك هو في الوجود، وصاحب حضرة الآخرة الوجود فيه. أنظر كلام الششتري في تربية المريد حيث قال له:

إذا شعرت بالوجود قد لاح في ذاتك * هو دسر ولازم الجحود هدك صفاتك

واضرب بترسك العقود والق عصاتك

وانظر قول ابن عطاء الله في لطائف المنن حيث قال: لا يدخل على الله إلا من بابين: باب الفناء الطبيعي وهو الموت، وباب الفناء الذي تعنيه هذه الطائفة يعني الطائفة الشاذلية. وعلى قدر ما تتقوت ذات الإنسان وصفاته من ذات الوجود وصفاته في أيام حياته عامًا أو عشرة أعوام أو مائة سنة، على قدره تتقوت ذات الوجود وصفاته من ذات الإنسان وصفاته يعني بعد موته. وهذه الأمور كلها يطاق عليها قوله تعالى: ﴿ **وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا** ﴾ [الكهف: 49]. من حيث أن الإنسان لا يبرح حتى يصير وجودًا وبالعكس)، وقال: (اعلم أن الفناء على وجهين فناء وجود قهري وهو فناء العامة وفناء نفساني اختياري وهو فناء الخاصة. فناء العامة الوجود يفنيهم قهرًا عليهم ويتلقمهم في جوفه، وفناء الخاصة هم يفنون الوجود قهرًا عليه ويتلقمونه في أجوافهم. الوجود مقابل لك وأنت مقابل له، وهو لا يخلو إما أن تفنيه بالله اختيارًا منك وجبرًا عليه، وإن لم تفعل يفنيك هو اختيارًا منه وجبرًا عليك. من لم يجب داعي الإحسان مع الخاصة فقد يجيب داعي السلطان في زمرة العامة، وشتان ما بين من يساق بالامتنان ومن يساق بسلاسل الامتحان. يقول الشيخ الششتري في بعض كلامه لبعض أصحابه:

إذا شعرت بالوجود قد لاح في ذاتك * هو دسر ولازم الجحود هدك صفاتك

واضرب بترسك العقود والق عصاتك

ولا فرق بين العامة والخاصة إلا أن الخاصة كانوا عبيدًا لله ملكوا الوجود بالله حتى صار الوجود مملوكًا لهم يتصرفون فيه بما شاءوا، والعامة بالعكس كانوا عبيدًا للوجود ملكهم الوجود حتى صار الوجود مالكًا لهم يتصرف فيهم بما شاء. يرحم الله ابن الفارض حيث يقول:

انت القتيل باي من احببته * فاختر لنفسك في الهوى من تصطفي

انظر عبودية الأكوان وانظر عبودية المكون وتأمل)، وقال: (اعلم أن الفناء على



وجهين: فناء بالعالم وفناء بالعمل، واحد يردف الآخر. من الفقراء من يفنى أولًا بالعلم ثم بعد ذلك يفنى بالعمل، ومنهم من يفنى أولًا بالعمل ثم بعد ذلك يفنى بالعلم. الفاني بالعلم قبل العمل، يقول ولا يفعل. والفاني بالعمل قبل العلم يفعل ولا يقول. والفاني بالوجهين معًا، جامع لأوصاف الفناء، يقول ويفعل، إذا قال: فلا مجيب، وإذا فعل فلا معترض. والفناء في الظاهر هو الذل الظاهري الحسي، والفناء في الباطن هو العز الباطني المعنوي. ثم الفناء الظاهري وهو الجلال، يثمر لك بالبقاء الظاهري وهو الجمال. والبقاء الباطني وهو الجمال يثمر لك بالفناء الباطني وهو الجلال. فإذا صارت ظواهرك جلالًا وبواطنك جمالا فهذا هو عين الكمال)، وقال: (اعلم أن الفناء على قسمين: فناء في الأشياء، وفناء عن الأشياء. والأشياء كلها حسية ومعنوية، ظاهرية وباطنية، علوية وسفلية: كل ما تفنى فيه عن غيره يفنى فيك عن غيرك، وكل ما تفنى في غيره عنه يفنى في غيرك عنك. الفناء مفتاح لكل شيء، وعدم الفناء حجاب عن كل شيء، والفناء بمعنى خرق العادة في طلب الشيء. صارت الأشياء كلها يكون قربها منك على قدر قربك منها، وبعدها منك على قدر بعدك منها، وحبها إليك على قدر حبك إليها، وبغضها فيك على قدر بغضك فيها، لأجل هذا المعنى قالوا: الوجود كالمرآة، الذي تقابله به، يقابلك به لا زائد)، وقال: (اعلم أن أهل الفناء على فرقتين: أهل الفناء بذواتهم وأهل الفناء بصفاتهم. والحضرة اثنتان: حضرة ذات الحق وحضرة صفاته. أهل الفناء بذواتهم حصلوا على حضرة صفات الحق، وأهل الفناء بصفاتهم حصلوا على حضرة ذات الحق، وفرقة أخرى جمعت بين الحضرتين حضرة الذات وحضرة الصفات وذلك أنهم فنوا أولًا بذواتهم فحصلوا على حضرة واستقروا بها ما شاء الله ثم إنهم لم يقفوا هنالك وزادوا للفناء بصفاتهم فحصلوا على حضرة الذات واستقروا بها ما شاء الله ثم إنهم بعد ذلك استوى سروحهم في الحضرتين تارة في هذه وتارة في هذه. ومنهم أي من هذه الفرقة الثالثة بعكس ذلك، فنى أولًا بصفاته حتى حصل على حضرة الذات، ثم بعد ذلك فنى بذاته حتى حصل على حضرة الصفات، ثم بعد ذلك استوى صروحه في الحضرتين. وهذه الفرقة هي أفضل الثلاثة لأنها جمعت بين السلوك والجذب، أو بين الجذب والسلوك. أهل الفناء بالذات، الذين حصلوا على حضرة الصفات، هم أهل الأسباب. وأهل الفناء بالصفات، الذين حصلوا على حضرة الذات، هم أهل التجريد. والذين فنوا بذواتهم حتى حصلوا على حضرة الصفات، ثم فنوا بصفاتهم حتى حصلوا على حضرة الذات، هم الجامعون بين السلوك والجذب، وهي الفرقة هي أهل دواء القلوب، وقليل ما هم)، وقال: (اعلم أن صاحب مقام الفناء كنز مطلسم، ممنوع الانتفاع به، بينه وبين الخلق محجب من نار، من أجل ذلك لا يطيقون القرب إليه. ومن جملة أوصاف صاحب

مقام الفناء أنه يكون بواطنه عزًا وشرفًا، وظواهره ذلًا وإهانة. بواطنه علمًا وطاعة، وظواهره جهلًا ومعصية. بواطنه حياة وبسطًا، وظواهره موتًا وقبضًا. بواطنه جمعًا وقربًا، وظواهره فرقًا وبعدًا. بواطنه عطاء وحقًا، وظواهره منعًا وباطلًا. بواطنه صدقًا ورجاءً، وظواهره كذبًا وخوفًا. بواطنه معروفة وظواهره منكورة. بواطنه تاسيعًا ورحمة، وظواهره ضيقًا ونقمة. بواطنه مُلكًا وعشقًا ووصلًا، وظواهره مِلكًا وهجرًا وانقطاعًا. باطنه يمد الكون وما فيه علوي وسفلي، وهو غني عن الكون وما فيه، وظاهره يمتد من الكون وما فيه علوي وسفلي، وهو محتاج إلى الكون وما فيه. باطنه ملكًا للوجود، وظاهره مملوكًا للوجود بأسره. هذه بعض أوصافه مما ليس له حصر من هذا المعنى، من أجل ذلك تجد الخلق يفرون منه فرارهم من النار، ولا ينتفع به ما دام في هذا المقام إلا النادر من الخلق، وذلك لأن العامة نفوسهم قريبة العهد من الحضرة الإلهية، من أجل ذلك صارت نفوسهم مجبولة على حب الكمال وبغض النقص، مع أنه في الحقيقة لا نقص وإنما الكل كمال، وذلك الذي رأوه نقصًا إنما هو وهم حصل لهم في نفوسهم من جهلها. يرحم الله القائل:

وكـــل قبـــيح إن نســـبت لحســـنه * اتتـك معـاني الحسـن فيـه تسـارع

يكمـــل نقصـــان القبـــيح جمالـــه * فمـــا ثـــم نقصـــان ولا ثـــم باشـــع

وصاحب هذا المقام أي مقام الفناء إنما أنكره الخلق لأنه ليس هو منهم ولا هو في العالم الذي هم فيه. هم في عالم الشريعة. وهو في عالم الحقيقة. صار كأنه ليس هو من جنسهم، ما بينه وبينهم نسبة. صاحب مقام الحقيقة وهو صاحب مقام الفناء، لا يأويه إلا الحق وإلا من كان مِنَ الناس عبد الحق حق)، وقال: (اعلم أن هذا الفناء الذي يترجم به أهل هذه الطريقة الشاذلية، مَثَله كالموت من غير زيادة ولا نقصان. ما فات الفاني في الله الميت إلا بالنفس التي تخرج على فيه وتدخل، لا زائد، لأنه كما أن الميت ذات بلا صفات، كذلك الفاني في الله ذات بلا صفات. وكما أن الموت باب لا يدخل الإنسان لجنة الرضوان إلا عليه، كذلك الفناء باب لا يدخل الإنسان إلا عليه لجنة الشهود والعيان. وكما أن الميت لا يحس بألم الموت إلا قبل الموت وأما إذا مات فلا ألم، كذلك الفاني لا يحس بألم الفناء إلا قبل الفناء يعني بقربه وأما إذا فني فلا ألم. وكما أن الميت لا يترجم بأخبار الموت إلا قبل الموت وأما إذا مات فالفعل ينقض القول، كذلك الفاني لا يترجم بأخبار الفناء إلا قبل الفناء يعني عند الاستشراف وأما إذا فني فالفعل ينقض القول. وكما أن الميت ما دام فيه أثر الحياة مع الخلق، والناس يبرون به، فإذا مات أنكره الناس جميعًا: القريب والبعيد، ولا يأويه إلا الموتى مثله، كذلك الفاني ما دام فيه أثر البقاء مع أهل الدنيا والناس يبرون به، فإذا فني أنكره الناس جميعًا القريب والبعيد، حتى لا يأويه إلا أهل الفناء مثله. وكما أن



الميت يجرد من ماله ومن أولاده ومن ثيابه ومن نفسه إلا ما يستر عورته، كذلك الفاني يتجرد من ماله ومن أولاده ومن ثيابه ومن نفسه إلا ما يستر عورته. وكما أن الميت ما له رفقة مع أهل الدنيا، كذلك الفاني ما له رفقة مع أهل الدنيا.. وكما أن الميت لا يغضب لشيء ولا يفرح لشيء، كذلك الفاني لا يغضب لشيء ولا يفرح لشيء. وكما أن الميت لا يدبر شيئًا ولا يختار شيئًا ولا يتأوه من شيء ولا يعبأ بشيء، كذلك الفاني لا يدبر شيئًا ولا يختار شيئًا ولا يتأوه من شيء ولا يعبأ بشيء. وكما أن الميت، الناس عنده كلهم سواء: عدوًا أو صديقًا، بعيدًا أو قريبًا، كبيرًا أو صغيرًا، قويًا أو ضعيفًا، غنيًا أو فقيرًا، ملكًا أو مملوكًا، فاعل الخير أو فاعل الشر. وكما أن الميت لا ينوب عن نفسه ولا ينتصر لها، كذلك الفاني لا ينوب عن نفسه ولا ينتصر لها. حاصله الفاني مستغرق في عين الوحدانية كما قال الشيخ مولانا عبد السلام بن مشيش نفعنا الله به: «وأغرقني في عين بحر الوحدة حتى لا أرى ولا أسمع ولا أجد ولا أحس إلا بها »، ثم أشار إلى البقاء فقال: « واجعل الحجاب الأعظم حياة روحي، وروحه سر حقيقتي »)، وقال: (اعلم أخبرني سيدي العربي أن أباه سيدي أحمد بن عبد الله ـ نفعنا الله به ـ كان ذات يوم هو وأصحابه في زريبة النحل وهم يقطعون العسل وهم يتكلمون، فقال أحد من أصحابه: ما اهنا من يسمع، فقال الشيخ: أين هو من يستمع وجعل يقول لها ويتلذذ بها ويكررها ويقول: أين هو من يستمع؟ حتى غاب عن الوجود نفعنا الله به).

الفناء والبقاء

قال: (اعلم أن الفناء فناءان: فناء حسي بالذات، وفناء معنوي بالصفات، ولا يقوم واحد إلا بالآخر. من المريدين من حصل على علم الفناء بالذات، ولم يحصل له الفناء بالصفات. ومنهم من حصل على الفناء بالصفات، ولم يحصل له الفناء بالذات. والمتمكن هو الذي جمع بين الفناءين: الفناء بالذات والفناء بالصفات. الفناء بالصفات قول، والفناء بالذات فعل: وإن شئت قلت: فناء الصفات باطن، وفناء الذات ظاهر. وإن شئت قلت: فناء الصفات سماوي، وفناء الذات أرضي وإن شئت قلت: فناء الصفات للنفس، وفناء الذات للجنس. وإن شئت قلت: فناء الصفات في حضرة المكون، وفناء الذات في حضرة الأكوان بالمكون. وإن شئت قلت: فناء الصفات جمالي، وفناء الذات جلالي. وإن شئت قلت: فناء الصفات مع، وفناء الذات فرق. وإن شئت قلت: فناء الصفات بالملكوت، وفناء الذات بالملك. وإن شئت

قلت: فناء الصفات بالرحموت، وفناء الذات بالجبروت. وإن شئت قلت: فناء الصفات في الأرواح، وفناء الذات في الأشباح. وإن شئت قلت: فناء الصفات في العطاء، وفناء الذات في المنع. وإن شئت قلت: فناء الصفات بسط، وفناء الذات قبض. وإن شئت قلت: فناء الصفات عمران، وفناء الذات تخريب. وإن شئت قلت: فناء الصفات رجاء، وفناء الذات خوف، وإن شئت قلت: فناء الصفات قرب، وفناء الذات بعد. وإن شئت قلت: فناء الصفات حياة، وفناء الذات موت. وإن شئت قلت: فناء الصفات وجود، وفناء الذات عدم. وإن شئت قلت: فناء الصفات عز، وفناء الصفات ذل. وإن شئت قلت: فناء الصفات غناء، وفناء الذات فقر. وإن شئت قلت: فناء الصفات قدرة، وفناء الذات عجز. وإن شئت قلت: فناء الصفات قوة، وفناء الذات ضعف. وإن شئت قلت: فناء الصفات حقيقة، وفناء الذات شريعة. وإن شئت قلت: فناء الصفات علم، وفناء الذات عمل. وإن شئت قلت: فناء الذات جذب، وفناء الصفات سلوك. وإن شئت قلت: فناء الصفات فضل، وفناء الذات عدل. وإن شئت قلت: فناء الصفات صفات، وفناء الذات ذات.

تمسك باذيال الهوى واخلع الحيا * وحل سبيل الناسكين وإن جلوا

وهذا الفناء الذي عبرنا عنه بفناءين مقام، وهو يدفع صاحبه للذي بعده وهو مقام البقاء، وهو بعكس ما سطر أعلاه وضده، وفيه هو أيضًا بقاءان: بقاء معنوي بالصفات، وبقاء حسي بالذات. الفناء مفتاح الملك وبابه، والبقاء تمكين الملك وقراره. وبعد مقام البقاء مقام فناء الفناء في عين بقاء البقاء، وبقاء البقاء في عين فناء الفناء، وبعد هذا يترتب السير في المقامات والأحوال بلا مقام في مقام بحال، ومنتهى السير إلى ربك المتعال، قال تعالى: : ﴿ **يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ** ﴾ [الأحزاب: 13])، وقال: (اعلم أن الفناء فناءان: تفنى أولًا عن البشرية، ثم تفنى ثانيًا عن فنائك الذي فنيت عن بشريتك. كذلك البقاء بقاءان: تبقى أولًا عن فناء فنائك، ثم تبقى ثانيًا عن بقائك الذي بقيت عن فناء فنائك. البشرية تستشرفك عن الفناء بالصفات في الصفات، والفناء بالصفات يستشرفك عن الفناء بالذات في الذات، والفناء بالذات يستشرفك على البقاء بالصفات في الصفات، والبقاء بالصفات يستشرفك على البقاء بالذات في الذات. يرحم الله الششتري حيث قال:

افناني ذا الحب عن فنائي * صرت بعد الفنا وجود

تعجب الناس من بقائي * وحبي من نهواه يسود

وصار مشروبي من إنائي * لكن مستعذب الورود)

وقال الشيخ سيدي عبد القادر الجيلاني في بعض كلامه:

فاســجد اي افــن وافــن عــن الفنــا * واســجد اخــرى والمتــيم والــع)

وقال: (اعلم أنه لا يرشد الولي نفسه حتى يموت ويحيي ثم يموت ثم يحيى. الموتة الأولى الفناء الظاهري، والحياة التي بعدها البقاء الباطني، والموتة الثانية الفناء الباطني، والبقاء الباطني هو سبب الفناء الباطني، والفناء الباطني هو سبب البقاء الظاهري. الفناء الأول الظاهري: بعد من الخلق وتوجه إلى الحق. والبقاء الباطني: وصول إلى الحق، وتوجه إلى الخلق بالحق. والفناء الباطني: جمع بين حضرة الحق وحضرة الخلق. والبقاء الظاهري: جمع الحق بالحق للحق في عند الحق: كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان)، وقال: (اعلم أن صاحب الظاهر، عبوديته بالذات، إن دام فيها فتحت له بها كنوز الصفات. وصاحب الباطن بالعكس، عبوديته بالصفات، إن دام فيها فتحت له بها كنوز الذات. صاحب عدوية الذات باق، مشرف على فناء. وصاحب عبودية الصفات فان، مشرف على بقاء. صاحب عبودية الذات، قوله الفناء، وفعله البقاء، لأنه لو قال ما فعل. وصاحب عبودية الصفات، قوله البقاء، وفعله الفناء، لأنه لو فعل ما قال. والفناء والبقاء مقامات يتزاحمان عليك، واحد يطرد الآخر أبدًا، لا ثالث لهما. وإن شئت قلت: مقامان موجودان في الإنسان أبدًا، لا تقوم ذاته إلا بهما جميعًا، إلا أنه تارة يكون الفناء ملكًا والبقاء مملوكًا فيكون حينئذ الحكم للملك وهو الفناء لا للملوك وهو البقاء، فيسمى صاحب هذا الوصف بالفاني في بقائه، وتارة بالعكس يكون البقاء ملكًا والفناء مملوكًا فيكون حينئذ الحكم للملك وهو البقاء. لا للملوك وهو الفناء، فيسمى صاحب هذا الوصف بالباقي في فنائه. الأول وهو الفاني في بقائه، فناؤه في ظواهره، وبقاؤه في بواطنه، لأن الحكم للذي ظهر عليه في الوقت وهو الفناء، لا للذي بطن وهو البقاء. والثاني وهو الباقي في فنائه، بقاؤه في ظواهره، وفناؤه في بواطنه، لأن الحكم أيضًا للذي ظهر عليه في الوقت وهو البقاء، لا للذي بطن وهو الفناء. والفناء ذل هو موت، والبقاء عز وهو حياة، وهما كما قلنا مجموعان في الإنسان أبدًا، لا محيد للإنسان عنهما. إن كان فناؤه في ظاهره وهو ذله وموته، يكون حتمًا بقاؤه في باطنه وهو ذله وموته. وإن كان بقاؤه في ظاهره وهو عزه وحياته، حتمًا يكون فناؤه في باطنه وهو ذله وموته. هكذا جرت سنة الله في خلقه ﴿ **وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا** ﴾ [الأحزاب: 62]، ﴿ **وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَحْوِيلًا** ﴾ [فاطر: 43])، وقال: (اعلم أن الحق نور لا يشاهده إلا من امتلأ قلبه بالنور، والنور جمع، ومهما كان الجمع في القلب حتمًا يكون الفرق في الظواهر على كل حال، فعند ذلك يحصل لصاحب هذه المرتبة الاجتماع بالحق والافتراق مع الخلق، وهؤلاء هم أهل الفناء. وأما إذا كان الفرق في القلب وهو الظلمة، فحتمًا يكون الجمع في الظاهر وهو النور على كل حال، فعند ذلك أيضًا يحصل لصاحب

هذه المرتبة الائتلاف مع الخلق والافتراق مع الحق، وذلك لأن الشهود كما قلنا لا يشرق إلا من القلب، والقلب مظلم، وظلمة القلب هي الحجاب بنفسه. وأما إذا تنور القلب وزال الحجاب وفتح الباب يعني باب الفناء، فما وراء مقام الفناء إلا مقام البقاء وهو مقام الملك. مقام الفناء مقام التخلي، ومقام البقاء مقام التحلي. الفناء: التخلي عن تدنيس البشرية، والبقاء: التحلي بحلية عرائس الحضرة الربانية. صاحب مقام البقاء جامع بين فضل الحضرتين: حضرة الحق وحضرة الخلق، يعطي لكل ذي حق حقه، ويوفي لكل ذي قسط قسطه، برزخ بين بحرين: بحر الشريعة وبحر الحقيقة، لا ينكر شيئًا، ولا ينكره شيء، بخلاف صاحب الفناء: العارفون بالله يأويهم ويأوونه، ويقرهم ويقرونه، والجاهلون بالله يفر منهم ويفرون منه وينكرهم وينكرونه، هم ينكرونه بجهلهم بالحقيقة، وهو ينكرهم بجهله بالشريعة. وأما صاحب البقاء فقد استوى فيه البحران: ﴿**وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا**﴾ [فاطر: 12]. قال جل من قائل ﴿ **كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا** ﴾ [الإسراء: 20])، وقال: (شتان بين الداخل من حضرة نفسه إلى الفناء، والراحل من الفناء إلى البقاء. الأول راحل من عالم الفرق إلى عالم الجمع، ومن عالم الحس إلى عالم المعنى. والثاني بالعكس، راحل من عالم الجمع إلى عالم الفرق، ومن عالم المعنى إلى عالم الحس. الأول راحل من عالم نفسه إلى عالم ربه، والثاني راحل من عالم ربه إلى عالم نفسه بربه. الأول مكسي بكسوة نفسه، داخل لحضرة ربه، والثاني مكسي بكسوة ربه، داخل لحضرة نفسه بربه. الأول راحل من عالم الشرائع، قاصدًا لعالم الحقائق، والثاني راحل من عالم الحقائق، قاصدًا لعالم الشرائع. الأول رائع في عوالم الخلق، قاصدًا لمعرفة الحق، والثاني رائع في عالم الحق، قاصدًا لمعرفة الخلق بالحق. يرحم الله شيخ شيوخنا سيدي عبد الرحمن المجذوب نفعنا الله به حيث يقول:

من شاهد الكون بالكون	*	عزيه في عمى البصيرة
ومن شاهد بالمكون	*	صادف علاج السريرة)

وقال: (اعلم أن الفاني، إذا تعلقت همته بالباقي صار باقيًا، لأنه مهما دخل الحق زهقه الباطل.والفاني إذا تعلقت همته بالفاني، صار الطالب فان، والمطلوب فان، زاهق متعلق بزاهق، باطل متعلق بباطل. قال تعالى: ﴿ **وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا** ﴾ [الإسراء: 81])، وقال: (انظر إن كنت صاحب علم بالطريقة، وكل فيها نصيب بالتحقيق والتدقيق. أنظر أهل مقام الفناء لماذا ينكرهم الناس جميعًا؟ وذلك لأن مقامهم مقام علو وعز وعظمة وارتفاع وملك في بواطنهم فلذلك أنكرهم الخلق كلهم في الظواهر. وانظر أهل مقام البقاء لماذا تجد الناس كلهم يخضعون



إليهم، عبيدًا لهم عند أمرهم ونهيهم؟ وذلك لأن مقامهم مقام عبودية وذل وضعف وخفض وملك في بواطنهم، فلذلك آواهم الخلق جميعًا حتى صاروا ملوكًا على ظواهر الوجود بأسره. لكن لا بقاء إلا بعد الفناء. كل باق فان، وليس كل فان باق. وكل ادعى البقاء قبل الفناء: مغرور مخدوع لعبت به نفسه وكذبت عليه، مثله كالذي بنى قصرًا من غير أساس. ولا يفرق بين الباقي من غير فناء والباقي بعد الفناء إلا من حصل له الفناء بمقام الفناء وحصل له البقاء بمقام بعد ورود مقام الفناء. صاحب مقام الفناء لما تعزز على الوجود بأسره تعزز عليه الوجود بأسره. وصاحب مقام البقاء لما تذلل للوجود بأسره تذلل له الوجود بأسره. صاحب مقام الفناء، جماله لنفسه، وجلاله للوجود، فلذلك صار منكورًا منفردًا في الوجود بأسره. وصاحب مقام البقاء، جلاله لنفسه، وجماله للوجود، فلذلك صار معروفًا محبوبًا ملكًا مؤيدًا على الوجود بأسره. الفناء مفتاح الملك وبابه، والبقاء تمكين الملك وقراره، وبالله التوفيق)، وقال: (اعلم أن صاحب الصمت له مواهب، وصاحب الكلام له مواهب، ومواهب صاحب الصمت أقوى من مواهب صاحب الكلام، وذلك أن الكلام من شأن أهل الفناء، والصمت من أوصاف أهل البقاء، ولا شك أن مواهب صاحب البقاء أقوى من مواهب صاحب الفناء بأضعاف كثيرة)، وقال: (اعلم أن المتكلم بعلم الفناء ليس هو من أهل الفناء وإنما هو متعشق للفناء، كما أن المتكلم بعلم البقاء ليس هو من أهل البقاء وإنما هو فان متعشق للبقاء، وذلك لأن الكلام لا يكون إلا عند التعشق لا عند الوصال، والتعشق لا يكون إلا عند الاستشراف لا عند الوصول بالفعل، وأما إذا حصل الوصول بالفعل فالفعل ينقض القول. الفاني قوله بلسانه عزيز، وفعله بذاته ذليل. كما أن الباقي قوله بلسانه ذليل، فعله بذاته عزيز. الفاني بالذات هو الباقي بالصفات، وهذا أيضًا هو الذي يكنى عند أهل الطريقة بالفاني في الله، كما أن الباقي بالذات هو الفاني بالصفات وهذا أيضًا هو الذي يكنى عند أهل الطريقة بالباقي بالله. صار كل فان لا يقوم فناء ذاته إلا ببقاء صفاته، كما أن كل باق لا يقوم بقاء ذاته إلا بفناء صفاته. لكن من لا فناء له بذاته فلا بقاء له بصفاته حتى يصير فان حقًا، لا بقاء له بذاته ولا فناء له بصفاته حتى يصير باق حتى يصير فان حقًا، لا بقاء له بذاته ولا فناء له بصفاته حتى يصير باق حتى يصير فان حقًا، لا بقاء له بذاته ولا فناء له بصفاته حتى يصير باق حتى يصير فان حقًا، لا بقاء له بذاته ولا فناء له بصفاته حتى يصير باق حقًا. يقول صاحب « القوانين »: الفناء أساس الطريق، به يتوصل إلى مقام التحقيق. وقال أيضًا: كل باق فان، وليس كل فان باق)، وقال: (اعلم أن نتيجة عبودية أهل الله الفناء في الله، كما أن نتيجة الفناء في الله: البقاء بالله، كما أن نتيجة البقاء بالله: الفناء ولا فناء، والبقاء ولا بقاء. عبودية أهل الله عبودية كسبية، وعبودية أهل الفناء، في الله عبودية قهرية، وعبودية أهل البقاء بالله عبودية كسبية بعد القهرية. وعبودية بقاء البقاء كسبية قهرية وقهرية كسبية. الأولى: عبودية الله بوجود الوسائط. والثانية هي المسماة

بالفناء: عبودية مع فقد الوسائط. والثالثة هي المكناة بالبقاء. عبودية بوجود الوسائط بعد فقد الوسائط. والرابعة هي المكناة ببقاء البقاء: عبودية بالوسائط مع فقد الوسائط، وعبودية بفقد الوسائط مع وجود الوسائط، وهذا المقام الرابع يقال له: مقام التلوين بالتمكين بالرسوخ في مقامات اليقين)، وقال: (اعلم أن أدب المريدين في مقام البدايات، يعظم على قدر عظم أدب مشايخهم في مقام النهايات، ويضعف على قدر ضعفهم. كما أن من عظم أدبه في عبودية بدايته، على قدره يعظم أدبه في عبودية نهايته. صارت النهايات مجلي البدايات لأهل الشيخوخة مع التلامذة، كما صارت البدايات مجلى النهايات لمقام البدايات مع مقام الشيخوخة. والعبودية هي المطلوبة من الإنسان في بدايته، وهي المطلوبة منه في نهايته. والبداية هنا هو ما كان قبل الفناء، والنهاية هنا هو ما كان بعد الفناء وهو المكنى عند الناس بالبقاء. وما بين البدايات والنهايات فهو الفناء وهو مقام السكر، والساكر ليس معه كلام، فقد رفع التكليف في سكرنا عنًّا، وإنما الكلام مع صاحب عبودية صحو البدايات أو مع عبودية صاحب صحو النهايات. وأما صاحب الفناء فهو ساكر لا عبودية له، فقد فني ملكه في مُلكه، وفنيت ظلمانيته في نورانيته، وفني فرقه في جمعه، فلا عبد، ولا ظلمة، ولا فرق. ومهما فنيت ظلمة العبودية، لم يبقى إلا نور الربوبية، قال تعالى: ﴿ **قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ** ﴾ [الأنعام: 91]. وإذا بطل الفرق بطل التكليف. يرحم الله القائل:

الــــرب حــــق والعبــــد حــــق * يــا ليــت شــعري مــن المكلــف

إن قيـــل عبـــدٌ فالعبـــد ميـــتٌ * او قيـــل رب انـــى يكلـــف)

وقال: (اعلم أن الفناء محله الظواهر، كما أن فناء الفناء محله البواطن، والبقاء محله البواطن، كما أن بقاء البقاء محله الظواهر. يعني أن فناء الظواهر مقرون مع بقاء البواطن، لا يقومان إلا ببعضهما. كما أن فناء الفناء في البواطن مقرون ببقاء البقاء في الظواهر، لا يقومان إلا ببعضهما معًا. وذلك لأن الإنسان، ذاته وصفاته، وجودهما ثابت بثبوت تجلي ذات الحق وتجلي صفاته في الإنسان، ولولا ذلك لم يكن إنسانًا. إلا أنه تارة تتجلى الذات في ظاهر الإنسان فيتبعها تجلي الصفات في باطنه، فيكون حينئذ الإنسان فانيًا في ظاهره باقيًا في باطنه، فهذا يسمى عند أهل الطريقة بمقام الفناء، ولو كان الفناء لا يقوم إلا بوجود البقاء معه ولكن الحكم عندهم على مختارات الظواهر لا على وهبيات البواطن. وهذا المقام، وهو مقام الفناء، يدفع صاحبه للمقام الذي بعده وهو مقام البقاء، كما يدفع الإنسان زمان الشتاء لزمان الصيف، فإذا ورد مقام البقاء: يصير تجلي الذات الذي كان في ظاهر الإنسان ينقلب لبواطنه، وتجلي الصفات الذي كان في بواطنه ينقلب لظواهره، فيكون حينئذ باقي في ظواهره فاني في بواطنه، فهذا أيضًا يسمى عند أهل الطريقة بمقام البقاء، ولو كان ذلك البقاء ما قام



وجوده إلا بوجود الفناء معه لكن كما قلنا الحكم عندهم على مختارات الظواهر لا على وهبيات البواطن. وهذه التجليات، يعني تجلي الذات وتجلي الصفات في الإنسان، لا بد أن يكون الظاهر اكتسابًا باختيار الإنسان، سواء كان تجلي الذات فهي أو تجلي الصفات، فيتبعه الباطن وهبيًا جبرًا على الإنسان، سواء كان تجلي الذات أو تجلي الصفات فيه. صارت أبواب وهبيات البواطن هي اكتسابات الظواهر. كأن الظواهر أصول وعروق. والبواطن فروعها. وإذا شربت الأصول اكتسابًا في الظواهر، على كل حال تظهر ثمار الفروع قهرًا في البواطن. « **أمرت أن أحكم بالظواهر والله يتولى السرائر** »).

القدرة

قال: (انظر يا أخي هذا الرب الكريم ما أعظمه. ملك نفسه بنفسه كيف شاء، وجعل يتصرف في نفسه بنفسه كما شاء، سبحانه من إله، أوجد الوجود منه به إليه، ويعدمه منه به إليه، وأعز منه به إليه، وأذل منه به إليه، وأعز منه به إليه وأذل منه به إليه، وعلم منه به إليه، وجهل منه به إليه، وأعطى منه به إليه، ومنع منه به إليه، ونصر منه به إليه، وخذل منه به إليه، ورفع منه به إليه، ووضع منه به إليه، وأغنى منه به إليه، وأفقر منه به إليه، وملك منه به إليه، واستمسك منه به إليه. هكذا ينبغي أن تكون القدرة البالغة. سبحان القادر على ما يشاء بما يشاء كيف يشاء. لا إله إلا هو، سبحانه وتعالى علوًا كبيرًا).

القدرة والحكمة

قال: (اعلم أن كل من لم يأت لباب مولاه حكمة اختياراً لا بد أن يأتي لبابه قدرة قهرًا، من لم يجب داعي الإحسان، حتمًا يجيب داعي السلطان. الحكمة حكمته تعالى، نسبها الحق لخلقه هبة وفضلًا منه عليهم، وإن كان هو الفاعل بها منه به إليه، كذلك القدرة قدرته تعالى نسبها الحق لنفسه عدلًا منه به إليه. كأن الحكمة شريعة، والقدرة حقيقة، والحكمة والقدرة كلهم أوصاف الحق)، وقال: (اعلم أن الإنسان جعله الله تعالى بين حكمة وقدرة. الحكمة تقلبه تقلب الخبز في اليد، والقدرة تقلبه أيضًا كذلك، وهو برزخ بينهما. يخرج من القدرة يحصل في يد الحكمة، ويخرج من الحكمة يحصل في يد القدرة، لا زائد. القدرة بخيرياتها وشرياتها، والحكمة أيضًا بخيرياتها وشرياتها. منزلة القدرة والحكمة في الإنسان كرجل له امرأتان، كل واحدة منها تأخذ منه حقها مثل ضرتها)، وقال: (اعلم أن القدرة جمع، والحكمة فرق، والحكمة تصرفها كتصرف القدرة، عند أهل التصرف إذا كانت الحكمة سالمة من



التخليط. وكذلك القدرة تصرفها كتصرف الحكمة إذا كانت القدرة سالمة من التخليط أيضًا. وتخليط الحكمة هو تخلف صاحبها بأوصاف القدرة في الوقت، كما أن تخليط القدرة هو تخلق صاحبها بأوصاف الحكمة في الوقت. والحكمة والقدرة صفتان من أوصاف الحق، وهبهما سبحانه لعبده الإنسان، فضلًا منه عليه، فهما يتواردان على الإنسان، وهو لا ينول من الحكمة والقدرة. وقت القدرة قدرة، ووقت الحكمة عجز. وقت القدرة غناء، ووقت الحكمة فق{، ووقت القدرة عز، ووقت الحكمة ذل، ووقت القدرة قوة، ووقت الحكمة ضعف، ووقت القدرة رجاء، ووقت الحكمة خوف، ووقت القدرة بسط، ووقت الحكمة قبض، ووقت القدرة جمال، ووقت الحكمة جلال، ووقت القدرة عطاء، ووقت الحكمة منع، ووقت القدرة قرب، ووقت الحكمة بعد.

إذا كنـــــا بـــــــه تهنـــــا دلالا * علـــى ســـائر الحرائـــر والعبيـــد

يعطــل وإن نحـــن بنـــا عـــدنا إليـــه * يعطـــــل ذلنــــا ذل اليهــــود)

وقال: (اعلم أن الحقائق قدرة والشرائع حكمة، والخواص غلب عليهم شهود القدرة، والعوام غلب عليهم شهود الحكمة. الخصوص مالوا للقدرة لأنها منسوبة إلى الله، صاروا بالله، والعوام مالوا للحكمة لأنها منسوبة لنفوسهم، صاروا بنفوسهم. القدرة والحكمة كلاهما أوصاف الحق جل ثناؤه. وشتان بين من كان بالله، ومن كان بنفسه. ماذا وجد من فقدك، وما الذي فقد من وجدك. صاحب القدرة ملك، وصاحب الحكمة مملوك. صاحب القدرة معشوق، وصاحب الحكمة عاشق. صاحب القدرة، وإن كانت قدرته لا تقوم إلا بالحكمة، ولكن حكمته لطيفة كأنها لم تكن. وصاحب الحكمة وإن كانت لا تقوم إلا بالقدرة، ولكن قدرته لطيفة كأنها لم تكن. صار الحكم للغالب، من غلبت عليه القدرة فهو مَلك، ومن غلبت عليه الحكمة فهو مملوك. من جملة لطافة صاحب القدرة هي قوله للشيء كن فكان، كن حكمة، وكان قدرة. ومن ذا الذي يعرف بأن حكمة صاحب القدرة في كن لا يفهمها إلا صاحب فنه، أهل مكة أعرف بشعابها، وقدرة صاحب الحكمة هي في إيجاده لما طلب بعد التعب والمشقة. حكمة صاحب القدرة هي تعبه فيها، كما أن قدرة صاحب الحكمة هي راحته فيها. صاحب الحكمة متعوب أبدًا، وراحته ضعيفة كأنها لم تكن، وصاحب القدرة مستراح أبدًا، وتعبه ضعيف كأن لم يكن. صاحب القدرة ملك، وأي تعب عند الملك، وإن كان فهو ضعيف. وصاحب الحكمة مملوك، وأي راحة عند المملوك، وإن كانت فهي ضعيفة، والحكمة بمعنى التدبير والترتيب والاختيار، والقدرة بمعنى التوجه للغيب والانقطاع إلى الله بعدم التدبير والاختيار).



القرب والبعد

قال: (اعلم أن الإنسان لا بد له من البعد والقرب. إذا كان البعد في الظاهر، يكون القرب في الباطن. وإذا كان القرب في الظاهر، يكون البعد في الباطن، وهكذا)، وقال: (اعلم أنه من جملة حكم الحقيقة، البعد والقرب، لا يخلو منها بشر. من كان بعيدًا من جهة الحس يكون قريبًا من جهة المعنى، ومن كان بعيدًا من جهة المعنى يكون قريبًا من جهة الحس، وهكذا. والعارف بالله هو الذي ملك زمام نفسه بيده، يعني زمام البعد والقرب بيده، يقف حيث شاء: إذا أراد أن يقرب في المعاني يبعد في الحس، وإذا أراد أن يقرب في الحس يبعد في المعاني. فمن كانت فيه هذه الأوصاف فهو من ملوك النفوس، يعني ممن تفرد الخصوصية، لأنه مالك نفسه،]تصرف فيها بهذا التصرف بمشيئته. ما حصلت له هذه المزية مع نفسه حتى حصلت له مع الوجود كله يتصرف فيه بما أراد ويقلبه كما يشاء بما يشاء. سبحان من علم الإنسان ما لم يعلم مع جهله. سبحان من تفضل على عبده بقدرته، مع ضعف العبد وعجزه. سبحان من لا يتوقف فضله على شيء. سبحان من يعطي بلا شيء، ويمنع بلا شيء، لا إله إلا هو الكبير المتعال)، وقال: (سمعت من رجل من أهل الله تعالى، أعرفه كما أعرف نفسي، قال: خضت بحرين من العلم: بحر الظاهر وبحر الباطن، بحر الظاهر علمه وعمله، وبحر الباطن علمه وعمله، فاستخرجت منهما خطتين لم أجد لهما نظيرًا. الأولى إني وجدت أقرب الخلق إلى الله وهو أبعد الخلق من الله في قربه. والثانية وجدت أبعد الخلق من الله هو أقرب الخلق إلى الله في بعده، فافهم إن كنت ذا فهم).

القلب

قال: (اعلم ومن خط الشيخ رضي الله عنه ونفعنا به قال: قيل لي: اتبع أعلام السلطان، ولا تنظر إلا فيه وفي مولاه، وأين ما مال مِل، وأين ما توجه توَجَّه، ولا عليك فيما قيل. وقال: على أي جهة كان. وإن شئت قلت: ألا وهو القلب فهو منزل الرب، وما يليه أي من مملكته أي الجوارح. رحم الله الششتري حيث يقول في بعض كلامه:

انـــــا معــــــي بـــــدر الكمـــــال * حيـــث يميـــل قلبـــي يميـــل)

وقال: (اعلم أنه حرام على الرجال، أن يصلوا مواصلة الرجال، إلا بصحبة الرجال. وقيل: ما أفلح من أفلح إلا بصحبة من أفلح. وقيل: إنما سلكت هذه الطريق بأقوام كنست بأرواحهم المزابل. قال جل من قائل: ﴿ **ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً**﴾ [الأعراف: 55]. وعلى هذا صار خفاء الذكر هو رأس الخير كله وهو أعظم العبادات،

ولكن لا تحصل ثمرة هذه المزية العظمى إلا لأرباب القلوب الذين خفي ذكرهم في قلوبهم عن كل ما سوى المحبوب، حتى عن حفظتهم، لا مطلع على قلوبهم سواه، منه إليهم، ومنهم إليه، كما قال القائل:

قلـــوب العـــارفين لهـــا عيـــون * تـــرى مـــا لا يـــرى للنـــاظرين

والســـــنة باســـــرار تنـــــاجي * تغيـــب عـــن الكـــرام الكـــاتبين

واجنحـــة تطيـــر بغيـــر ريـــش * إلـــى ملكـــوت رب العـــالمين

وكما قال > : « **ذرة من أعمال القلوب أفضل من أمثال الجبال من أعمال الجوارح** » أو كما قال، وقال > : « **تفكر ساعة أفضل من عبادة سنة** » الحديث، وسيئاته أعظم من سيئات الجوارح كلها)، وقال: (اعلم أن الربوبية كلها عز كما أن العبودية كلها ذل، ومراد الربوبية العبودية، ومراد العبودية الربوبية، كما أن مراد العز الذل، ومراد الذل العز. والإنسان هو أوسطهم كأنه برزخ بين بحرين بحر الذل وبحر العز، لأجل ذلك صار الإنسان هو ذرة الوجود. والإنسان من الوجود بمنزلة القلب من الإنسان: إذا صلح الإنسان صلح الوجود، وإذا فسد الإنسان فسد الوجود، كما أنه إذا صلح القلب صلح الإنسان)، وقال: (اعلم أنك إذا أردت جمال الوجود فعليك بجمال باطنك، وجمال باطنك لا تجده إلا بجلال ظاهرك. وإذا أردت جلال الوجود عليك بجلال باطنك، وجلال باطنك لا تجده إلا بجمال ظاهرك. وذلك أن حكمة الله تعالى في خلقه أن كل من فعل شيئًا بالحكمة فإن قدرة الله توجد له شيئًا ضده يقابله على كل حال. والعوالم كلها واقفة تنظر ما يظهر من قلب ابن آدم، ما تفعله القلوب تفعله العوالم كلها، والعوالم عوالم أشباح الخلق وعوالم الوجود، قال تعالى: ﴿ **إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا** ﴾ [الأنفال: 70]. القلب بيت الرب، منه تبرز تصرفات العوالم كلها خيرياتها وشرياتها. إذا ظهر في قلبك وصف الجلال، فإن ظاهر الوجود يقابلك جلالًا، وظاهرك يقابلك جمالًا، وباطن الوجود يقابلك جمالًا. وإذا ظهر في قلبك وصف الجمال، فإن ظاهر الوجود يقابلك جمالًا، وباطن الوجود يقابلك جمالًا. وإذا ظهر في قلبك وصف الجمال، فإن ظاهر الوجود يقابلك جلالًا. وذلك لأن الاختلاف لا بد منه، ولكن ترتيب الاختلاف بقدرة الله تعالى تابع للقلب، قال تعالى: ﴿ **وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ** ﴾ [هود: 118]، والمراد بالقلب قلب ابن آدم. صار كما أن قلبك في باطنك مقابله هو ظاهر الوجود، قلبك جمع، وظاهر الوجود فرقه. كذلك صار ظاهرك مقابله هو باطن الوجود، باطن الوجود جمع، وظاهرك فرقه. لكن جمعك وفرق الوجود. وجمع الوجود وفرقك: حكم الجميع موقوف على واحد منهم وهو جمعك يعني قلبك لقوله > في الحديث القدسي: « **لن تسعني أرضي ولا سمائي ووسني قلب عبدي المؤمن** ». من أجل ذلك،

كان مدار الوجود كله علي قلب ابن آدم لما احتوى عليه هذا القلب الشريف من أنوار الحق وأسراره، من أجل ذلك صار هو عنصر التصرفات كلها)، وقال: (اعلم أن قلب الإنسان قرية الملك، وهي أي القرية مهيأة لاثنين من الملوك أبدًا يتزاحمان عليها: واحد اسمه الظاهر، والآخر اسمه الباطن، وهما ضدان لا يجتمعان في القلب أبدًا، ومهما اجتمع أخرج واحد منهما الآخر على كل حال، والذي يغلب في الوقت يسكن القرية. العوام ساكن قرية قلوبهم الظاهر، والخاصة ساكن قرية قلوبهم الباطن، وفراغ القلب من كل واحد منهما محال، إما عامر بالظاهر أو بالباطن. والظاهر له جنود وخدام، والباطن له جنود وخدام، ومن خلي من القرية من الخارج وجنود عمر بالداخل وجنود، والخلاء كما قلنا محال، فلذلك تجد المريدين للخصوصية عند ارتحالهم من مقام العامة إلى مقام الخاصة يكثر صياحهم ويظهر عليهم أثر الحمق حتى نعرف ذلك فيهم الخاص والعام، وذلك يقع بهم لما اقترنت الملوك والجنود في قرية قلوبهم، ملك الظاهر وجنوده وهو القاطن، وملك الباطن وجنوده الذي هجم عليه، فعند اقتتالهما على القرية وهي القلب يظهر عليه أثر ذلك على كل حال، ولا يستريح المريد ويظهر عليه أثر السكون حتى تضع الحرب أوزارها ويكون الحكم لواحد: إما للذي هجم وهو الباطن فيخرج الظاهر من القرية ويصير صاحب الجثة من الخاصة، أو القاطن وهو الظاهر يخرج الهاجم عليه وهو الباطن فيرجع صاحب الجثة إلى منزلته الأولى وهي منزلة العامة فيحصل السكون حينئذ لصاحب الجثة لغلبة أحدهما الآخر، وما دام لم يظهر الغلب لواحد فصاحب الجثة في أمر عظيم، ولهذا المعنى قال بعضهم: طرقتنا هذه أولها جنون ووسطها فنون وآخرها سكون. صار السكون لا يكون إلا بالعمومية بالظاهر وحد، أو بالخصوصية بالباطن وحده، وأما عند افتراقهما فلا يكون صاحب الجثة إلا مثل المرأة عند وضع حملها، يراقب أحد أمرين: إما الموت بالرجوع إلى الغفلة والفرقة، وإما الحياة باليقظة وأنوار المشاهدة)، وقال: (اعلم يا أخي أن هذا الآدمي أوجده الله تبارك وتعالى من الأضداد، ظاهرًا وباطنًا، حسًا ومعنى، أقوالًا وأفعالًا، وأحوالًا، كل ذلك من الأضداد، ومن جملة ذلك خلق الله تبارك وتعالى في باطنه عالمان: عالم جلالي وعالم جمالي، وجعل بينهما قرية وهي القلب. أما عالم الجلال جعله الله ظلمة وجعل في تلك الظلمة ملكًا بجنوده وأعوانه، كل ذلك من الظلمة، القرية من الظلمة، والملك من الظلمة، والجنود والأعوان من الظلمة. وعالم الجمال جعله الله نورًا، وجعل فيه ملكًا من النور، وجنوده وأعوانه من النور، وجعل بين ذلك الملكين العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة، وهم يتحاربون على تلك القرية تارة تكون لهذا وتارة تكون لهذا. إذا غلب ملك الجلال دخل القرية هو وجنوده فتمتلئ القرية من الظلام، وجعل الظلام يتصرف

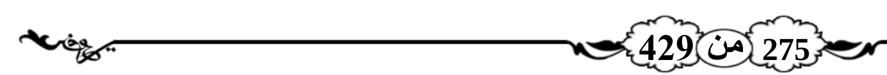
فيها في ظاهرها وباطنها، فلا يظهر في الإنسان في تلك الساعة غلا ما يوافق ذلك من الخيانة والكذب والفسق والرياء والتصنع والحسد وحب الرياسة والكبر وحب الرياسة والكبر وحب الجاه وحب الدنيا والازراء بأهل الله والبرور بأهل الباطل، إلى ما ليس له حصر، فيكون عند ذلك المغلوب تحت يد الغالب مسجونًا مقهورًا، لا يظهر له أثر كأنه لم يكن. وإذا غلب ملك الجمال، دخل القرية وأخرج من كان فيها أذلة وهم صاغرون، واستقر بها هو وجنوده، فتمتلئ القرية من النور، وجعل النور يتصرف في ظاهرها وباطنها، فلا يظهر في الإنسان في تلك الساعة إلا ما يوافق ذلك من الوفاء والتواضع والصدق والجود والكرام والحياء والحنانة على عباد الله والتماس الأعذار منهم والزهد في الفاني وفي أهله والرغبة في الباقي والبرور. بأهل الله والتحلي بهم ومجانبة أهل الفسق والباطل، إلى ما ليس له حصر، فيكون عند ذلك الآخر مغلوبًا مسجونًا مقهورًا، لا يظهر له أثر كأنه لم يكن. وشاهده قول النبي > : « **إن في ابن آدم مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله إلا وهي القلب** » أو كما قال).

الكاتبة

قال: (ومما قال لي الشيخ رضي الله عنه ونفعنا به: يا ولدي لا تؤثر على الجلوس مع الأحباب شيئًا إلا الكتابة في الأوراق، لأنها إذا فاتت لا تجبر)، وقال: (سمعت الشيخ نفعنا الله به يقول: الحكمة ترد على صاحبها من حضرة العز، فأول ما ترد عليه تظهر له مثل الجبل وهو مثل الصياد، إذا ضربها فذاك، وإن لم يضربها واستهزأ بها ضعفت حتى تصير مثل الثور، حتى تصير مثل الشاة، ثم تصير مثل الأرنب، ثم تصير مثل القط، ثم تصير مثل الحمام، ثم تصير مثل البراطيل، ثم تصير مثل الخيط. ما دام يستهزئ في ضربها، وهي تضعف، حتى يطلبها فلا يجد لها خبرًا. فاز باللذة الجسور)، وقال: (اعلم ومما روى لنا الشيخ سيدي العربي ـ نفعنا الله به ـ عن أبيه، أن سيدي محمد بن سعيد كان } يتكلم والكتاب جالسون يكتبون كل ما سمعوا منه كل ما سمعوا منه من العلوم اللدنية والمواهب القلبية، وإذا تم كلامه وسكت يسألونه عن بعض ما تكلم به ليثبتوا إذا نسوا شيئًا من كلامه، فيقول لهم الشيخ: لا أدري ما فات تكلموا معي ما إذا شئتم في شيء آخر، وأما ما فات لا نرجع إليه أبدًا. نفعنا الله بالجميع).

الكرامات

قال: (اعلم أن السائر في بلاد الباطن لا تظهر عليه إلا الكرامات المعنوية، كما



أن السائر في بلاد الظاهر لا تظهر عليه إلا الكرامات الظاهرية أي الحسية. وإن ظهرت على صاحب الباطن الكرامات الحسية تكون له قسمة من الكرامات الحسية وتسعة أقسام من الكرامات المعنوية، وكذلك إن ظهرت على صاحب الظاهر الكرامات المعنوية تكون له قسمة من الكرامات المعنوية وتسعة أقسام من الكرامات الحسية. وصاحب الظاهر لا ينتهي حتى يستشرق على بلاد الباطن، كما أن صاحب الباطن لا ينتهي حتى يستشرق على بلاد الظاهر، وهكذا وبالله التوفيق).
وقال: بسم الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله. اعلم أننا قوم لا نطلب شيئًا سوى الله، لأن طالب النعمة محجوب بها عن المنعم، وطالب الكرامة محجوب بها عن الكريم، لأن هؤلاء المطالب كلها من حظوظ النفس، وطلب حظوظ النفس عندنا حرام في مذهب أهل الطريقة، كما قال بعضهم. كن طالب الاستقامة ولا تكن طالب الكرامة، لأن طلب الاستقامة يجر إلى الكمال، وطلب الكرامة يجر إلى الظلال. طلب الكرامة فيه اشتغالك عن الله بحظ نفسك، وهو سوء الأدب بنفسه، وهذه الطريقة حقيقتها هو الأدب مع الله، وسوء الأدب ليس من شيم أهل الحضرة. كما أن الحضرة العالية مطهرة منزهة عن النقائص، كذلك أهلها مطهرون ظاهرًا وباطنًا من الأوصاف الذميمة، قال تعالى: ﴿ **لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ** ﴾ [الواقعة: 79]. ليس لهم إرادة سوى ما أراد الله تبارك وتعالى، لا يريدون إلا ما أراد محبوبهم ولو ألقاهم في عذاب الجحيم لكان أحب إليهم من كل شيء. والكرامة أيضًا فيها الظهور للخلق برؤية المزية دونهم وانحياش الخلق إليه، وهو رأس البلايا والفتن. نفور الخلق جمع فيه الخير بأجمعه، كما قال ابن عطاء الله: إقبالك على الخلق إدبارك عن الحق. وصاحب هذه الطريقة لا يبالي بإقبال الخلق ولا بإدبارهم، كله عنده سواء، ولا يلتفت لظهور ولا لخفاء كما قال بعضهم: « من كان عبد الظهور فهو عبد الظهور، ومن كان عبد الخفاء فهو عبد الخفاء، وعبد الله سواء أظهره أو أخفه »)، وقال: (ومما قال لي الشيخ ـ نفعنا الله به ـ قال: كان سيدي أحمد أبوه رحمه الله إذا ظهرت على يديه بعض كرامات ويتكلم معه أصحابه في شأنها يقول: إنما ذلك حمقًا يعتريني، الله يشفيني منه)، وقال: (اعلم سمعت الشيخ سيدي العربي بن أحمد بن عبد الله ـ نفعنا الله بهما ـ، يروي أنه سمع سيدي أحمد يتكلم اليماني ـ نفعنا الله به ـ يتكلم مع والده سيدي أحمد المذكور، فقال له: إني لأصبر لإذاية من يؤذيني حتى تسيل دمعتي، فإذا سالت دمعتي من إذاية أحد أهلكه الله في الحين من غير عطلة، هذه عادتي مع الله تعالى، فقال له سيدي أحمد يا سيدي أنا جعلني الله بعكس ذلك، إني لأصبر على إذاية من يؤذيني حتى إذا ضحكت من إذايته أهلكه الله في الحين من غير عطلة، هذه عادتي مع الله تعالى، ـ نفعنا الله بهم ـ أجمعين)، وقال: (اعلم سمعت منه } يتكلم في وسط

الفقراء، قال: بعض الصالحين أصبح يومًا ونادى أصحابه وقال لهم: يسروا كذا وكذا من اللحم والطعام، أكثر مما تعودوا منه، وهم لا يدرون لماذا قال لهم ذلك، ففعلوا. ففي آخر النهار، قدم رجل من أولياء الوقت قد ورد زائرًا هو وجماعة من أصحابه، فقالوا له أي أصحاب الشيخ: والله يا سيدي سيدنا أخبرنا بقدومك في أول النهار لما قال لنا: يسروا طعامًا، علمنا أن الله تعالى أعلمه بقدومك. فقال لهم: يا إخواننا نحن مثل الفريسة فاحت رائحتنا لما قربنا منكم. هذه من جملة تواضعه }).

كرم الله تعالى

قال: (اعلم أنه من كمال أوصاف الكرام ومن شيمهم أنهم يتكرمون بالكرم العظيم، وينسبونه لغيرهم، وهذا كرم فوق الكرم، وهذا لا يفعله إلا من استحلى كرمه فوق كرم جميع الكرام، والكرم من أوصاف الكريم، والكريم: اسم من أسماء الله تبارك وتعالى، به سمى نفسه وبه وصفها، ووصف العبد ضد هذا الوصف وهو البخل، ولكن إذا أراد أن يظهر كرمه تكرم على عباده وغطى وصفهم بالبخيل بوصفه الكريم، ونسب الفعل إليهم وشكرهم به وجازاهم عليه، فصاروا كرامًا به لا بأنفسهم، وهذا من نهاية الكرم)، وقال: (اعلم أن الله تعالى كريم، لا يعادل كرمه شيء، ومن ذلك أن ﴿ **الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ** (7) **فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ** ﴾ [الانفطار: 7 - 8]. ثم بعدما أوجدك فضلًا منه ورحمة قال لك: يا عبدي قد وهبت لك وجودك فضلًا مني ورحمة فهو لك، والآن أشتريه منك. قلت له: وما ذاك يا رب. قال: أشتري منك صفاتك بصفاتي وأبيع لك صفاتي بصفاتك، وأشتري منك ذاتك بذاتي وأبيع لك ذاتي بذاتك، وأشتري منك نفسك بنفسي وأبيع لك نفسي بنفسك. فكان الأمر كذلك، ومن رضي فله الرضى، ومن سخط فله السخط)، وقال: (اعلم أن من جملة كرم المولى جل ثناؤه، أن الإنسان ما دام عبد نفسه أو جنسه وهو عبد مملوك، ومهما انتقل من عبودية الخلق إلى عبوديته تعالى يقول الله تبارك وتعالى: « أنا غني عن عبوديتك، لكن لما رضيت أن تكون لي عبدًا مملوكًا، فأنت مالك لمملكتي أبحتها لك تتصرف فيها بتصرفي، فكيف تجود عليَّ بنفسك وأتركك عبدًا حاشاي من ذلك أنا أكرم وأكرم من ذلك، إذني فأنت مالك لملكي بأسره، لا يكون فيه إلا ما تريد ملكًا باقيًا دائمًا لا يفنى ولا يزول أبدًا ».

قال بعضهم:

دَعـــوني لِمِلكهـــم فلمـــا اجبـــتهُم * قـــالوا دَعَونـــاك للِمُلـــك لا لِلملـــك

وقال: (اعلم أن البدايات في الأمور كلها هي الشرائع، كما أن النهايات في الأمور كلها هي الحقائق. هكذا جرت عادة الله في جل الأمور وأكثرها، والله يفعل ما



يريد. وحقائق النهايات تعظم على قدر عظم شرائع البدايات، وتضعف على قدر ضعفها. ومن كرم الحق تعالى أنه خلق عبده الإنسان عاجزًا، لا يقدر على جلب خير لنفسه، ولا على دفع مضرة، فضلًا عن غيره، ثم بعد ذلك تفضل عليه سبحانه بأن جعل مفاتح الأمور كلها بيده: تصرفات الوجود بأجمعها به تفتح، وعليه تدور. منه تبرز شريعة، وإليه تعود حقيقة. جميع بني آدم من شرع شيئًا تحقق له، خيرًا كان أو شرًا، ولا يظلم ربك أحدًا. أنت تشرع وهو يحقق لك تعالى، قلت أم كثرت، في أكبر شيء أو في أصغر شيء، في أعلى شيء أو في أدنى شيء، في أشرف شيء أو في أوضع شيء، حتى كأنك لو شرعت في طلب النظر في وجهه تعالى لحققه لك، أو شرعت في طلب درهم أو أدنى منه لحققه لك، ولا يعظم عليه شيء، يعني ممن استعان به أو استنصر به أو توكل عليه سبحانه. قال تعالى: ﴿ **وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا** ﴾ [إبراهيم: 34]. « **إن الله يرزق العبد على قدر همته** » الحديث)، وقال: (اعلم أن أهل الظواهر وأهل البواطن كلهم من أهل شرائع طالبين للحقائق يعني من المتوجهين لطلب الحق، إلا أن أهل الظواهر شرائعهم جلالية لنفوسهم جمالية للخلق، وأهل البواطن بالعكس شرائعهم جمالية لنفوسهم جلالية للخلق، وعادة الله جرت في خلقه أن الحقائق تبرز على وفق الشرائع، كما قال القائل:

ثمار ما قدر غرست تجني * وهذه عادة الزمان

كأن الشرائع أصول، وكأن الحقائق فروع وأثمار. هذا من كرمه تعالى الذي تفضل به على عبده الآدمي وخصه بهذه المزية العظمى من دون وما حوى الوجود لا تبرز إلا على وفق إرادة الآدمي خيرياتها وشرياتها وإن كانت إرادة الخلق في الحقيقة لا تبرز إلا على وفق إرادة الله بلا شك ولكن الظواهر اقتضت الحق جل ثناؤه لم تبق للعبد حجة عليه حيث أعطاه العقل وحكم جل ثناؤه على نفسه بقوله تعالى: ﴿ **وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا** ﴾ [إبراهيم: 34]، وقال تعالى: ﴿ **سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ** ﴾ [الأنعام: 139].

الكلف وعدم الكلف

قال: (اعلم أن المنتسبين على الله فرقتان: فرقة يقال لهم أهل الكلف وفرقة يقال لهم أهل عدم الكلف. وكل من خرق من فرقة أهل الكلف لا يجد نفسه إلا مع فرقة أهل عدم الكلف، وكذلك من خرج من فرقة عدم الكلف لا يد نفسه إلا من أهل الكلف. والخروج من الكلف بعدم الكلف عند أهل الكلف هو الكلف، ولا سبيل للخروج من الكلف بعدم الكلف إلا بصحبة أهل عدم الكلف، كما أنه لا سبيل

للدخول إلى الكلف إلا بصحبة أهل الكلف، وعدم الكلف هو السرور والراحة، كما أن الكلف هو الشقاء والتعب)، وقال: (اعلم أن الكلف صفة من أوصاف الفرق، وعدم الكلف صفة من أوصاف الجمع، والفرق عبودية وهو حق، والجمع ربوبية وهو حق أيضًا. صار الحق هو القائل، وهو المستمع لما قال. لأجل هذا المعنى تجد هؤلاء المتوجهين إلى الله تعالى من غَلَب عليه شهود الجمع تجده في غاية البسط والراحة من الكلف، ومن غلب عليه شهود الفرق تجده في غاية القبض والتعب والكلف. يرحم الله القائل:

الــــرب حــــق والعبــــد حــــق * يــا ليــت شــعري مــن المكلــف

إن قيــــل عبــــدٌ فالعبــــد ميــــتٌ * او قيــــل رب انــــى يكلــــف)

وقد أجابه سيدي عبد الرحمن الفاسي، نفعنا الله بالجميع، بقوله:

نعــــم بحــــق إثبــــات عبــــد * بنعــــت فــــرق معــــه يكلــــف

والعبــــد ميــــت بغيــــر رب * لســــر عــــون منــــه يكلــــف

الكمال

قال: (اعلم أن الخير له فعل حسي ظاهري وفعل معنوي باطني، والشر كذلك له فعل حسي ظاهري وفعل معنوي باطني. الخير فعله الحسي يثبت فعله المعنوي، والشر فعله الحسي يثبت فعله المعنوي. والكمال هو ظهور الفعلين في الحس لأن ظهورهما في الحس يستلزم ثبوت الفعلين المعنويين، وثبوتهما في الحس والمعنى لا يجتمعان إلا فيمن كملت فيه الحقيقة، وقليل ما هم، لأن صاحب هذا المقام استوت فيها الخيريات والشريات. صار حاصلاً على فضل الخيريات وفضل الشريات، وذلك لأنه ليس مع خيريات ولا شريات وإنما هو مع مولاه في الخيريات والشريات)، وقال: (اعلم أن المتوجه الصادق إذا كان في الحقائق العلويات يشتاق إلى الحقائق السفليات كما يشتاق آكل الطعام إلى شرب الماء، وإذا كان في الحقائق السفليات يحتاج إلى الحقائق العلويات كما يشتاق شاري الماء إلى أكل الطعام. والكامل لا غناء له عن السفليات، ولا غناء له عن العلويات، كما لا غناء له عن الأكل والشرب. الأكل والشرب قوت الأشباح، والحقائق العلويات والسفليات قوت الأرواح، ولا يفهم هذا إلا أهل العقول الراجحة)، وقال: (حكمة وهي قياس صحيح: اعلم أن كل من تراه استقر في حالة ولم يتخلق بضدها فهو محجوب عن مولاه فيها، وعلامات الكمال هو التطور بالمقامات والأحوال. ومن كانت همته بالله أو في الله حتمًا لا يستقر في حالة واحدة وإنما يكون وصفه وصف مولاه، ومن أوصاف مولاه « كل يوم هو في شأن ».

طيب الماء من طيب الرمال، وطيب العبد من طيب الموالي)، وقال: (اعلم أن الإنسان إذا صفي نظره وكمل فإنه يصير حقًا، وإذا صار حقًا ﴿ **فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ** ﴾ [يونس: 32], ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** (1) **اللَّهُ الصَّمَدُ** (2) **لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ** (3) **وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ** ﴾ [الإخلاص: 1 - 2 - 3 - 4]. كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان)، وقال: (اعلم أن سادتنا { لا يشهدون إلا الخير في الأشياء وفي أضدادها، لأن المولى كريم جواد كامل، والكامل لا يخرج من عنده إلا الكمال، ولا يوصف إلا به، كذلك ساداتنا وصفهم الله تعالى بأوصافهم {، لا يشهدون منه إلا الكمال. إلا أن الأدب من جهة الخلق لا بد لهم منه: يتخلقوا في ظواهرهم بأخلاق الخلق وفي بواطنهم بأخلاق الخالق. رزقنا الله محبتهم ونفعنا بهم آمين. وهذا من حلمهم ورأفتهم أنهم يعلموننا بأحكام الحقائق، وأن الشرائع ببيان والحقائق هي المقصود، كما قال سيدنا عبد القادر الجيلاني - نفعنا الله به -: « إنما وضع هذا الشرع لتلك الشرائع ». ومع هذا يحنون علينا ويرأفون بنا ولا يأمرونا، وإذا رأونا اتبعنا ما سمعنا منهم يسيرون معنا سير الأب مع ولده، كل ما فسدنا يرطبوه لنا ويرجوننا خيره، وذلك لئلا ينسب عليهم مع الخلق النقص، كما أنهم لم ينتسب عليهم مع الخالق إلا الكمال، كذلك مع الخلق. والصحيح والله ما يظفر به إلا بالصحيح، من أحب هذا يصبر على هذا والسلام. وبعد ما تدخل في هذه الحقائق بالله أو لله أو على الله احذر من خصمي النفس وخصمي الجنس، فإن نجاك الله منهما اعلم أن مولاك اختارك من خلقه واصطفاك لنفسك وجعلك من حضرة قدسه. يا سعدك يا بشراك أبشر بما ترتجي من خير مولاك، وما ذلك على الله بعزيز. غير أن هذا المنتسب إلى الله يطلبه أعداء يردونه، لا ينجو منهم إلا القليل، ولا ينجو إلا من نجاه الله تعالى، وقليل ما هم، وبالله التوفيق).

الكمال والنقص

قال: (اعلم أن المريد لا شرف له مثل النقص لأن النقص وصف العبيد، والعبد لا شرف له إلا التخلق بأوصافه، ولا طرد له ولا إهانة له مثل الكمال، لأن الكمال وصف الموالي. صار كما يتشرف العبد بأوصافه، يهان ويبخس ويطرد إذا اتصف بأوصاف مواليه. شاهده من كلام العامة قولهم: » العبد إذا جاك وابياض من قلة حسبه »، لأنه كما لا يليق بأوصاف الموالي إلا الكمال، كذلك لا يليق بأوصاف العبيد إلا النقص)، وقال: (اعلم أن الحقائق الجلالية تثبت الباطن، كما أن الحقائق الجمالية تثبت الظاهر. الحقائق الجلالية كلها تجريد وجذب، والحقائق الجمالية كلها سلوك. الحقائق الجلالية ظاهرها جلال وباطنها جمال، كما أن الحقائق الجمالية ظاهرها جمال

وباطنها جلال. ولا يحصل الكمال لطالب الكمال حتى يكمل فيه النقص كما يكمل فيه الكمال. وكمال النقص وكمال الكمال هو اقتران الجمال بالجلال والجلال بالجمال. وهذا المعنى حاطة لكل بشر، ولكن شتان بين من يسلكها عالمًا عاملًا وبين من يسلكها جاهلًا غافلًا. ولا يحصل لكل الربح الكامل إلا بعد الخسران الكامل، وعلى قدر النقصان تكون الزيادة)، وقال: (انظر يا أخي وتأمل إن كنت ذا عقل، تجد كل ما يرد من حضرة الحق، من حسيات ومعان في غاية الكمال، من البيضاء إلى حبة الخردل إلى الوجود. وانظر فيما يرد من حضرة الخلق أيضًا من حسيات ومعان، أكبر شيء وأصغر شيء، لا تجده إلا ناقصًا، إلا ما يكون من الخلق بالله لا بنفسه، فهذا كل ما يبرز منه، من الحق برز لا منه، وقليل ما هم، وإلا فالخلق كلهم بالله، لكن التحقيق: أن ما ظن بالله فهو بالله، وما ظن به لله فهو لله، وما ظن به بغير الله أو لغير الله فهو بغير الله أو لغير الله، مع أن الغير لا غير، ولكن وهم توهم الغير، والوهم باطل، ألا كل شيء ما خلا الله باطل)، وقال: (اعلم أن الإنسان إذا كان بمولاه، وكان بخير أو بشر، فهو في غاية الكمال. وإن كان مع غير مولاه، وكان بخير أو بشر، فهو في غاية النقص)، وقال: (اعلم أن سيئة تفعلها بربك، أفضل من ألف حسنة تفعلها بنفسك)، وقال: (اعلم أنك إذا كنت ناقصًا من كل جهة وأنت مع مولاك فاعلم أنك كامل من كل جهة، وإذا كنت كاملًا من كل جهة وأنت مع غيره فاعلم أنك ناقص من كل جهة، لأن القص مع أهل الكمال كمال، والكمال مع أهل النقص نقص، كما قال بعض الملوك: والله لو علموا ما فينا من الحلم لتقربوا إلينا بالجرائم)، وقال: (وسمعت منه يقول: قال لي يا ولدي: الخير خير الله، يعني سر الخصوصية. وقال: هو مثل الواد، ترد منه مائة ألف، فمائة ألف، ولا ينقص شيء منه ولا يشعر بهم، وردوا منه أو لا. والذي رأى قصرًا أو نقصًا، فإنما القصر في نظره والنقص في عبارته، وسبب ذلك هو حب الدنيا وحب أهلها ومجالستهم، من ذلك قصر نظره ونقصت عبارته. والعبارة في النظر تقصر وتنقص على قدر ما في طوية القلب، وتعظم على قدر ما في طوية القلب إذا كان القلب مطويًا على حب المخلوق فإن العبارة لا تخرج إلا ناقصة، وإذا كان القلب مطويًا على حب الخالق فإن العبارة لا تخرج إلا كاملة)، وقال: (اعلم أن خطاب الإنسان في الظاهر مع الخلق لا يبرز منه إلا على قدر مقامه في الباطن. إذا خاطب الناس بالكمال ونظر في الناس بالكمال، اعلم أن باطنه مطوي على الكمال وهو الله تبارك وتعالى. وإذا خاطب الناس بالنقائص ونظر في الناس بالنقص اعلم أن باطنه مطوي على النقائص لا تبرز منه إلا النقائص، لأن الخطاب لا يبرز من الإنسان إلا على قدر مقامه، كما قال بعضهم: « ما فيك خرج على فيك »، ولا يظهر لك في الناس إلا ما أنت مطوي عليه خيرًا كان أو شرًا)، وقال: (اعلم

أنه ما يكون باطنك مطوي على كمال إلا ويقابلك الوجود كله كمال، ولا يكون باطنك مطوي على نقص إلا يقابلك الوجود كله نقص، ولا يكون ظاهرك كمال إلا يقابلك الوجود كله نقص، ولا يكون ظاهرك نقص إلا يقابلك الوجود كله كمال).

مجالسة العارفين

قال: (سمعت الشيخ ـ نفعنا الله به ـ يقول: من لا يجالسك ولا تجالسه، ما يصيب بنسب عليك، وما تصيب تنسب عليه، يعني بالدوام)، وقال: (ومما قال لي الشيخ ـ نفعنا الله به ـ قال لي: يا ولدي عليك بصحبة الناس الكبار والقرب إليهم. قلت له يا سيدي: من هم الناس الكبار؟ قال لي: رؤساء أهل الظاهر ورؤساء أهل الباطن)، وقال: (وسمعته يقول: معرفة الأجاويد فيها رأس مال)، وقال: (اعلم أن مجالسة الرجال العارفين بالله هي أصل كل خير، لأنك بالمجالسة يحصل لك العلم، وبالعلم تحصل لك المعرفة، وبالمعرفة يحصل لك التعظيم، وبالتعظيم يبطل الإنكار، وببطلان الإنكار يحصل لك الإقرار، وبالإقرار تحصل لك الألفة، وبالألفة يحصل لك أن تقول بأمر الله تعالى للشيء كن فيكون، وما ذلك على الله بعزيز)، وقال: (اعلم لا يقرب طالب الله إلى الله شيئًا مثل جلوسه مع عارف بالله إن وجده، وإن لم يجده عليه بذكر الله ليلًا ونهارًا، قائمًا وقاعدًا، مع العزلة من أبناء الدنيا، بعدم الجلوس معهم وعدم الكلام وعدم النظر لأنهم سم خارق. ولا يبعد طالب الله من الله شيئًا مثل جلوسه مع فقير جاهل. الفقير الجاهل أقبح من العامي الغافل بألف ضعف. الجلوس مع العارف بالله أفضل من العزلة، والعزلة أفضل من الجلوس مع العوام الغافلين، والجلوس مع العامي الغافل أفضل من الجلوس مع الفقير الجاهل. لا شيء في الوجود يسود قلب المريد مثل جلسة مع الفقير الجاهل. كما أن العارف بالله يجمع بين المريد ومولاه بنظرة أو بكلمة، كذلك الفقير الجاهل بالله ربما أتلف المريد عن مولاه بنظرة أو بكلمة فما فوقها. يرحم الله سيدي عبد الرحمن المجذوب حيث قال في بعض كلامه:

جلسة مع غير الخيار * ترذل ولو تكون صافي)

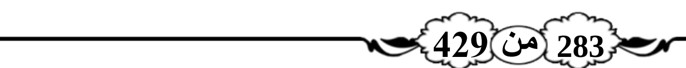
محبة الحبيب

قال: اعلم يا أخي أنه ما في الوجود حقًا وحقيقة إلا الله، قال تعالى: ﴿ **فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ إِنَّ اللهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [البقرة: 115]، ولله طرائق عدد أنفاس الخلائق، والباب الذي جمعت تلك الطرائق كلها هو حبيبنا ومولانا محمد > هو الباب الذي ختم الله بها على طرق الوصول إليه، وحرام على من لم يأت من باب الحبيب أن يصل إلى

الحبيب، وحرام على من لم يحب الحبيب أن يحبه الحبيب، وحرام على من لم يتعشق الحبيب أن يصل إلى الحبيب، وحرام على من لم يتمسك بالحبيب أن يناجيه الحبيب، وحرام على من لم يقتد بالحبيب أن يهتدي إلى الحبيب، وحرام على من أتى من غير باب الحبيب على قدر محبتهم في الحبيب، ويتفاوت الرجال في مقامات القرب من الحبيب على قدر محبتهم في الحبيب، ولا دواء للعاشق الكئيب أسرع من محبة الحبيب. والله ما في الوجود حبيب للحبيب إلا من ملئ قلبه بمحبة الحبي[، والله لا تكون حبيبًا للحبيب حتى يكون الحبيب أعز عليك من كل حبيب، والله لو خرقتك محبة الحبيب لكنت من الحبيب أقرب من كل قريب، والله لو شغفت بحب الحبيب لم تشهد ملأ الوجود سوى الحبيب، والله لو فنيت عما سوى الحبيب لكنت أنت المحب وأنت الحبيب، والله لو تركت الأعداء واشتغلت بالحبيب لصار أعدى الأعادي إليك حبيب، والله لو كنت حبيب الحبيب لاستوى عندك العدو والحبيب).

المريد والشيخ

قال: اعلم يا أخي: كل ما تمشي فيه على نظر غيرك تخطئ فيه القليل وتصيب فيه الكثير، وكل ما تمشي فيه على نظرك تصيب فيه القليل وتخطئ فيه الكثير)، وقال: (اعلم أن الشيخ هو باب الله للمريد، وهو عين الحجاب، وكذلك المريد هو باب الله للشيخ، وهو أيضًا عين الحجاب. إلا أن الشيخ: أهل السماوات السبع وأهل الأرضين السبع وأهل العرش وأهل القلم وأهل الكرسي كلهم أبواب للشيخ، يدخل من أي باب منها على الله، بخلاف المريد ما له إلا باب واحد إلى الله وهو باب شيخه، إن دخل منه فذاك، وإلا فهو مطرود مردود. وذلك لأن الشيخ قد فتح له طلسم كنز نفسه، ونفسه تعدل الوجود، وهي مقابلة للوجود، وحين ملك نفسه ملك بها الوجود، وحين ملك الوجود ملك به نفسه، ولا شك أن من أبيح له الدخول على الله من أبواب نفسه فقد أبيح له الدخول من كل أبواب الوجود، يدخل من أي باب شاء. ألا إن أبواب جنة الآخرة ثمانية، وأبواب جنة الشهود والعيان ليس له حد ولا حصر ولا نهاية قال تعالى: ﴿ **فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ إِنَّ اللهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [البقرة: 115]. وقولنا: الوجود يدخل عليه من أبواب النفس، والنفس يدخل عليها من أبواب الوجود. مثال ذلك: المريدون مع المشايخ، فالمريدون لا يدخلون على نفوسهم حتى يملكونها من أبواب الوجود وهم المشايخ، والمشايخ لا يدخلون على الوجود وأهله، يعني المريد وغيره، حتى يملكونه من أبواب نفوسهم. صارت أبواب النفس يدخل منها على الوجود، كما أن أبواب الوجود يدخل منها على النفس)، وقال: (اعلم ومما سمعت من الشيخ رحمه الله أنه قال: كان الشيخ سيدي يوسف الفاسي ـ نفعنا الله به = كان يأتي



إليه شاب يجلس معه في وسط أصحابه وكان إذا أتى إلى الشيخ ويسمع به والديه أنه جلس معه، يخاصمانه وينهيانه عن الجلوس معه، فكان يعلم الشيخ بذلك، فقال له الشيخ: أطع والديك في كل شيء، حتى يقولا لك لا تأتي إلينا، لا تطعهما في ذلك، إيت إلينا ولو بسخطهم)، وقال: (اعلم أن الإنسان كله لا يخلو، إما أن يكون مربيًا، أو يكون متربيًا، لا زائد. مهما تنتهي تربية غيره له، يشرع هو في تربية غيره. هاتان حالتان لا ثالثة لهما. ومن أراد الثالثة فهو البطلان والوقوف، والبطلان والوقف شيء علم يخلقه الله تعالى، ومن أراده فقد أراد مصارعة القدرة الأزلية الأبدية ولا شك أن من أراد مصارعة القدرة يصرع على كل حال)، وقال: (اعلم أن الفساد الاختياري يسوق الصلاح الوهبي، كما أن الصلاح الاختياري يسوق الفساد القهري وتربية المشايخ للمريدين كلها ترويم على اقتحام الفساد الاختياري، لأن الفساد الاختياري حتمًا يجر الصلاح الوهبي، وكلامنا هذا مخصوص بمريدي الخصوصية لا غيرهم. وكل من ريض المريد في بدايته على الصلاح الاختياري فقد عرضه للفساد القهري، ولا يعرض المريد للفساد القهري إلا الجاهل بمعرفة النفس ودسائسها، ولا شك أن الجاهل بالنفس هو الجاهل بالله، كما أن العارف بالنفس هو العارف بالله، والشيخ إذا كان جاهلًا بنفسه كيف يتصور أن يهذب نفس غيره. الجاهل بالطريق لا يخبر غيره بها، وإذا فعل فهو ضال هو ومن تبعه، كما قال الششتري في بعض كلامه:

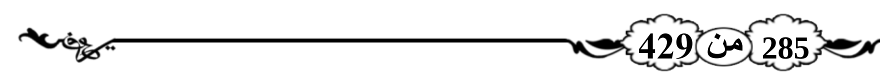
مـــن لا تربـــى كيـــف يربـــي * ولا ينتفـــع منـــه بشـــيء

وقال: (اعلم أنه لا يكون مربي حتى يفرغ من تهذيب نفسه وتتوفر فيه شروط التربية، يعلم ذلك هو من نفسه، ويعلمه منه غيره من أرباب الفن ومن جملة شروط التربية أن يكون وصفه وصف إمام العارفين >، جاء في الصحيح أنه > كان جلالي الظاهر جمالي الباطن. لا يكون المربي مرب حتى يتصف بهذا الوصف الكريم، لأنه > إمام أله التربية من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وقدوة أهل التحقيق من أرباب حكمة تهذيب النفوس، العارفين بدقائقها من تشبه منهم بهذه الأخلاق العظيمة، أعني أخلقه وسننه >، فإن الخلق يصلح على يديه، وتتنور ظواهرهم وبواطنهم بقربه وبمجالسته، ومن لم يمش في ذلك على سنة النبي > فلا يسأم برعاية الخلق وإن تحققت عدالته فهو من النوادر. يحكى أن سيدي محمد بن عبد الله ـ نفعنا الله به ـ كان مع سيدي بوشتا في زمان واحد، وكان يقول لأصحابه حين يقع الكلام على سيدي بوشتا يقول لهم: سيدي وبشتا ولي الله حقًا، والذي يتزيى بزيه ويسير على سيره لا يربح وهو خاسر. سمعت ذلك من سيدي العربي عن أبيه سيدي أحمد عن سيدي محمد المذكور ـ نفعنا الله بالجميع، لأن هذه التربية مثل رعاية الغنم، وهل الراعي الذي لا يصلح على يده إلا أقوياء الغنم مثل الراعي الذي

يصلح على يده أقوياؤها وضعفاؤها؟)، وقال: (اعلم أول ما يباشر به الشيخ - إن كان عارفًا - للمريد الذي يطلب الله، أن يباشره بالأفعال الجلالية لا بالأقوال، وهذا مما يجب على المربي وجوبًا أن يباشره بالجلال أولًا وذلك ليحصل له طرف من التعظيم، والتعظيم هو المطلوب في البدايات وهو المقصود في النهايات. وأما إذا باشره بالأقوال أولًا، والأقوال جمال، فإنه يحصل له بذلك البسط، والبسط قبل التعظيم سم قاتل، وهو عين الفساد. قال في « القوانين »: من ادعى شهود الجمال قبل تأدبه بالجلال، أرفضه فإنه دجال،)، وقال: (اعلم أن أول ما يحتاج إليه طالب هذه الطريقة في بدايته أن يلقي نفسه لشيخ عارف بالله، ماهر بالسير بالتدليات والترقيات، ويكون عنده كالميت عند مغسله، ولا يعترض على الشيخ، إذا فهم شيئًا يفهمه ناقصًا ولو كان على غير مشروع. قال سيدي عبد القادر الجيلاني في بعض كلامه - نفعنا الله به-:

إذا كنت في حكم الشريعة عاصيًا * فإني في حكم الحقيقة طائع

ويجب على المريد أيضًا إذا قدم على الشيخ أن يغتسل من علمه وعمله، كما فعل الشيخ سيدي أبو الحسن الشاذلي - نفعنا الله به - حين التقى مع الشيخ عبد السلام بن مشيش - نفعنا الله بالجميع - في ملاقاته المعلومة. ويجب عليه أن يتوب من حسناته ومن سيئاته، بل يتوب من حسناته أكثر من سيئاته، كما قال بعضهم: توبة المعصية توبة واحدة، وتوبة الطاعة ألف توبة، ومع هذا يصطحب معه ويلتصق معه حتى يكون الشيخ عنده أعز عليه من نفسه وماله وولده، حتى لو أمره بالمحال القطعي الذي لا يتصور في العقل لفعله من غير التفات ولا تبرم. وأما قولنا يتوب من حسناته ومن سيئاته ليقدم على مولاه طامعًا في محض فضله، لا بشيء، ولا على شيء، وبالله التوفيق)، وقال: (اعلم أن أول ما يرد طالب هذه الطريقة على الشيخ، يجده الشيخ على فطرة الله التي فطر الناس عليها، ومن ذلك أنه يجدع عزيزًا بنفسه غنيًا بنفسه قادرًا بنفسه قويًا بنفسه جاهلًا بربه، فيأخذ ينقله إلى مقام التجلي وهو مقام الخاصة برفق شيئًا فشيئًا حتى يصير ذليلًا بنفسه فقيلًا بنفسه عاجزًا بنفسه ضعيفًا بنفسه، ولما يحس منه أنه حصل هذا المقام ينقله أيضًا إلى مقام أعلى من هذا وهو مقام خاصة الخاصة وهو مقام التحلي فيصير فيه غنيًا بالله عزيزًا بالله قويًا بالله قادرًا بالله، فحينئذ يصير عارفًا بالله فيدخل في حضرة مولاه، فيصير يغرف من بحور الحكمة علمًا وعملًا. جعلنا الله من أهل هذا الحظ العظيم، بفضله وإحسانه وجوده وكرمه)، وقال: (ومما سمعت من الشيخ رحمه الله قال: ومن أدب المريد مع الشيخ، إن قال له شيخه أردتك تخرج من عين المخيط، فلا يرد عليه القول، وإنما قول له: نعم من غير التفات ولا تردد)، وقال: (ومن آداب المريد مع الشيخ، ألا يأكل معه ولا ينام في فراشه ولا يجلس في



موضع جلوسه ولا يتكلم في مجلس الشيخ من غير إذنه ولو كلمة واحدة، والكلام فيه سوء الأدب أكثر من كل شيء. وكل ما يشبه هذه الأوصاف يؤدي لعدم التعظيم وازدراء بجانب الشيخ، وذلك هو عين الخسران، والعياذ بالله من السلب بعد العطاء والطرد بعد الإقبال. قالوا: اجعل عملك ملحًا وأدبك دقيقًا، وقال الشاعر:

ادب العبـــــــــــد تـــــــــــــذلل * والعبـــــــــــد لا يـــــــــــدع الادب

فـــــــــإذا تكامـــــــــل ذلـــــــــه * نـــــــال المـــــودة واقتـــــرب)

وقال: (اعلم أن الصادق في أهل الله يعني في تدليه أو في ترقيه، كما يقتات من شيخه يعني من معلمه، كذلك يقتات من مريده يعني من متعلمه، يعني إذا تعذر الظفر بالشيخ فإنه يمد من أدنى الناس كما ينتفع من أعلى الناس وهم العارفون، وهذا لا يصح إلا لمن صح رسوخه في اليقين واستنار قلبه بصحبة الأشياخ العارفين. وفقنا الله وإياكم لذلك آمين)، وقال: (اعلم يا أخي أنه ما في السائرين أحد أنفع وأرشد وأنفد، ممن يكون سائرًا بين شيخ مرشد عارف بالله وبين مريد صادق في توجهه لله. هذا في طريق التدلي، أو في طريق الترقي، حكمهما في هذه المسألة واحد، وإن تخالفت طرقهم وألوانهم، لأن شغلهم لما كان متكررًا على مرتين صار يسقى من جهتين، ما بقي بعد هذا إلا الكمال، وبالله التوفيق، لأن كل من صادق الله حقًا يسقى العسل من عروق الدفلا كما يسقى العسل من شهد النحلا، ينتفع من أدنى الناس كما ينتفع من أعلى الناس، استوى عنده كل شيء: الأشياء وأضدادها. في كل شيء استوى عنده العدو والحبيب، والعطاء والمنع، والمسيء والمحسن، والقبض والبسط، والعلو الأعلى والأسفل السفلي. استوى عنده كل شيء، ي كل شيء. قال تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ** ﴾ [الزُّخرف: 84])، وقال: (اعلم أن صاحب المعاني المتعود بها، يحصل له الجوع منها والشبع منها، كما يحصل الجوع والشبع لصاحب الأكل والشرب. وكما أن الجوع والشبع بالأكل والشرب يحصل للصغير والكبير، كذلك الجوع والشبع بالمعاني يحصل للصغير وهو المريد، كما يحتاج المريد للشيخ أو أكثر، لأن الشيخ تارة يسقى من آنية المريد وهي ساعة جوع المريد، وتارة المريد يسقى من آنية الشيخ لأنها ساعة جوع المريد. وإذا اجتمع الشيخ مع المريد، لا بد أن يكون الشيخ شبعانًا والمريد جيعانًا، أو الشيخ جيعان والمريد شبعان، فتصير نفسهما واحدة. وهذا الاختلاف لا بد منه، قال تعالى: ﴿ **وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ** ﴾ [هود: 118]، ولأجل هذا المعنى اتخذ المشايخ المتقدمون { هذه الزوايا وداوموا الجلوس فيها لملاقاة الرجال ومباشرتهم، ولولا هذا المعنى ما احتاجوا إلى شيء من

ذلك. جعلنا الله من السالكين على منهجهم القويم بفضله وإحسانه. وكلامنا هذا ليس على علم الكتب، وإنما هو على علم القلوب: علم الأذواق والمعارف والأسرار، ويقال له علم الإلهام. جعلنا الله من أهله بفضله وإحسانه)، وقال: (اعلم أن من دخل التجريد من جهة العلم وهو لا يدري العمل، إذا دام واستمر على العلم فإن العلم يمكنه من العمل، وكذلك إذا دخل التجريد من جهة العمل وهو لا يدري العلم، إذا دام واستمر على العمل فإن العمل يمكنه من العلم، لأن العلم لا يطلقك إلا في العمل، والعمل لا يطلقك إلا في العلم، يصدق على هذا « **من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم** » الحديث. ولكن السير في هذه البلاد يعني بلاد التجريد لا يصح لأحد إلا بصحبة أهلها مريدًا أو شيخًا. إن كان مريدًا يحتاج إلى الشيخ الذي يكون من أهل المنازل والمقامات ليسير معه وهو يدنيه شيئًا فشيئًا حتى يقول له ها أنت وربك، وبعدما تحصل له الشيخوخة يحتاج أيضًا إلى الجلوس مع أهل الفن من المريدين. صار صاحب هذه الطريق لا يستغني عن الجلوس مع أهل هذا الفن بشيء لا مريدًا ولا شيخًا، لأجل ذلك كان السلف الصالح { يتخذون هذه الزوايا للجلوس مع المريدين والتحدث معهم في هذا الفن، بذلك استمر لهم السير ودام، ولولا التحدث مع أهل الفن بالفن لبطل سيرهم. صار الجلوس مع أهل الفن لا يستغني عنه المريد ولا الشيخ. المريد يحتاج فيه إلا الشيخ، والشيخ يحتاج فيه إلى المريد، طالب ومطلوب، لا يقوم الأمر إلا بينهما، وبالله التوفيق)، وقال: (اعلم أن هذا الأمر الذي وقع بيني وبين سيدي العربي ـ نفعنا الله به ـ حكمة الله ظهرت فيه، ولم تشفق مني ولا منه، رغمًا على أنفي وأنفه، لا راد لحكمة ولا معقب لأمره، سبحان الحكيم العليم. وقد وقع لي هذا الأمر مع والدي يعني والدي الطين كما وقع لي مع والدي الدين. وقد تدبرت ذلك وحققته، فلم نجده صدر مني ولا منهم، وإنما ذلك كما قلنا حكمة الله ظهرت بذلك رغمًا على أنفي وأنفهم، ولم تشفق عليَّ ولا عليهم، سبحان من يحول بين المرء وقلبه، ولكن والله إني قد علمت وتيقنت أن ذلك من كمال ما أراد الله تبارك وتعالى بي وبهم، من زيادة خير ونعمة وكرامة. ولا يجهل أن كمال الخير والفضل وزيادة العلم والعمل والمعرفة بالله، في هذا الأمر الذي ظهر بيني وبينه، إلا ذو بصيرة مظلمة والعياذ بالله. والآن كل اجتماع لا بد له من فرقة بالحياة أو بالممات. والآن نرجو من الله تعالى، إذا كان تفرقنا بالأشباح لم يكن بالأرواح، وإذا كان بالحس لم يكن بالمعنى، وإذا كان في الظاهر لم يكن في الباطن، وهكذا يكون الأمر إن شاء الله، لأن كل من اصطحب مع أحد من العارفين بالله ولم تظهر عليه خصلة، أذكرها إن شاء الله، فهو مطرود مردود، لا صدق له في طلب مولاه، وهي أن يستوي عنده غيبة الشيخ وحضوره، أي ينتفع به في غيبته كما ينتفع به في حضوره، وينتفع به في حال

سكوته كما ينتفع به في حال كلامه، وينتفع به في مماته كما ينتفع به في حياته. وهذه الخصلة لا يجدها إلا من انتهك عنه الحجاب، وزال بينه وبين مولاه، حتى لم يحجب عن ربه ولا عن النبي > ولا عن شيخه طرفة عين)، وقال: (اعلم ومما سمعت من الشيخ ـ نفعنا الله به ـ قال: العبد إذا تقدم عن سيده صار صاحبًا، وإذا تأخر عن سيده صار خادمًا، كذلك المريد إذا كان صادقًا وأخذ من شيخه أصول الطريقة لا يقف مع ما أخذ من الشيخ بل يزيد عنه بأضعاف مضاعفة، وإذا وقف مع ما أخذ من الشيخ فإنه مذموم وذلك يدل على قلة صدقه في طلبه، كحكاية الإمام الشافعي مع شيخه الإمام مالك حين استأذنه وقال له: يا سيدي هل نقف مع ما أخذت عنك ونقتصر عليه أو نجتهد؟ قال: لا يا ولدي بل اجتهد)، وقال: (سمعت الشيخ رحمه الله يقول: المنتسب إلى الله، إذا رأيته أراد أن ينزل لع شيئًا، فاعلم أنه أراد أن يعطيك شيئًا أعظم منه، لأن الربح الكامل لا يكون إلا بعد الخسارة الكاملة)، وقال: (اعلم أن الناس على فرقتين: فرقة يقبلون الزيادة والنقصان، وفرقة لا يقبلون زيادة ولا نقصان. أما الذين يقبلون الزيادة والنقصان فهم أهل خوف مزعج أو شوق مقلق، وعلامتهم: كل من تجده يقبل النقصان يقبل الزيادة لا محالة، والذي لا يقبل النقصان لا يقبل الزيادة. صارت هذه الفرقة التي تقبل الزيادة والنقصان ، لها الحظ في التربية ومعها هو الكلام. وأما الفرقة التي لا تقبل زيادة ولا نقصانًا، فلا حظ لها في التربية ولا نصيب، وربما يحصل الضرر من صاحب هذا الوصف، الذي لا يقبل زيادة ولا نقصانًا لشيخه، إذا كان الشيخ ضعيفًا. وأما إذا كان خبرًا قاهرًا يمشي مع أهل الصدق، ويتبع كما ينبغي، ويمشي مع الآخرين على قدر ضعفهم، فلا ضرر ولا ضرار، يتحفظ على نفسه لئلا يصيبه شيء من نتنهم ولا يفوته خيرهم، ويرفق بهم حتى لا ينفرهم عن الخلق، لأن الذي لا يزيد ولا ينقص مسجون، عبد مملوك، وصاحب التنقل في الأحوال حر ملك، مطلوق سراحه، يرتع حيث شاء. لأجل هذا المعنى تجد الشيوخ { يقربون إليهم أقوامًا من أصحابهم كثيرين، ويدفعون آخرين، ولكن على قدر الحال، وذلك أن من وجدوا فيه إقبالًا وصدقًا في طلب فنونهم يقربونه إليهم، ينتفع بهم، وينتفعون به، ومن وجدوه أراد صحبتهم ولكن على قدر الحال، يعرفونه على قدر حاله. كل واحد ينزلونه على قدر منزلته)، وقال: (اعلم أنك مهما أتيت بسلعة لغير أهلها ابخسوها عليك وهاتوها وزهدوا فيها، ولو كانت أشرف من الدر والياقوت، وسبت إهانتها وبخسها إعراضك بها على من لم يحتج عليها. وهذا شأنهم إذا كانت عندهم سلعة ولم يجدوا من يفتش عليها ولا من هو محتاج إليها، لا يهونون بها ولا يعرضونها على من لا يعرف لها قدرًا، بل يختم عليها ويخزنوها في مخازنهم حتى يأتي المحتاج إليها ويطلبها بالسوم الغالي حتى يرضيهم في ثمنها، وهذا شأنهم. قال الشاعر:

عرضـــنا نفوســـنا فعـــزت علينـــا * فـــــاختلف بهــــا الهــــوان

ولــــو انــــا حفظناهـــا لعـــزت * لكــــن كـــل معــــروض يهـــان

قال بعضهم:

إذا انطـــيح فـــي أهـــل محبتـــي * ايجعلنــــــي جمـــــل ابكبنـــــي

وإذا انطـيح فـي غيـر اهـل محبتـي * ايجعلنــــي حمــــار ابكربتــــي)

وقال: (اعلم أن المريد لا ينبغي له أن يكون بين يدي الشيخ ساكنًا. العلم لا يتعلمه مستحيي ولا متكبر. لأن المريد الساكت بين يدي الشيخ كالصبي الذي لا يتكلم ، لا يدري والداه ما به، لأن الدواء لا ينزل إلا على الداء، وإذا تكلم الإنسان بدائه يجد من يرشده إلى دوائه)، وقال: (اعلم ومما حكى لي رحمه الله، ذات يوم، قال: جاء رجل إلى شيخ وقال له: يا سيدي ادع لي الله، يحول بيني وبين الشيطان، واشتكى الرجل من أجل الشيطان كثيرًا. فأجابه الشيخ قائلًا له: كم جئت تشكوني الشيطان، كذلك جاءني الشيطان يشكو لي من أجلك، قال: يا سيدي أنا مسخر على الدنيا وعلى أهلها، وفلان يخوض في الدنيا مع أهلها ويريد النجاة مني ويشكو من أجلي. فقال له الرجل: والله يا سيدي ما دخلت في شيء من الدنيا إلا أنني تمزق إزاري ودخلت إلى السوق وأخذت منه إبرة وخيطًا رقعت به إزاري، وبقيت الإبرة وبعض الخيط، فضل لي. فقال له الشيخ: من ثم دخل عليك، أترك الإبرة والخيط يرحك الله منه، ففعل)، وقال: (ومما قال لي الشيخ سيدي العربي }: يا ولدي إذا سمعت شيئًا من المعاني ولم تفهمه، لا تقسه على ما عندك في نفسك، ولكن احفظه حتى تصل إليه وتحتاج إليه وتجده وينفعك الله به، لأنك إذا قسته وأنت لم تفهم معناه ربما أخطأت معانيه ومنعت نفعه وخيره)، وقال: (اعلم أن مثل الشيخ مع المريد، كمثل البقرة مع ولدها، لا يمكن أن يظفر أحد بلبنها إلا بسبب ولدها، لأنه إذا قصدها ولدها ورقت كبدها عليه وعطفت، أرخت ألبانها، فحصل النفع للناس بفضالة ولدها، ولولا ولدها ما انتفع أحد بلبنها. كذلك الشيخ الكامل إذا كان له مريد صادق حسن الظن به لا يبغي به بدلًا ولا يرى في الوجود أحدًا أعلى مرتبة عند الله منه، فإذا كان المريد في هذه الحالة فإن الشيخ يعطف عليه قلبه لا محالة، وإذا عطف قلبه وحن عليه الشيخ، تبرز منه، بسبب ذلك المريد، أقوال وأفعال وكرائم وعوالم وعلوم وأسرار، ينتفع بها المريد وغيره في حياته وبعد موته، لأن الشيخ إذا حضرت له ساعة الفيض يكون بابًا من أبواب الله واسمًا من أسمائه، وهو اسم الله العظيم الأعظم من دعى به أجيب ومن سأل به أعطي، لأن الشيخ لا تبرز منه هذه المزية العظمى إلا على حالتين: إما الفيضان وجد أو لإرشاد مريد، لأن هذا العلم كله دائر على الأدب

مع الله، وهؤلاء المشايخ { انتهى أدبهم مع الله وهم أهل حضرته وجلسائه وخاصته من خلقه وأحبابه. حفظهم الله تبارك وتعالى من النقائص وحاشاهم من ذلك، بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ [الحجر: 42]. صارت أحوالهم كلها لا تتحرك إلا بالله، متى شاء الله، كيف شاء الله. إذا صدرت منهم، {، أشياء تناسب للكمال، نفهم منهم عند ذلك أن السطوة الربانية تجلت فيهم وصارت هي الفاعلة بهم، فلا نلومهم على شيء من ذلك وإنما علينا أن نحسن الظن بهم ونلتمس بركتهم، والله أعلم بأحوالهم. وإذا صدرت منهم أشياء تناسب البشرية، نفهم منهم أن البشرية ظهرت فيهم، هي الفاعلة بهم، فلا نلومهم على شيء ولا نسيء الظن فيهم بل نحسن الظن بهم، ونلازم الأدب معهم والسكينة والوقار، ونعلم أنما هم بشر مثلنا يجوز في حقهم كل شيء).

المزاح والجد

قال: (اعلم أن كل ما تتوجه إليه، لا يكون ابتداؤه إلا شبيهًا بالمزاح، وآخره جد. جرت عادة الله أن الجد لا يخرج إلا من المزاح، كما أن المزاح لا يخرج إلا من الجد. لكن الغالب على الأمور، أن البداية لا تكون إلا كأنها مزاح، والنهاية جد، والأشياء كلها حتمًا لا تخرج إلا من أضدادها. وهكذا)، وقال: (اعلم ومن أعظم الحقائق التي ليس لها مثيل في الحقائق الباطنية، وهو المزاح، وهو من الحقائق التي لا يقدر عليها إلا الأقوياء من رجال الباطن، لأنه أعظم الحقائق السفلية، وهو يكون بالقول دون الفعل وهذا الوجه الأصغر منها، ويكون بالفعل دون القول وهذا الوجه الأوسط منها، وهو أقوى من الأول، ويكون أيضًا بالقول والفعل، وهو الوجه الأكبر منها. صاحب هذه الحقائق يملك بها الملوك حتى يصيروا كلهم عند أمره ونهيه، ويملك بها الوجود بأسره. صاحب المزاح، ما قاتله أحد من أهل الجد، إلا ويملكه صاحب المزاح، ولو كان صاحب الجد الذي قابله ملكًا من الملوك، يملكه صاحب المزاح، حتى يصير عند أمره ونهيه، أحب أم كره)، وقال: (اعلم أن المزاح حقيقة عظيمة، وهي من أصول الحقائق، والمزاح يقابله الجد، وما قابلت الجد بالمزاح إلا قصمته وأسحقته، هكذا أخذتها عن الشيخ - نفعنا الله به - صاحب المزاح يملك الوجود بأسره كما يملكه صاحب الجد. ما يفعله الجد يفعله المزاح، وما يفعله المزاح يفعله الجد. وقيل صاحب المزاح مع أهل الدنيا أسرع من صاحب الجد، لأن الله تعالى أضاف الدنيا إلى المزاح حيث قال: وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو - وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور. وصاحب الجد عند أهل الدنيا منكور يثقل عليهم كأنه ليس من جنسهم، وصاحب المزاح عند أهل الدنيا مبرور لأنه مطابق لهواء النفوس. والعارف

بالله كما يتصرف بالجد يتصرف بالهزل، استوت عده الأضداد كما قال بعض العارفين:

نحـــن حـــزب الله مـــن يلحقنـــا * هزلنـــا جـــد وجـــد هزلنـــا

والعارف بالله الكامل يتطور بجميع الأطوار ليقضي سائر الأوطار: قالها ابن العربي الحاتمي }، لأن العارف بالله لا مقام له كقول سيدي محمد بن سعيد لسيدي أحمد بن عبد الله حين سأله سيدي أحمد قال له: يا سيدي أسألك عن طريق المحبة وطريق الخوف أيهما أسرع وأقرب إلى الله؟ أجابه سيدي محمد سعيد قال له: هؤلاء ليسوا طرق وإنما هم مقامان وأهل الله لا مقام لهم. قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ** ﴾ [الأحزاب: 13]. نفعنا الله بهم أجمعين).

المعرفة

قال: (اعلم أنه لا شيء في الوجود أطيب وأحسن من لذيذ القرب والبعد والجمع والفرق. لا تحصل نغمات القرب والبعد إلا لصاحب المعرفة بالله. كأن هذه المعاني هي أساس المعرفة بالله، وعليها تنشأ وتبنى)، وقال: (اعلم أن الخلق كلهم، برهم وفاجرهم، يشهدون الحق، ولكن لا يعرفونه، ولا يرى الحق حقًا ويعرفه إلا من ملئ قلبه بأنوار المعاني. وهذه أنوار المعاني التي يشاهد بها الحق وبهما يعرف، لا تظهر في القلب إلا بتظليم الحس، بقصد طلب الحق، كما أن ظلام المعاني لا يظهر إلا في تنوير الحس، لأن الحكمة ليست في المشاهدة وإنما هي في المعرفة، لأن الحق ظاهر لكل أحد، باطن لكل أحد، والعارف هو الذي يعرفه في ظهره كما يعرفه في بطونه، ويعرفه في بطونه كما يعرفه في ظهوره. وأما من عرفه في الظهور دون البطون، أو عرفه في البطون دون الظهور، فهو جاهل به، والجاهل لا يقال فيه عارف. يقول الششتري رحمه الله:

لا تنظـــر للاوانـــي وخضْ بحر المعاني لعلـــك ان ترانـــي على عهد الصوفية

صارت المعاني شرط في الرؤية، وتظليم الحس شرط في ظهور المعاني، وتشوير الضمير لطلب الحق شرط في تظليم الحس، والله الموفق)، وقال: (قال بعض العارفين:

عرفـــــت ربـــــي بربـــــي * ولـــولا ربـــي مـــا عرفـــت ربـــي

ويحكى أن علي بن أبي طالب } سئل فقيل له: يا سيدي أعرفه الله بمحمد >، أم عرفت محمدًا بالله؟ فقال: لو عرفت الله بمحمد ما عبدته ولكان



محمدًا أوثق في نفسي من الله، ولكن الله عرفني نفسه بنفسه)، قوال: (اعلم أنك لا تقول أن أحدًا من الوجود امتنع من عبوديتك أن يكون لك عبدًا إلا إذا امتنعت أنت للوجود أن تكون الله عبدًا فيه. لو عرفت الله في كل شيء لم يخرج عن رق عبوديتك شيء: يا دنياي اخدمي من خدمني وأتعبي من خدمك. الوجود عبد إن كنت عبدًا له، وهو سيدك إن كنت سيده، كالخيال أو المرآة منك منزله ذلك الذي تفعله به يفعله بك)، وقال: (اعلم معرفة المولى جل ثناؤه أيسر وأسهر وأقرب من معرفة العبد العامي الجاهل بالله، وعلى هذا صار لا يتبرز الولي لمباشرة العامة وتربيتهم إلا من كملت نوارنيته وكمل آدابه مع مولاه من كل جهة، من جهة الجمع، ومن جهة الفرق. قال تعالى: ﴿ **وَقَلِيلٌ مَا هُمْ** ﴾ [ص: 24])، وقال: (اعلم أن معرفة الحق أسهل من كل شيء، ومعرفة الخلق أو عص من كل شيء)، وقال: (اعلم من لا يقبلا شلا يعرف كيف يعرف شلا يعرف محال يعرف شلا يعرف حتى يقبلا شلا يعرف. من عند من يعرفه يعرف، ومن لا عنده من يعرفه ما يعرف).

الملك

قال: (اعلم أن الملك في العزلة، من أحب أحب، ومن كره كَره. من أراد أن يملك الوجود فليعتزل عنه، سواء كان ملكًا ظاهريًا أو باطنيًا، حكمهما واحد، كما أن حكم الوجود كله كحكم رجل، وحكم رجل كحكم الوجود، من غير زيادة ولا نقصان، قال تعالى: ﴿ **كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا** ﴾ [المائدة: 32])، وقال: (اعلم أن من ملك الخلق بالخير، فإن ملكه توسيع على الخلق، وتضييق عليه. ومن ملك الخَلق البشر، فإن ملكه تضييق على الخلق، وتوسيع عليه. فطالب الملك يطلبه ملكه بما أمكن له، فالتي لم يملكها بخير يملكها بشر، والعكس، كما قال الشاعر:

ايا ربة القرط التي اتلفت نسكي	*	على اي حالة فلا بد لي منك
إما بذل وهو اليق بالهوى	*	وهو بعز وهو اليق بالملك
فإن كنت في بر اتيتك ركبانًا	*	وإن كنت في بحر اتيناك بالفلك)

وقال: (اعلم أن الملك لا يقوم إلا بين خير وشر، فمن لم تملكه بخير لا تملكه إلا بشر، ومن لم تملكه بشر لا تملكه إلا بخير. وأما كثرة الخير بلا شر تصير الملك مملوكًا، والمملوك ملكًا، وكذلك كثرة الشر بلا خير تصير المملوك ملكًا، والملك

مملوكًا. وبالاعتدال بينهما يكون الملك ملكًا، والمملوك مملوكًا. وكل من صعبت عليك ملكيته بالشر فاجعل الشر خيرًا، فإنك تملكه. وكل من صعبت عليك ملكيته بالخير، فاجعل الخير شرًا، فإنك تملكه على كل حال. هكذا جرت عادة الله في خلقه، سبحان الحكيم العليم)، وقال: (اعلم أنه لا يكون الملك ملكًا حتى يكون جلاله في ظاهره أقوى من جماله بمائة ضعف أو أكثر، لا ملك الظاهر ولا ملك الباطن، لأنه إذا كان جلاله في ظاهره أقوى من جماله، حتمًا لا يكون جماله في باطنه إلا أقوى من جلاله، لأن الشيء يعظم بضعف مقابله، وبضعف بعظمة مقابله. ما زاد في هذا، نقص من هذا، وما نقص من هذا زاد في هذا، صار الجلال في الظاهر شرطًا في طلب الملك، لا مجيد عنه، جرت سنة الله بذلك. ومن جهة الفهم أيضًا الأشياء لا تطلب إلا بأضدادها، الجمال لا يطلب إلا بالجلال، كما أن الجلال لا يطلب إلا بالجمال، طالب العز لا يكون إلا ذليلًا، كما أن طالب الذل لا يكون إلا عزيزًا، « حكمت عليهم بالذل حتى عزوا »)، وقال: (اعلم أن الملك على ثلاثة أقسام: ملك أهل الدنيا خوفًا وهيبة، وملك أهل الآخرة شوقًا ومحبة، وملك أهل الله بين الكاف والنون يقولون: بأما الله للشيء: كن فيكون. فملك أهل الدنيا بالخلق وللخلق ومع الخلق. وملك أهل الآخرة بالخلق لله، وملك أهل الله بالله ولله وفي الله، وكل من قصد شيئًا فهجرته إلى ما هاجر إليه)، وقال: (اعلم أن أهل الملك على أربع فرق: فرقتان ظاهريتان وفرقتان باطنيتان، الفرقتان الظاهريتان: الفرقة الأولى منهما لا يشهدون إلا نفوسهم، ونتيجة ملكهم التمتع في الدنيا، وهم ينقطعون على كل حال. والفرقة الثانية ملكهم من الله، نتائجهم شهود النعم من الله، قال تعالى: ﴿ **وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ** ﴾ [النحل: 53]، وهم لا ينقطعون لشهود النعم من مولاهم. والفرقتان الباطنيتان: ملكهم أيضًا لله، نتائجهم شهود النعم من الله. والفرقة الرابعة: ملكهم لله، نتائجهم فيه النظر في وجه الله، لا يعرفون شيئًا سوى الله، كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان. فالفرقة الأولى حجبوا عن مولاهم بالتمتع لما وقفوا معه، والفرقة الثانية حجبوا بالنعم عن المنعم لمَّا وقفوا معها، والفرقة الثالثة حجبوا عن مولاهم بباطن النعم، والفرقة الرابعة لم يحجبهم عن مولاهم تمتع أهل الدنيا ولم تحجبهم عن مولاهم لا ظواهر نعمه ولا بواطنها، بل شغلهم النظر في الله عما سواه، والجمع عليه فلا يعرفون إلا إياه. فنوا في ذات الله وبقوا به، صاروا يشهدونه بغير واسطة، سبحان من خصهم وأعطاهم، واجتباهم وقربهم، وشرفهم بحضرته، وجعلهم من أهل مناجاتهم، فضلًا عليهم لا بشيء. سبحان من لا يتوقف فضله على شيء. سبحان من كان قبل وجود شيْ، ويكون بعد عدم كل شيء. سبحان من كان وليس معه شيء، وهو الآن ليس معه شيء)، وقال: (صاحب الملك: هو الذي ملك التصوف فيه

الخلق بأجمعهم خصوصًا وعمومًا، وأما الذي كان يتصرف في بعض دون بعض فلا يسمى ملك. والملك أيضًا كله واحد سواء ملك التصرف صاحبه في أهل وقته بعلويات وهو العز، أو ملك التصرف فيهم بالسفليات وهو الذل. الملك يكون بالعز ويكون بالذل وكله واحد. وقيل: إن الملك الذي ملك الخلق بالذل أقوى من الملك الذي ملك الخلق بالعز، والدليل على ذلك هو أنه إلا تلاقى ملك الذل وملك العز واقترنوا فإنه على كل حال يكون الحكم لصاحب الذل على صاحب العز، لا لصاحب العز على صاحب الذل، وذلك لقوله تعالى: ﴿ **وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ** (5) **وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ** ﴾ [القصص: 5 - 6]. ملك الذل خيره أقوى من ملك العز، وشره كذلك أقوى من شره. والحق أن ملكهم ملك واحد، كما أن العز ملك وسطوة لا تنكر، كذلك للذل ملك وسطوة لا تنكر، إلا أن ملك العز جاء للملك من أعلى، وملك الذل جاء للملك من أسفل، والحق أن الذي ملك أسفل هو الذي ملك فوق، والذي ملك فوق هو الذي ملك أسفل، قال جل من قائل: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ** ﴾ [الزُّخرف: 84] صدق الله العظيم).

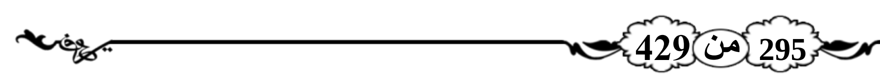
المُلك والمِلك

قال: (اعلم أن العاشق بالباطن مالك لما عشق، والعاشق بالظاهر مملوك لما عشق، وشتى بين المالك والمملوك)، وقال: (اعلم أنه ما اجتمع اثنان إلا كان أحدهما ملكًا والآخر مملوكًا. الملك هو المعشوق، والمملوك هو العاشق الملك هو المطلوب، والمملوك هو الطالب. وكل من نزل نفسه منزلة الملك ولزمها فهو ملك، وكل من نزل نفسه منزلة المملوك ولزمها فهو مملوك)، وقال: (اعلم أن النفس بمنزلة الرعية، والإنسان أمير عليها. ومن شأن الرعية مع الأمير، إذا لم يجر عليها جارت عليه. حكم ملك الجنس وحكم ملك النفس واحد، « **كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته** ». صار الخلق كلهم أمراء رعاة، من ليس بأمير على جنسه فهو أمير على نفسه. وكل من لم يدر سياسة ملكه لرعيته، ينقلب ملكه عبودية، فيصير الملك رعية، والرعية ملكًا. وكل نزل نفسه منزلة الملك يجد نفسه ملكًا حقًا، وكل من نزل نفسه منزلة المملوك يجد نفسه مملوكًا حقًا. صار الملك فيك حقًا، وأنت أهل له، والملك فيك حقًا، وأنت أهل له، فأنت برزخ بينهما)، وقال: (اعلم أن العبيد إذا تمكنوا من سيدهم حقروه وأهانوه، وإذا بقوا تحت قهره عظموه واستحرموه. لا يمكن عبيده من نفسه إلا الجاهل بسياسة ملكه، يعني رعيته: أهل ملك النفس وأهل ملك للجنس. العارفون من أهل ملك النفس، عقولهم مالكة لذواتهم وجوارحهم، والجاهلون جوارحهم مالكة لهم. وكذلك العارفون من أهل ملك الخلق، عقولهم مالكة لرعيتهم، بسياستهم

غلبوها وقهروها حتى صارت عند أمرهم ونهيهم. والجهال رعيتهم مالكة لهم، لعدم سياستهم وعدم معرفتهم برياضة الملك. وكل من يملك نفسه يملك الوجود وما حوى، ومن لم يملك نفسه لا سبيل له لملك الوجود، وبالله التوفيق)، وقال: (اعلم أن الوجود أصله ملك، وفروعه ملك، وثماره ملك، وكله دائر على الملك. ملكه فيه منه، عليه به إليه. المملكة فرق، والملكوت جمع. والفرق هو عين الجمع، والجمع هو عين الفرق، ولا ثم في الحقيقة إلا الحق)، وقال: (المنتسبون إلى الله على فرقتين: فرقة أهل ملك، وفرقة أهل مِلك. أهل الملك هم الذين تجلي لهم الحق في الجمع، حتى عرفوه فيه وبه. وأهل الملك هم الذين تجلى لهم الحق في الفرق، حتى جهلوه فيه وبه. الفرقة الأولى وهم أهل الجمع، لما عرفوه صاروا ملوكًا. والفرقة الثانية وهم أهل الفرق، لما جهلوه صاروا مملك. صاحب الجمع تجلى له الحق في نفسه، صار فرقه مجموعًا. وصاحب الفرق تجلى له الحق في جنسه، صار جمعه مفروقًا. صاحب تجلي الفرق، طلب مولاه في جمع نفسه، تجلى له في فرق جنسه، فكان ذلك سبب جهله به. وصاحب تجلي الجمع، طلب مولاه في فرق جنسه، فتجلى له في جمع نفسه، فكان ذلك سبب علمه به. والعلم نور، وإن صحبه شيء من العمل. والعمل ظلمة، وإن صحبه شيء من العلم. لأجل هذا المعنى قيل: اجعل علمك ملحًا وأدبك دقيقًا، ولم يقل: اجعل عملك دقيقًا وأدبك ملحًا. والأدب هنا هو العلم)، وقال: (اعلم أن الائتلاف جمع، وهو الملك، والاختلاف فرق، وهو الملك. وهذا الملك والملك حالتان دائمتان يتعاقبان على الإنسان أبدًا، لا يخلو الإنسان: إما ملك مجموع، أو مملوك مفروق، لا زائد. وهذا التقلب به استمر وجود الإنسان، إذ لو كان الملك دون الملك لكان بطلانًا، وكذلك لو كان الملك من غير ملك لكان نقصانًا، ولكن بالجمع بينهما قام الملك والسلطان. سبحان من جهل ملكه في ملكه، كما جعل ملكه في ملكه، على قدر ما يعظم الملك يعظم الملك، وعلى قدر ما يعظم الملك يعظم الملك، وجعل هذه الأمور العظام كلها مجموعة في الإنسان: تجلى فيه بكمال الظهور، واختفى فيه بكمال البطون. إذا نظرت للإنسان في حال تجلي الحق فيه، وجدته ملكًا حقًا. وإذا نظرت إليه في حال تجلي بطون الحق فيه، وجدته عبدًا حقًا. وبعض هذا الأمر هو الذي حمل الششتري رحمه الله على قوله:

انـــــا المحـــــب والحبيـــــب * مــــــــا ثــــــم ثــــــاني

سبحان من خص هذا الإنسان بهذا الأمر العظيم. ومن ذلك أيضًا أنك تجد الإنسان على قدر طلوعه في الملك يكون نزوله في الملك، وعلى قدر نزوله في الملك يكون طلوعه في الملك، لو وزن طلوعه مع نزوله لوجد معتدلًا. إذا كان النزول اختياري يكون الطلوع على قدره قهري، وإذا كان النزول اختياري يكون الطلوع



على قدره قهري، وإذا كان الطلوع اختياري يكون النزول على قدره قهري. هكذا جرت عادة الله في خلقه، سبحانه الحكيم العليم)، وقال: (اعلم أن الملكية والملكية حالتان يتعاقبان على كل بشر، واحدة تطرد الأخرى، كما يطرد الصيف الشتاء، وكما يطرد الشتاء الصيف. وكل من أراد دوام الملك دون الملك، أو دوام الملك دون الملك، فهو كمن أراد أن يكون الصيف بلا شتاء، أو الشتاء بلا صيف. لكن الخصوص سلكوا الملك اختيارًا وهي العبودية، حتى فاجأهم الملك قهرًا، فصاروا ملوكًا أحرارًا، أحبوا أم كرهوا. والعوام بخلاف ذلك سلكوا الملك اختيارًا وهو الحرية، حتى فاجأتهم العبودية قهرًا وهي الملك، فصاروا عبيدًا ممالك، أحبوا أم كرهوا. جرت عادة الله سبحانه، بأن تكون الأشياء كامنة في أضدادها. قال تعالى: ﴿ **وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا** ﴾ [الفتح: 23])، وقال: (اعلم أن الملك لا يكون ملكًا إلا قبل كماله، ومهما كمل فإنه يصير ملكًا. كأن الأشياء كامنة في أضدادها: الملك في الملك، والملك في الملك. من عادته تعالى: يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويرزق من يشاء بغير حساب)، وقال: (اعلم أن حكم حبة الخردل وهو حكم الحقيقة بأسرها، وحكم الحقيقة هو حكمها، وكذلك ما بينهما من عوائد: فحكم الحقيقة أنها تارة تقول للإنسان أنت عبدي وأنا سيدتك، فيصير يخدمها خدمة العبد لسيده، أحب أم كره. وتارة تعكس له الأمر، تقول له: أنا مملوكتك وأنت سيدي، لا أفعل إلا مرادك وما تشتهي، ولا أسير إلا على أمرك ونهيك، فيصير الإنسان ملكًا عليها بعد أن كان مملوكًا لها، وهذا دأبه دائمًا، فهذان الأمران يتعاقبان على كل إنسان، عرفه من عرفه من الخصوص، وجهله من العوام. وهذا القياس تجده في كل من يحب شيئًا: مهما كملت عبوديته لذلك الشيء وكملت ملكية ذلك الشيء له، فينعكس الأمر فيصير ذلك المحب ملكًا، والحبيب الذي كان ملكًا مملوكًا. فمن صبر على الملك ودام حتى توفرت الشروط فإن الملك ينعكس ملكًا، ولذا قال بعضهم:

دعـــوني لملكهـــم فلمـــا اجبـــتهم * قـــالوا دعونـــاك للملـــك لا للملـــك

وهذه حكمة الله في الوجود: كل من يملكك لا بد أن تملكه، وكل من تملكه لا بد أن يملكك)، وقال: (اعلم أن بين الشغل الذي تفعله بواسطة، والذي تفعله بنفسك فرق عظيم بينهما، ما بين الملك والمملوك. من له واسطة ملك، ومن يباشر الأشياء بنفسه كأنه مملوك. والوسائط كلها في الأصل عبودية، وهي تكون حسية ومعنوية. والعبودية مفتاح للربوبية، فالعبودية لا تصلح بلا ربوبية، وعلى قدر ما تعظم العبودية تعظم فتوحات الربوبية)، وقال: (اعلم أن الحقائق العلوية كلها ملك، والحقائق السفلية كلها ملك، كنا الملك كامنا في الملك، والملك كامنًا في المملك، وإنما كان

هذا ملكًا لأنه نزل نفسه منزلة المملوك، وإنما الآخر مملوكًا لأنه نزل نفسه منزلة الملك، والمملوك محقور، والملك معظم مبرور. سبب الملك الانتماء إلى الملك، وسبب الملك الانتماء إلى الملك، لأجل هذا المعنى تجد كل من أراد أن يُغلب يَغلب، وكل من أراد أن يَغلب يُغلب، جرت سنة الله في خلقه، سبحان الحكيم العليم، مع أن العبودية ملك والحرية ملك. نسأل الله تعالى أن يرينا الحق حقًا ويعيننا على إتباعه بفضله وإحسانه)، وقال: (اعلم أن مفتاح الملك هو الذل الظاهري والعز الباطني، مع أن الملك بنفسه هو العز الظاهري والذل الباطني. وكذلك مفتاح الملك هو الذل الباطني والعز الظاهري، مع أن الملك بنفسه هو الذل الظاهري والعز الباطني. الذل الظاهري في البدايات: خيره قوي عظيم، وشره قوي عظيم، يعني في النهايات. والذل الباطني في البدايات: خيره قليل ضعيف، وشره قليل ضعيف، يعني في النهايات، كما أن العز الظاهري في البدايات: شره قليل ضعيف، وخيره قليل ضعيف، يعني في النهايات. وذلك لأن الباطن كله بدايات، كان أن الظاهر كله نهايات، ومن عظمت بدايته عظمت نهايته: البدايات مجلى النهايات. والباطن أيضًا كله همم، والنتائج كلها ظواهر، ولا شك أن من عظمت همته فعلى قدر ذلك تعظم نتائجه، والنتائج كلها ظواهر، ولا شك أن من عظمت عمته فعلى قدر ذلك تعظم نتائجه، لأجل هذا صار ذل الظاهر وعز الباطن هو مفتاح الملك يعني في البدايات، كما أن عز الظاهر وذل الباطن هو مفتاح الملك يعني في النهايات، لأن البدايات أصول. قال في الحكم: « إنما حرموا الوصول لتضييعهم الأصول »، وقال أيضًا: « من أشرقت بدايته أشرقت نهايته »، وكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تدل على أن صلاح الظواهر يعظم على قدر صلاح البواطن، وفساد الظواهر يعظم على قدر فساد البواطن. وقوله: « من أشرقت بدايته أشرقت نهايته »، يعني من عظمت همة باطنه، أي رفعت وكبرت وعزت وحقرت أحوال ظاهره، أي خفضت وصغرت وذلت، ينعكس الأمر على قدر ذلك، أي على قدر ذل الظاهر في البدايات يكون عز الظاهر في النهايات، وعلى قدر عز الباطن في البدايات يكون ذل الباطن في النهايات، فهذه مرتبة الملك، وضد هذه المرتبة هي مرتبة الملك: أي من حقرت همه باطنه وخفضت وصغرت وذلت، يعني في البدايات، ورفعت أحوال ظاهره وعظمت وكبرت، ينعكس الأمر على قدر ذلك في النهايات، أي على قدر ذل الباطن يكون عز الباطن، وعلى قدر عز الظاهر يكون ذل الظاهر، فهذه مرتبة الملك، وشتان بين الملك والمملوك. صارت البواطن أصول، والظواهر فروع، والأصول أشجار، والفروع ثمار، ولولا الأصل لم تكن فروعًا، ولولا الفروع لم تكن ثمارًا).

مناجاة الحق

قال: (اعلم أن الويل تارة يناجي ربه من نفسه بنفسه في نفسه، وتارة يناجي جنسه في نفسه بنفسه من نفسه. ساعة مناجاة الحق سكر، وساعة مناجاة الخلق صحو، وهو دائم بين سكر وصحو. صارت نفسه كأنها برزخ بين عالمين. عالم الحق وعالم الخلق، وإن شئت قلت: عالم الشرائع وهو عالم الحقائق وهو عالم الحق، كما قيل: من تشرع ولم يتحقق فقد تفسق، ومن تحقق ولم يتشرع فقد تزندق، ومن جمع بين الحالتين فقد تحقق)، وقال: (اعلم أن مناجاة الحق للعبد أبدًا لا تنقطع عنه، كما أن معاملة الحق للعبد من إحسانه معه لا تنقطع عنه. وجود العبد قائم بمناجاة الحق له بالمعاني، وبأفعال الحق له الحسيات. وهاتان الحقيقتان: المناجاة للعبد بالكلام، والمعاملة معه بالفعل، حقيقتان قديمتان أزليتان، ليس قبلهما قبل، ولا بعدهما بعد. لو فقد العبد مواجهة هاتين الحقيقتين له، طرفة عين، لتلاشى وفنى. ومناجاة الحق لك على وجهين: تارة يناجيك من نفسك في باطنك، وتارة يناجيك من جنسك في ظاهرك. وكذلك المعاملة تارة يعاملك من نفسك لنفسك بنفسك، وتارة يعاملك من جنسك بجنسك، وأنت أبدًا بين علم ظاهري وباطني، وبين عمل ظاهري وباطني. القول الباطني من نفسك لنفسك ولجنسك من ربك، والقول الظاهري بالعكس، وكذلك الفعل الظاهري من جنسك لنفسك من ربك، والفعل الباطني بالعكس. ومهما أعرضت عن مناجاة الجنس جاءتك مناجاة الحق من النفس، وكذلك مهما أعرضت عن معاملة الجنس جاءتك معاملة الحق من النفس، وفي الحقيقة الكل حق من النفس ومن الجنس، كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان. يقول الششتري:

انـــــا بـــــالله انطــــق * ومــــــن الله اســـــمع

هذا والله ممن عرف مناجاة الحق له من جنسه ومن نفسه).

منزلة التشبه

قال: (اعلم أن منزلة التشبه تسمى باسمين: تسمى بمنزلة التكذيب، وتسمى بمنزلة التشبيه. هي الحجاب بين الخلق كلهم وبين الحق، إلا القليل من الناس الذي أخذ الله بيدهم وساقهم لحضرته، لما وفقهم لملاقاة الوسائط حتى سلكوا بهم هذه المنزلة العظمى التي حصرت الناس بقربها، كما قال بعض الصالحين وهو يغني على شيخه، أظنه سيدي محمد الحاج مع شيخه سيدي بوشتا، نفعنا الله بالجميع، وهذا هو قوله:

سيدي إمام الطريقة، المصطفى هو إمام، سلكني بحر الحقيقة، وانشر عليَّ

اعلام ». هذه المنزلة التي ذكرنا، هي بحر من نور بين العبد وربه. من خاض فيه بغير دليل يحترق من حينه، ومن جمعه الله بمن أخذه بيده حتى سلك هذه المنزلة، فما بعدها إلا قوله له: ها أنت وربك. الوسائط كأنهم بوابون على حضرة الحق. من كان عبدًا للبواب أدخله على الحق، ومن كان عبد الحق من غير بواب لا يدخل على الحق أبدًا. وكثيرًا ما تجد العارف بالله، مهما يأتيه مريد صادق، فأول ما يسلك به يشبهه بالقوم، ثم بعد التشبه ينقله لمنزلة الكمال. نسأل الله تعالى أن يجعل لنا نصيبًا معهم).

من عرف نفسه عرف ربه

قال: (اعلم أن أعقل الناس من أراد أن يعرف نفسه بالله، وأحمق الناس من أراد أن يعرف الله بنفسه، وأعلم الناس من أراد أن يملك نفسه بالله، وأجهل الناس من أراد أن يملك الله بنفسه، لأنه لا يعرف إلا مولانا، ولا يملك مولانا إلا مولانا، ولا موجود مستغني عن مولانا إلا مولانا)، وقال: (اعلم أن العبد المتوجه إلى ربه: تارة يكون مع ربه، وهو مع نفسه، وتارة يكون مع نفسه، وهو مع ربه. هذان حالتان يتعاقبان على الإنسان، لا بد له منهما. الساعة التي يكون فيها مع ربه، وهو مع نفسه، فتلك ساعة نورانية روحانية. وأما الساعة التي يكون الإنسان مع نفسه، وهو مع ربه، فتلك ساعة بشرية ظلمانية. ولا يسير ويترقى حتى تمتزج هاتان الحالتان، بعضهما في بعض، وتصيران كأنهما واحدة)، وقال: (اعلم أن الجذب حقيقته إنما هو عشق ومحبة، والسلوك حقيقته إنما هو خوف وهيبة، لأن النفس لا يخرجك عنه إلا شوق مقلق أو خوف مزعج، وخروجك عنها هو اشتغالك بحقائقها، ومهما فنيت عنها في حقائقها، صارت هي تتصرف في حقائقها، لأنها عند ذلك تكون تابعة لك، فعند ذلك تصير صفتها صفة النفس وفعلها فعل الحق، لأنها هي منك وأنت منها، فبسبب تعلقك بالحق يكسيها الحق بكسوة الحق، فتصير تتصرف بتصرف الحق، كما فنيت عنها في شهو الحق، فنيت أفعالها، ولم يبق إلا الحق بالحق. وما نوصيك به يا أخي إذا حضر وقت الطمع فكن أكبرهم، وإذا حضر وصت الكرم فكن أنت أكبرهم، ويدك العليا عنهم أكبرهم وأصغرهم، ولو بالمزاح)، وقال: (اعلم أن الإنسان ليس عنده خصيم أعظم من نفسه. إذا غلب نفسه، غلب الأكوان وما احتوت عليه، وإذا لم يغلب نفسه هو مغلوب بكل شيء. وليس غلب النفس هو صرفها عما تريد، بل النفس لا تغلب أبدًا حتى تشاهد مولاها. من يقدر على غلبة النفس؟ وهي تعدل الوجود، ونسخة منه. لكن إذا شاهدت مولاها الذي خلقها تسجد له، أحبت أم كرهت، خوفًا وقهرًا أو شوقًا ومحبة. وما دامت لم تشاهد مولاها فلا ترضى ولو أعطيت ملء الأرض ذهبًا، ولا تغلب ولو صرعها الوجود بأسره، ولا تستريح ولا تريح حتى تشاهده إما في الحياة أو

بعد الموت. وأما صرفها عما تريد فإنما هو أدب وتربية لها، وأما غلبها الحقيقي فكما ذكرنا. ولا يعرف هذه الحقيقة إلا من سلك هذا الفن وأخذه عن أهله، وقليل ما هم)، وقال: (اعلم أنه من عوائد النفس، أنها ما ظفرت بشيء إلا حقرته وأهانته، ولا منعت شيئًا إلا عشقته واشتاقت إليه. وسبب إهانتها لما ظفرت به واشتياقها لما منعته، أنها جاءت من بساط الحق وعليه تدور. صارت ما ظفرت بشيء ولم تشاهد الحق فيه إلا أهانته وحقرته، هذا سبب إهانتها لما ظفرت به. وسبب عشقها لما منعته واشتياقها إليه، أنها ما رأت شيئًا أو سمعت به، إلا ظنت أنها تشاهد الحق فيه، فإذا منعته تقوى ظنها حتى يكاد أن يصير يقينها، فتزيد عشقًا وشوقًا لذلك الشيء، وهي لا تسكن ولا تستريح ولا تقر عينها حتى تشاهد الحق حقًا حقيقًا، إما بالحياة أو بالموت. وهذا تستريح ولا تقر عينها حتى تشاهد الحق حقًا حقيقًا، إما بالحياة أو بالموت. وهذا القياس لا يعرفه إلا عارف بالله، بسياسة ملك النفس وملك الجنس، لأن سياسة ملك النفس، وسياسة ملك الجنس، واحد، يعني سياسة نفس واحدة، كسياسة الوجود وما حوى، كأن النفس نسخة من الوجود، أو الوجود نسخة من النفس، لأجل هذا المعنى قالوا: حب الله أولًا يكون شبيهًا بالجنون، وبعده تحصل الفنون، وآخره سكون. وما يحصل السكون حتى يحصل الاجتماع على الحق، بشهود الحق بالحق)، وقال: (اعلم أن كل من تجلت له الحقيقة، وخرقت له الحجب حتى عرفها، وتحقق بمعانيها، وأطلق عنانه في نواحيها، فهو حر مسرح من قيود نفسه، قد بلغ مناه، ومن لم يظفر بهذا الوصف فهو مسجون مقيد مزجور متعوب مملوك، لأن هذه النفس جاءت من عالم الحقيقة وعليه تدور، ولا تريح ولا تستريح حتى ترجع إليه، إما في الحياة قبل الموت، وإما بالموت بعد الحياة، لأجل هذا المعنى تجد النفس كل ما تعطاه لا تقنع به ولو أعطيت الدنيا بأسرها، لأنها تدور على ما هو أقوى من ذلك وهو عالم الحقيقة الذي جاءت منه، لا تبلغ مناها حتى تصل إليه)، وقال: (اعلم أن نفسك تعدل الحقيقة بأسرها، وكل من يملك نفسه حتى تكون طوع يديه في العلوي والسفلي هو الذي يملك الحقيقة بأسرها حتى تكون طوع يديه في العلوي والسفلي، والذي ملك شيئًا من نفسه دون شيء يملك في الحقيقة كذلك يملك فيها شيئًا دون شيء، والذي هو المملوك في يد نفسه هو المملوك في يد الحقيقة. حاصله: كما تكون مع نفسك كذلك تكون مع الحقيقة من غير زيادة ولا نقصان، وكل من كانت نفسه يقول لها: كن فتكون فذلك هو الذي يقول للحقيقة: كن فتكون. أنظر قول الشيخ سيدي عبد القادر الجيلاني في قصيدته المعروفة له حيث قال:

ونفسك تحوي بالحقيقة كلها * اشرت بجد القول ما انا خادع

ولا يقول أحد للشيء: كن فيكون حتى يكون يقول لنفسه: كن فتكون)، وقال: (اعلم أن أربعة من مفاتح كنز النفس: كثرة الصمت، وغض البصر عن النظر إلى

الخلق، وسخاء اليد، وكثرة الجلوس. هؤلاء حقائق ظواهر جلالية، وهي من مفاتح الجمال الباطني. ولا شك أن مفتاح الجمال الباطني هو الجلال الظاهري، كما أن مفتاح الجلال الباطني هو الجمال الظاهري. كل ما يزيد في ظاهرك جلال، على قدره يزداد في باطنك جمال. وكل ما يزيد في ظاهرك جمال يزداد في باطنك على قدره جلال. هكذا جرت عادة الله في خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلًا)، وقال: (اعلم سمعت الشيخ نفعنا الله به يقول: مسائل تتهرس بها النفس: أولها السعاية للخلق، ثم العزلة من الخلق، ثم الجوع، ثم السياحة، ثم سقي الماء للخلق، ثم الطواف في الأسواق بالبندير، ثم الكلام مع من يلتقيك من الناس خصوصًا وعمومًا، والطواف بالبخور يبخر الناس من غير طلب الأجر، ثم الحفا، والعرا من الثياب. هذه ثمانية حقائق مباحات، وهي من الحقائق العظمى التي تجمع العبد على الله، يعني العبد الصادق في طلبه لله، وكأنها أبواب إلى الله كل من دخل من واحدة من هذه الثمانية، بها يدخل على الله وبها يصل إلى الله، وذلك بشرط، والشرط هو الإقبال على الله بواحدة من هذه الأبواب بمرافقة أرباب الفن الماهرين في علم الحقيقة، وقليل ما هم. وهذا القياس من طريق السلوك في الجذب)، وقال: (اعلم أنه اشتملت ذات الإنسان على سبعة جوارح، كل جارحة لها حقيقتان، حقيقة علوية وحقيقة سفلية. أربعة في الرأس: اللسان والعين والأنف والأذن. وثلاثة في البدن: اليد والرجل والفرج. الحقائق العلوية: الكلام والنظر والسمع والشم والسير بالرجلين والنكاح بالفرج والإمساك باليدين، هذه سبعة. والحقائق السفلية الصمت وغض البصر وغض الأذن عن السمع وغض الأنف عن الشم وكثرة الجلوس والسخاء بما في اليد وعدم النكاح، هذه سبعة. وكما أن للسبعة العلوية تأثير عظيم في السبعة السفلية، كذلك للسبعة السفلية تأثير عظيم في الوجود. ومن أين للإنسان بهذا الأمر العظيم، إلا أن الله تعالى فضله على سائر الأكوان وجعله مكمولًا من كل جهة. ومن إكماله له، أن جعله نسخة من الوجود، والوجود نسخة منه، من أعلى عليين إلى أسفل سافلين. الوجود بأسره مطوق بحكمة الحق تعالى في الإنسان، لأجل هذا المعنى تجد الإنسان مشتملًا على أعلى شيء وأشرف شيء وأكبر شيء، وتجده أيضًا مشتملًا على أسفل شيء وأحقر شيء وأصغر شيء. إن وصفته بالشرف لا تدرك نهاية شرفه ورفعته، وإن وصفته بالدناءة والخساسة والوضع لا تدرك نهاية دناءته ووضعه. العارفون بهذا المعنى استدلوا على كماله وعلو منزلته، والجاهلون بهذا المعنى استدلوا على نقصه ووضع منزلته، وكل واحد ينعت فيه ما رأى:

بين الطلوع والنزول تخبلت العزول * افنى من لم يبق وابقى من لم يزل

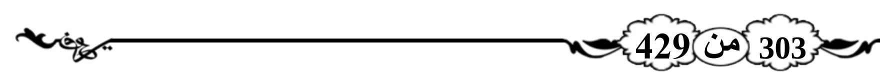
وكيف يتصور في العقل الإحاطة بمعرفة الإنسان، وقد جاء في الصحيح عنه

< **:** « **من عرف نفسه عرف ربه** »، وقال جل من قائل: ﴿ **وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ** (1) **وَطُورِ سِينِينَ** ﴾ [التين: 1 - 2]. كل من وصف الإنسان بشيء فقد صدق. إن وصفه بأعلى شيء فهو ذاك، وإن وصفه بأسفل شيء فهو ذاك)، وقال: (اعلم أن الروح هي النفس، والنفس هي الروح، ولكن اختلفت أسماؤها باختلاف المقامات. مثلاً: كالإنسان في حال صغره يسمى صبيًا طفلاً، فإذا بلغ أشده يسمى رجلاً كهلاً، وفي حال هرمه يسمى شيخًا. كذلك النفس مع الروح واحدة، لكن ما دامت النفس مسجونة في ظلمة الحجاب وهي تسمى نفسًا، فإذا انطلق سراحها وخرجت من ظلمة الحجاب إلى نور العيان تسمى روحًا)، وقال: (اعلم أنك إذا تكرمت على الوجود ونسيت نفسك فإن الوجود يتكرم عليك وينسى نفسه، وإذا تكرمت على نفسك ونسيت الوجود فإن الوجود يتكرم على نفسه وينساك. وعلامة شرف الإنسان على الوجود هو أن الوجود كله تابع لهمة الإنسان. صار الوجود كله تابع للإنسان، يتحرك بتحركه، ويسكن بسكونه. كأن الوجود قشر، والإنسان لبه. وفي بعض كلام الششتري رحمه الله قال:

وانت مراة النظر وقطب الزمان * وفيك انطوى ما انتشر من الاواني

يعني بالإنسان القطب، لأن القطب عليه مدار الوجود: أنظر قوله تعالى في الحديث القدسي: « **عبدي خلقت الأشياء كلها من أجلك وخلقتك من أجلي** ». صار الإنسان هو ذرة الوجود، ومدار الوجود كله على الإنسان، كما أن ذرة الإنسان هي روحه، ومدار الإنسان كله على الروح. ولو بطلت الروح لبطل الإنسان، ولو بطل الإنسان لبطل الوجود. أنظر يا أخي هذه الروح ما أشرفها وما أكرمها وما أعظم شأنها وهي في الإنسان وهو لا يعرف قدرها. ومما يدلك على عظم شرفها قول الصادق المصدوق: « **من عرف نفسه عرف ربه** » الحديث. صارت معرفتها هي معرفة الله، وعدم معرفتها هي عدم معرفة الله. ويتفاوت الناس في معرفة الله على قدر معرفتهم بنفوسهم، ولا يعرفها حق معرفتها إلا الله. وانظر الإنسان إن حققته تجده يتلون بالألوان كلها، كل وقت هو في شأن، وحال لا يشبه حالاً، وذلك من أجل النور الذي وضع فيه وهو الروح: مهما تلونت روحه بلون يتلون هو بلونها. كأنه هو أي الإنسان حجاب على نفسه، والوجود حجاب عليه، ونور الروح يخرق حجاب الجسم وحجاب الوجود ولو كانت ألف ألف حجاب على الروح لخرقهم نورها من عظم قوته. ولو ألف المؤلفون مائة ألف ألف مجلد في علم الروح ما وصلوا على الألف من حروف الاسم)، وقال: (اعلم أنه لا شيء في الوجود أفضل من تذللك لنفسك، ولا شيء في الوجود أيضًا أفضل لك من كثرة الطمع في نفسك، ولا تحصل لك نتيجة هذا المعنى حتى تحصل لك معرفة نفسك، وإذا عرفت نفسك فقد عرفت ربك.

قال > : « **من عرف نفسه عرف ربه** »)، وقال: (اعلم علمني الله وإياك، أني ما وجدت حبيبًا في الوجود يعادل نفسي، هي أحب الأحباب إليَّ، وهي منبع الخيرات، ومنبع الأسرار والأنوار، ولا وجدت خيرًا في الوجود إلا خيرها، وما احتجت على شيء، والتفت إليها إلا وجدته بين يدي أقرب من طرفة عين. فيها دوائي، وبها شفائي، ومنها ابتدائي، وإليها انتهائي. بها طلبي، وهي مطلبي، وهي شربي، ومنها مشربي. منها غنائي، وهي غنائي، ومنها فنائي، وفيها فنائي. هي خيرتي، وفيها حضرتي، وهي شربي، وهي سكرتي)، وقال: (مما سمعت شيخنا يقول يا ولدي: الإنسان موضع كسره هو موضع تجبيره، وأعظم مهمات الإنسان الكسر، والكسر هو النفس، ولا جبر للإنسان أقرب وأعظم من نفسه. وهي أعدى الأعادي، وهي أحب الأحباء)، وقال: (اعلم يا أخي وإياك، أن الزهاد {، زهدوا في نفوسهم لأنهم رأوها هي أعدى الأعادي إليهم، وذلك لأنهم يتوهمون وجودها معه فحجبوا بذلك الوهم عنه، فصاروا في أشد تعب ونصب، تائهين في مكابدة ظلمة الحجاب، لأنهم يشهدون أنفسهم، ومن شهد نفسه حجب عن مولاه، ومن شهد مولاه حجب عن نفسه، محال أن تشهده وتشهد معه سواه. وأما العارفون { استغرقوا في بحر مشاهدته حتى لا يشهدوا في الوجود سواه. شاهدوا الله في نفوسهم فصارت هي أحب الأحباب إليهم، لأن العارف بربه هو العارف بنفسه. صار هو الطالب، وهو المطلوب، وهو الحبيب، وهو المحبوب، فبرءوا من جميع العيوب. كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان. ولو صحت لك المعاملة مع الحبيب، لصار أعدى الأعادي إليك حبيبًا. ولو أشرق نور الإيمان، لغطى وجود الأكوان، ولوقع العيان على فقد الأعيان)، وقال: (اعلم أن الفتح يكون على قدر تشوير همة صاحبه، إن كبيرة فكبيرًا، وإن صغيرة فصغيرًا، وإن عظمت فعظيمًا، وإن حقرت فحقيرًا. وأما ظهور نتائج الفتح فمجموعة في إتباع شهاوي النفس وتصديقها في مأموريتها من غير اتهام لها فيه، لأن النفس جاءت من حضرة الحق، لا تشير إلا للحق. العارف مهما صح تشويره للحق، بحيث يعرف ذلك من نفسه، أو يعرفه أحد ممن يثق به من أهل فنه، يصير اتهام نفسه عليه حرام، وكلامنا هذا مع أهله لا مع جملة الناس. وهذا التحريم بإجماع أهل المعرفة بالله الماهرين في علوم النفس. شرفنا الله بذكرهم وجعلنا وإياكم من المحسوبين على جملتهم. وقولنها مع أهله، يعني المحققين لدقائق العلم بالله. ولا شك أن مخالفة النفس تجمع أهلها على الله تعالى، وإتباع النفس أيضًا يجمع أهله على الله، لكن لكل مقام مقال. كأن تشوير النفس لمولاها هو إسلامها، وعدم تشويرها لله هو كفرها. من كانت نفسه كافرة لا يجمعه على الله إلا مخالفتها، ومن كانت نفسه مسلمة لا يجمعه على الله إلا إتباعها، وكل واحد مطالب بما يليق بمقامه)، وقال:



(اعلم أن الأبواب كلها مغلقة بين الله وعبده، إلا باب نفسه. من لم يدخل على مولاه من باب نفسه لا يدخل أبدًا. من عادى نفسه فاز بإقبال الخلق عليه، ومن صادق نفسه فاز بإقبال مولاه عليه. لكن مصادقة النفس هذه التي ذكرنا، لا تكون إلا بصحبة عارف بالله إن وجد، وأما قبل وجوده فإذا عادى الإنسان نفسه فلا بأس به، لأن هذه النفس خيرها ما له حصر لا يعلم قدره إلا الله، وشرها ما له حصر لا يعلم قدره إلا الله. من استشرف على خيرها هام فيه، وفاته شرها. ومن استشرف على شرها هام فيه وفاته خيرها، نسأل الله السلامة، يرحم الله القائل:

وســـمع الخطـــاب مـــن ذاتـــي * مـــــن مكـــــان قريـــــب

يـــا حبيبـــي وانـــت فـــي ذاتـــي * حاضـــــــر لا تغيـــــــب

والله ما دخل على مولاه من دخل إلا من باب نفسه. ويكفيك في النفس شرفًا قوله > : « **من عرف نفسه عرف ربه** ». ومن كلام شيخ شيوخنا سيدي عبد الرحمن المجذوب نفعنا الله بالجميع:

امنـــاين جيـــت يـــا ذا الـــروح * الهايمــــــا روحانيــــــا

الســـاكنا فـــي ابســـاط العـــز * احوالهــــــا ربانيــــــا

راع مـــن الـــنفس جهـــدك * صـــبح او مـــيس اعليهـــا

لعلهـــا تـــدخل بيـــدك * اتعـــود تصـــطاد بهـــا

صار الأمر كما قلنا، عداوة النفس تمكنك من نواصي الخلق: أنت تزيد عداوة، والخلق يزيدون إقبالًا عليك، وأنت تزيد بعدًا من مولاك. ومصاحبة نفسك تجمع بينك وبين مولاك: تزيد ودًا ومحبة مع نفسك، وأنت تزيد قربًا من مولاك وإقبالًا منه عليك. أنت تزيد قربًا من مولاك، وأنت تزيد بعدًا من الخلق، وذلك إذا قربت من مولاك يشم الخلق فيك رائحة لا يعرفونها، فيحصل الإنكار منهم إليك، لأن من جهل شيئًا عاداه. جرت عادة الله تعالى أن الداخل إلى الله منكور، والخارج إلى الله مبرور. قال الشاعر: ومن يخطب الحسناء يصبر على البذل)، وقال: (اعلم أنك إذا كنت عبدًا لمولاك، لا تجد في الوجود أحدًا أصدق من نفسك ولا لك حبيب مثلها، ولا لك خير إلا خيرها. كما أنك إذا كنت عبدًا للمخلوق، لا تجد أحدًا أعدى عندك من نفسك، ولا تجد شيئًا مبغوضًا عندك مثلها، لأنه لا يصل لك شر إلا منها. ولكن كل ما يجمعك على نفسك يفرقك عن جنسك، وكل ما يجمعك على جنسك يفرقك مع نفسك. جرت عادة الله بهذا الاختلاف، وهو أحكم الحاكمين. ومن كلام العامة: اكره نفسك يحبك الناس، وحب نفسك يكرهك الناس. ومحبة نفسك المحبة الكاملة لا تحصل لك حتى تعرفها، ومن عرف نفسه عرف ربه. وإذا حصلت لك معرفة ربك،

تنكر عند الناس أولًا كلهم، حتى لا يبقى لك حبيب إلا مولك، أو من هو منسوب إلى مولاك، وكذلك جرت عادة الله في خاصة عباده وذلك اختيار من الحق لعبده: ﴿ **أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ** ﴾ [العنكبوت: 2] الآية. ثم يعقب ذلك الحال حال ضده، يحبك فيه أهل السماوات السبع وأهل الأرضين السبع من الجن والإنس والطيور والهوام والملائكة والأحياء والأموات والجمادات والحيوانات والنباتات، إلا من أعمى الله بصيرته وسبقت له الشقاوة ولم يكن له نصيب من نور الإيمان والعياذ بالله. وبعد ما يحبونك بأجمعهم، تصير الأكوان كلها خدام لك عند أمرك ونهيك، وذلك لما كنت عبدًا لمولاك حقًا، تكون الأكوان عبيدًا لك حقًا بأمر الله تعالى. جعلنا الله وإياكم من السالكين على هذا المنهج القويم بفضله وإحسانه، إنه على كل شيء قدير)، وقال: (اعلم أن الإنسان إذا فني عن شهود الخلق، ولم يشهد فيهم إلا الحق، فإن هذا تذلله لهم هو عين العز، وفقره لهم هو عين الغنى، وضعفه لهم هو عين القوة، وعجزه لهم هو عين القدرة، لأنه صار فعله مع الخلق كلهم بالله ولله ومن الله وإلى الله، لا يشهد غيره، ولا يعرف سواه، انخرقت له حجب الأوهام، ولم يشهد فيا لوجود سوى الملك العلام. وإذا كان الإنسان مغمورًا في دائرة الحجاب، غلب عليه شهود الخلق، ولم يفرق بين الفرق والجمع، فإن هذا تذلله لهم ذل فوق الذل، وفقره لهم فوق الفقر، وضعفه لهم فوق الضعف، وعجزه لهم فوق العجز، وهكذا، لأن فعله صار يفعله بنفسه، والفاعل بنفسه مخذول على كل حال، يعني صار مشتغلًا بنفسه، عبدًا مملوكًا لنفسه، لا يظهر عليه إلا ما يبرز منها من النقائص والأفعال الذميمة مما لا يكيف ولا ينحصر، لأن النفس خلقها الله مملوكة لك، وأكرمك بها كرامة لا يعد لها شكر ولا ثناء، إلا ما أثنى جل ثناؤه على نفسه أتحفك بها لتستعين بها على معرفته وخدمته، هي مملوكة لك وأنت مملوك لمولاك، وأنشأك. قال مولانا جل ثناؤه: ﴿ **يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ** (6) **الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ** (7) **فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ** ﴾ [الانفطار: 6 - 8]، وقال تبارك وتعالى على لسان نبيه > : « **عبدي خلقت الأشياء من أجلك، وخلقتك من أجلي، فلا تشتغل بما هو لك عما أنت له** » أو كما قال >، الحديث)، وقال: (اعلم أن من جملة ما أكرم الله به هذا الإنسان، أن جعله كاملًا من كل جهة، حتى جعله نسخة من الوجود، والوجود نسخة منه، وكما جعل في الوجود ظلمة ونورًا، كذلك جعل في الإنسان ظلمة ونورًا. الوجد إذا ظهرت ظلمته بطن نوره، وإذا ظهر نوره بطنت ظلمته، وكذلك الإنسان مهما تنورت ظواهره تظلمت بواطنه، ومهما تظلمت ظواهره تنورت بواطنه. وهذا التفصيل لا يعرف معناه إلا عالم بعلم النفس، وقليل ما هم. لا يوجد

علم النفس إلا عند العارفين بالله، لأن من عرف نفسه عرف ربه. ومن حكم بأن نورانية الظاهر تقتضي نورانية الباطن فهو جاهل، أو ظلمانية الظاهر تقتضي ظلمانية الباطن أيضًا فهو جاهل لا يفقه شيئًا من علوم النفس. وعلم النفس هو العلم بالله لمن عرفه أو عرف من عرفه. سمعت من شيخي عن أبيه قال سمع من سيدي عبد الرحمن الفاسي ـ نفعنا الله بالجميع ـ قال: كنت أحفظ أربعة عشر علمًا، قبل أن أقرأ العلم بالله، فلما اشتغلت بقراءة العلم بالله، ذهبت لي اثنا عشر علمًا، وبقي لي علمان اتأنس بهما مع أصحابنا: علم الحديث وعلم المنطق)، وقال: (ومن ذلك أن الله تعالى خلق الإنسان، وجعله نسخة من الوجود وجعل الوجود نسخة من الإنسان. ومن جملة ما قام به الوجود: الفساد والصلاح. هاتان حقيقتان من حقائق الوجود، مهما تعذرت واحدة منهما تعذر الوجود. الفساد لا يقوم إلا بالصلاح، والصلاح لا يقوم إلا بالفساد. وكما جعلهما الله تعالى بحكمته في الوجود، لا يقوم إلا بهما، كذلك جعلهما الله تعالى في الإنسان، لا تقوم ذاته وحياته إلا بهما، ولو بطلت واحدة منهما من ذات الإنسان لبطل الإنسان واضمحل وتلاشى. ومن حكمته تعالى أن جعل ذوات الخلق مختلفة، من الناس من جعل الفساد في ظاهره والصلاح في باطنه، ومنهم من جعل الفساد في باطنه والصلاح في ظاهره، وكل ذلك في غاية الإتقان. ومن الناس أيضًا من يكون الفساد في ظاهره والصلاح في باطنه، ثم ينقلب بحكمة الله تعالى، فيصير الصلاح في ظاهره والفساد في باطنه، وذلك عند الله أسرع من طرفة العين. ومن الناس أيضًا من يكون بالعكس يكون الصلاح في ظاهره والفساد في باطنه، فيقلبه الله تعالى بحكمته أسرع من طرفة عين فيصير الصلاح في باطنه والفساد في ظاهره. وهذا كله من كمال القدرة ﴿ **لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا** ﴾ [الطلاق: 12]. والإشارة بهذا المعنى إلى السلوك في عالم النفوس، لأن من عرف نفسه عرف ربه وتحصل أيضًا بهذه الإشارة، معرفة الفرق بين أهل التجريد وأهل الأسباب. أما أهل الأسباب فممن جعلهم الله تعالى صلاحهم في ظواهره وفسادهم في بواطنهم، وأهل التجريد فممن جعلهم الله تعالى صلاحهم في قلوبهم وفسادهم في ظواهرهم، والكل حسن، والحكمة في الضمير، وبالله التوفيق)، وقال: (اعلم أن الساخي جمالي الظاهر جلالي الباطن، والبخيل جلالي الظاهر، جمالي الباطن، والساخي علوي الظاهر سفلي البطن، والبخيل سفلي الظاهر علوي الباطن، والساخي معنوي الحس، حسي المعنى، والبخيل حسي الحس، معنوي المعاني. والساخي حريته في ظواهره وعبوديته في بواطنه، والبخيل عبوديته في ظواهره وحريته في بواطنه والساخي نوره في ظواهره وظلمته في بواطنه، والبخيل ظلمته في ظواهره ونوره في بواطنه، والساخي ملكه في ظواهره وملكه في بواطنه، والبخيل مِلكه في ظواهره ومُلكه في بواطنه. وهذا القياس



تحصل به زيادة معرفة بالنفس، وإن حصلت تلك الزيادة للشخص فعلى قدرها تحصل زيادة معرفة الله بلا ريب على كل حال)، وقال: (اعلم أن الحق جل ثناؤه، كما تجلى وتعرف وظهر لعباده العارفين كذلك ظهر وتعرف للجاهلين. إلا أن العارفين لما ظهر عرفوه في كل حال وأقروا بوحدانيته، فصار يتعرف لهم في كل حين بتعرف خلاف ما كان قبله وأقوى مما كان قبله. والجاهلون لما ظهر لهم، جهلوه وأنكروه، فلذلك حصل لهم الإنكار على الخلق حتى أنكروا نفوسهم، ولو أقروا لنفوسهم لأقروا لربهم، ولو أقروا لربهم لأقروا لنفوسهم، لأن من عرف نفسه عرف ربه، ومن جهل ربه جهل نفسه)، وقال: (اعلم أن من عرف نفسه عرف ربه. ومنه أيضًا قولهم في الشريعة: كل ما يخطر ببالك فالله بخلاف ذلك. وأهل الحقيقة قالوا: مكل ما يخطر ببالك فهو عين ذلك. ومن قوله > : « **من ذكرتموه بخير وجبت له الجنة، ومن ذكرتموه بشر وجبت له النار** » في حديث الجنازة. ومنها: كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان)، وقال: (اعلم أن المراد بالأسباب هو الخروج عن الأسباب، ولو خرجت عن الأسباب لشهدت مسبب الأسباب. ما كان العبد مع العبد ألبس حلية العبودية، وما كان العبد مع الرب ألبس حلية الربوبية. اعلم أن المراد بالنظر في الأكوان هو الخروج عن الأكوان. ومهما شاهدته في الأكوان أو عند الأكوان أو قبل الأكوان أو بعد الأكوان، حجبت به عن الأكوان. والمراد بالأسباب هو الخروج عن عالم نفسك، ومهما أدبرت عن عالم نفسك فأنت عائم في عوالم ربك. إذا نظرت في ذاتك حقيقة، وجدتها من شريعة وحقيقة)، وقال: (عجبت ممن يقول: بأن من عرف الحق حق معرفته أنه يرضى عن نفسه أو يهين أحدًا من مصنوعات ربه، حاش وكلا ومعاذ الله، وعجبت ممن يقول: بأن الراضي عن نفسه يحصل على شيء من رضي ربه، ومن فاته رضاءه فهو الواقع في سخطه. قال تعالى: ﴿ **فَرِيقٌ فِي الجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ** ﴾ [الشُّورى: 7]. سبحان من لم يجعل بين الجنة والسعير منزلة، إما نزول في الجنة، أو نزول في السعير. يرحم الله الشيخ ابن عطاء الله حيث يقول: « أصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضى عن النفس، وأصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضى منك عنها، ولأن تصحب جاهلًا لا يرضى عن نفسه خير لك من أن تصحب عالمًا يرضى عن نفسه، فأي علم لعالم يرضى عن نفسه، وأي جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه ». والمراد بالعلم هنا علم العيان فهو أقوى وأبلغ من علم الخبر، لأنه ليس الخبر كالعيان)، وقال: (اعلم أن نفسك من الأرض، والأرض لا بد لها من نبات، إذا لم تغرس فيها ما ينفع، ينبت فيها ما يضر ولا ينفع. قال الششتري في بعض كلامه:

غرست في حضرتي شجرة التوحيد * الاصل في قبضتي والفرع فيها يزيد

ولا يجنـــي ثمرتـــي إلا قـــارئ التوحيـــد)

المواهب والمكاسب

قال: (اعلم أن من حكمة الله تعالى أن جعل الأشياء كلها حسية ومعنوية، وجودها كامنًا في عدمها، وعدمها كامنًا في وجودها. هكذا في الأمور كلها، سواء كانت وهبية أو كسبية، فالعارف مستريح بهما في الوهبية والكسبية، في الوهبية عارف بأحكامها، وفي الكسبية عارف بتصريفها على مراتبها، مع أن الوهبية لا تستقيم أفعالها ولا تسكن حتى تستقيم الكسبية وتسكن بتصريفاتها وأفعالها، فعند ذلك على ظهر الكسبية تستقر الوهبية، وإذا لم تسبق معرفة أحكام الكسبية لم تكن معرفة الوهبية ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾ [فاطر: 28] الآية. وأما قولنا في أول الكلام: الوجود كامن في العدم والعدم كامن في الوجد. بذلك جرت سنة الله في عباده، بحكمته وقدرته. يرحم الله القائل: « وداوني بالتي كانت هي الداء ». سأل بعض الصالحين أبا يزيد البسطامي فقال له: يا سيدي متى يكون داء النفس دواءها؟ قال له: نعم إذا تخالف هواها يكون داؤها دواءها. نفعان الله بالسائل والمسؤول، وجعلنا وإياكم من السالكين على منهجهم القويم آمين)، وقال: (اعلم أن المواهب لا تكون مكاسب والمواهب هي مواهب العلم ومواهب العمل، وحكمهما واحد. العلم والعمل: مادة إلهية وهبية، تتلون، تارة تكون علمًا، وتارة تكون عملًا، حكمهما واحد، وهي لا تأتي لأهلها إلا بغتة، وكل من ادعى بملكيتها فهو جاهل أحمق، وذلك لأن الحقيقة تتبع الشريعة أبدًا، كما أن الشريعة تتبع الحقيقة أبدًا، هكذا جرت سنة الله تعالى في عالم النفوس، وفي عالم الوجود. ومن قال: بأن المواهب تكتسب، كمن قال: هو الناكح للزوجة والصانع للجنين في بطنها والخالق له، وهذا من المحال الذي لا يقوله إلا الجاهل أو الأحمق، لأن الحق جل ثناؤه، حكمته تفضَّل على خلقه بها، يفعلونها بأيديهم اكتسابًا، مثل النكاح للمرأة والحراثة للأرض، كما أن قدرته سبحانه وهبها لخلقه إهابة قهر، مثل الولادة للمرأة، وانبات الزرع في الأرض، تفعل بهم ولا يقدرون على جلبها إذا فقدت، ولا على فقدها إذا وجدت. وإن كان تفضَّل على عبده بأن جعل قدرته تعالى تابعة لحكمة العبد باكتسابه، ولكن لم يملك القدرة للعبد إلا الوقت الذي يريد أن يخرجه عن وصفه وعن بشريته، فحينئذ إن ظهرت عليه أوصاف القدرة، ليس هو الفاعل لها، وإنما الفاعل به هو مولاه، وأما هو فقد فني عن عالم الخلق وتلاشى حتى لم يبق له فيه أثر. صار حينئذ الحق هو الفاعل به، كما كان يفعل به وهو في بطن أمه. صارت القدرة خاصة به تعالى، لا يملكها لأحد من خلقه، وإن أراد أن يملكها لأحد من الخلق، لا يملكها له حتى يخرجه عن حسه، فحينئذ يصير هو الفاعل سبحانه، بقدرته لنفسه بنفسه، ولا عبد حينئذ. ومهما حضر العبد، تخرج القدرة وتدخل الحكمة، وإذا دخلت الحكمة فذلك مقام العبودية. والحكمة تقابلها

القدرة وهي مقام الربوبية، والربوبية محال أن يتصف بها العبد إلا إذا فنيت العبودية، فحينئذ تبقى الربوبية، لأن الوجود بأسره ما فيه إلا عبودية حادثة فانية مجازية قائمة بقيام الربوبية لها، أو ربوبية قديمة باقية حقيقية قائمة بنفسها في نفسها).

الموت

قال: (اعلم أن مما أؤكد به على طالب هذه الطريقة إذا كان صادقًا أن يجعل نفسه ميتًا ويتخلف بأوصاف الميت، لأن الميت من شأنه ألا يتكلم ولا يتحرك ولا يعبأ بنفسه ولا بغيره ولا يرتب ولا يدبر ولا ينصر لنفسه ولا لغيره ولا يتخبط لخير ولا لشر ولا يلتفت. ومن شأنه أيضًا العزلة في القبور ومن كلمه فلا يجيبه إلا إذا كان ميتًا مثله، إلى ما لا ينحصر من أوصافه، وهذا قياس صحيح والله أعلم)، وقال: (اعلم أن الله خلق الموت على وجهين: موت حسي وموت معنوي، وجعل حكم الموت الحسي هو حكم الموت المعنوي. فكما أن من مات موتًا حسيًا ترفع عنه جميع التكاليف، كذلك من مات موتة معنوية ترفع عنه جميع التكاليف كما قال الشيخ أبو مدين في بعض كلامه: « فقد رفع التكليف في سكرنا عنا »، لأن العبد إذا كان شاخصًا ببصره للنظر في وجه سيده فإن التكاليف كلها تسقط عنه، بل تحرم عليه لأن حكمه حكم الواقف في الصلاة يحرم عليه الالتفات عنها ويحرم عليه كل ما يشغله عن صلاته. كان الشيخ سيدي بوشتا ـ نفعنا الله به ـ إذا قيل له فلان مات يقول: استراح من الصلاة. وقد أخبر الشيخ سيدي محمد بن سعيد الهبري الشيخ سيدي أحمد بن عبد الله ـ نفعنا الله بالجميع ـ قال له: كشف الله على بصري فرأيت أهل السماوات السبع وأهل الأرضين السبع كلهم سجدوا لله تبارك وتعالى إلا أنا فلم أسجد فاغتممت لذلك غمًا كبيرًا، فإذا أنا بالنداء عليَّ من قبل الله تبارك وتعالى فقال لي: يا محمد إنما السجود على من بيننا وبينه حجاب وأما من ليس بيننا وبينه حجاب فلا سجود عليه. فإن الإنسان مهما رضي بالعبودية وامتزج بها نقله مولاه إلى مقام كنته. قال بعضهم:

دعـــوني لملكهـــم فلمـــا اجبـــتهم * قـــالوا دعونـــاك للمُلـــك لا للمِلـــك

لأن الله تعالى أكرم من أن تجود عليه بنفسك وهو لا يجود عليك بنفسه، بل مهما رضي العبد بالعبودية واطمأنت نفسه إليها يقول الله تبارك وتعالى: أنا أكرم من أن ترضى بعبوديته وأتركك عبدًا، بل أنت أنا، وأنا أنت).

الناس

قال: (ومما سمعت الشيخ ـ نفعنا الله به ـ يقول: أقل الناس من يترك ما عنده



لما عند الناس)، وقال: (الناس أربع مقامات: الأول: غافل عن الله مطرود عنه. الثاني: متوجه إلى الله، محجوب عنه، الثالث: غائب في الله، فإن عن الخلق فيه. الرابع: عارف بالله، راجع إلى الخلق به. هذه المقامات الأربع، واحدة فوق الأخرى. وبعد حصول المعرفة بالله، وهو المقام الرابع، يترتب السير في المقامات والأحوال إلى الأبد. سبحان من أعطى أقوامًا، ومنع أقوامًا، وقرب من أراد قربه، وبعد من أراد بعده. سبحان من لا يتوقف فضله على علة، المعطي بلا شئْ، والمانع بلا شيء. سبحان من أبدع الوجود بحكمته فضلًا منه، سبحان من إله كريم، بلا شيء. سبحان من أبدع الوجود بحكمته فضلًا منه، سبحانه من إله كريم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد إمام المتقين وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين)، وقال: (اعلم أن الناس على ثلاثة مراتب: غافل منهمك في غفلته قويت في دائرة حسه وانطمست حضرة قدسه فنظر الأحسن من المخلوقين ولم يشهده من رب العالمين إما اعتقادًا فشركه جلي وإما استنادًا فشركه خفي، وصاحب حقيقة غاب عن الخلق بشهود الملك الحق وفنى عن الأسباب بمشاهدة مسبب الأسباب فهذا عبد مواجه بالحقيقة ظاهر عليه سناها سالك للطريقة قد استولي على مداها غير أنه غريق الأنوار ومطموس الآثار قد غلب سكره على صحوه وجمعه على فرقه وفناؤه على بقائه وغيبته على حضوره، وأكمل منه عبد شرب فازداد صحوًا وغاب فازداد حضورًا فلا جمعه يحجبه عن فرقه ولا فرقه يحجبه عن جمعه ولا فناؤه عن بقائه ولا بقاؤه يصده عن فنائه يعطي كل ذي قسط قسطه ويوفي كل ذي حق حقه، قال أبو بكر الصديق } لعائشة رضي الله عنها لما نزلت براءتها من الإفك على لسان رسول الله > : يا عائشة اشكري رسول الله >، فقالت: والله لا أشكر إلا الله. دلها أبو بكر } عن المقام الأكمل مقام البقاء المقتضي لإثبات الآثار، وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿ **أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ** ﴾ [لقمان: 14]. وقال النبي > : « **لا يشكر الله من لم يشكر الناس** ». وكانت رضي الله عنها في ذلكَ الوقت مصطلمةَ من شاهدها، غائبة عن الآثار، فلم تشهد إلا الواحد القهار)، وقال: (اعلم أن الناس على ثلاثة فرق: الأولى فرقة أهل الدنيا، والثانية فرقة أهل الآخرة، والثالثة فرقة أهل الله. أهل الدنيا هم الذين شغلوا بالدنانير والدراهم عن كل شيء. وأهل الآخرة هم الذين شغلوا بالاجتهاد في العبادة عن كل شيء. وأهل الله هم الذين تجردوا لله من كل شيء تجردوا من دنياهم، وتجردوا من آخرتهم، وتجردوا حتى من نفوسهم ومن عقولهم ومن حسبهم ومن نسبهم ومن تدبيرهم ومن اختيارهم، وتجردوا من الخلائق كلهم حتى لم يشغلهم عن الله شاغل، ولم يجدوا في أيديهم شيئًا أو ثق من مشاهدة الله، فعند ذلك صاروا ملوكًا أحرارًا، كما قال بعضهم: « عبد الدينار أسير، وعبد الآخرة أجير، وعبد الله أمير ». قال بعضهم:

كانــت لقلبــي اهــواء مفرقــة * فاســتجمعت مــذراتك العــين هــواي

فصـار يحسـدني مـن كنـت احسـده * وصــرت مــولى الــورى إذ صــرت مولاي

تركــت للنــاس ديــنهم ودنيــاهم * تشــغلا بــك يــا دينــي ودنيــاي)

وقال: (اعلم يا أخي أن الناس على ثلاثة أقسام: قوم شغلتهم الدنيا عن خالق الدنيا، قوم شغلتهم الآخرة عن خالق الآخرة، وقوم لم تشغلهم عن الحبيب دنيا ولا آخرة: لأجلهم خلق الله السماوات السبع ومن فيهن ولأجلهم خلق الله الأرضين ومن فيهن، ولأجلهن خلق الله آدم ولولاهم ما خلقه ومن أجلهم خلق الله الجنة والنار ولولاهم ما خلقهما ومن أجلهم خلق الله العرش ولولاهم ما خلقه ومن أجلهم خلق الله الجن والإنس والملائكة ولولاهم ما خلقهم ومن أجلهم خلق الله البحر والأنهار والحيتان والدواب والأنعام ولولاهم ما خلقهم ومن أجلهم خلق الله مائة رحمة ولولاهم ما خلقها. هم احباء الله وأصفياؤه وأهل الله وشيعته وأولياؤه، وهم أهل حضرته وجلساؤه، كما قال البوصيري:

وكلهــم مــن رســول الله ملــتمس * غرفا من البحر او رشفا من الديم

ولولا حبيبنا ومولانا محمد > ما وجد هؤلاء الأقوام، وإنما حبيبنا ومولانا محمد هو وهم رشحاته، ومن نور مولانا محمد تنورت قلوب هؤلاء العارفين، ولولا حبيبنا ومولانا محمد ما عرف أحد منهم رب العالمين، هو الحياة للأرواح وهو المداوي للقلوب وهو ضياء الأبصار وهو المفرج للكروب وهو الشفيع المشفع في أهل الذنوب).

النفحات

قال: (اعلم أن النفحات اثنان: النفحات الإلهية والنفحات الشيطانية. وكما أن النفحات الشيطانية تجتمع بتوفر شروطها من أكل جميل ومشرب جميل وشم جميل ومنظر جميل ومسمع جميل، كذلك النفحات الإلهية تجتمع بتوار شروطها من أكل جميل ومشرب جميل وشم جميل ومنظر جميل ومسمع جميل. وكما أن أهل النفحات الشيطانية يغلقون عليهم الأبواب الحسية ويرخون عليهم الستور خوفًا من أن يدخل عليهم أحد من غير أهل فنهم فتفسد عليهم نفحاتهم به، كذلك أهل النفحات الإلهية يغلقون عليهم الأبواب المعنوية ويرخون عليهم الستور المعنوية لئلا يدخل عليهم أحد ممن لا يعرف فنونهم فتفسد به عليهم نفحاتهم، لأجل هذا المعنى تجدهم { ربما يقربون من ليس له قدر من أراذل الناس إن وجدوا فيه شيئًا من نسماتهم يأوونه، وربما يبعدون من له جاه ومال وقدر في الناس إن لم يجدوا فيه شيئًا من

نسماتهم، لأنهم { مع ما به صلاح قلوبهم إن وجدوه وكيف وجدوه، لأنهم أرباب القلوب، وإن كانت ظواهرهم خرابًا).

النفس والجنس

قال: (اعلم لا تستريح بنفسك إلا حيث راحتها في العزلة أو في الاجتماع، ولا تتهمها فيما أمرتك، واحتفظ من خصيم نفسك ومن خصيم جنسك وسياستهم حتى تأخذ خواطرهم، لأنك إذا ظفرت بهذا الزوج ما يبقى لك وراءهم إلا الحبيب)، وقال: (اعلم أن متابعة النفس لها موطنان: موطن متابعتها فيه حرام، وموطن متابعة النفس فيه أمر واجب. وكذلك متابعة الجنس لها موطنان: موطن متابعة الجنس فيه أمر واجب، وموطن آخر متابعة الجنس فيه حرام. وتبيين هذا هو أن المريد إذا سلمت نفسه إسلام الشهود والعيان، يجب عليه أن يتبع نفسه وجوبًا فرضًا، ويحرم عليه متابعة الجنس في هذا المقام. وما دام المريد إسلام، إسلام الدليل والبرهان، يحرم عليه متابعة نفسه، ويجب عليه متابعة جنسه من أهل فنه فرضًا وجوبًا. وذلك لأن إسلام العيان هو الذكر الأكبر، والذكر الأكبر ما حصل لنفس إلا فنيت تلك النفس وبقي الحق. صار من يتبع نفسه بعد الفناء فقد تبع الحق، كما أن من تبع نفسه قبل الفناء فقد تبع الباطل، قال تعالى: ﴿ **فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ** ﴾ [يونس: 32]. ومفتاح متابعة النفس هو متابعة الجنس أعني الوسائط، إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط. كذلك مفتاح متابعة الجنس لك، أعني من المريدين، هو متابعتك لنفسك، كما قيل: « من لا تربَّى كيف يربي »، أي من لا حصلت له تصفية نفسه كيف يصفي على يد غيره)، وقال: (اعلم أن الإنسان يحذر الحذر العظيم من نفسه أو من جنسه. وإذا كان الإنسان، الخير لا يدخل عليه إلا من نفسه أو من جنسه، كذلك الشر لا يدخل عليه إلا منهما. والنفس والجنس لا يغلب عليهما إلا صاحب العلم الحقيقي أو مصطحب مع صاحب العلم الحقيقي. قال تعالى: ﴿ **فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ** ﴾ [الأنعام: 44] هذا وجه، ووجه آخر ﴿ **حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا** ﴾ [الأنعام: 44] أي فرحوا به لا بنا، ﴿ **أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ** ﴾ [الأنعام: 44] الآية. وانفس والجنس، منهما ينكسر الإنسان، ومنهما ينجبر، لأن المولى جل ثناؤه من كمال قدرته تعالى أن يرحم قومًا بالذي يعذب به آخرين، ويعذب قومًا بالذي يرحم به آخرين، وذلك ﴿ **لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا** ﴾ [الطلاق: 12])، وقال: (قال شيخ شيوخنا سيدي عبد الرحمن المجذوب نفعنا الله به:

لا امحـــــــب إلا بوصــــــــول * ولا وصــــــــول إلا غـــــــالي

ولا شـــــــراب إلا مختـــــــوم * ولا مقـــــــام إلا عـــــــالي

قلت: هذا الوصول على قسمين: وصول النفس ووصول الجنس. وصول الجنس هو مداومة الوصول لأهل فنك بالإقدام، وهذا هو الأصل والأساس عليه تنبني الطريقة كل من يواصل أهل فن بالدوام حتمًا يظفر بذلك الفن، ومن لم يواصل أهل فنه بالأقدام لا نصيب له في الفن. وأما وصول النفس فهو فرع عن هذا الأصل الذي ذكرنا وهو أن تتزيَّى بزي أهل فنك حتى يكون كل من رآك يذكر في نفسه أنك من أهل ذلك الفن، حتى تصير معروفًا بالفن، والفن معروف بك، لا خبر، وليس الخبر كالعيان، ولا العيان كالخبر. إذا كان الإنسان هكذا فقد كملت له الأصول، وما بعد الأصول إلا الوصول على كل حال بغير شك، كما قال صاحب الحكم: « إنما حرموا الوصول لتضييعهم الأصول ». ومهما تكمل الأصول يحصل الوصول على كل حال بغير شك)، وقال: (اعلم ومما قال لي سيدنا: يا ولدي إذا أحسن ظنك في أحد فإن ظنك حسن في نفسك، وإذا أسأت ظنك في أحد فإن في نفسك أسأت الظن، وإذا أكرمت أحدًا فإنما أكرمت نفسك، وإذا أحرمت أحدًا فإنما أحرمت نفسك، وإذا رفعت أحدًا من عباد الله فإنما رفعت نفسك، وإذا وضعت أحدًا فإنما وضعت نفسك، وهكذا).

النفس والفلس

قال: (وسمعته يقول: كل من تعزه يعزك، وكل من تذله يذلك، إلا نفسك وفلسك كلما تعزهما يذلاك وكلما تذلهما يعزاك)، وقال: (اعلم أن كل من عرف الحق ووحده، ما عرفه ووحده إلا بين نفسه وفلسه، وكل من جهل الحق سبحانه وكفر به، ما جهله وكفر به إلا بين نفسه وفلسه. موضع الربح الكامل هو موضع الخسران الكامل. قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ** ﴾ [التوبة: 111]. أهل الظاهر يفهمونها جنة الآخرة. وأهل الباطن يفهمونها جنة الشهود والعيان في الدنيا والآخرة، والكل صحيح. وجدت في لطائف المنن لابن عطاء الله قال: إن لله في الدنيا جنة من دخلها لم يشتق إلى جنة الآخرة ولا إلى شيء ولم يستوحش، قيل وما هي، قال: المعرفة. شتان بين طالب الدنيا وطالب الآخرة، وطالب خالق الدنيا والآخرة. ماذا وجد من فقدك، وما الذي فقد من وجدك)، وقال: (عند أهل الفلوس: جماعة تغني رجلًا، ورجل لا يغني جماعة. وعند أهل النفوس بالعكس: رجل يغني جماعة، وجماعة لا تغني رجلًا)، وقال: (اعلم أن من كرم الله سبحانه، أنه كما جعل لبعض الوجود ثمنًا وهو الفلس، كذلك جعل للوجود كله ثمنًا وهو النفس: فمهما يدفع الإنسان فلسه يملك به بعض الوجود، ومهما دفع نفسه ملك بها الوجود كله لا محالة، لأن الفلس هو بعض الوجود يملك به بعض الوجود،



والنفس تعدل الوجود بأسره يملك بها الوجود بأسره. أنظر قول الشيخ سيدي عبد القادر الجيلاني:

ونفســـك تحـــوي بالحقيقـــة كلهـــا * اشــرت بجـد القـول مــا انــا خــادع

من أراد أن يملك بعض الوجود فليسخي بقلبه لجنسه، كما أن من أراد أن يملك الوجود بأسره فليسخي بنفسه لربه، ولابن الفارض في هذا المعنى:

فمـن لـم يجـد فـي حـب نعمـى بنفسـه * وإن جـاد بالـدنيا إليـه انتهـى البخـل)

وقال: (اعلم أهل النفوس يتصرفون بنفوسهم كما يتصرفون أهل الفلوس بفلوسهم. كما يفعل صاحب الفلس بفلسه كذلك يفعل صاحب النفس بنفسه، إلا أن صاحب النفس ملك، وصاحب الفلس مملوك، وذلك لأن الله تعالى خلق الفلس كرامة للنفس ولم يخلق النفس كرامة للفلس كان النفس ملكًا والفلس مملوكًا. صار من اصطحب مع نفسه بصحبة الملك صار ملكًا، ومن اصطحب مع فلسه بصحبة المملوك صار مملوكًا. وأهل التصرف بالنفس على فرقتين وكلا الفرقتين ملوك: فرقة أهل النفوس النورانية بالله وهم ملوك، وفرقة أهل النفوس المظلمة بالعبد وهم ملوك أيضًا يعني في الظاهر، لأن رب النور هو رب الظلمة. كما أن للنور تأثيرًا في الملك، كذلك للظلمة تأثيرًا في الملك. أهل النور في النور لا ينكرون ولا ينكرون، وأهل الظلمة في الظلمة لا ينكرون ولا ينكرون، وفي الحقيقة الكل منه وبه وإليه سبحانه)، وقال: (اعلم أن تصرف النفس كتصرف الفلس. كما أن صاحب الفلس يملك به ما يريد، كذل صاحب النفس يملك بها كل ما يريد. أهل الفلوس من يكون عبدًا لفلسه، وهذا لا حكم له على الفلس، لأن محبوبه هو فلسه، ومن يقدر أن يسخى بمحبوبه. ومنهم أيضًا أن يكون فلسه خديمًا له، والكلام مع هذا، لأن هذا مالك ليس مملوكًا، فهذا يتصرف بفلسه ويجلب به كل شيء. وأهل النفس أيضًا على فرقتين: فرقة عبيد لنفوسهم، لا حكم لهم عليها، بل هي حاكمة عليهم. وفرقة نفوسهم مملوكة في أيديهم، وليس الكلام إلا مع من ملك نفسه حتى يتصرف فيها كتصرف أهل المال في المال، وهذا أيضًا ملك، والكلام أنما هو مع الملوك)، وقال: (أعلم أنه من أراد أن يملك الوجود بأسره فليسخ بنفسه أو بفلسه. إلا أن الساخي بنفسه يملك التصرف بالمغيبات حتى يكون الغيب طوع يديه، والساخي بفلسه يملك التصرف بظواهر الأشياء حتى يكون الخلق تحت أمره ونهيه)، وقال: (اعلم أن الساخي بنفسه وفلسه راكب على ظهر فرس مانع، والساخي بنفسه دون فلسه كأنه سائر على رجليه بلا مركوب، والساخي بفلسه دون نفسه كأنه أرسل فرسه مع الرفقة أعانهم به ولم يسر معهم بنفسه. الأول واصل مستراح. والثاني واصل متعوب. والثالث بطال غير واصل، لكن مجازي على إعانته وإكرامه لأهل نسبة الله تعالى على كل حال، وهو إن



دام على سخاوة الفلس مع أهل نسبة الله يرجى أن يتبع نفسه بفلسه، وما ذلك على الله بعزيز)، وقال: (ومما قال لي الشيخ رحمه الله: عندي واحد من أولادي سخي النفس، وعندي ولد آخر سخي الفلس، وأردت أن أجعلهما عندي سواء فلم أجد سبيلًا لذلك، ولا وجدت سخي النفس عندي إلا أعز وأكرم وأقرب وأرفع وأنفع من سخي الفلس. كأن سخي النفس عزيز عندي وليس بيني وبينه حجاب، وسخي الفلس وإن كان عزيزًا عندي مثل الآخر وأعظم، أجد كأن بيني وبينه حجابًا. والذي بيني وبينه الحجاب غائب عني، والذي ما بيني وبين الحجاب حاضر معي، وكيف يتمثل الحاضر مع الغائب. قال الشاعر:

رايت الهلال ووجه الحبيب * فكان هلالين عند النظر

فذاك يغيب وذا لا يغيب * وما من يغيب كما من حصر)

وقال: (اعلم أني ما رأيت في جلال النفوس مع الوجود أقطع وأسرع من جنسين هما سخاوة النفس وسخاوة الفلس. كذلك ما رأيت في جمال النفوس مع الوجود أقطع وأسرع من الكلمتين: هما الكلام والضحك. صاحب الحقيقة ذاكر الله على كل شيء، من أجل ذلك صار يباح له كل شيء ولا تجده ينكر شيئًا. وصاحب الشريعة يذكر الله على كل شيء، ويذكر المخلوق على كل شيء، ما ذكر عليه الله فهو مباح له، وما ذكر عليه الشيطان فهو حرام عليه. قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ** ﴾ [الأنعام: 121]. كما قال بعضهم من أرباب الحقيقة:

اهل الحقيقة يعذرونا * واهل الشريعة يحرقونا

وقال سيدي عبد القادر الجيلاني في بعض كلامه:

إذا كنت في حكم الشريعة عاصيًا * فإني في حكم الحقيقة طائع)

وقال: (اعلم أن السلطنة على وجهين: سلطانة النفوس وسلطانة الفلوس. سلطانة الفلوس تتدلى، ثم بعد نهاية التدلي، تترقى إلى نهاية الترقي، أحب مولاها أم كره. وسلطانة الفلوس تترقى إلى فوق، ثم بعد نهاية الترقي، تنزل إلى نهاية التدلي، أحب مولها أم كره. وسلطانة النفوس حقيقة، وسلطانة الفلوس شريعة، وشتان ما بين الفرس والحمار، بينهما ما بين الدنيا والآخرة. روي عن الشيخ سيدي امحمد بن ناصر، - نفعنا الله به -، أن رجلًا جاءه وقال له: يا سيدي أردت من الله ومنك أن تدلني على شيخ يكون كاملًا، قال له: انظر يا ولدي من تكون له مريدًا كاملًا يكون لك شيخًا كاملًا. سمعت الشيخ يقولها هكذا)، وقال: (اعلم أن الله تعالى ظهر في هذا الوجود بالفلس والنفس، قال في كتابه العزيز: ﴿ **أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ** ﴾ [التوبة: 111]. جعل حقيقة الفلس هي النفس، وجعل شريعة النفس هي الفلس

بحكمته وبديع صنعه. وما زاد من الفلس نقص من النفس، وما زاد من النفس نقص من الفلس. والنفس لا تقوم إلا بالفلس، والفلس لا يقوم إلا بالنفس، والحكم للغالب. إذا غلبت أحكام النفس فهي حقائق، وإذا غلبت أحكام الفلس فهي شرائع، والكل في الأصل حقائق)، وقال: (قال لي الشيخ: يا ولدي والله ما ظفرنا بكمية النفس حتى عرضت علينا كمية الفلس فأبيناها، يعني كمية الذهب)، وقال: (اعلم أن زيادة النفوس لا تكون إلا بنقص الفلوس، وزيادة الفلوس لا تكون إلا بنقص الفلوس، ولا يجمع بين الزيادتين إلا قليل من الكمال الأقوياء العارفين بالله، ولا يمكن الجمع بينهما إلا بعد حين يعني بعد الخروج عن مشقة البدايات إلى الرسوخ في الكمال)، وقال: (اعلم أن من حكمته تعالى، أن جعل خير النفس مع شر الفلس لا يفترقان، كما جعل شر النفس مع خير الفلس لا يفترقان. يعني جمال النفس مع جلال الفلس مقرونان. جمال النفس هو وجودهما بصحتها، وجلال الفلس تعذره بعدم وجوده. وكذلك جمال الفلس، لصحته بوجوده، وجل النفس هو تعذرها بعدم صحتها. ومن أراد أن يجمع بين خير النفس وخير الفلس فإنه لا يقدر على ذلك، لأنه أراد أن يبدل سنة الله في خلقه: خلاف ما أراد الله تعالى فيهم. وكذلك من أراد أن يجمع بين شر النفس وشر الفلس فإنه لا يقدر. قال ابن عطاء الله في الحكم: ما ترك من الجهل شيئًا من أراد أن يظهر في الوقت غير ما أراده الله تعالى فيه).

النفس والوجود

قال: (اعلم أن الله تعالى خلق عالمين: عالم الحس وعالم النفس، كما خلق زمان المصيف وزمان الشتاء. وظهر جل ثناؤه بين هذين العالمين، وجعل عالم الحس كبيرًا صغيرًا في المعنى، وعالم النفس صغيرًا في الحس كبيرًا في المعنى، وعالم الحس قائم بعالم النفس، وعالم النفس قائم بعالم الحس، وزيادة الحس لا تكون إلا بنقص النفس، وزيادة النفس لا تكون إلا بنقص الحس. والعارف بالله هو الذي عرف حكمتها، حتى صار يتصرف بالنفس كما يتصرف بالحس، ويتصرف بالحس كما يتصرف بالنفس. وعالم الحس هو الكون الفوقي والسفلي، وعالم النفس هو عالم ذات الإنسان. ومن ملك التصرف في عالم نفسه لا بد أن يملك التصرف في الكون، ومن لم يملك التصرف في عالم نفسه لا تصرف له في الوجود)، وقال: (اعلم أن من رأى الناس كلهم على خطأ فإن الرائي هو الذي على خطأ، ومن رأى الناس كلهم على صواب فالرائي على صواب، ومن رأى الناس تارة على صواب وتارة على خطأ، فهو تارة على صواب وتارة على خطأ. وذلك لأن الوجود مرآة نفسك، ونفسك مرآة الوجود. صفاتك تظهر لك في مرآة الوجود، كما أن صفات الوجود تظهر لك في

مرآتك، يعني ما ظهر لك في الوجود فهو في نفسك، وما ظهر لك في نفسك فهو في الوجود، ولا زائد. قال بعض الفقراء في هذا المعنى:

قــل للــذين راوا مــا ينكــروه فينــا * لصــفاء شــربنا راوا صــفاتهم فينــا)

وقال: (اعلم أنك إذا قابلت الوجد بالذات بظواهرك، فإن الوجود يقابلك بضد الذات وهي الصفات، فيظهر أثر صفات الوجود عليك، كما يظهر أثر ذاتك على الوجود، لأن مرآة الوجود تشرق فيك، كما أن مرآتك تشرق في الوجود، لأن الله تعالى بحكمته وقدرته جعل الإنسان في الوجود، كما جعل الوجود في الإنسان، وجعل مرآة الوجود مقابلة لمرآة الإنسان، كما جعل مرآة الإنسان مقابلة لمرآة الوجود: ما كان في واحدة من المرآتين يشرق في الأخرى على كل حال. وكذلك إذا قابلت الوجود بالصفات بظواهرك، فإن الوجود يقابلك بضد الصفات وهي الذات، فيظهر أثر ذات الوجود عليك، كما يظهر أثر صفاتك على الوجود. وذاتك وذات الوجود كأنها كلها جلال. كما أن صفاتك وصفات الوجود، كأنها كلها جمال. وجلالك مع نفسك، تقابل به الوجود جمالًا. كما أن جلالك مع الوجود تقابل به نفسك جمالًا، يعني بظاهرك وظاهر الوجود. وكذلك جمالك مع نفسك تقابل به الوجود جلالًا. كما أن جمالك مع الوجود تقابل به نفسك جلالًا. لأنه حتمًا ما كانت ظواهرك جمالًا مع الخلق إلا كانت بواطنك جلالًا مع نفسك، ولا كانت ظواهرك جلالًا مع الخلق إلا كانت بواطنك جمالًا مع نفسك)، وقال: (اعلم أن الله تعالى قال: : ﴿ **سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ** ﴾ [الأنعام: 139]. ومن ذلك أنك إذا نظرت في الوجود كله الله نظر الوجود كله فيك الله، وإذا نظرت في الوجود كله غير الله نظر الوجود كله فيك غير الله، وإذا تكرمت على الوجود تكرم عليك الوجود كله، وإذا بخلت على الوجود بخل عليك الوجود كله، وإذا ظننت في الوجود سوءًا ظن الوجود كله فيك سوءًا، وإذا ظننت في الوجود خيرًا ظن الوجود ومن فيه كله فيك خيرًا، وإذا أحسنت الوجود أحسن الوجود كله لك، وإذا أسأت للوجود أساء الوجود كله لك، وإذا صادقت الوجود صدقك الوجود كله، وإذا خنت الوجود خانك الوجود كله، وإذا عظمت الوجود عظمك الوجود كله، وإذا حقرت الوجود حقرك الوجود كله، وهكذا إلى ما لا ينحصر. حاصله: الوجود كالمرآة، بما قابلته يقابلك، وذلك لأن نفسك نسخة من الوجود، والوجود نسخة من نفسك، ونفسك تعدل الوجود كله، والوجود يعدل نفسك، شاهده قوله تعالى: ﴿ **مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا** ﴾ [المائدة: 32])، وقال: (اعلم أن نفسك نسخة من الوجود، والوجود نسخة من نفسك. من ملك الله له التصرف في نفسه، يملك التصرف في الوجود، ومن لم يملك التصرف في نفسه لا

تصرف له في الوجود، لأن حكم نفسك هو حكم الوجود، وحكم الوجود هو حكم نفسك)، وقال: (اعلم أن نفس الإنسان جعلها الله نسخة من الوجود، لا تقر عينها يعني عين النفس حتى تملك قدرها، يعني لا تقر عين الإنسان حتى تملك الحقيقة بأسرها لأن لم تملك قدرها يعني ما يعادلها فلا تحصل لها راحة أبدًا ولا تطمئن أبدًا. وإذا وصل الإنسان هذه المرتبة واستشرقت نفسه عليها، على كل حال تحصل له الطمأنينة والسكون، فعند ذلك تقر عين النفس، وإذا قرت عين النفس صار شغل الحس تتصرف به كتصرفها بالمعاني، وتتصرف بشغل المعاني كتصرفها بالحس، يعني تصير تتصرف بخرق العوائد كتصرفها بالعوائد. قال شيخ سيدي عبد القادر الجيلاني - نفعنا الله به -:

ونفسك تحوي بالحقيقة كلها * اشرت بجد القول ما انا خادع

تهنا بها واعرف حقيقتها فما * كعرفانها شيء لذلك نافع

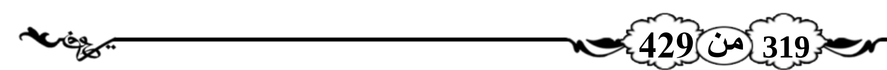
تحقق وكن حقا فانت حقيقة * بحقك والمخلوق للذات جامع

العامة سجنت نفوسهم لما انحصرت في بعض الحقيقة، يعني ملكت شيئًا منها وفاتها شيء، هذا سبب الحجاب. والخصوص سرحت سجونهم وخرقت حجبهم وقرت عيونهم لما احتوت نفوسهم على الحقيقة وسرحت نفوسهم في عوالمها كلها، فصاروا مسرحي القيود يسرحون حيث شاءوا من أعلى عليين إلى أسفل سافلين، ومن حصل له هذا الوصف فهو آخذ نصيبه من الخلافة يعني خلافة آدم، ومن لم يحصل له شيء من هذه الأوصاف لم يدرك مرتبة الخلافة وإنما هو عبد الخلافة قهرًا. وأما عبودية الخلافة اختيارًا ومحبة فهي مفتاح هذه المراتب التي ذكرنا والتي فوقها بل هي مفتاح الخير كله)، وقال: (اعلم أن نفسك لو فتشتها وحققتها، لم تجد فيها مثقال حبة من خردل على غير صواب، وإنما تجدها في غاية الإتقان، كاملة من كل جهة. كما أنك لو فتشت الوجود بأسره أيضًا، لم تجد فيه قدر حبة خردل على غير صواب، وإنما تجد الوجود كله في غاية الإتقان. والنفس نسخة من الوجود، كما أن الوجود نسخة من النفس، حكم النفس وحكم الوجود واحد، ولكن ما حصل على هذا العلم إلا العارفون بالله {، فبذلك حصل التوفيق بينهم وبين نفوسهم وبني الخلق. لما صاروا لم ينكروا على نفوسهم شيئًا ولم ينكروا على الخلق شيئًا، أقر الخصم وارتفع النزاع، ولم يبق لهم إلا الترقي في الأحوال والمقامات، والتحلي بلذيذ المناجاة، وذلك لما صارت عندهم الذات هي عين الصفات، كما أن الصفات هي عين الذات. والدخول لهذا الفن لا يمكن إلا لمن حصل العلم بالله أو بصحبة العارف بالله. والعلم بالله أيضًا لا يمكن الظفر به إلا بصحبة أهل العلم بالله إن وجدوا، وقليل ما هم)، وقال: (سألت الشيخ - نفعنا الله به - عمن يعقد الوجود ويحله بنفسه، ويعقد نفسه ويحلها بالوجود. فقال لي: هذا من رؤوس نتائج هذا الفن)، وقال: (قال تعالى:

﴿ **وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ** ﴾ [هود: 118]. الحقائق كلها من جملة اختلافها، كل حقيقة لها وجهان: وجه علوي ووجه سفلي. وجه من جهة النفس، ووجه من جهة الوجود وما حوى يعني الخلق. إذا كان الذي من جهة النفس علوي، يكون الذي من جهة الخلق سفلي، وإذا كان الذي من جهة النفس سفلي يكون الذي من جهة الخلق علوي. مهما حصل الضيق من جهة النفس حصل التاسيع من جهة الخلق، ومهما حصل التاسيع من جهة النفس حصل الضيق من جهة الجنس على كل حال. العارف هو الذي ملك نفسه في الوجود، وملك الوجود بنفسه، إن شاء عقد نفسه بالوجود، وإن شاء حلها، وإن شاء عقد الوجود بنفسه، وإن شاء حله. والجاهل ملكته نفسه بالوجود، إن شاءت عقدته، وإن شاءت حلته، وملكه الوجود بنفسه، إن شاء عقده، وإن شاء حله. شتان ما بين العارف والجاهل. العارف ملك يتصرف في ملكه بما شاء، والجاهل مملوك يتصرف فيه مالكه بما شاء)، وقال: (اعلم أن باطنك يمد ظاهر الوجود، كما أن ظاهرك يمد باطن الوجود. صار الوجود كأنه أفرعك وأنت أصله، أو كأن الوجود جسدك وأنت قلبه أو روحه. ومن جملة الاختلاف الذي جعل الله في الإنسان أن جعل ظاهر الإنسان مخالفًا لباطنه، كما جعل باطن الوجود مخالفًا لظاهره، وجعل ظاهر الوجود أيضًا بعضه مخالفًا لبعض، كما جعل باطنه بعضه مخالفًا لبعض، وكذلك الإنسان بعض ظاهره مخالف لبعضه، وبعض باطنه مخالف لبعضه)، وقال: (اعلم يا أخي أن نفسك تعدل الوجود وما فيه، والوجود وما فيه يعدل نفسك. صار الوجود مقابلًا لنفسك، ونفسك مقابلة للوجود. قال سيدي عبد القادر الجيلاني في بعض كلامه:

ونفســك تحــوي بالحقيقــة كلهــا * اشــرت بجـد القـول مـا انـا خـادع

وكل ما هو جمال لنفسك فهو جلال للوجود، وكل ما هو جلال لنفسك فهو جمال للوجود، وأنت أبدًا راتع بين عبوديتين: عبودية الله في الخلق، وعبودية الحق منك إليه. عبودية الله في الخلق على فرقتين: وهي عبودية الله في نفسك، وعبودية الله في الوجود. عبودية الخالق جمع، إذا نظرت إلى الفرق وجدته لا جمع فيه، وإذا نظرت إلى الجمع وجدته لا فرق فيه. وإذا حققت وجدت الفرق هو عين الجمع، والجمع هو عين الفرق، ولا ثم إلا المالك الحق العارف بالله يكون عبدًا لله في هذه الثلاث وجوه من العبودية، والجاهل عبد لنفسه فيها بالثلاث. ﴿ **اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ [البقرة: 257])، وقال: (اعلم أن ثمار العلم في النفوس تقابلها ثمار الغرس في الوجود، وكل من ريض نفسه على أكل ثمار المعاني وهو العلم اللدني لا يعبأ بأثمار الحس وهو ثمار الأغراس. وكذلك من ريض نفسه على أكل ثمار الحس فإنه لا يعبأ بثمار المعاني. من الناس من غلبت عليه المعاني فهو من أهلها، ومن الناس من



غلب عليه الحس فهو من أهله، والناس كلهم محصورون في هذين الوصفين)، وقال: (اعلم أن كل من ملك التصرف بظواهر نفسه لا بد أن يملك التصرف بظواهر الوجود. وكل من ملك التصرف ببواطن نفسه يعني بمغيباتها لا بد أن يملك التصرف ببواطن الوجود وبمغيباته. صاحب الظواهر غرسه مع الحق يثمر له بالخلق. وصاحب البواطن بالعكس، غرسه مع الخلق، يثمر له بالحق. صاحب الظواهر، غرسه بجمع نفسه، يثمر له بفرق الوجود. وصاحب البواطن، غرسه بفرق الوجود، يثمر له بجمع نفسه. وشتان بين من غرس الفرق وجنى أثمار الجمع، وبين من غرس الجمع وجنى أثمار الفرق. الغرس خسران، والثمار ربحه)، وقال: (اعلم أن غرس النفوس على أربعة، وثمارها على قدر النيات. غرس تغرسه في حقيقة نفسك، يثمر لك بشريعة نفسك إن نويتها. وغرس آخر تغرسه في شريعة نفسك، يثمر لك بحقيقة نفسك إن نويتها. وغرس آخر تغرسه في حقيقة نفسك، يثمر لك بشريعة الوجود إن نويتها. وغرس آخر تغرسه في شريعة نفسك، يثمر لك بحقيقة الوجود إن نويتها. لأن الإنسان من الوجود بمنزلة القلب من الجسد. يرحم الله الششتري حيث قال:

لقد انا شيء عجيب لما راني * انا المحب والحبيب ما ثمَّ ثان

يا قاصدا عين الخبر غطاه اينك * الخبر فيك والخير والسر عندك

ارجع لذاك واعتبر ما ثمَّ غيرك * وانت مراة النظر قطب الزمان

وفيك انطوى ما انتشر من الاواني)

وقال: (اعلم أن غاية مراد نفسك منك أن تجمعك مع ما أنت منه وهو منك، وهو الوجود وما فيه. والنفس حق، وهي حتمًا لا ترشدك إلا بما هو حق، ويدلك على ذلك كون مدارها كله دار على الجمع، وذلك لأنها منه جاءت وعليه تدور وإليه تعود).

النفع والضر

قال: (اعلم أن الخلق مقسومون على قسمين: قسم نافع لك، وقسم ضار لك لا زائد. من لم يكن فيه نفع ففيه ضر، وبالعكس، وغير هذا لم يكن. إلا أن العارفين بالله {، الكل عندهم خير، لأنهم استوى عندهم الخير والشر، يزيدون بالخير كما يزيدون بالشر، ويزيدون بالشر كما يزيدون بالخير. والعامة بخلاف ذلك، الخير عندهم مليح يجتهدون في جلبه، والشر عندهم قبيح يجتهدون في دفعه، وهذا الجلب والدفع يتوهمونه العوام لضعفهم. وأما في الحقيقة لا يكون إلا ما سبق في علم الله تعالى وما قدره في الأزل « **فرغ ربك من أربع** » الحديث. ولو انهتك عنهم حجب

الأوهام، لبطل اشتغالهم بالتصويب والترتيب، واشتغلوا بالتنعم في مشاهدة الحبيب، ولرأوا كل ما أوجد الله تعالي فهو في غاية الحسن والترتيب. أنظر كلام الشيخ سيدنا عبد القادر الجيلاني ـ نفعنا الله به ـ في قصيدته الكبرى المعروفة له حيث قال:

وكـــل قبـــيح إن نســـبت لحســـنه * اتتـك معـاني الحسـن فيـه تسـارع

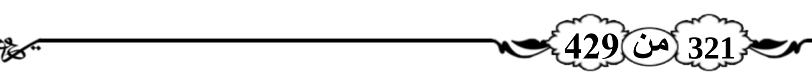
يكمـــل نقصـــان القبـــيح جمالـــه * فمـا ثـم نقصـان ومـا ثـم باشـع)

النوافل

قال: (ومما سمعته يقول: إن النوافل هي الخروج عما هم عليه العامة مما لا ينكره الشرع، يعني من الحقائق)، وقال: (اعلم قال الله تعالى على لسان نبيه > : « **لا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت** » الحديث. قال بعض العارفين في تفسير هذا الحديث: لا يزال العبد يتقرب لمولاه بالنوافل، أي الحقائق، حتى يصير العبد حقًا، فإذا صار حقًا، يصير أمره بين الكاف والنون، بأمر الله تعالى يقول للشيء كن فيكون، وما ذلك على الله بعزيز).

النية

قال: (اعلم أن النية على قسمين: نية معنوية باطنية وهي المعروفة عند جميع الخلق بالنية، ونية أخرى تقابلها ظاهرية حسية وهي الصحبة والمجالسة يعني دوام مجالسة الرجل لأهل فنه. الأولى تجر الثانية، وهي المعنوية تجر الحسية، ويكون بالعكس، الحسية تجر المعنوية. والإنسان إذا فاتته الحسية يتمسك بالمعنوية، وإذا فاتته المعنوية يتمسك بالحسية. وكل من توجه لأمر، ولم تكن له نية معنوية أو نية حسية، لا سبيل له للدخول لذلك الأمر، لأن هذين النيتين هما مفتاح الأمور)، وقال: (اعلم أن النية هي إكسير الأولياء، ولا سبيل للظفر بالنية إلا بصحبة أهل النية والصدق في طلبهم والصبر والانسعاف والانقياد إليهم، وبالله التوفيق. قال الشيخ ابن عباد في بعض تآليفه قال: صاحب هذا العلم الباطن يفر من أهل العلم الظاهر فراره من الأسد. ومما سمعت الشيخ سيدي العربي رحمه الله يقول لإنسان قال له: يا سيدي كنت قبل اليوم في حالة مرضية واليوم شعرت بقساوة زيدت في قلبي ولا أدري ما السبب في ذلك، قال له: يا ولدي أصابك ذلك من مخالطة الموتى، قال له: يا سيدي وما الموتى، قال له: الموتى هم أهل الدنيا ولا أقول لك يا ولدي أنك قصدتهم أو قصدت مخالطتهم ولكن دخولك عليهم ودخولهم عليك أصابتك الإذاية من نفسهم مثل المرآة إذا دخلت على رجل بيتًا يؤذيه دخولها عليه ولو كان كارهًا لها كذلك أنت، والآن إذا أردت



الدواء فعليك بصحبة أهل الله الذين يتهمونهم الناس بالكذب في دعوتهم، اصحبهم فإنك تداوي ويرد الله عليك أكثر مما كان عندك وبالله التوفيق. قيل لأحد من الصالحين أني أحبك، قال ذلك الصالح وماذا أنفقت عليَّ: المحبة من غير إنفاق نفاق).

الهبوط والطلوع

قال: (اعلم أن الرجل هو الذي كما يخدم بالطلوع يخدم بالهبوط، وكما يخدم بالإقبال كذلك يخدم بالإدبار. والهبوط على وجهين: هبوط حسي وهبوط معناوي. الهبوط المعناوي تخلق بالحقائق، والهبوط الحسي تخلق بالشرائع. قال الشاعر:

تركـــت للنـــاس ديـــنهم ودنيـــاهم * نشـــعلا بـــط يـــا دينـــي ودنيـــائي

وربما وجدت طريق الهبوط قريبة سريعة نافذة لمن عرفها وأخذها عن أربابها يعني من طريق الصعود، ولكن للعارف بهما).

الهمة

قال: (اعلم أنه لا يحجبك عن الباقي إلا الاستيناس بالفاني، ولا يظهر لك الباقي إلا الاستيناس بالباقي، وكل ما سوى الله حجاب عنه. ومهما تعلقت همتك بشيء أكثرت من ذكره، ومهما أكثرت من ذكره استقر حبه في قلبك)، وقال: (اعلم قال تعالى: ﴿ **وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ** ﴾ [الرُّوم: 22]. ومن جملة ذلك أن الإنسان تختلف ألوانه باختلاف تلون همته: تارة يكون جلالي الظاهر جمالي الباطن، وتارة يكون جمالي الظاهر جلالي الباطن. ومقصود الإنسان هو همته: وصفها وصفه ونعتها نعته. وكل ما يكون أوله جلالي لا يكون آخره إلا جمالي، وكل ما يكون أوله جمالي لا يكون آخره إلا جلالي، وعلى قدر ما تعظم البدايات تعظم النهايات)، وقال: (اعلم أن الهمة في المخلوق محصورة بحصره، مقيدة بقيده، والهمة في الخالق لا تحصر ولا تقيد أبدًا، لأن الهمة وصفها وصف من نزلت عليه: إذا كان محصورًا مقيدًا تكون هي كذلك، وإذا كان لا يحصر ولا يقيد تكون هي كذلك)، وقال: (اعلم أن القدرة تابعة لهمم الخلق، ما نظروا لأحد بالإعمار إلا عمر ولو كان خاليًا، ولا نظروا أحدًا بالخلاء إلا خلى ولو كان عامرًا، والكلام على الجل)، وقال: (أنظر يا أخي هذا الرب الكريم، ما أكرمه، وما أحلمه، وما أعظمه. ما توجهت همتك لخير أو لشر إلا أمدك به وأعانك عليه وهيأه إليك. « **من تقرب إليَّ شبرًا تقربت منه ذراعًا** » الحديث. قال تعالى: ﴿ **وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى** ﴾ [مريم: 76]، كان هداك لخير أو لشر، كله

في الحقيقة واحد. وقال تعالى: ﴿ **وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا** ﴾ [إبراهيم: 34])، وقال: (اعلم أن منازل الرجال افترقت في النظر. كل واحد مرتبته على قدر نظره، يعني كل من رتعت همته في منزلة لا يجد نفسه إلا فيها ولا يلبه مولاه إلا حليتها، وذلك من كرمه تعالى. قال تعالى: ﴿ **وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ** ﴾ [إبراهيم: 34]. « **إن الله يرزق العبد على قدر همته** » الحديث)، وقال: (اعلم أن الله تعالى واحد، وفضله كبير متسع لا يعرف حده إلا هو، ولكن تتفاوت فيه رتب الخلق على قدر هممهم، في حكم أهل الباطن: إنك إذا نزلت نفسك في مقام لا تجدها إلا فيه، والمقامات متفاوتة من أسفل سافلين إلى أعلى عليين. إرفع نفسك ما شئت أو ضعها. المقام الذي ترفع همتك فيه وتستوطن فيه، يقرك مولاك فيه، وفيه ينزلك الخلق، وبه تعرف عند أهل الملكوت العلوي والسفلي. « **إن الله يرزق العبد على قدر همته** » الحديث. وكل مقام نزلت نفسك فيه، لا بد أن يظهر عليك أثره، ولا يمدك مولاك إلا منه وبه، من مقام الحرية، إلى مقام العبودية. ومن كلام العامة: أين تنزل نفسك ثم تجدها. هذا في الباطن، وأما في الظاهر بالعكس، مقام الحرية كامن في مقام العبودية، وكذلك مقام العبودية كامن في مقام الحرية، أعني العز كامن في الذل، كما أن الذل كامن في العز. هذا حكم الظاهر، والأشياء كلها في أضدادها)، وقال: (اعلم أن من أقر العادة وجد العادة، ومن أنكر العادة أنكرته العادة، ومن أقر خرق العادة وجد خرق العادة، ومن أنكر خرق العادة أنكرته خرق العادة، وذلك لأن المولى كريم، ما توجهت لشيء إلا أمدك به وفيه، ورزقك من يرافقك فيه حتى تبلغ فيه منتهى همتك. الهمة تزيد منك، والمدد يزيد من مولاك، ولا ينقطع المدد من مولاك حتى تقف همتك. هذا القياس جرت عادة الله به في الأمور كلها. ومهما توجهت همتك لأمر انقطعت عما سواه. وسير الهمة لا نهاية له، قال تعالى: ﴿ **وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى** ﴾ [النَّجم: 42]، وقال > : «**إن الله يرزق العبد على قدر همته** ». العموم انعقدت هممهم على العوائد فلم يجحدوا إلا العوائد، والخصوص انعقدت هممهم على خرق العوائد فلم يجدوا إلا خرق العوائد:

ثمار ما قدر غرست تجني * وهذه عادة الزمان

هذا هو الفرق بين من ظهرت على يده خرق العادة من أهل الخصوصية، وبين من لم تظهر عليه إلا العادة من أهل العمومية. وخرق العادة هو ما عند العامة عجب، والعادة عند الخاصة عجب. قوم يتعجبون من سعادة المرء، وقوم يتعجبون من شقاوته. سبحان المعطي المانع، سبحان الحكيم العليم، لا إله إلا هو، ولا موجود في الوجود سواه)، وقال: (اعلم: رجل بالله، اهتماه يعدل اهتمام أهل العالمين بأسرهما، وقوله يعادل أقوال العالمين بأسرهما، وأفعاله كذلك. حاصله: رجل بالله

يعادل الحقيقة كلها، وإنما ذكرنا الاهتمام والأقوال والأفعال لأن لها تأثيرًا عظيمًا من الإنسان للوجود، ومن الوجود للإنسان. الاهتمام باطن، والأفعال ظاهر، والأقوال ترجمان بين الظاهر والباطن. ومن عادته تعالى في خلقه أن يرزقهم على قدر هممهم وأقوالهم وأفعالهم: من ظن خيرًا أو قال خيرًا أو فعل خيرًا وجد خيرًا، ومن ظن شرًا أو قال شرًا أو فعل شرًا وجد شرًا، ومن ظن كثيرًا أو قال كثيرًا أو فعل كثيرًا وجد كثيرًا، ومن ظن قليلًا أو قال قليلًا أو فعل قليلًا وجد قليلًا. وعلى قدر قرب العبد من ربه تعظم همته، وعلى قدر عظم همته يعظم كلامه ويعظم فعله، وبالعكس يعني على قدر بعد العبد من ربه تصغر همته، وعلى قدر صغر همته يصغر كلامه ويصغر فعله. صارت الهمة على هذا القياس لها وجهان: وجه باطن وهو الاهتمام، ووجه ظاهر وهو الفعل، والكلام صلة بين الظاهر والباطن وهو الاهتمام والفعل. ومهما توفرت شروط الهمة تظهر مادة الحق تعالى على قدر ارتفاعها وكبرها، ووضعها العبد لمولاه الذي لا يرد هو سؤال الهمة، قال تعالى: ﴿ **وَآَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ** ﴾ [إبراهيم: 34]. وسؤال الهمة هو الذي يكون اهتمامًا وقولًا وفعلًا. إذا كان هكذا، ما بعده إلا كن فيكون)، وقال: (اعلم أن الهمم أصول والأفعال فروع. وعلى قدر ما تعظم الأصول تعظم الفروع، وعلى قدر ما تضعف الأصول تضعف الفروع. الأصول تجبر الفروع إن قطعت، والفروع لا تجبر الأصول. لولا الأصول ما وجدت الفروع، ولولا الفروع ما عرفت الأصول)، وقال: (اعلم أن الإنسان له همتان: همة باطنية وهمة ظاهرية. فالهمة الظاهرة، ترجمانها الأفعال، ومثله في ذلك كالشجرة، والهمة الباطنية هي أصلها وهي جمع، والهمة الظاهرة هي فروعها وهي فرق. إذا كبرت همة باطنه وهي أقواله، صغرت همة ظاهره وهي أفعاله. وإذا صغرت همة باطنه وهي أقواله، كبرت همة ظاهره وهي أفعاله. والأقوال هنا نعني بها العلم، والأفعال هنا بمعنى العمل. أما أهل البدايات، الغالب عليهم أنك تجد همة أفعالهم غالبة على همة أقوالهم، وأما أهل النهايات، الغالب عليهم أنك تجد همة أقوالهم غالبة على همة أفعالهم. أنظر قول القائل: « اجعل عملك ملحًا وأدبك دقيقًا »، ولا شك أن الأدب هو العلم. وانظر في الأشجار أيضًا، تجدهم زمن زيادة أصولهم وهو زمن الشتاء، يكون النقص في فروعهم، وزمن زيادة فروعهم وهو المصيف، يكون النقص في أصولهم. كذلك الإنسان ما زاد في باطنه نقص من ظاهره، وما زاد في ظاهره نقص من باطنه، جرت سنة الله بذلك. كأن المادة واحدة: ما زاد منها في الظاهر نقص من الباطن، وما زاد منها في الباطن نقص من الظاهر، وهكذا)، وقال: (اعلم أنه ما اصطحبت له همتان على شيء إلا وجد وكان من غير مهلة، أعني همة ظاهرك وهمة باطنك. همة باطنك هي علمك ويقينك وعزمك، وهمة ظاهرك هي اصطلاحك وفعلك بما هو في علمك



أي فعلك بجوارحك الظاهرة، إذا اصطحب مع فعل جوارحك الباطنية، فما اصطحب الفعلان على شيء إلا كان، ولو كان من محال المحال. لكن انظر المقصود في ذلك: فإذا كان المقصود هو الله، ما كان لله دام واتصل، وإذا كان المقصود غير الله: ما كان لغير الله انقطع وانفصل. قال الشاذلي رحمه الله: « وهب لنا حكمة الحكمة البالغة ». صار الطلب على اثنين: طلب الحكمة وطلب حكمة الحكمة. فطلب الحكمة هو طلب المخلوق: « تعس عبد الدرهم ». وطلب حكمة الحكمة هو طلب صدق التوجه لله في جميع الأشياء. جعلنا الله وإياكم من الصادقين في توجههم لله بفضله وإحسانه، إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير)، وقال: (اعلم أن الخلق كلهم أولاد لذكر وأنثى، والكبير منهم من كبرت همته الباطنية وهي علمه، أو من كبرت همته الظاهرية وهي ماله، وعلى كبر هاتين الهمتين تكون كبرية الإنسان، وبالعكس، الصغير من الخلق من صغرت همته الظاهرية وهي ماله أو من صغرت همته الباطنية وهي علمه، وعلى قدر صغر هاتين الهمتين يصغر أو يكبر الإنسان. والرزق الظاهر والباطن على قدر علو الهمم)، وقال: (اعلم أن الله تعالى، كما جعل لك من كل جارحة اثنين، كذلك جعل لك همتين: همة في قلبك وهمة في صورك، وجعل همة القلب فوق همة الصور. همة القلب كأنها همة الملك، وهمة الصور كأنها همة المماليك، وأين همة الملك من همة المماليك؟ والدليل على شرف القلب قوله > : « **إن في ابن آدم مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، وهي القلب** » الحديث، وقوله > في الحديث القدسي: « **لن تسعني أرضي ولا سمائي وإنما وسعني قلب عبدي المؤمن** » الحديث. وأكرمك سبحانه وتعالى حيث قال لك على لسان نبيه > : « **إن الله يرزق العبد على قدر همته** » الحديث. إذا نزلت همتك على شيء قليل وهو المخلوق، ترزق على قدره. وإذا نزلت همتك على ما هو كبير وهو الله تبارك وتعالى، ترزق على قدره، ولا يعلم قدر العظيم إلا العظيم. جعلنا الله وإياكم والمسلمين جميعًا ممن تعلقت هممهم بمولاهم في السر والعلانية)، وقال: (اعلم أن كل من ترفع همتك عنه حتمًا يعشقك ويطلبك، وكل من تعشقه وتطلبه حتمًا يرفع همته عنك. جرت سنة الله بذلك)، وقال: (اعلم أخبرنا سيدي العربي عن جده سيدي امحمد بن عبد الله ـ نفعنا الله به ـ أنه كان سائرًا يومًا برحبت بن زروق وكان سكنًا بها الحاكم، فلما التقى ذلك الحاكم مع الشيخ قام إليه وقبل طرفه وقال له: يا سيدي جاءني بعض أصحابك اليوم وقضيت حاجته، قال له الشيخ ـ نفعنا الله به ـ: أعوذ بالله حاشى أنا ولا صاحبي نحتاج إليك لا يكون هذا أبدًا، قل معرفتي أو كان، لا تقل صاحبي، وأما صاحبي لا يحتاج عليك هو ولا أنا. هذا من علو همته }).

الواسطة

قال: (جرت عادة الله في أرضه: كل شيء له واسطة، وكل شيء له سبب. الخير له أب، والشر له أب. أب الخير الدال عليه، وأب الشر الدال عليه. ما أفلح من أفلح إلا بصحبة من أفلح. والعطاء والمنع لا يكون إلا من عند الله، وأما الواسطة إنما هو بمنزلة الطبيب الحكيم يعالجه بحكمة الطب، والشفاء لا يكون إلا من عند الرب. والواسطة تشكر ولا تنكر، كما قيل: « **من لم يشكر الناس لم يشكر الله** » الحديث. ويجب على المريض أن يكون عند الطبيب بمنزلة الولد مع والده، لأن الوالدين كانا السبب فيك في الحياة الفانية، والواسطة سبب في حياة قلبك وهي الحياة الباقية، وعلى هذا صار والدين القلب يحتاج إلى الأدب معهم أعظم من والدين البدن، والسلام)، وقال: (اعلم جرت عادة الله في خلقه أن كل شيء له واسطة، فمن ظفر بالواسطة ظفر بالشيء، ومن لم يظفر بالواسطة لم يظفر بالشيء. وكل شيء له أب، فمن ظفر بالأب ظفر بالولد، ومن لم يظفر بالأب لم يظفر بالولد. هذا في جميع ما يطلق على اسم الشيء)، وقال: (اعلم أن الخير له أب والشر له أب، فمن ظفر بأب الخير ظفر به، ومن ظفر بأب الشر ظفر به، وأب الخير هو الدال عليه، وأب الشر هو الدال عليه، فمن صحب أهل الخير دلوه عليه وظفر به، ومن صحب أهل الشر دلوه عليه وظفر به. ما أفلح من أفلح إلا بصحبة من أفلح، إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط. ومن قال: إنه يصل إلى شيء من غير واسطة فقد كذب وقوله مردود عليه. وخطابنا هذا مع أهل البدايات من المريدين. وأما أهل النهايات لم يشهدوا شيئاً في الوجود سواه، صاروا يشهدونه في كل شيء وقبل كل شيء وبعد كل شيء، كما قال القائل:

رايــــت ربـــي بعـــين قلبـــي * فقلـــت لا شـــك انـــتَ انـــت

انـــت الـــذي حـــزت كـــل ايـــن * فحيـــث لا ايـــن ثـــم انـــت

ولـــيس للايـــن منـــك ايـــن * فـــيعلم الايـــن ايـــن انـــت

ولـــيس للـــوهم فيـــك وهـــم * فـــيعلم الـــوهم كيـــف انـــت

احطـــت علمًـــا بكـــل شـــيء * فكـــل شـــيء اراه انـــت

وفـــي فنـــائي فنـــى فنـــائي * وفـــي فنـــائي وجـــدت انـــت

فمـــن بـــالعفو يـــا إلـــه * فلـــيس نرجـــو ســـواك انـــت

محـــوت جســـمي وروح جســـمي * ســـئلت عنـــي فقلـــت انـــت

وحـــزت حـــد الـــدنو حتـــى * لا يعلـــم الايـــن ايـــن انـــت

فانـــت منـــي خيـــال عينـــي * وحيثمـــا كنـــتُ كنـــتَ انـــت)

وقال: (اعلم أن الوسائط إلى الله على فرقتين: فرقة يقال لها أهل الوسائط النفسية وفرقة يقال لها أهل الوسائط الجنسية. الوسائط الجنسية أخذ بها الخاصة والوسائط النفسية أخذ بها خاصة الخاصة وشاركهم فيها العوام. أما العوام فوقفوا مع الوسائط النفسية بجهل وظلمة فحجبوا بذلك عن شهود الحق ولم يشهدوا إلا أنفسهم، وخاصة الخاصة أخذوا بالوسائط النفسية بعلم ومعرفة ونور وذلك لما فقدوا الوسائط الجنسية اضطروا إلى الوسائط النفسية ومع هذا لم يقفوا معها إلا قدر ميلادها، لأن الشيء يلد ضده. كما أن الوسائط النفسية تلد الوسائط الجنسية، ، والجنسية تلد النفسية، يعني ذلك للعموم، وكذلك خاصة الخاصة وسائطهم النفسية تلد الوسائط الجنسية، والجنسية تلد النفسية، لأن مقام خاصة الخاصة كمقام العامة لا يفرق بينهما إلا العارف. وأما الجاهل فلا يفرق بينهما بل يظهر له أنهما واحد. وما دام الإنسان مع وسائط نفسه فهو عامي، ومهما انتقل إلى الوسائط الجنسية وكان تنقله قولًا وفعلًا فإنه ينتقل إلى مقام الخاصة أنظر الشيخ الشاذلي لما كان مع وسائط نفسه من تدبير واختيار وغيرهما وجاء لمولانا عبد السلام - نفعنا الله بالجميع - وقال: اللهم أني اغتسلت من علمي وعملي، وكان ذلك منه قولًا وفعلًا، وانتقل إلى الوسائط الجنسية، فعند ذلك فتح له وانتقل من العمومية إلى الخصوصية).

وأنا أقول

قال: (سمعت الشيخ - نفعنا الله به - يقول: قول أهل الجنات في ازبير الدوالي، زول ما اطلع، وافرق ما اجتمع. ونحن نقول ذلك في جنات الفلوس، ونحن أهل جنات النفوس، وحكم النفس في عوالمها كحكم الفلس في عوالمه)، وقال: (اعلم ومما سمعت من الشيخ - نفعنا الله به - يقول: قال بعض الناس: احض لقمتك تستجاب دعوتك، وأنا أقول: احض كلمتك تستجاب دعوتك مع الله ومع العباد)، وقال: (اعلم أن الناس قالوا: من يعقد الزواق ويحلوا يملك القرب كلّ، وأنا أقول: من يعقد نفس ويحلها يملك الأكوان كلها. وقالوا أيضًا: احض لقمتك تستجاب دعوتك، وأنا أقول: احض كلمتك ترفع همتك وتستجاب دعوتك)، وقال: (ومما قال لي الشيخ ((: قال لي بعض الصالحين: جربنا الذي يجيء ويجيب، مع الذي يجيء ولا يجيب شيئًا، عيينا نعمل هذا قد هذا فلم يكن ذلك. قال لي سيدي العربي: وأنا أقول: صاحبنا الذي يأتي إلينا وصاحبنا الذي لا يأتي إلينا، أحببنا أن نجعلهما يقول: قال بعض العارفين: لو أتاني عربي بدوي يبول على ساقيه لوصلته إلى الله من حينه. وأنا أقول: لو أتاني يهودي أو نصراني لوصلته إلى الله من حينه. سمعت هذا منه في حال عظيم ورد عليه).



الوجود

قال: (اعلم أن الفلوس تربط النفوس، كما تربط النفوس الفلوس. كأن الوجود كله، بعضه كفء لبعض، مع أنه واحد، اختلف وافترق حتى لم يكن فيه جمع، وائتلف واجتمع حتى لم يكن فيه فرق. صار جمعه هو عين فرقه، وفرقه هو عين جمعه، وذاته هي عين صفاته، وصفاته هي عين ذاته، وقربه هو عين بعده، وبعده هو عين قربه، وفناؤه هو عين بقائه، وبقاؤه هو عين فنائه، ووجوده هو عين عدمه، وعدمه هو عين وجوده، وذله هو عين عزه، وعزه هو عين ذله، وطلوعه هو عين نزوله، ونزوله هو عين طلوعه، إلى ما لا ينتهي من الأوصاف. سبحان من جعل الأشياء كلها كامنة في أضدادها بحكمته)، وقال: (اعلم يا أخي، أن من أعظم ما أخبرك به، أن هذا الوجود مرآة: ما قابلته بشيء إلا قابلك بمثله أي به بنفسه على تلك الحالة) وقال: (اعلم أن من تواضع للوجود اختيارًا تواضع الوجود له قهرًا، ومن تكبر على الوجود اختيارًا تكبر الوجود قهرًا، وذلك لأن الوجود كله مرآة مقابلة لك: بما تقابله به يقابلك.

قل للذين راوا ما ينكرون فينا * لصفاء شربنا راوا صفاتهم فينا

الوجود نسخة منك وأنت نسخة منه. الوجود فرقك وأنت جمعه. الوجود ملكه وأنت مُلكه. الوجود ذاتك وأنت صفاته. الوجود جلالك وأنت جماله. الوجود جسدك وأنت روحه)، وقال: (اعلم أن الوجود وأهله كالمرآة، بما تقابلهم به يقابلونك، من غير زيادة ولا نقصان. إن قابلتهم بالجد قابلوك به، وإن قابلتهم بالهزل قابلوك به، وبالجمال قابلوك به، وبالجلال قابلوك به، وإن قابلت بعضهم بالجلال وبعضهم بالجمال، فالذي تقابله منهم بالجلال يقابلك به، والذي تقابله بالجمال يقابلك به، وإن فرقت فرقوا، وأن جمعت جمعوا، وإن وسعت وسعوا، وإن سهلت سهلوا، وإن أوفيت أوفوا، وإن خنت خانوا، وإن صدقت صدقوا، وإن كذبت كذبوا، وإن جرت جاروا، وإن عدلت عدلوا، وإن تكرمت تكرموا، وإن بخلت بخلوا، وإن خفتهم خافوك، وإن زعمت زعموا، وإن أحببتهم أحبوك، وإن أبغضتهم أبغضوك، كأن الأمر كله بيدك، منك يخرج، وإليك يعود، خيرًا كان أو شرًا، حلوًا كان أو مرًا ﴿ **وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا** ﴾ [الكهف: 49].

يرحم الله الششتري حيث يقول:

منـي علـيَّ دارت كؤوسـي * مـن بعـد موتي تراني حي

انظر يا أخي هذا الرب الكريم، ما أكرمه وما أحلمه وما أعظمه، وهو غني عن العالمين. سبحان المنزه عن عباده بعظمته)، وقال: (اعلم أن كل ما تقابله من الوجود فإنه مرآة لك: بما تقابله به يقابلك، من بني آدم أو من الأنعام أو من الحيوانات أو من

الجمادات. في بني آدم يعرف هذا المعنى كل أحد. وفي الجمادات والحيوانات والنباتات وغيرها، لا يعرف هذا المعنى إلا ذو بصيرة نافذة. وإنما ظهرت في بني آدم أقوى من غيره، لأنه مختصر الحقيقة، مادته من النور الإلهي وزن مادة الحقيقة بأجمعها، مع صغر جرمه، واتساع الحقيقة. انظر ابن آدم: إن قابلته بأدب قابلك به، وإن قابلته بسوء أدب قابلك به، وإن قابلته بعبودية قابلك بها، وإن قابلته بحرية قابلك بها، وإن قابلته بعلو وتجبر قابلك به، وإن قابلته بانخفاض وتواضع قابلك به. حاصله: بما تقابله يقابلك، ولو كنت أنت مملوكًا، وهو ملك، أو بالعكس)، وقال: (اعلم أن من كان أخرج وجوده من العدم، وعرض له بعد العدم الوجود، فهو في وجوده عدم. ولا يوصف وجوده بوجود، ولا بعدم بعد الوجود، إلا من سبق قبل وجوده العدم. ولا يبقى بعد عدم الوجود إلا موجد الوجود من بعد العدم، فهو الذي أوجد الوجود، وهو الذي يعدم وجود الوجود، ولولا وجوده للوجود لما كان وجود الوجود، وهو الغني عن الوجود، وإليه يفتقر كل الوجود، ولولا فضله قد عم الوجود ما وجد اسم وجود الوجود. كان موجودًا ولا شيء معه موجودًا، وهو الآن على ما كان عليه موجودًا. هو الظاهر الذي ظهر لكل موجود، وهو الخفي الذي خفي عن كل موجود. حارت في وصفه الأفكار وذهل التعبير. ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ [الشورى: 11]. ﴿ **لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ [الأنعام: 103]. كيف يخفى عليك مولاك، وهو الظاهر فيك إليك. كيف يخفى عليك مولاك، وهو أقرب منك إليك. كيف يخفى عليك مولاك، وفضله قد ظهر قبل وجودك عليك).

الوصال

قال: (ومما قال لي سيدنا وسندنا ووسيلتان إلى الله تعالى سيدي العربي ولد الشيخ الكامل سيدي أحمد بن عبد الله رضي الله عنهم ونفعنا بهم آمين، قال لي: يا ولدي ما بلغنا الوصال إلا بجد النضال).

الوصول:

قال: (ومما سمعت من سيدي العربي ـ نفعنا الله به وبكلامه ـ يقول: من يضمن لي معيشته من دنياه أضمن له الوصول إلى جميع المقامات، كما قال القطب ـ نفعنا الله به ـ:

إلـي متهنـا مـا يخشـى العنـا * يشـرب يتهنا يمسي مـن السـباق



ومن كلام العموم: الهنا ضمن الغنا)، وقال: (سمعت الشيخ } يقول: طلبني رجل في الخصوصية وحرص عليَّ فيها فقلت له: اضمن لي عدم الاهتمام بالرزق أضمن لك أن تصل إلى المقامات كلها ولكن بمداومة الجلوس معي)، وقال: (لا تصل منزلة حتى ينزلك الخلق فيها ويشهدون لك بها، والخلق لا ينزلونك غي منزلة حتى تنزل نفسك فيها، وأنت لا تنزل نفسك في منزلة حتى تصطحب مع أهلها، ولا تصطحب مع أهل منزلة حتى تكون عبدًا خديمًا للكذابين من أهلها. هكذا جرت حكمة الله تعالى وعادته في خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلًا)، وقال: (اعلم ومما قال لي الشيخ سيدي العربي } قال لي: وصولك إلى الله وصولك إلى العلم به)، وقال: (وقال له أحد من أصحابنا دلني كيف تتحير بحال هذا الناس الذي كينقلب الفوقي يرجع لهم سفلي والسفلي يرجع لهم فوقي فقال له الشيخ }: أوقف واشتغل تدور تجد ما سألت عنه).

وصايا سيدي العربي بن عبد الله }

قال سيدي علي العمراني الجمل }: (اعلم قال لي الشيخ }: من أعظم ما أوصيك يا ولدي إياك والكلف إياك والكلف إياك والكلف في شأن نفسك وفي شأن غيرك، وإذا زحمتك ولا بد كلفة اغفل عنها وارقد على ظهرك، لأن الكلف مثل الحمل ما تنزل إلا على ظهر الإنسان، إذا رقدت على ظهرك استرحت منها، صارت هي على الأرض وأنت مضطجع عليها. وهذا من أعظم ما أحذرك منه والله يوفقك وإيانا، كان > ما اجتمعت له أمران إلا اختار أيسرهما كذا صح في الآثار)، وقال: (ومما أوصاني به الشيخ } قال لي: يا ولدي إذا كتبت كتابًا جميلًا أو حقيرًا، كيف ما كان، فراجعه في الحين قبل خروجه من يدك، فإن ذلك فيه صلاح عظيم لك ولكتابتك)، وقال: (أوصاني شيخي أن أكتم الحقيقة عن جميع الخلائق غيرة عليها إلا على أهلها، وقليل ما هم. لا توتوا الحكمة غير أهلها فتظلموها، ولا تمنعوا الحكمة أهلها فتظلموهم، أو كما قال)، وقال: (ومما أوصاني } أن قال لي: لا تطعم طعام حكمتك إلا لمن تجده في غاية الاحتياج إليه وإلا فهو دس ولازم الجحود، قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ** ﴾ [التوبة: 60])، وقال: (ومما أوصاني قال لي: إياك أن تغفل عن التشريف والتعظيم لمن ظهر لك بعض الفتح على يده، لأن في التشريف والتعظيم للحرمة مفتاح عظيم لزيادة الإمداد والخيرات والأنوار والأسرار. لا تغفل عن هذا الباب ولا بد وإياك)، وقال: (ومما أوصاني به الشيخ رضي الله عنه ورحمه قال لي: إياك تفلت الفريسة إياك، عض فيها بزائد وإياك، ثم إياك يتملوا شواربك بدمها أحض شواربك حتى حتى ما يطلموهش،

لا القليل ولا الكثير)، وقال: (ومما أوصاني به الشيخ قال لي: يا ولدي إياك أن تكذب دعوة نفسك إذا حدثتك بشيء، لأنها مثل الكلب المربَّى لا تنبح إلا على الحي، ووصيتي هذه خاصة لك لا لغيرك كما قالوا: لكل مقام مقال، لأن النفس إذا كان صاحبها محجوبًا يجب عليه اتهامها، وإذا كان صاحبها بالله يحرم عليه اتهامها ويجب عليه تزكيتها)، وقال: (اعلم ومما أوصاني به شيخي } قال: احتفظ على نفسك واحتفظ على أبناء جنسك واحتفظ على مشاهدة ربك)، وقال: (ومما أوصاني به الشيخ رحمه الله ونفعنا الله به: يا ولدي ومن أعظم ما يخاف على طالب هذا الفن منه سوء الأدب مع والديه ومع شيخه ومع فنسه ومع ربه. أما مع الوالدين فإنهما يحسنان إليه وهو صغير حتى إذا بلغ مبلغ الرجال ورأى نفسه استوت وكملت من جهة الذات ومن جهة العقل، يظهر له أن عرفانه هو العرفان وعقله هو العقل، فيحصل له الازدراء والتهاون بالوالدين، فيسوء معهما الأدب، فعند ذلك يأخذه الله أخذًا وبيلًا. وكذلك مع شيخه وذلك أنه يأتي إليه وهو جاهل بالعلم وجاهل بالعمل، ثم إن الشيخ يأخذ بيده حتى يوصله مواصل الرجال، من العلم والعمل به، فإذا رأى نفسه أنها ظفرت بما ظفر به أقرانه، يعجب بنفسه ويستكفي بعقله ويرضى عن نفسه في أحوالها وفي أقوالها وفي أفعالها، وربما يحصل له بذلك الازدراء والتهاون بالشيخ، فذلك هو الكفر بالنعم، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله، ومن لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها، فعند ذلك يؤخذ أخذًا وبيلًا، وعلامة أخذه القناعة، والقناعة من الله حرمان أو ممن يدلك على الله حرمان، نسأل الله السلامة. وكذلك مع نفسه أيضًا: فمن عرف نفسه عرف ربه، فإذا حصلت له مرتبة من مراتب معرفة النفس ثم إنه أخذ الأمر على وجهه ولم يتواضع في ذلك الحال لمولاه بكونه يرد نفسه للعبودية، مع ما فتح له من معرفة شرفها وعلو مرتبتها عند خالقها، إذا كان يجب عليه أن يتبع سنة النبي > في ذلك لقول الله تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** ﴾ [الأحزاب: 21]. أي حين خيره الله تعالى بأن يكون نبيًا ملكًا أو نبيًا عبدًا فاختار العبودية على الملك تواضعًا منه > مع مولاه وقال: يا رب أجوع يومًا وأشبع يومًا إذا جعت أطلبك وإذا شبعت أشكرك، فإذا كان من أهل هذا المنهاج فذاك وإلا فهو مخذول والعياذ بالله. وكذلك مع الله تبارك وتعالى إذا منَّ عليه بما منَّ على عبيده المحبوبين العارفين { فيجب عليه أن لا يأمن مكر الله وأن يعظم خوفه على قدر ما يعظم رجاؤه ولو وصل ما وصل. أما ينظر إلى الشيخ مولانا عبد السلام بن مشيش نفعنا الله به حين اشتكى له تلميذه سيدي أبو الحسن نفعنا الله بالجميع قال له: يا سيدي أبحت أشكو حر التدبير والاختيار فقال له: يا ولدي كما أصبحت تشكو من التدبير والاختيار كذلك أصبحت أنا أشكو برد الرضى والتسليم، وقوله: وأنا أسألك اعوجاج الخلق عليَّ حتى لا يكون

لي منجا ولا ملجأ إلا إليك، وقول أبي الحسن الشاذلي: واجعلنا عبيدًا لك في جميع الحالات، مع شرف مرتبته وعلو نصيبه الذي لا ينكر ولا يجحد. هكذا ينبغي للعبد المؤدب أن يكون مع مولاه، لهذا قالوا: اجعل عملك ملحًا وأدبك دقيقًا)، وقال: (اعلم ومما أوصاني الشيخ } قال: يا ولدي إذا أردت أن تظفر بالسيد فكن عبد عبده وإياك أن تطمع أن تكون عبده، لا تكن إلا عبد عبده كما قال ابن الفارض في بعض كلامه: ونادتني يوما بأشرف أسماء فقالت: يا عبد عبدنا)، وقال: (ومما أوصاني به الشيخ } قال لي: إذا أردت الوصول إلى ما عند الله أو ما عند الخلق فعليك بالذل، قيل: إن فيه اسم الله العظيم الأعظم من دعى به أجاب ومن سأل به أعطى)، وقال: (ومما أوصاني به الشيخ نفعنا الله به قال لي: يا ولدي سر مع العبودية ما كان جلالها أقوى من جمالها، ومهما تقوى جمالها على جلالها ينقلب حكمها فتصير حظ النفس لا عبودية، أنظر قول البوصيري: وإن هي استحلت المرعى فلا تسم. العارف مهما يرى العبودية صارت عادة ويفهم من نفسه أنها ركنت لذلك، يعرف أن الجمال غلب على الجلال فيرحل نفسه من ذلك الحال إلى ضده « **حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات** » الحديث. ترحم الله صاحب الحكم: « ما أرادت همة سالك أن تقف عندما كشف لها إلا ونادته هواتف الحقيقة الذي تطلب أمامك، ولا تبرجت ظواهر المكونات إلا ونادتك حقائقها إنما نحن فتنة فلا تكفر »، لأن طالب هذا الفن دائر على خرق العوائد، وطالب خرق العوائد لا يركن إلى العوائد، لأنك لا تجد نفسك إلا في المكان الذي طرحتها فيه. إذا طرحتها في العوائد لا تجدها إلا في العوائد، وإذا طرحتها في خرق العوائد لا تجدها إلا في خرق العوائد، قال في الحكم: « كيف تخرج لك العوائد وأنت لم تخرق من نفسك العوائد »، لأن من عادة النفس ما وجدت شيئًا إلا قنعت به وتريد الوقوف معه، والقناعة من الله حرمان، من عادته تعالى أنه إذا أعطاك شيئًا وزهدت فيه ورجعت إلى عبوديته تعالى إلا أعطاك ما هو أشرف منه وأحسن وأعظم، وما أعطاك شيئًا وقنعت به ووقفت معه إلا أقرك منه وأمدك به ومنه. أنت ترد زهدًا فيما أعطاك، وعطاؤه يعظم ويكبر ويتسع، ولا نهاية حتى تقنع وتقف همتك. انظر ما أعظم هذا الرب الكريم)، وقال: (ومما أوصاني به الشيخ سيدي العربي نفعنا الله به بوصية أخذها عن أبيه وكان هو يفعلها، قال لي: يا ولدي إذا كانت لك حاجة عند أحد من أهل الدنيا مخزن أو غيره، إياك أن تقدم عليه بشيء من الدنيا أو شبهتها، لا تقدم عليه متعينًا عزيزًا إلا بنسبة الله ونسبة الفقر لأنهما تعلوان فوق كل شيء ولا يوقف لهما شيء)، وقال: (ومما أوصاني به الشيخ نفعنا الله

به أوصاني بمواساة الأكابر والبرور بهم: أكابر أهل الدين وأكابر أهل الأقوال وأكابر أهل الأفعال وأكابر أهل الله تعالى وأكابر أهل المخلوق، لأن الكل لله وبالله)، وقال: (ومما أوصاني به الشيخ رحمه الله ونفعنا به: يا ولدي كل من قال لك شيئًا ورأيته يعظمه لك، فقل له: هذا نصف الشيء وبقي النصف الآخر، لأن كل ما خلق الله في هذا الوجود جعل منه اثنين وذلك ليتفرد هو جل ثناؤه بالوحدانية، ولا يكون واحدًا وحده إلا هو جل ثناؤه، لا ثاني له ولا ضد له ولا شبيه له ولا نظير له ولا شريك له « سبحانه وتعالى عما يشركون »، لا إله إلا هو ولا معبود سواه)، وقال: (ومما أوصاني أيضًا سيدنا قال لي: يا ولدي لا تكثر النظر في الخلق لأن كثرة النظر في الخلق تسلب العقل وتتلف عن الحق، لأن الخلق من الماء ومهما أكثرت النظر في الماء وأنت قاطع في الواد يعني في وسطه يدور عقلك ويتشتت نظرك، كذلك الخلق احذر من النظر فيهم والله الموفق)، وقال: (ومما أوصاني به الشيخ رحمه الله قال لي: يا ولدي إياك ثم إياك لا يربطك أحد، كن حرًا دائمًا، لا يربطك أحد بخير ولا بشر، لأن الإنسان ربما يربط بخير الناس فيه، وربما يربط بخيره في الناس، وربما يربط بشره في الناس، وربما يربط بشر الناس فيه. قال لي الشيخ سيدي العربي: كان أبوه سيدي أحمد بن عبد الله، نفعنا الله بالجميع، يعبر على الخير مع الشر، قال: يأتي الشر إلى باب الدار فيطرق الباب فيقول له الإنسان: من أنت؟ فيقول له: أنا الشر، فيقول له: لا أفتح لك أذهب لا حاجة لي بك، فيقعد بقرب الباب حتى يأتي الخير فيطرق الباب فيقول له الإنسان: من أنت؟ فيقول: أنا الخير، فيفتح له الباب فبمجرد ما يفتح له الباب يدخل الخير ويدخل الشر معه، ولولا ما فتح الباب للخير ما دخل الشر)، وقال: (ومما أوصاني الشيخ سيدي العربي نفعان الله به قال: إذا أردت أن تستشرف على أهل زمانك إياك أن تكون طماعًا، قال الشاعر:

تـــرك الطمـــع للفتـــى شـــرف * إذا طمـــــــع الفتـــــــى ذل)

قلت له: كيف يا سيدي لا أكون طماعًا وأنا محتاج إلى الخلق ولو في فلس واحد، قال لي: ليس ذلك الطمع الذي أوصيك عليه وإنما الطمع الذي أوصيك عليه طمع الرياسة وطمع الغلب، إذا أردت أن تكون غالبًا للخلق أبدًا احتال كان إياك أعلى على الله تكون مغلوبًا للخلق أبدًا. قالوا: سادتنا السلف الصالح {: آخر ما يخرج من قلب العارف بالله حب الرياسة وحب الجاه)، وقال: (ومما أوصاني أيضًا رحمه الله قال لي: يا ولدي إذا طلبت الدنيا أنزلها هي وأهلها منزلتها، اطلبها مزاح واقبضها مزاح وادفعها مزاح وباشر أهلها مزاح، وإياك أن ترفعها فوق قدرها كما يفعل بها أهلها وذلك لأنها هي أكبر همومهم، نعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وبسلطانه القديم من ذلك)، وقال: (ومما أصواني الشيخ } أن قال لي: اطلب الدنيا

من أهلها ولكن اطلبها كأنك تمازح وادفعها كأنك تمازح، وإن رأيت أهلها يتزاحمون عليها فلا تمازح معهم فيها في الازدحام عليها فتصير من جملتهم، بل إذا رأيتهم يتمازحون ولو مزاحًا بسيطًا اتركها لهم مزاحًا وردهم عليها)، وقال: (اعلم ومما أوصاني به الشيخ سيدي العربي نفعنا الله به قال لي: يا ولدي ومما نؤكد عليك تأكيدًا بعد تأكيد:

المحلوبـــــة احلبهـــــا احليـــــب * والمعصـــــــــورة اتركهـــــــا دم

هكذا يكون شغلك مع الحقيقة ومع الشريعة، ولا يحصل لك العز الكامل يعني عز الملك الكامل حتى تباشر الدنيا وأهلها كأنها مزاح، ثم تخدمك الدنيا وأهلها خدمة المملوك للمالك)، وقال: (ومما أوصاني به الشيخ رضي الله عنه ونفعنا به قال لي: إذا عقدت مع أحد فاعقد معه العقدة الصحيحة، واجعل نفسك معه كأنك تمازحه، وذلك لأن جدنا هزل وهزلنا جد، ورب المزاح هو رب الجد، ولا تكن ممن يربط عنقه بالحبل ويدفع طرف الحبل ليد غيره، يكون حرًا ملكًا فيصير نفسه عبدًا للخلق مملوكًا، بل ن من الحكماء الذين يتصرفون بالحكمة في حال الفرق، وبالقدرة في حال الجمع، ومع هذا فاستتر بما تجد ولو بخشبة أو حائط، واستتر بما تجد ولو بصبة أو كلمة فافهم)، وقال: (ومما أوصاني به الشيخ سيدي العربي نفعنا الله به، رواه عن شيخه سيدي أحمد اليماني وأمثاله قال: يا ولدي إذا جاءك أحد يطلب من الله ومنك حاجة ويواعدك بشيء، لا تعقد معه إلا بالسوم الصحيح الذي يرضي خاطرك،/ وأمره أن يشهد على نفسه بالعدول ويأتيك بالرسم واقرأه، فإن وجدته وثق على نفسه غاية فذاك، وإن لم تجده موثقًا كما تحب اردده إليه حتى يوثقه غاية واعقد معه لأنك على قدر ما تصحح العقدة في الظاهر على قدرها تصح في الباطن، وإياك وإياكَ وإياكَ أن تعقد مع أحد العقدة مرخية بغير كتاب أو تبيع له ببيع السارق فتفسد لك المعاملة، والله الموفق وعليك التكلان)، وقال: (ومما أوصاني به الشيخ رحمه الله قال لي: يا ولدي الفقير هو الذي يكون مخزن المخزن - يعني رئيسًا على الرؤساء)، وقال: (ومما أوصاني به أيضًا قال لي: يا ولدي لا يرد عنك إلا الحيزا لغيره).

الولاية

قال: (اعلم أن الولاية بين الفقير والدنيا، لا تظهر إلا بينهما. إذا كانت الدنيا ولم يكن الفقر تعذر الوصول إليها، وإذا كان الفقر ولم تكن الدنيا تعذر أيضًا الوصول إليها، وإذا اجتمعوا باثنين ظهرت الولاية بينهما، لأن الدنيا شريعة، والفقر حقيقة، والولاية هي معرفة الحق، والحق لا يظهر إلا بين شريعة وحقيقة، وكذلك في جميع الأشياء: كل شيء له شريعة وحقيقة. ما تعلقت همتك بشيء واجتمعت لك شريعته

وحقيقته إلا وجدت تلك الشيء بينهم أقرب من كل شيء. ولا يتعذر عليك تلك الشيء إلا إذا تعذرت شريعته أو تعذرت حقيقته).

الولي

قال: (اعلم أن أهل الله حقًا هم الذين اتهمهم الخلق بنسبة الله تعالى، وكل واحد من المتهومين بالله قربه من الله على قدر تقوية النسبة وإفشائها في الخلق، وبعده من الله على قدر ضعف النسبة وإخفائها في الخلق، وذلك لأن سر الله لا يخفى في أهله عن الخلق، ولو كانوا تحت الأرض لخرقت رائحتهم الجبال والثرى. من أراد أن يعرف الولي فهو الذي يذكره جل العامة بالولاية، جل العوام هم المخزن وأتباعهم: هم رؤساء العوام. الولاية لمن أثبتها له العوام، ومن لم يثبت له العامة الولاية فليس بولي)، وقال: (اعلم أنه لا يكون الولي وليًا حتى يزهد في ولايته: نظيره جواب بعض المشايخ إذ أجاب تلميذه حين سأله قائلًا له: يا سيدي متى يكون الوصول؟ فقال له: يكون الوصول إذا لم تكن طالبًا للوصول. لأن سر الظاهر لا يجتمع مع سر الباطن أبدًا، وسر الباطن لا يجتمع مع سر الظاهر أبدًا، مع أنهما مجتمعان أبدًا، ولو افترقا لبطل وجود الإنسان، ولكن المعنى في ذلك: واحد يكون ملكًا والآخر مملوكًا. إذا كان الظاهر ملكًا يكون الباطن مملوكًا، وإذا كان الباطن ملكًا يكون الظاهر مملوكًا، والحكم للملك لا للمملوك)، وقال: (ومما سمعت من الشيخ } يقول: العين لا تسقي قريبها وإنما ينتفع به البعيد، وأكثر ما يحرم خير الولي قرابته، كما قال القائل: الذي يزورني لا يسأل عني جيراني)، وقال: (اعلم أن الولي لا تشترط في حقه الكرامة، لأن الكرامة دنيا، والدنيا ربما وجدت عند الولي وربما وجدت عند الكافر وربما وجدت عند البار وربما وجدت عند الفاجر. إذا قلت العلم والمعرفة بالله: نعم لأن الولي لا يكون جاهلًا، ما اتخذ الله لويًا جاهلًا إلا وعلمه. والكرامة لا تظهر على الولي إلا لوجهين: إما لفيضان وجد أو لإرشاد مريد، وإن كان غير هذا فظهورها هو سوء الأدب بنفسه، وأهل الله حاشاهم من سوء الأدب نفعنا الله بهم وشرفنا بذكرهم، لأن الحضرة مطهرة منزهة محرمة على من فيه بقايا من سوء الأدب لا يدخلها إلا من كمل أدبه)، وقال: (اعلم أن الولي إذا امتحت إرادته، بحث يصير لا إرادة له إلا ما يبرز في الوقت. فإذا اطمأن الولي في هذا الحال، فإنه يصير هو كلمة الله التي لا نفاد لها، وهو اسم الله العظيم الأعظم، ويصير يقول للشيء كن فيكون. ما اهتم بشيء إلا وجد بين يديه بأمر الله تعالى)، وقال: (اعلم قال عراف: وصولك إلى الله وصولك إلى العلم به، وقال عارف آخر: وصولك إلى الله وصولك إلى رجل من أولياء الله.

والرجل الولي هو من تظن أنه ولي فإنك تجده وليًا وعلامة ظنك فيه أنه ولي: إيثار علمه على علم نفسك وإيثار عمله على عمل نفسك. ومن جملة إيثار علمه على علم نفسك أنك تأتيه طالب الخصوصية، وأنت جاهل بها، ولو قال لك: إنك وصلت مقام الولاية يا فلان بنفس ما وصلت إلينا لقلت صدقت يا سيدي وصلتها والحمد لله حقًا، مع أنك جاهل بها لا تعرف منها ولو حرفًا واحدًا، لكن لما سمعتها منه خبرًا يصير خبره لك عيانًا، لاقتدائك بعنايته عن عنايتك، تحكم به وتقطع وتجزم بل خبره أعظم من عيانك، لأن تعظيم خبره على عيانك هو الشكر له، والشاكر مستوجب الزيادة، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله، كما أن تعظيم علمك بنفسك على خبر الشيخ هو عين الكفر به يعني كفر النعم، مع أن ملاقاة الولي هي أعظم نعم الدنيا والآخرة، والكافر بالنعم لا شك أنه مستوجب للحرمان. انظر قول بعض الأنبياء عليهم السلام في بعض مناجاته لله إذ قال له: يا رب أين أجدك؟ قال: تجدني في أول قدم. ومن هذا المعنى ما قاله الشيخ أبو العباس المرسي في حضور الوجد: والله لو جاءني عربي بدوي يبول على ساقيه لوصلته إلى الله من حينه. وسمعت ذات يوم من شيخنا في هذا الفن نفعنا الله بذكره يقول وهو في غاية الوجد العظيم: أبو العباس المرسي يقول: والله لو جاءني عربي - وأعاد القصة - وأنا أقول: والله لو جاءني يهودي أو نصراني لوصلته إلى الله من حينه. وطريقتنا هذه هي الشاذلية المحضة، فيجب على طالبها أن يتأسى بإمامها وهو قطب الأقطاب أبي الحسن حين اجتمع مع الشيخ مولانا عبد السلام، بعد أن اغتسل وقال: اللهم إني اغتسلت من علمي ومن عملي حتى لا أملك علمًا ولا عملاً إلا ما يرد عليَّ من هذا الشيخ. ثم تقدم إليه - نفعنا الله بهما - فحينئذ كان منه ما كان. فصارت هذه السنة شرطًا لطالب هذه الطريقة أن يغتسل من علمه وعمله، إن وجد واحدًا من أهلها، إلا ما يزد عليه منه، ويقدم عليه، فإذا آثر علمه على علمه وعمله على عمله، بحيث لو سمع منه المحال القطعي الذي لا يتصور في العقل وجوده، لبنى عليه ولصيره عرفا من غير التفات لغيره، ولو كان الوجود بأسره على خلاف ذلك، حتى نفسه، بل نفسه أعظم من الوجود بأسره لأنها معه في جلده، والوجود خارج عن جلده، يترك علم الوجود وعلم نفسه، ويحكم بعلم الشيخ من يغر التفات ولا تبرم، كما قال الشريشي:

ولا تقـد مـن قبـل اعتقـادك إنـه * مرب ولا اولى بها منه في العصر

فـإن رقيـب الالتفـات لغيـره * يقـول لمحبـوب السـراية لا تسـري

ومن هنا أخذ كثير من المريدين كما قال في الحكم: « إنما حرموا الوصول لتضييعهم الأصول »، وقال سيدي المجذوب نفعنا الله به:

لا تسـبها ارخـيص * وكـل معشـوق غـالي

مـــا تنحصـــد صـــابت الصـــيف * إلا ببـــــــــــرد الليـــــــــــالي

فليستغن الإنسان بالله وليسر على منهاج القوم فإنه يرد إن شاء الله موردهم وبالله التوفيق).

الولي الكامل أو العارف الكامل

قال: (من أوصاف الولي الكامل ألا يكون محتاجًا إلا على الحال الذي يقيمه مولاه فيه في الوقت، يعني ما له مراد إلا ما يبرز من عنصر القدرة، لا تشتهي نفسه غيره. كما قال الشيخ الكامل سيدنا أحمد اليماني - نفعنا الله به - لأصحابه يوما، قال لهم، وذلك لما اختلفوا في حقيقة الولاية، كل واحد قال فيها ما ظهر له، ووقع الاختلاف بينهم في ذلك، ووقفوا أمرهم إلى الشيخ، وذكر كل واحد ما ظهر له في حقيقة الولاية، والشيخ لم يقر لهم شيئًا من ذلك. فلما عجزة عن الجواب قالوا له: يا سيدنا أردنا من الله ومنك أن تخبرنا أنت عن حقيقة الولاية. قال: نعم حقيقة الولاية هو إذا كان صاحبها جالسًا في الظل لا تشتهي نفسه الجلوس في الشمس، وإذا كان جالسًا في الشمس لا تشتهي نفسه الجلوس في الظل)، وقال: (اعلم أن الولي الكامل يصطاد الخلق كصياد النحل، يحتال أن يجلب خيره ويفوته لدغه)، وقال: (اعلم أن الكامل في الأقوياء، هو الذي يسير بسير الضعفاء، يتنزل من أعلى منزلته إلى أسفل منازل الضعفاء ويسير معهم على قدر أحوالهم. إذا كان هكذا يصير ينتفع منه الفريقان: يمد الأقوياء في أعلى منازلهم ويمد الضعفاء في أسفل منازلهم. « **حدثوا الناس على قدر ما يفهمون** » الحديث)، وقال: (اعلم ومما يدلك على كمال الشيخ ومحق إرادته في إرادة مولاه، يعني شيخ التربية، أنه يسير مع كل واحد من أصحابه، يعني المريدين، على الحالة التي وجده فيها، حتى يسرقه منها برفق إلى حضرة مولاه، ولا يشعر المريد حتى يقول له الشيخ: ها أنت ومولاك)، وقال: (اعلم أن الولي الكامل هو الذي يجذب صاحبه من أي حالة كان عليها، مهما وجده فيها، منها يدخله على ربه، ومنها يستشرفه على حضرة أنسه، قال تعالى: ﴿ **فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ** ﴾ [البقرة: 115]. كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان، إذ لا موجود سواه، ولا في الحقيقة إلا إياه)، وقال: (اعلم أن الشيطان لعنه الله، من أعظم حيله على ابن آدم، لا يأتيه إلا من الجهة التي توجهت همته إليها، ويسير معه فيها، وهو يسرقه ويدفعه من جهة الخير إلى جهة الشر، ولم يزل به كذلك حتى يوقعه في أقبح القبيح. إذ لو جاءه أولا وأمره أن يترك الخير ويفعل الشر لتعاصى عليه، ولكن يرشده لأبواب من أبواب الخير، وهو لا يريد بذلك إلا احتيالًا عليه ليوقعه في الشر، وبهذا يفهم قوله تعالى: ﴿ **لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ** (16) **ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ** ﴾

[الأعراف: 16 - 17]. والولي الكامل يجد الإنسان مصرًا على فعل الشر، ويصطحب معه على تلك الحالة ولا ينكر عليه شيئًا من ذلك، وهو يحتال عليه حتى يسرقه شيئًا فشيئًا من بلاد الشر إلى بلاد الخير، حتى لا يبقى فيه شيء من بقايا الشر، وهو لا يشعر بنفسه كيف صار له. إذ لو أمره بالخير أولًا ويترك على ما كان عليه من الشر، لا يقدر على ذلك إلا قليل من المريدين، إلا من كان به صدق عظيم. وهذا الفعل لا يفعله من الصالحين إلا الكمال)، وقال: (الشيخ الكامل هو الذي يدلك على خير نفسك ويطعمك ثمارها، وينقذك من أشرارها، حتى تكون طوع يديك وعندك أمرك ونهيك، ويرقيك برفق ولطف في المنازل الثلاثة: من منزلة العامة إلى منزلة الخاصة، ومن منزلة الخاصة إلى منزلة خاصة الخاصة. أما منزلة العامة هم الذين رجحوا الشريعة على الحقيقة. ومنزلة الخاصة هم الذين تشبهوا بالحقائق. ومنزلة خاصة الخاصة هم الذين فنوا في الحقائق حتى لم يشهدوا في الوجود سواه)، وقال: (اعلم أن الولي الكامل يجد صاحبه مملوكًا في يد نفسه، فينزع ملكها من يدها، ويملكه إياها فتصير مملوكة له. كانت تملكه فصار يملكها، كانت تأمر عليه فصار يأمر عليها، كان يخدمها فصارت تخدمه، فصارت عند أمره ونهيه كما كان هو عند أمرها ونهيها. كان لا يأكل إلا من أمر طعمها، فصار يأكل من أطيب ثمارها وأنوارها، لأنه من فاته خير نفسه لا يصل إلى الخير أبدًا. وهي خزانة الخير كله، وهي خزانة الشر كله. من فاته شرها حصل على خيرها، ومن فاته خيرها حصل على شرها. من حصل على خيرها، هي أقرب الأبواب إلى الله. ومن حصل على شرها، هي أبعد الأبواب من الله. هي الطالب والمطلوب، وهي العدو، وهي الحبيب. هي رأس الخير، وهي رأس البلوى، ومنها يشتكى، وإليها الشكوى. أثمار خيرها أحلى من الحلوى والعسل، وأثمار شرها أمر من الحنظل والدفل، ولا لك خير إلا خيرها، ولا لك شر إلا شرها)، وقال: (اعلم أن أهل الرياسة الظاهرية، جاءوا إلى الجمال اختيارًا، فجاءهم الجلال قهرًا. وأهل الرياسة الباطنية، جاءوا إلى الجمال اختيارًا، فجاءهم الجلال قهرًا. وأهل الرياسة الباطنية، جاءوا إلى الجلال اختيارًا، فجاءهم الجمال قهرًا. جرت سنة الله تعالى بأن كل من يأت شيئًا اختيارًا، على كل حال يأته ضده قهرًا. أهل الظاهر تعرضوا للزيادة، تعرض لهم النقص، كأنهم وجدوا النقص في الزيادة. وأهل الباطن بالعكس، تعرضوا للنقص فتعرضت لهم الزيادة، كأنهم وجدوا الزيادة في النقص. العارف الكامل من الأشياخ، هو الذي يدخل صاحبه من جهة النقص، وهو يريد به الكمال. يأتي به للنقص اختيارًا حتى يأتيه الكمال قهرًا. وأين من الأشياخ من يكون هكذا، وقليل ما هم، مع أن السلف الصالح من هؤلاء الأكابر الذين تقدموا كلهم ساروا على هذا المنهج القويم حتى وردوا من هذا المورد الكريم، نفعنا الله بجميعهم. انظر قول الشاذلي رحمه الله: « اللهم إن القوم قد حكمت عليه بالذل حتى عزوا، وحكمت عليهم بالفقد حتى

وجدوا »، وقال الشيخ سيدي عبد القادر الجيلاني نفعنا الله به: « أتيت جميع أبواب الحق، فوجدت الازدحام على الأبواب، حتى أتيت باب الذلة والافتقار فوجدته خاليًا، فدخلت والتفت، فإذا أنا قد دخلت وتركت الناس يزدحمون على الأبواب »، وقال أبو يزيد البسطامي نفعنا الله به: ناداني الحق فقال لي: يا أبا يزيد. قلت: نعم يا رب. قال « خزائننا مملوءة بالخدمة، فإن أردتها عليك بالذلة ». وقال أبو العباس المرسي: « إنما سلكت هذا الطريق بأقوام كنست بأرواحهم المزابل ». نفعنا الله بأجمعهم وجعلنا وإياكم من السالكين على منهجهم:

تذلل لمن تهوى فليس الهوى سهل * إذا رضي المحبوب صح لك الوصل

تذلل له تحظ برؤيا جماله * ففي وجه من تهوى الفرائض والنفل)

وقال: (قال بعض العارفين {: ولي الله الكامل يتطور بجميع الأطوار ليقضي سائر الأوطار. وهذه الخصال هكذا، لا تجتمع إلا في مجذوب سالك، ساكر صاح، الذي لم يغب سكره على صحوه ولم يغب صحوه على سكره، يعطي كل ذي حق حقه، ويوفي كل ذي قسط قسطه، وقليل ما هم)، وقال: (اعلم أن الخلق كلهم محجوبون، وكلهم ليسوا بمحجوبين. والعارف بالله الكامل هو الذي عرف مولاه في جميع الحالات، لأن كل من تجلت له حالة لا بد أن تحجبه عما سواها، والحق ظاهر في الأحوال وفي أضدادها، كما هو باطن في الأحوال وفي أضدادها. ظهر حتى لم يخف على أحد، وخفي حتى لم يظهر، سبحانه وتعالى)، وقال: (اعلم أن من جملة ما خص الله تبارك وتعالى به الإنسان، أن جعله فانيًا باقيًا أبدًا. إذا بقي في الجمع فنى في الفرق، وإذا فنى في الجمع بقي في الفرق، هذا دأبه دائمًا. الضعيف المغلوب إذا أشرف على الفرق حجب عن الجمع، وإذا أشرف على الجمع حجب عن الفرق. والعارف بالله الكامل اصطحب مع عبودية مولاه في الأحوال كلها حتى صار بين فرقه وجمعه كلمح البصر، كأن جمعه لا يحجبه عن فرقه، وفرقه لا يحجبه عن جمعه، وكأن بقاءه لا يحجبه عن فناءه، وفناءه لا يحجبه عن بقاءه، وذلك من شدة سرعة التقلب في الأحوال، وهذا الوصف لا يحصل إلا بكثرة الممارسة في الفن، والارتباط في أهله، وقليل ما هم. قال صاحب الحكم: « منهم من غلب سكره على صحوه، ومنهم من غلب صحوه على سكره، وأفضلهم من شرب فازداد صحوًا وغاب فازداد حضورًا »)، وقال: (اعلم أن فساد القلب هو إدخال حضرة غيره على حضرته، كما أن فساد الجسد هو إدخال الطعام على الطعام: هذا للمريد البادي في الطريقة، وأما الولي الكامل بعكس هذا، لأن الولي الكامل مالك لنفسه، والمريد بخلاف ذلك لأن المريد طالب الخروج من رقية نفسه. والولي الكامل فرغ من تهذيب نفسه، يحضر مع مولاه في جميع الحضرات ويعبده في جميع الحالات، غائبًا

بائن، راحلًا قاطن، لا فرقه يحجبه عن جمعه، ولا جمعه يحجبه عن فرقه، تساوت عنده جميع الأضداد، الألفاظ مثل المعاني، والمعاني مثل الألفاظ)، وقال: (اعلم أن الولي الكامل العارف بالله يحضر جميع الحضرات، وهذا حال الرجال الأقوياء { لا تحجبهم حضرة الخلق عن حضرة الحق، ولا تحجبهم حضرة الحق عن حضرة الخلق، لأنهم صاروا يشهدون مولاهم في كل حال لا يشهدون سواه، وهذا هو التوحيد الكامل، وهؤلاء الذين استوى عندهم المدح والذم والعدو والحبيب والعطا والمنع ومَن ساء إليهم كمن أحسن إليهم. نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم)، وقال: (اعلم أن صاحب الصفات عاقل وهو في غاية الحسن، وصاحب الذات أحمق وهو في غاية الحسن. صاحب الصفات عالم وهو في غاية الحسن، وصاحب الذات جاهل وهو في غاية الحسن. صاحب الصفات عزيز وهو في غاية الحسن، وصاحب الذات ذليل وهو في غاية الحسن. صاحب الصفات ملحوظ وهو في غاية الحسن، وصاحب الذات مهمول وهو في غاية الحسن. صاحب الصفات معروف وهو في غاية الحسن، وصاحب الذات منكور وهو في غاية الحسن. صاحب الصفات معطي وهو في غاية الحسن، وصاحب الذات مانع وهو في غاية الحسن. صاحب الصفات علوي وهو في غاية الحسن، وصاحب الذات سفلي وهو في غاية الحسن. صاحب الصفات سماوي وهو في غاية الحسن، وصاحب الذات ساكت وهو في غاية الحسن. صاحب الصفات مقبل وهو في غاية الحسن، وصاحب الذات مدبر وهو في غاية الحسن. صاحب الصفات ظاهر وهو في غاية الحسن، ??? ?? ?? وهو في غاية الحسن. صاحب الصفات موصول وهو في غاية الحسن، وصاحب الذات مقطوع وهو في غاية الحسن. صاحب الصفات الخلق كلهم إخوان له وهو في غاية الحسن، وصاحب الذات ما له في الوجود أخ وهو في غاية الحسن. صاحب الصفات له أولاد ووالدين وأصحاب، وهو في غاية الحسن، وصاحب الذات يتيم ما له ولد ولا والد ولا صاحب، وهو في غاية الحسن. صاحب الصفات، الناس كلهم أهل له، وهو في غاية الحسن، وصاحب الذات منفرد في وجوده وحده، وهو في غاية الحسن. صاحب الصفات بالخلق في الخلق للخلق، وهو في غاية الحسن، وصاحب الذات بنفسه في نفسه لنفسه، وهو في غاية الحسن. صاحب الصفات كثير الأقران والأمثال، وهو في غاية الحسن، صاحب الذات لا قرين له ولا مثيل له، وهو في غاية الحسن. صاحب الصفات مفروق في اجتماعه، وهو في غاية الحسن، وصاحب الذات مجموع في افتراقه، وهو في غاية

الحسن. صاحب الصفات يرفع الرفيع ويوضع الوضع، وهو في غاية الحسن، وصاحب الذات مستوي عنده الرفيع والوضيع، وهو في غاية الحسن. صاحب الصفات يقر ما يقر، وينكر ما ينكر، وهو في غاية الحسن، وصاحب الذات يقر ما يقهر، وما ينكر، ولا عنده ما ينكر، وهو في غاية الحسن. صاحب الصفات راتع أبدًا في العوائد، وهو في غاية الحسن، وصاحب الذات راتع أبدًا في خرق العوائد وهو في غاية الحسن. صاحب الصفات فان في عالم الغيب، باق في عالم الحاضر، وهو في غاية الحسن. وصاحب الذات باق في عالم الغيب، فان في عالم الحاضر، وهو في غاية الحسن. صاحب الصفات باق بالصفات، فان في الذات، وهو في غاية الحسن، وصاحب الذات باق في الذات، فان في الصفات وهو في غاية الحسن. صاحب الصفات تصرفه بالحكمة وهو في غاية الحسن، وصاحب الذات تصرفه بالقدرة وهو في غاية الحسن. صاحب الصفات يملك نفسه بغيره، ويملك غيره بنفسه، وهو في غاية الحسن، وصاحب الذات مالك على نفسه، ولا في الوجود غيره، وهو في غاية الحسن، صاحب الصفات سالك إلى الله بالأسباب وهو في غاية الحسن، وصاحب الذات مجذوب إلى الله بالتجريد وهو في غاية الحسن. والعارف بالله الكامل هو ما اجتمعت فيه الأحوال كلها وأضدادها، لو وزن فيهم لتعادلا)، وقال: (اعلم أن الولي العارف بالله الكامل، تجده تارة عاقلًا في غاية الحسن، وتارة أحمقًا في غاية الحسن. وتارة عالمًا في غاية الحسن، وتارة جاهلًا في غاية الحسن. وتارة عزيزًا في غاية الحسن، وتارة ذليلًا في غاية الحسن. وتارة قريبًا في غاية الحسن، وتارة بعيدًا في غاية الحسن. وتارة ملحوظًا في غاية الحسن، وتارة مهمولًا في غاية الحسن. وتارة محسنًا في غاية الحسن، وتارة مسيئًا في غاية الحسن. وتارة معروفًا في غاية الحسن، وتارة منكورًا في غاية الحسن. وتارة معطيًا في غاية الحسن، وتارة مانعًا في غاية الحسن. وتارة علويًا في غاية الحسن، وتارة سفليًا في غاية الحسن. وتارة سماويًا في غاية الحسن، وتارة أرضيًا في غاية الحسن. وتارة متكلمًا في غاية الحسن، وتارة ساكتًا في غاية الحسن، وتارة أرضيًا في غاية الحسن. وتارة متكلمًا في غاية الحسن، وتارة ساكتًا في غاية الحسن. وتارة مقبلًا في غاية الحسن، وتارة مدبرًا في غاية الحسن. وتارة أولًا في غاية الحسن، وتارة آخرًا في غاية الحسن. وتارة ظاهريًا في غاية الحسن، وتارة باطنيًا في غاية الحسن. وتارة موصولًا في غاية الحسن، وتارة مقطوعًا في غاية الحسن. وتارة الخلق كلهم إخوان له، وهو في غاية الحسن، وتارة ما له في الوجود أخ وهو في غاية الحسن. وتارة له أولاد ووالدين وأصحاب في غاية الحسن، وتارة يتيم ما له ولد ولا صاحب في غاية الحسن. وتارة الناس كلهم أهل له في غاية الحسن، وتارة منفرد وحده في غاية الحسن. وتارة بالخلق في الخلق للخلق، في غاية الحسن، وتارة بنفسه في نفسه لنفسه في غاية الحسن. وتارة كثير الأقران والأمثال في

غاية الحسن، وتارة لا قرين له ولا مثيل له في غاية الحسن. وتارة مفروقًا في اجتماعه في غاية الحسن، وتارة مجموعًا في افتراقه في غاية الحسن. وتارة يرفع الرفيع ويضع الوضيع في غاية الحسن، وتارة يستوي عنده الرفيع والوضيع في غاية الحسن. وتارة يُقرُّ ما يقر، وينكر ما ينكر، وهو في غاية الحسن، وتارة يقر ما يقر، وما ينكر، ولا يجد ما ينكر، في غاية الحسن. وتارة راتعًا في العوائد في غاية الحسن، وتارة راتعًا في خرق العوائد في غاية الحسن. وتارة فان في عالم الغيب باق في عالم الحاضر في غاية الحسن، وتارة باقي في عالم الغيب فاني في عالم الحاضر في غاية الحسن. وتارة باق في الصفات، فان في الذات، في غاية الحسن، وتارة باق في الذات، فان في الصفات، في غاية الحسن. وتارة تصرفه بالحكمة في غاية الحسن، وتارة تصرفه بالقدرة في غاية الحسن. وتارة يملك غيره بنفسه، كما يملك نفسه بغيره، في غاية الحسن، وتارة مالك لنفسه بنفسه، ولا في الوجود غيره في غاية الحسن)، وقال: (اعلم أن من أوصاف العارف بالله الكامل، أن يكون يتصرف في الوجود في جميع أحواله. إذا كان في حال الجمع يتصرف بالجمع قدرة، كالذي يضرب بالشاقور، يقسم كل ما والاه به، ولا يلتفت إلى مفصل.وإذا كان في حال الفرق، يتصرف بالفرق حكمة، كالموس الماضي في يد الحجام، يذهب بالشعر من الرأس، وصاحب الرأس نائم ولا يشعر به. وإذا لم يكن العارف، تصرفه بالحكمة كتصرفه بالقدرة، وتصرفه بالقدرة كتصرفه بالحكمة، فهو ناقص بالحكمة ذلًا وعبودية، وبالقدرة عزًا وحرية. وهكذا رأينا وسمعنا من أشياخنا أنهم كانوا هكذا، وهكذا كان أشياخ أشياخنا رضي الله عنهم أجمعين. يقول شيخ أشياخنا سيدي عبد الرحمن المجذوب } في هذا المعنى:

افقيـــــر او غنـــــي او مـــــداح * او لانـــي فـــي ذا الحـــال بـــادي

يمنــــــي او عســــــري مســــــرح * نضـــــرب ابهـــــادي او هــــادي)

وقال: (اعلم أن الله تبارك وتعالى ظهر في الأكوان كلها بحكمته وقدرته. والحكمة فرق، وهي كأنها ضد القدرة، والقدرة جمع، وهي كأنها ضد الحكمة. وكل من دخل للحكمة قبل علمه بالقدرة فهو مخذول، ومن دخل للقدرة قبل علمه للحكمة فهو معطول. والعارف الكامل في ساعة البعد يتصرف بالحكمة فتكون في يده مثل الموسي الماضي أو مثل الورقة، الأفصاد يفتح بها كل شيء، وفي ساعة القرب يتصرف بالقدرة فتكون في يده مثل الشاقور الماضي الثقيل، كل ما ينزل عليه يسحقه حتى يصير رميمًا، لو نزل به على الوجود بأسره لانقلب وفق إرادته. كما قال بعضهم: « وأمري بأمر الله إن قلت كن يكون ». هذه بعض صفات الرجال الذين استوى تصرفهم في الأحوال وفي أضدادها. نفعنا الله بهم ورزقنا محبتهم آمين)، وقال: (العارف بالله

الكامل، هو الذي يملك الوجود وأهله بالأشياء، كما يملكه وأهله بأضدادها. إذا سكت يملك الوجود بسكوته، وإذا تكلم يملك الوجود بكلامه، وإذا اجتمع يملك الوجود باجتماعه، وإذا تفرق يملكه بافتراقه، ويملكه بالذل كما يملكه بالعز، ويملكه بالقرب كما يملكه بالبعد، ويملكه بالبسط كما يملكه بالقبض، ويملكه بالخير كما يملكه بالشر، ويملكه بالعطاء كما يملكه بالمنع، ويملكه بالسكون كما يملكه بالحركة، ويملكه بأدنى شيء كما يملكه بأعلى شيء، إلى ما لا نهاية له من الأضداد. وكل من يملك الأشياء بحال ولم يملكها بضده، فهو محتاج إلى خدمة الرجال وتقبيل الأرض بين أيديهم، أحب أم كره)، وقال: (اعلم أن أهل الظاهر لا يعبؤون بالباطن ولا بمن أتى به، كما أن أهل الباطن لا يعبؤون بالظاهر ولا بمن أتى به، قال تعالى: ﴿ **كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ** ﴾ [المؤمنون: 53]. والعارف الكامل يعطي لكل ذي حق حقه ويوفي كل ذي قسط قسطه، ويلاحظ أهل الظواهر بظواهرهم حتى يملكهم بذلك، أحبوا أم كرهوا، ويلاحظ أهل الباطن ببواطنهم حتى يملكهم بذلك، أحبوا أم كرهوا. فإذا فرغ منهم باثنين، فعند ذلك يبسط يده على الوجود بأسره فيجوزه: علوي وسفلي. العلوي يأخذه بسيف العلويات، والسفلي يأخذه بسيف السفليات، فعند ذلك يصير بأمر الله تعالى خليفة على ملك البلاد والعباد، يفعل في ملكه ما أراد. قال الشاعر في هذا المعنى:

ايا ربة القرط التي اتلفت نسكي	*	على اي حالة فلا بد لي منك
فإما بذل وهو اليق بالهوى	*	وهو بعز وهو اليق بالملك
إذا كنت في بر اتيتك راكبًا	*	إن كنت في بحر اتيتك بالفلك)

وقال: (اعلم أن العارف بالله لا يأكل ثمار المعاني حتى تطيب. كثرة الصمت تطيب الكلام، وكثرة الكلام تطيب الصمت. والأشياء كلها لا تطيب إلا بأضدادها، ولا يطيب الأشياء بأضدادها إلا العارف الكامل، وهذا المعنى يكون مع النفس ومع الجنس، والذي يكون مع الجنس هو ما ذكرنا، والذي يكون مع النفس: إذا حصل للإنسان شيء من الملل في نفسه، يقابل ذلك الحال بضده، فإن ذلك الملل يذهب وتطيب النفس، وهذا دأب أهل سياسة النفس وسياسة الجنس لأن حكمهما واحد. وكل من ملك نفسه يملك الوجود بأسره، وكل من ملكته نفسه فهو مملوك للوجود وما فيه، والنفس لا تملك إلا بمعرفة سياستها، والجنس كذلك)، وقال: (اعلم أنك ما واجهت الخلق بالجلال إلا واجهوك بالجمال، ولا واجهتهم بالجمال إلا واجهوك بالجلال، لأن الضد لا يجلب إلا ضده، هكذا جرت حكمة الله في خلقه. صاحب الجلال من جهة الخلق مبرور، ومن جهة الغيب منكور، وصاحب الجمال من جهة الخلق منكور ومن جهة الغيب منكور. والعارف الكامل هو الذي يطيب الجلال

بالجمال، ويطيب الجمال بالجلال، ولا يأكل إلا التي طابت. وهذا المعنى لا يظفر به إلا من ملك نفسه حتى يفعل بها ما أراد، وأما الذي ملكته نفسه فليس الكلام معه، والكلام ما هو إلا مع الأحرار، وأما العبيد فلا نصيب لهم في هذه المعاني، والأحرار هم عبيد الله المخلصون إليه. والعبيد هم عبيد الدنيا وعبيد الآخرة، وإنما كانوا عبيدًا لأنهم ملكوا نفوسهم للعبيد. وأما من ملك نفسه للحق تعالى فالله تعالى أكرم من أن يتركه عبدًا بل يجعله حرًا، والوجود وما فيه عبد له، مكافأة حين ملك نفسه للكريم، ليكون سبحانه هو أكرم منك على كل حال. أنت تكرمت عليه بنفسك، وهو يتكرم لعيك بالوجود كله، مع أنه هو الذي أعطاك نفسك، وتفضل عليك بها قبل إيجادك، وملكها لك بفضله، ولكن لما أعطاها إليك وهو كريم صارت لك ملكًا صحيحًا، فإن رددتها له أي لعبوديته فعند ذلك يملكك ملكه تتصرف فيه بمشيئتك، فتصير كأنك خليفته في خلقه، تفعل فعل سيدك بأمر سيدك)، وقال: (اعلم أن العارف الكامل، ينور قلبه بما ينور قلوبهم به أهل المعاصي. مثال ذلك كالذي يستضيء بالزيت المفورة. مقصوده في ذلك إدفاع الظلمة ولو بما هو محرم على غيره، كالذي يدفع الغصة بجرعة خمر إذا لم يجد ماء، كذلك صاحب هذا الفن إذا لم يجد ما يدفع به موت قلبه من المباحات يدفعها ولو بمحرمات. إذا كانت المحرمات تباح في جلب الحياة الفانية، فكيف لا تباح في جلب الحياة الباقية؟ بل هي من باب أولى. يحكى أن الشيخ سيدي أحمد بن عبد الله، كان جالسًا ذات يوم في موضع من أطراف المدينة، وإذا برجل من أهل المعاصي يغني بغناء أهل التخريب، وسيدي أحمد بن عبد الله يسمع والرجل لا يشعر بذلك، فإذا بالرجل التفت فرأى الشيخ فاستحيى منه فسكت، فناداه الشيخ فقال له: قل ما كنت تقول، أنا أحوج إليك منه، أنت عن كيف تعرف، وأنا أسمع كيف أعرف. فرد الرجل لما كان يقول عن إذن الشيخ - نفعنا الله به - وبأمثاله)، وقال: (اعلم أن العارف بالله الكامل، عنده جلسة واحدة في بساط المخزن أفضل من ألف رجل من العوام يخدمونه بنفوسهم وبأموالهم، بل أفضل من عشرة آلاف. سبحان الحكيم الذي جعل مصائب قوم عند قوم فوائد)، وقال: (اعلم أن العوام إذا قابلوك بالشر وقابلتهم بالخير، فشرهم كامل وخيرك كامل، حتمًا تغلب بخيرك شرهم، لأن خيرك سفلي وشرهم علوي، وإذا تقابل العلوي والسفلي فالسفلي يغلب على كل حال. وإذا قابلوك بشر وقابلتهم بشر أوقى منه، شرك يغلب شرهم، القوي يغلب الضعيف على كل حال. وإذا قابلوك بشر كامل وقابلتهم بخير أقوى من شرهم، أنت تغلب من غير شك، لأن القوي يغلب الضعيف. والعارف الكامل يغلب من قابله على كل حال، إما بشر أقوى من شره، أو بخير أقوى من شره. والمدار كله على الغلب بالخير أو بالشر:

يمنـــــي وعســـــري مســـــرح * نضـــــرب بهـــــذي وهـــــذي

ايــا ربــة القـرط التــي اتلفـت نسـكي * علــى اي حالــة فــلا بــد لــي منــك

فإمــا بــذل وهــو اليــق بـالهوى * وهــو بعــز وهــو اليــق بالملــك)

وقال: (وسمعت الشيخ ـ نفعنا الله به ـ يقول: الفقير الكامل هو الذي رأس ماله معاني. قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾ [فاطر: 28]. وإنما قلنا: إن العلم نور، والعمل ظلمة، مع أن العلم لا يقوم من غير عمل، كما أن العمل لا يقوم من غير علم، لكن النظر للغالب: إذا كان العلم غالبًا على العمل فذلك مقام أهل المشاهدة وهم الملوك، وإذا كان العمل غالبًا على العلم فذلك مقام أهل المجاهدة وهم العبيد. والملك لا يقوم من غير مِلك، وكذلك المِلك لا يقوم مِن غير مُلك. سبحان من جعل الأشياء قائمة بأضدادها، كامنة بأضدادها. من أراد شيئًا عليه التمسك بضده، كأن مفتاح الأشياء هي أضدادها. هذا القياس لا يثق به إلا من خاض بحر المعاني)، وقال: (اعلم أن الله تعالى جعل هذا الإنسان مجموعًا أبدًا، مفروقًا أبدًا، ولكن تارة يغلب جمعه على فرقه، وتارة يغلب فرقه على جمعه. والذي غلب على الآخر، الحكم له في الوقت: إذا غلب جمعه على فرقه، يكون الحكم للعلم على العمل. وإذا غلب فرقه على جمعه، يكون الحكم للعمل على العلم. العارف يفهم ذلك من نفسه، ومن غيره، ويعرف ما زاد وما نقص. والجاهل ما غلب عليه حال إلا تلف فيه عن غيره، حتى كأنه ينكر ما سواه. والنكران هو عين الجهل والتلف، لأجل هذا المعنى تجد كثيرًا من المتفقرة الذين أخذوا الفن عملًا من غير علم، مسجونين محصورين محجوبين بما في أيديهم من العمل، حتى يظن كثير منهم أنه لا خير في الوجود إلا فيما أيديهم، وذلك من جهلهم بالله، كأنهم يحجرون القدرة الأزلية. قال تعالى: ﴿ **وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا** ﴾ [الإسراء: 85]، وقال تعالى: ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [الزُّمر: 9]، وقال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾ [فاطر: 28]. عصمنا الله من ملاقاة الذين ضلوا وأضلوا، لأجل هذا المعنى كان الشيخ رحمه الله تعالي كثيرًا ما يقول لي: يا ولدي الفقير الكامل هو الذي يكون رأس ماله معاني، وقال بعضهم: اجعل عملك ملحًا وأدبك دقيقًا. والأدب هو المعاني، والمعاني هي العلم. شتان بين الفقير الذي يكون علمه تابعًا لعمله، ومن يكون عمله تابعًا لعلمه: الأول عالم بعمله، والثاني عامل بعلمه، وكيف يكون العمل والعلم به يشبه العلم والعمل به. وبعد هذا، كل من تراه من المتوجهين دام على حالة واحدة فاعلم أنه محجوب فيها عن مولاه، لأن كل من واجهته الحقيقة لا بد أن يتلون بتلونها. « **المرء على دين خليله** » الحديث. إذا كان الإنسان حتمًا يتلون بتلون شخص مثله إذا رافقه، فكيف بمرافقته لحقيقة الحقائق. قال الشَشتري في بعض كلامه:

« وغايتي في الحب أن أتلون »)، وقال: (اعلم ومن جملة أوصاف الفقير الصادق الكامل، أن لا يذكر نفسه في وسط الخلق، ولا يعبأ بها ولا بحظها، ولا ينسب لها شيئًا من الأفعال ولا من الإرادات ولا من التأثير. هذه بعض صفات الفقراء السادة المؤدبين مع مولاهم، ولا لها قدر في وسط الخلق، وحق الخلق كلهم عليه، ولا يرى لنفسه على الخلق حقًا، ولا ينكر على الخلق شيئًا من أحوالهم. سئل أحد من المشايخ قيل له: يا سيدي ما مراد الله تعالى من خلقه؟ قال: الحال الذي هم عليه الآن).

بقية هذه الكلمات

قال: (وسمعته رحمه الله يقول: الشحم لا تعقد إلا على الكلا، والكلا ما تعقد إلا على الشحم)، وقال: (وسمعته يقول أيضًا: الدار التي لا قمح فيها خالية)، وقال: (اعلم سمعت الشيخ نفعنا الله به يتكلم حتى قال في بعض كلامه: الزاج والشب والكبريت تقطر في القطارة، وماؤهم هو الماء القاطع الذي يقطع في المعادن كلها من الهند والنحاس والحديد والفضة والذهب، وما أشبه ذلك. قال: أنا جربته).

الفهارس

إعداد

الدكتور محمد بن

محمد المهدي التمسماني

فهرس إذا أردت

كلها لا تقوم إلا بأضدادها): 275

- (إذا أردت أن تستقيم لك الأشياء قابلها بأضدادها تستقيم لك): 324

- (إذا أردت أن حكمة الله في هذا المعنى: كل ما تقابله بالجمال ولم يفتح عليك، اقلب المر ترى العجب، يعني اقلب جمالك جلالًا ترى سر الله واضحًا. وكذلك من قابلته بالجلال ولم يفتح لك، اقلب جلالك جمالًا، فإنك تظفر به، سواء كان ذلك الذي قابلت جمادًا أو بشرًا، ملكًا أو مملوكًا): 300 - 301

- (اعلم أنك إذا أردت جمال الوجود فعليك بجمال باطنك، وجمال باطنك لا تجده إلا بجلال ظاهرك. وإذا أردت جلال الوجود عليك بجلال باطنك، وجلال باطنك لا تجده إلا بجمال ظاهرك): 379

- (إذا أردت أن تملك الفرق فلتكن عندك تسعة أقسام جلالًا وقسمة جمالًا، وإذا أردت أن تملك الجمع فلتكن عندك تسعة أقسام جمالًا وقسمة جلالًا): 146

- (ومن لباب الحكمة: إذا أردت الجمع اربط نفسك في الفرق وداوم على ذلك فإن الجمع يطلبك طلبًا لا يمنعك منه أحد، وبالعكس إذا أردت الفرق اربط نفسك في الجمع وداوم عليه فإن الفرق يطلبك طلبًا لا يقدر أن يمنعك من يده أحد): 175

- (السلامة ظاهرًا وباطنًا فيما قاله الشيخ الشاذلي لتلميذه الصباغ حين سأله عن حكاية الفرق والجمع فأجابه بأن قال له يا ولدي: إذا أردت التي لا لومة فيها فالجمع في سرك مشهود والفرق في لسانك موجود): 144

- (إذا أردت أن تملك الجمع عليك بالقول، وإذا أردت أن تملك الفرق فعليك بالفعل): 58

- (إذا أردت أن تملك الجمع عليك بالأقوال، وإذا أردت أن تملك الفرق عليك بالأفعال): 191

- (إذا أردت أن يقابلك الخلق بالفعل حتى نفسك فقابلهم به فإنهم يقابلونك به، وكذلك إذا أردت أن يقابلك الخلق بالقول حتى نفسك قابلهم به فإنهم يقابلونك به): 56

- (وإذا أردت الفعل فاخلق عنصر اللسان ترى الفعل يبرز من خلال الجنان فتنخضع له رقاب سائر الأوطان بأمر الملك الديان، لأن كل ما عدى جارحة اللسان فهو فعل): 321

- (إذا أرادت أن تفهم أقوال الفقير الفعلية، كالذي يتعلم الإشارة بالمدفع يرمي الإشارة ولا يصيبها ويعود ولا يصيبها، وهكذا حتى يصير مهما رماها إلا أصابها، لأن من لا أفسد ما صوب ولا أصلح): 251

- (ومما قال لي الشيخ نفعنا الله به: يا ولدي إذا أردت الحرية: أقبض من جل الناس ولا



تختر ممن تقبض، وادفع لجل الناس ولا تختر لمن تدفع. فإذا كنت هكذا فإنك تصير حرًا): 314

فهرس من أراد

- (كل من أراد أن يغلب يُغلب، وكل من أراد أن يُغلب يَغلب، وكل من أراد أن يَملك يُملك، وكل من أراد أن يُملك يَملك، وكل من أراد أن يتعظم يحقر، وكل من أراد أن يحقر يتعظم، وكل من أراد أن يكبر يصغر، وكل من يريد أن يصغر يكبر، وكل من أراد أن يعز لا بد له أن يذل، وكل من يريد أن يذل لا بد أن ينعز): 48

- (الذل شرط في حق من أراد الخصوصية، سواء كانت خصوصية الظاهر أو خصوصية الباطن، لأن الخصوصية عز، ولا شك أن مفتاح العز هو الذل، كما أن مفتاح الذل هو العز. من أراد أن يكتسب عزًا فوق عز العامة فليكتسب ذلًا تحت ذل العامة): 319

- (من أراد العز الذي ليس له مثيل يرفع همته عن أهل الدنيا ولا يبالي بهم، وكما أنه من أراد أن يظفر بعز الدنيا والآخرة العز الأبدي يقرب لأهل الله ولا يلتفت لمن سواهم ولا يعبؤ به): 318

- (من أراد أن يعرف الولي فهو الذي يذكره جل العامة بالولاية، جل العوام هم المخزن وأتباعهم: هم رؤساء العوام): 466

- (من أراد أن تصح له خصوصية من بين الناس لا بد أن يصنع بنفسه خلاف ما هم عليه الناس): 115

- (من أراد توليد فنه من أهل الخصوصية: أولًا يلد مع بني آدم ثم مع الحيوانات ثم يلد مع الجمادات ثم الهوائيات ثم مع العلويات ثم مع السفليات، ثم مع نفسه بنفسه لنفسه، حتى لا يجد في الوجود إلا نفسه): 229

- (من أراد أن يكون هو سيد أقرانه فليكن أقل أقرانه يجد نفسه هو سيد أقرانه، لكن بمرافقة أهل فنه): 300

- (من أراد أن يعرف الحق حقًا فعليه بعدم النكران فإنه رأس الفتوحات كلها والخيرات بأجمعها): 161

- (أعقل الناس من أراد أن يعرف نفسه بالله، وأحمق الناس من أراد أن يعرف الله بنفسه، وأعلم الناس من أراد أن يملك نفسه بالله، وأجهل الناس من أراد أن يملك الله بنفسه، لأنه لا يعرف إلا مولانا، ولا يملك مولانا إلا مولانا): 415

- (من أراد ثمار العلوم فعليه بشرائع البواطن، كم أن من أراد ثمار الأفعال فعليه بشرائع الظواهر): 243

- (من أراد خرق العوائد في الأفعال فعليه بارتكاب الشرائع الظاهرية ... كما أن من أراد خرق العوائد في العلوم: علوم الخبر وعلوم العيان فعليه بارتكاب الحقائق الباطنية): 258

- (من أراد الأفعال عليه بغرس زريعة الأفعال وهي ظواهر الفرق، فإن زريعة الفرق أثمارها هي الأفعال، وكذلك من أراد العلوم والأقوال عليه بغرس زريعة الأقوال وهي

فهرس أساس



فهرس أشجار

فهرس أصل

فهرس الأصول والفروع

فهرس الأنثى والذكر

فهرس أول

فهرس باب

فهرس البدايات والنهايات

- (اعلم أن أدب المريدين في مقام البدايات، يعظم على قدر عظم أدب مشايخهم في مقام النهايات، ويضعف على قدر ضعفهم. كما أن من عظم أدبه في عبودية بدايته، على قدره يعظم أدبه في عبودية نهايته): 373

- (من كان جذبه قهرًا في بدايته لا يكون إلا قهرًا في نهايته، ومن كان جذبه اختيارًا في بدايته لا يكون إلا اختيارًا في نهايته، لأن البدايات مجلى النهايات): 137

- (الذل الظاهري في البدايات: خيره قوي عظيم، وشره قوي عظيم، يعني في النهايات. والذل الباطني في البدايات: خيره قليل ضعيف، وشره قليل ضعيف، يعني في النهايات، كما أن العز الظاهري في البدايات: شره قليل ضعيف، وخيره قليل ضعيف، يعني في النهايات. وذلك لأن الباطن كله بدايات، كان أن الظاهر كله نهايات، ومن عظمت بدايته عظمت نهايته: البدايات مجلى النهايات): 412

- (اعلم أن البدايات إذا لم تكن على شبه النهايات فهي فساد، وذلك لأن النهايات حتمًا لا تكون على شبه البدايات، وإذا كانت البدايات فسادًا وخرابًا على كل حال تكون النهايات مثلها، فلذلك وجب على الشيخ: أول ما يباشر به المريد ينزله في منازل أهل النهايات كما قال في الحكم: « من أشرقت بدايته أشرقت نهايته »).

- (مبتدئ بدايته على أصلها أفضل من منتهي خصوصيته لا أصل لها).

فهرس جرت حكمة الله في خلقه

- (اعلم أنك ما واجهت الخلق بالجلال إلا واجهوك بالجمال، ولا واجهتهم بالجمال إلا واجهوك بالجلال، لأن الضد لا يجلب إلا ضده، هكذا جرت حكمة الله في خلقه): 478

- (اعلم أن كل من ينزل نفسه عبدًا لعبيد الله حقًا، فهو سيد عبيد الله حقًا. وكل من ينزل نفسه سيد عبد الله حقًا، فهو عبد عبيد الله حقًا. هكذا جرت حكمة الله تعالى في خلقه): 302

- (لا تصل منزلة حتى ينزلك الخلق فيها ويشهدون لك بها، والخلق لا ينزلونك غي منزلة حتى تنزل نفسك فيها، وأنت لا تنزل نفسك في منزلة حتى تصطحب مع أهلها، ولا تصطحب مع أهل منزلة حتى تكون عبدًا خديمًا للكذابين من أهلها. هكذا جرت حكمة الله تعالى وعادته في خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلًا): 458

- (الضد لا يجلب إلا ضده، هكذا جرت حكمة الله في خلقه).

فهرس جرت سنة الله في خلقه

- (جرت سنة الله تعالى في عبده الإنسان أنه إذا اشتغل ظاهره بالعمل بطل علم باطنه،

وإذا اشتغل باطنه بالعلم بطل عمل ظاهره، والجمع بين العلم والعمل في الإنسان في لحظة واحدة محال): 283

- (اعلم أن المشتغل ببدنه لا يشتغل بقلبه، كما أن المشتغل بقلبه لا يشتغل ببدنه، جرت سنة الله بذلك، سواء كان شغل البدن خيري أو شري، أو شغل القلب خيري أو شري): 43

- (من أراد أن يجمع بين خير النفس وخير الفلس فإنه لا يقدر على ذلك، لأنه أراد أن يبدل سنة الله في خلقه: خلاف ما أراد الله تعالى فيهم. وكذلك من أراد أن يجمع بين شر النفس وشر الفلس فإنه لا يقدر): ؟؟

- (سنة الله في خواص عباده من الأنبياء والصالحين ينزع الدنيا من أيديهم حتى تمتلئ قلوبهم نورًا ويقينًا وعلمًا، ثم بعد ذلك إذا ردهم إليها لا تضرهم ولو كانت أمثال الجبال لا تزيدهم إلا خيرًا): 118

- (اعلم أن القناعة واللحاحة ضدان مجتمعان في الإنسان. من ظهرت القناعة في ظاهره، اللحاحة حتمًا تكون في باطنه. ومن ظهرت اللحاحة في ظاهره، حتمًا تكون القناعة في باطنه. هذه سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلًا): 272

- (الذل لا يفارق العز، كما أن العز لا يفارق الذل، وهما مجتمعان في الإنسان أبدًا، إلا أنه تارة يتجلى العز في الإنسان ظاهرًا فيكون حينئذ فيه الذل باطنا، وتارة بالعكس يتجلى الذل في الإنسان ظاهرًا فيكون فيه العز باطنًا. هكذا جرت سنة الله في خلقه): 320

- (وقال: والفناء ذل وهو موت، والبقاء عز وهو حياة، وهما كما قلنا مجموعان في الإنسان أبدًا، لا محيد للإنسان، عنهما: إن كان فناؤه في ظاهره وهو ذله وموته، حتمًا بقاؤه في باطنه وهو عزه وحياته، وإن كان بقاؤه في ظاهره وهو عزه وحياته، حتمًا يكون فناؤه في باطنه وهو ذله وموته. هكذا جرت سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلًا ولن تجد لسنة الله تحويلًا): 96، 369

- (اعلم أن الفرق جلالي، والجمع جمالي، وكل ما هو بظاهرك جمال جمع في باطنك جلال فرق، وكل ما هو في ظاهرك جلال فرق في باطنك جمال جمع هكذا جرت سنة الله في عباده): 146

- (اعلم أن كل من يجتمع باطنه لا بد أن يفترق ظاهره، وكل من يجتمع ظاهره لا بد أن يفترق باطنه، لأن الفرق لا يكون بلا جمع، كما أن الجمع لا يكون بلا فرق: هكذا جرت سنة الله في الوجود): 196

- (اعلم أن أهل الظاهر غرسوا الجمع نبت لهم الفرق، وأهل الباطن غرسوا الفرق فنبت لهم الجمع، وهكذا جرعت سنة الله تعالى في خلقه ﴿ **يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ**



الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ [الرُّوم: 19]): 93

- (من أراد أن يخرج الجد من الجد، أو الصلاح من الصلاح، فهو تالف عن الطريق. جرت سنة الله تعالى أن يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي): 251

- (الوجود كامن في العدم، والعدم كامن في الوجود، بذلك جرت سنة الله في عباده بحكمته وقدرته): 428

- (اعلم أن الكلام شجرة العز وهي لا تثمر إلا بالذل لمن غرسها، والصمت شجرة الذل وهي لا تثمر إلا بالعز لمن غرسها، وهكذا جرت سنة الله في الوجود بأسره، غيبًا وحاضرًا، حسًا ومعنى): 452

- (جرت سنة الله في عبده الآدمي: ما كان ظاهرًا مطوي على شيء إلا كان باطنه مطوي على ضده): 260

- (الإنسان ما زاد في باطنه نقص من ظاهره، وما زاد في ظاهره نقص من باطنه، جرت سنة الله بذلك): 451

- (العارف بأحكام الحقيقة لا يشك أن الله تعالى ما أوجد شيئًا إلا ويوجد ضده معه على قدره، جرت سنة الله بذلك، ولكن إذا ظهر الضد يبطن ضده، وإذا بطن الضد يظهر ضده على كل حال): 333

- (جرت سنة الله تعالى أن الوجود وما فيه لا يقوم إلا بين ضدين، ولكن يكون الحكم للواحد من تلك الضدين على الآخر في الوقت، والذي يكون له الحكم هو الغالب على كل حال): 356

- (جرت سنة الله تعالى بأن كل من لم يأت شيئًا اختيارًا، على كل حال يأته ضده قهرًا): 471

- (الشيء يعظم بضعف مقابله، وبضعف بعظمة مقابله. ما زاد في هذا، نقص من هذا، وما نقص من هذا زاد في هذا، صار الجلال في الظاهر شرطًا في طلب الملك، لا مجيد عنه، جرت سنة الله بذلك): 407

- (كل من أراد أن يُغلب يَغلب، وكل من أراد أن يَغلب يُغلب، جرت سنة الله في خلقه، سبحان الحكيم العليم): 412

- (من غلب ملك على ملكه فهو ملك للمماليك، ومن غلب ملكه على ملكه فهو مملوك للملوك، هكذا جرت سنة الله في خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلًا): 82

- (اعلم أن كل من ترفع همتك عنك، جرت سنة الله بذلك): 452

- (الحقيقة تتبع الشريعة أبدًا، كما أن الشريعة تتبع الحقيقة أبدًا، هكذا جرت سنة الله تعالى في عالم النفوس، وفي عالم الوجود).

- (اعلم أن صاحب الشرائع، ولو بلغ فهمه ما بلغ، محتاج لصاحب الحقائق، لا يقوم

فهرس جرت عادة الله في خلقه

- (جرت عادة الله في أرضه: كل شيء له واسطة، وكل شيء له سبب): 453

- (جرت عادة الله في خلقه أن كل شيء له واسطة، فمن ظفر بالواسطة ظفر بالشيء، ومن لم يظفر بالواسطة لم يظفر بالشيء. وكل شيء له أب، فمن ظفر بالأب ظفر بالولد، ومن لم يظفر بالأب لم يظفر بالولد): 453

- (جرت عادة الله أن أبواب الأشياء هي شرائعها): 242

- (وعادة الله جرت في خلقه أن الحقائق تبرز على وفق الشرائع): 82

- (اعلم أن البدايات في الأمور كلها هي الشرائع، كما أن النهايات في الأمور كلها هي الحقائق. هكذا جرت عادة الله في جل الأمور وأكثرها): 385

- (جرت عادة الله في خلقه أن من تمسك بالشريعة دون الحقيقة، أو بالحقيقة دون الشريعة، فهو هالك، ولا ينجو إلا من تمسك بهما معًا) 237

- (جرت عادة الله ما اجتمع صاحب حقيقة سفلية مع صاحب حقيقة علوية، إلا كان الحكم لصاحب السفلية على صاحب العلوية): 336

- (الحقائق مترادفة: كل حقيقة تجر أختها ... العارف إذا رأى واحدة برزت ينتظر أختها تابعة لها مقرونة معها، هكذا جرت عادة الله بحكمته في خلقه. سبحان الحكيم العليم): 163

- (زيادة الوجود كلها في مقارنة الأضداد، هكذا جرت عادة الله في ملكه، سبحان الحكيم): 227

- (كل ما أوجد الله تعالى، جرت عادته لا يوجد إلا بين اقتران الأضداد، كذلك جرت عادته لا يعدمه إلا بين اقتران الأضداد): 51 - 52

- (وجود الشيء تارة يكون سبب فقدان ضده، وتارة يكون وجوده سبب وجود ضده، وذلك لأنه من عادته تعالى في خلقه في الحسيات والمعنويات: الذي يعذب به يرحم به إن شاء والذي يرحم به يعذب به إن شاء): 61

- (عادة الله جرت في خلقه أن جعل سبحانه من كل شيء اثنين، ولكن الحكم للواحد على الآخرة في الوقت، ويعقب ذلك الوقت وقتًا آخر يصير المحكوم عليه هو الحاكم، والذي كان حاكمًا هو المحكوم عليه. هذا في الإنسان وفي الوجود): 206

- (جرت عادة الله أن الأشياء كامنة في أضداده): 92

- (جرت عادة الله في خلقه أن الأشياء لا تخرج إلا من أضدادها): 251

- (جرت عادة الله تعالى يخرج الأشياء من أضدادها): 123

- (من عادته تعالى: يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويرزق من يشاء بغير حساب): 411

_ (إذا أردت أن تستقيم لك الأشياء قابلها بأضدادها تستقيم لك ولو بالعقود أو بالكلام

أو بما أمكن تستقيم لك على كل حال بقدرة الله تعالى، بذلك جرت عادة الله في الوجود، لأن الأشياء كامنة في أضدادها): 324 - 325

- (كل من صعبت عليك ملكيته بالشر فاجعل الشر خيرًا، فإنك تملكه. وكل من صعبت عليك ملكيته بالخير، فاجعل الخير شرًا، فإنك تملكه على كل حال. هكذا جرت عادة الله في خلقه، سبحان الحكيم العليم): 406

- (جرت عادة الله تعالى في عامة خلقه: ما فعلت معهم خيرًا إلا جازوك بالشر، ولا فعلت معهم شرًا إلا جازوك بالخير): 43

- (كل من قابلته بجور يقابلك بعدل، كما أن من قابلته بعدل يقابلك بجور، هذا مع نفسك ومع جنسك بل مع الوجود كله، هكذا جرت عادة الله بحكمته في الوجود. سبحان الحكيم العليم): 149

- (من عادته تعالى مع عبده: ما اتصفت بأوصاف العبيد إلا وجدت نفسك من الأحرار، ولا اتصفت بأوصاف الأحرار إلا وجدت نفسك من العبيد): 314

- (الصمت وصف من أوصاف العبودية وهو ذل اكتسابي يجر عزًا قهريًا، والكلام وصف من أوصاف الحرية ربما يجر ذلًا قهريًا، وهكذا في جميع أوصاف العبودية والحرية: جرت عادة الله هكذا): 313

- (إذا كان النزول اختياري يكون الطلوع على قدره قهري، وإذا كان الطلوع اختياري يكون النزول على قدره قهري. هكذا جرت عادة الله في خلقه): 411

- (جرت عادة الله في خلقه: كل ما يشرق جلاله في أوله يشرق جماله في آخره، وكل ما يشرق جماله في أوله يشرق جلاله في آخره): 140

- (كلهم ما قابلتهم بالجلال إلا قابلوك بالجمال، ولا قابلتهم بالجمال إلا قابلوك بالجلال: هذا يعم نفسك وجنسك، هكذا جرت عادة الله في هذا الوجود): 149

- (كل ما يزيد في ظاهرك جلال، على قدره يزداد في باطنك جمال. وكل ما يزيد في ظاهرك جمال يزداد في باطنك على قدره جلال. هكذا جرت عادة الله في خلقه): 93

- (جرت عادة الله أن ما يجمعك في الظاهر يفرقك في الباطن، وبالعكس، أعني الإثبات في الظاهر هو النفي في الباطن، والنفي في الظاهر هو الإثبات في الباطن): 272

- (كل ما يجمعك على نفسك يفرقك عن جنسك، وكل ما يجمعك على جنسك يفرقك مع نفسك. جرت عادة الله بهذا الاختلاف): 423

- (جرت عادة الله أن الجد لا يخرج إلا من المزاج، كما أن المزاح لا يخرج إلا من الجد): 403

فهرس حقيقة

فهرس الحكمة

من قائل: ﴿ **وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ** ﴾ [هود: 118]، هذه حكمة الله في خلقه .

- (اعلم أن من حكمة الله تعالى أن جعل الأشياء كلها حسية ومعنوية، وجودها كامنًا في عدمها، وعدمها كامنًا في وجودها. هكذا في الأمور كلها، سواء كانت وهبية أو كسبية): 428

- (هذه حكمة الله في الوجود: كل من يملكك لا بد أن تملكه، وكل من تملكه لا بد أن يملكك): 412

- (حكمة الله تعالى في خلقه أن كل من فعل شيئًا بالحكمة فإن قدرة الله توجد له شيئًا ضده يقابله على كل حال): 379

- (اعلم أن الحكمة التي قام بها الوجود وقام بها الإنسان هي الاختلافات. صلاح الإنسان وبقاؤه جعله الله بالاختلافات، وفساد الإنسان وفناؤه بالوقوف مع حال دون حال): 325

- (من حكمته تعالى أن جعل ذوات الخلق مختلفة): 425

- (اعلم بهذه الحكمة إذا تعوج عليك شيء من جهة المعنى تحول للحس فإنه يستقيم، وكذلك إذا تعوج لك شيء من جهة الحس تحول للمعنى فإنه يستقيم): 165

- (اعلم يا أخي ومن أسرع حكمة يعالج بها الحكيم وأقوالها وأنفذها وأقربها للإجابة، أن يعالج الحس بالمعنى، والمعنى بالحس، والذات بالصفات، والصفات بالذات): 326

- (الحكمة عند اقتران الباطن بالظاهر): 58

- (حكمة الله تعالى في ذلك هو أن الظاهر لا يقوم إلا بين اثنينية الحس والمعنى، كما أن الباطن لا يقوم إلا بين اثنينية الحس والمعنى): 276

- (اعلم أن الحكمة في الظاهر مجموعة في مسألتين، وفي الباطن أيضًا أيضًا مجموعة في مسألتين. في الظاهر: ما رغبت في شيء إلا زهد فيك هو، ولا زهدت في شيء إلا رغب فيك هو. وفي الباطن بالعكس: ما رغبت في شيء إلا رغب فيك هو كذلك، ولا زهدت في شيء إلا زهد فيك هو كذلك): 275 - 276

- (الجوع يورث الحكمة): 149

- (إذا استمر الإنسان على ذكر الله تعالى تنبع الحكمة على لسانه): ؟؟

- (الحكمة عبودية، ولا شك أن العبودية هي مفتاح كنوز الربوبية، قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا** ﴾ [البقرة: 269].

- حكمة الله تعالى في الأمور كلها هي العبودية، قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ**

أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة: 269].

- (لا شيء ينفع الفقير يتزود به مثل الصمت، وذلك لأنه لباب الحكم النفسانية وهو أعظم فروع العبودية وأشرفها): 253
- (الصمت ربما يجمع لك ألف حكمة في كلمة، والكلام ربما يفرق لك حكمة في ألف كلمة): 165
- (كل من ظفر بحكمة من حكم الدنيا والآخرة، حكمة النفوس أو حكمة الفلوس، تجده ما ظفر بها حتى خرق العادة من نفسه فيها).
- (الحكمة التي هي رأس الحكم الباطنية كلها هي: الإنسان يحتال حتى يعود نفسه الخروج عن عادة الحق): 175
- (في ملاقاة الخلق والخروج عن العادة حكمة بها تقع الزيادة): ؟؟
- (من ملك الملاقاة - أي ملاقاة الرجال خصوصًا وعمومًا - لم يمنع الزيادة أبدًا، ومن ملك الزيادة حتى تكون طوع يده فقد ملك الحكمة، قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الأَلْبَابِ** ﴾ [البقرة: 269] **)**.
- (الحكمة هي الاستيناس بالحكمة، وأما من ظفر بالحكمة ولم يستأنس بها حتى تصير له طبعًا طبيعًا لا حكمة له، ولو وصل ما وصل، فيها ما وصل): 147
- (صاحب الحكمة لا تدوم له حكمته إلا إذا لم يجالس غير أهل فنه أي أهل حكمته وأما إذا اصطحب معه غير أهل حكمته أو جالسهم فإن الحكمة تذهب له ولا يجد منها شيئًا): 119
- (الحكمة دامت لأهلها إلا بمداومة الجلوس مع أهلها، لأن حكمة الله مع معرفة الله بمنزلة الروح مع الجسد. كأن أي المعرفة جسد، والحكمة روحه): 147
- (اعلم أن طالب الحكمة وطالب أهل الحكمة بينهما أمر عظيم. طالب الحكمة لا يجدها إلا إذا وجد أهلها، وطالب أهلها يجد الحكمة ويجد أهلها، وربما اتلف طالب الحكمة بطلبها منها، وطالب أهلها ظافر بها على كل حال): 147
- (ما اجتمعت إرادة وفعل، إلا قامت الحكمة من غير عطلة): 175
- (حكمة الله لا تشفق من أحد ولا تبالي بأحد مهما توفرت شروطها تظهر على كل حال): 310
- (الحكمة ليست في الفقير وإنما هي في نسبة الله تعالى التي لبسها): 174
- (اعلم أن الخلق كلهم، برهم وفاجرهم، يشهدون الحق، ولكن لا يعرفونه، ولا يرى الحق حقًا ويعرفه إلا من ملئ قلبه بأنوار المعاني ... حكمة ليست في المشاهدة وإنما هي في المعرفة): 404
- (كل ما يبطل به النوم، يبطل به الباطن: حكمة الله): 107

فهرس حكم كذا حكم كذا

فهرس في الحين، بعد حين

فهرس رأس

- (اعلم أنه إذا أثبت الظاهر فإنه يخرج منه عجب العجائب، سواء كان بباطن أو بغير باطن. رأس الخير ونهاية الظفر هو ثبوت الظاهر): 271
- (صار خفاء الذكر هو رأس الخير كله وهو أعظم العبادات، ولكن لا تحصل ثمرة هذه المزية العظمى إلا لأرباب القلوب الذين خفي ذكرهم في قلوبهم عن كل ما سوى المحبوب، حتى عن حفظتهم): 378
- (الممرض هو الطبيب، ورأس الدواء هو حب الحبيب): 326
- (أهل الحقائق في الوجود بمنزلة الرأس من الحسد، وأهل الشرائع أعني شرائع العامة وشرائع الخاصة بمنزلة الجوارح): 104
- (الكرامة أيضًا فيها الظهور للخل، برؤية المزية دونهم، وانحياش الخلق إليه، وهو رأس البلايا والفتن): 383

فهرس رأس المال

- (سمعت الشيخ نفعنا الله به يقول: الفقير هو الذي يكون رأس ماله معاني): 153
- (وسمعته يقول: معرفة الأجاويد فيها رأس مال): 391
- (كأن الشريعة هي رأس مالنا، والحقيقة هي ربحنا وفضلنا): 241
- (كأن الشرائع رأس مال، والحقائق ربح): 94
- (اعلم أنه من كان رأس ماله علويات، فضله سفليات. ومن كان رأس ماله سفليات، فضله علويات. والفضل على قدر رأس المال، من اتسع رأس ماله يتسع فضله على قدره، ومن ضاق رأس ماله يضعف فضله على قدره ... العارف يشتغل بتقوية رأس المال ولا يبالي. بع تبنك وزده في رأسك املك، لأن رأس المال بقدر ما يعظم يعظَم أفضل ويثبت): 337
- (السفليات أصول، والعلويات فروع وثمار، ومفاتح الأشياء هي أضدادها. الفقير الصادق أقل أحواله يكون ثلثاه سفليات والثلث الواحد علويات: هذا رأس ماله محفوظ. وأهل الخذلان بالعكس، الثلثان علويات والثلث سفليات، هذا حال الضعفاء الذي يضعوا رأس المال. يقول أهل الأسباب الدنيوية: لا يعدم فضل من يبقى له رأس المال): 124، 337



فهرس الروح والجسد

- (اعلم أن الخصوصية لها جسد وروح. أما جسدها فهو التجريد إليها، وأما روحها فهو دوام الجلوس بين يدي أهلها. والجسد لا يقوم بلا روح، والروح لا تقوم بلا جسد، ومهما اجتمع الجسد مع الروح وجدت الخصوصية بينهما): 179
- (اعلم أن المعرفة بالله ما دامت لأهلها إلا بمداومة الحكمة، والحكمة دامت لأهلها إلا بمداومة الجلوس مع أهلها، لأن حكمة الله مع معرفة الله بمنزلة الروح مع الجسد. كأن أي المعرفة جسد، والحكمة روحه): 147
- (من تمسك بالشريعة دون الحقيقة، أو بالحقيقة دون الشريعة، فهو هالك، ولا ينجو إلا من تمسك بهما معًا. كأن الشريعة هي حياة الجسد، والحقيقة هي حياة الروح): 237
- (العلم من غير عمل كأنه أساس في بطن الأرض من غير بنيان على وجه الأرض، أعوذ بالله من علم لا ينفع، لأن العلم روح والعمل جسده): 360
- (اعلم أن العمل إخبار بالفن، والعمل هو الفن بنفسه. كأنَّ العلم بمنزلة روح الإنسان، والعمل بمنزلة الجسد): 331 - 332
- (خلق الله الجسد كرامة للروح، كما خلق هذا الوجود كرامة للإنسان): ؟؟
- (كما أن الروح اليوم كامنة في الجسد، كذلك سيعود الجسد في الآخرة كامنًا في الروح): 205
- (اعلم أن الله تعالى، كما جعل في الدنيا حكم الجسد على الروح، كذلك جعل في الدنيا الحكم للشريعة على الحقيقة، وكما سيجعل في الآخرة الحكم للروح على الجسد كذلك سيجعل في الآخرة الحكم للحقيقة على الشريعة): 204
- (سبحان من حكم في عباده بين أرواحهم وأجسادهم فعدل، كما حكم في الزمان بين البرد والحرارة فعدل ... كأن زمان الأجساد مع الإنسان، وهو زمان الدنيا، بمنزلة الشتاء من الوجود. وكذلك زمان الأرواح من الإنسان، وهو زمان الآخرة، بمنزلة الصيف من الوجود): 206
- (اعلم أن الإنسان اليوم في الدنيا يتشوق لما يأتي في الآخرة، وفي الآخرة يتشوق لما فات في الدنيا. كأن الآخرة روح الدنيا، كما ستعود الدنيا هي روح الآخرة): 204

فهرس سبب

- (العارف بالله الحكيم مهما يرى شيئًا تعذَّر: يفهم العلة من ذلك، من أي شيء كان سبب فساده، ومن أي شيء يكون سبب صلاحه): 175

- (ما كان سبب دخولي إلى المعاني في ابتداء أمري إلا أني أكثرت من أفعال الحس): 123

- (. سبب عبوديتك للوجود هو حب عبودية الوجود إليك، وأنت والوجود عبيد الله. وسبب عبودية الوجود إليك هو عبوديتك لله): 203 - 304

- (سبب الملك الانتماء إلى الملك، وسبب الملك الانتماء إلى الملك): 412

- (العامة سجنت نفوسهم لما انحصرت في بعض الحقيقة، يعني ملكت شيئًا منها وفاتها شيء، هذا سبب الحجاب): 442

- (سبب الإنكار الجهل): 281

- (الجهل هو سبب البعد والحرمان، والعلم هو سبب القرب والملك على سائر الأكوان): 330

- (صاحب تجلي الفرق، طلب مولاه في جمع نفسه، تجلى له في فرق جنسه، فكان ذلك سبب جهله به. وصاحب تجلي الجمع، طلب مولاه في فرق جنسه، فتجلى له في جمع نفسه، فكان ذلك سبب علمه به): 410

- (الذي رأى قصرًا أو نقصًا، فإنما القصر في نظره والنقص في عبارته، وسبب ذلك هو حب الدنيا وحب أهلها ومجالستهم): 390

- (اعلم أن وجود أهل العلم والعمل الظاهري هو سبب فقدان مواهب العلم والعمل الباطني، وبالعكس يعني وجود الظاهر هو سبب فقد الباطن، وفقد الظاهر هو سبب وجود الباطن، واجتماعهما معًا في القلب محال): 247

- (الفناء الظاهري هو سبب البقاء الباطني، والبقاء الباطني هو سبب الفناء الباطني، والفناء الباطني هو سبب البقاء الظاهري): 368

- (اعلم أنه من عوائد النفس، أنها ما ظفرت بشيء إلا حقرته وأهانته، ولا منعت شيئًا إلا عشقته واشتاقت إليه. وسبب إهانتها لما ظفرت به واشتياقها لما منعته، أنها جاءت من بساط الحق وعليه تدور. صارت ما ظفرت بشيء ولم تشاهد الحق فيه إلا أهانته وحقرته، هذا سبب إهانتها لما ظفرت به. وسبب عشقها لما منعته واشتياقها إليه، أنها ما رأت شيئًا أو سمعت به، إلا ظنت أنها تشاهد الحق فيه، فإذا منعته تقوى ظنها حتى يكاد أن يصير يقينها، فتزيد عشقًا وشوقًا لذلك الشيء، وهي لا تسكن ولا تستريح ولا تقر عينها حتى تشاهد الحق حقًا حقيقًا، إما بالحياة أو بالموت): 416 - 417

فهرس السلسلات

فهرس الشيء

ورأيته يعظمه لك، فقل له: هذا نصف الشيء وبقي النصف الآخر، لأن كل ما خلق الله في هذا الوجود جعل منه اثنين وذلك ليتفرد هو جل ثناؤه بالوحدانية): 61

فهرس الشيء وضده

- (كما أن إيجاد الأشياء لا يكون إلا باقتران الأضداد، كذلك إعدامها لا يكون إلا باقتران الأضداد): 51
- (الأشياء لا يقارنها في أفعالها إلا أضدادها، وما قابلك أحد بشيء وقابلته بضده إلا محقته): 197
- (إذا أردت أن تستقيم لك الأشياء قابلها بأضدادها تستقيم لك): ؟؟
- (ومما قال لي أيضًا نفعنا الله به: يا ولدي ما من أمر قدمت على فعله وجمعت فيه الشيء وضده إلا كان طوع يديك، وإياك إذا فعلت فعلًا افعله وافعل ضده معه): ؟؟
- (الأشياء كلها لا تطيب إلا بأضدادها، ولا يطيب الأشياء بأضدادها إلا العارف الكامل): 478
- (الأشياء لا تظهر نتائجها حتى تقارن مع أضدادها، ومهما قرنت الأشياء بأضدادها فإن نتائجها تظهر وتلوح مثل الشمس): 227
- (كل شيء لا يقوم إلا بضده، وما خلق الله سبحانه شيئًا إلا خلق ضده مقرونًا معه: من أتاه طوعًا فذلك، وإلا أتاه قهرًا رغمًا على أنفه): 139
- (الأشياء لا تقوم إلا بأضدادها): 275
- (كل ما في الوجود من الأشياء لا يقوم إلا بضده، أحب أم كره، ودوامك في الشيء حتمًا يجمعك بضده أحببت أم كرهت): ؟؟
- (العارف بأحكام الحقيقة لا يشك أن الله تعالى ما أوجد شيئًا إلا ويوجد ضده معه على قدره، جرت سنة الله بذلك، ولكن إذا ظهر الضد يبطن ضده، وإذا بطن الضد يظهر ضده على كل حال): 333
- (تتميز الأشياء بأضدادها): 99
- (الأشياء لا يظهر شرفها إلا بعد اقترانها بأضدادها): 99
- (الشيء لا يعرف إلا بضده): 250
- (الأشياء لا يعرف قدرها إلا بوجودها مع أضدادها، وإلا فتهان ويهان من أتى بها): 53
- (اعلم أن الحسيات اثنان: الأشياء وأضدادها، وكذلك المعنويات اثنان: الأشياء وأضدادها): 61

فهرس علامة

- (الرجل الولي هو من تظن أنه ولي فإنك تجده وليًا وعلامة ظنك فيه أنه ولي: إيثار علمه على علم نفسك وإيثار عمله على عمل نفسك): 467
- (اعلم أن الفقير الصادق هو الذي لا يجد عدوه سبيلًا إلى الوصول لإذايته، هذه

علامته، لأنه يكون دائمًا لا شغل له إلا حبيبه، واشتغاله بحبيبه يحجبه عن عدوه): 352

- (من علامة الفقير الظاهري المتعشق للباطن أنك تجده كثيرًا ما يتكلم على الحقائق والمغيبات، ومن علامة الفقير الباطني المتعشق للظاهر أن أكثر كلامه على الشرائع أي الخلق وعلى الظواهر): 352

- (علامة صاحب الظاهر أنه يؤثر ظاهره على باطنه يعني يقنع بما وجد من البواطن والظواهر، كلما يجد منها يطلب الزيادة. وعلامة صاحب الباطن بالعكس يؤثر باطنه على ظاهره يعني يقنع بما وجد من الظواهر والبواطن كلما وجد منها بطلب الزيادة): ؟؟

- (من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها، فعند ذلك يؤخذ أخذًا وبيلًا، وعلامة أخذه القناعة، والقناعة من الله حرمان): 460

- (اعلم أن الناس على فرقتين: فرقة يقبلون الزيادة والنقصان، وفرقة لا يقبلون زيادة ولا نقصان. أما الذين يقبلون الزيادة والنقصان فهم أهل خوف مزعج أو شوق مقلق، وعلامتهم: كل من تجده يقبل النقصان يقبل الزيادة لا محالة، والذي لا يقبل النقصان لا يقبل الزيادة. صارت هذه الفرقة التي تقبل الزيادة والنقصان): 400

- (لا تقف الزيادة حتى تقف الهمة، وعلامة وقوف الهمة القناعة بما يرد): 338

- (وعلامة شرف الإنسان على الوجود هو أن الوجود كله تابع لهمة الإنسان. صار الوجود كله تابع للإنسان، يتحرك بتحركه، ويسكن بسكونه. كأن الوجود قشر، والإنسان لبه): 419 - 420

- (علامة من استوى فيه الجمع والفرق، هو الذي يقول بأمر مولاه للشيء كن فيكون): 144

- (علامات الكمال هو التطور بالمقامات والأحوال): 388

- (من صحت نسبته للحقيقة حتى لا يجد بينه وبينها انفصال، هو الذي حاز ملك الدنيا والآخرة ملكًا أبديًا سرمديًا ... وعلامة صاحب هذه المرتبة العظمى: أنك تجده شفعه مطوي في وتره، ووتره مطوي في شفعه، وهوَ هوَ ...): 189

- (اعلم أن التجريد لا يكمل لصاحبه حتى يكون لصاحبه حتى يكون نفسًا ودينًا ودنيا، وعلامة كمال صاحبه أنك تجده لا ينكر أحدًا من مخلوقات الله، يقرهم في أقوالهم وفي أفعالهم وفي أحوالهم حتى نفسه، ولا يرى الوجود كله وما حوى إلا في غاية الإتقان وغاية الكمال): 111

- (العامة كلهم مربوطون، من لم يربط بحبل خير ربط بحبل شر. والخاصة نفعنا الله بهم أحرار لم يربطوا بقيد خير ولا بقيد شر، وعلامة أهل هذا المعنى أن تجدهم يتلونون بالألوان كلها في أقوالهم وأفعالهم): 284

- (أما صاحب الاسم واقف مع نفسه، له الأجرة ما دام في عمله حتى يقطع، وعلامته تارةً في شدة وتارةً في رخاء. وطالب الصفات واقف مع القدرة، شاخص بصره لما يبرز منها، لا يرى لنفسه قدرًا ولا يعني بها، هذا مقامه مقام الشكر، والشاكر لا ينقطع أبدًا، وعلامته الرجوع إلى الله في السراء والضراء. وطالب الذات لا يشهد في الوجود إلا الله ... وعلامته أن استوت عنده الأشياء كلها، الأشياء وأضدادها): 293

- (الإنسان لا يخلو إما أن تملكه نفسه، أو يملكها هو. وعلامة ملكيتها في يد صاحبها هو أن يكون إن شاء ألبسها الفرق الجلالي في ظاهرها فيقتضي أن يكون الجمع الجمالي حينئذ في باطنها، وإن شاء عكس لها الأمر يلبسها الجمع الجمالي في ظاهرها فيقتضي الفرق الجلالي في باطنها فتصير نفسه مملوكة بيده): 146

- (إذا اختلفت أقوات الروح بها فذلك علامة صحتها): 36

- (الفاقة هي شدة الاحتياج، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، فإن ذلك علامة الفتح، وعلى قدر ما تعظم الفاقة وتشتد، على قدر ما يعظم الفتح ويجهر ويتبين): ؟؟

- (علامة الصدق في الشغل هو الوحلا فيه، على قدر الوحلا تكون النتيجة في الفتح): 224

فهرس على قدر

- (اعلم يا أخي أن انتفاع الناس من الولي على قدر حسن ظنهم به، وهلاك الناس من الولي على قدر سوء ظنهم به): 155

- (اعلم أن أهل الله حقًا هم الذين اتهمهم الخلق بنسبة الله تعالى، وكل واحد من المتهومين بالله قربه من الله على قدر تقوية النسبة وإفشائها في الخلق، وبعده من الله على قدر ضعف النسبة وإخفائها في الخلق): 466

- (على قدر ما تتقوت ذات الإنسان وصفاته من ذات الوجود وصفاته في أيام حياته عامًا أو عشرة أعوام أو مائة سنة، على قدره تتقوت ذات الوجود وصفاته من ذات الإنسان وصفاته يعني بعد موته): 361 - 362

- (الأجر على قدر المشقة): 94

- (الراحة على قدر المشقة. إذا أشرقت بدايته، على قدرها تشرق نهايته. إذا لم تهزمه المشقة الأولى وتحزم في شأنه في بدايته، على قدر حزمته يكون نفعه): 448

- (حقائق النهايات تعظم على قدر عظم شرائع البدايات، وتضعفها على قدر ضعفها): 385

- (اعلم أن أدب المريدين في مقام البدايات، يعظم على قدر عظم أدب مشايخهم في مقام النهايات، ويضعف على قدر ضعفهم): 373

- (قال في الحكم: « من أشرقت بدايته أشرقت نهايته ». يعني النهاية تعظم على قدر البداية، كأنه يقول: الأدب في مقام البدايات على قدره يكون الفناء في مقام النهايات، والفناء في مقام النهايات على قدره يكون البقاء في مقام نهاية النهاية): 351

- (على قدر ما يعظم الجلال في البدايات يعظم الجمال في النهايات): 301

- (على قدر ما يأخذ المريد من جلال الشريعة في البدايات، على قدر ذلك يأخذ من جمال الحقيقة في النهايات وعلى قدر ما يأخذ من جمال الحقيقة في النهايات على قدر ما يأخذ من جلال الشريعة في نهاية النهايات): 90

- (العبودية بها يكون المبتدأ وإليها يكون المنتهى، وعلى قدر تقويتها في البدايات يكون تقويتها في النهايات): 311

- (اعلم أن العبد شرفه على قدر عظم ذله، كما أن الحر شرفه على قدر عظم عزه، يعني العبيد يتفاوتون في الشرف على قدر عظم نزولهم، كما أن الأحرار يتفاوتون في الشرف على قدر عظمهم في علوهم وارتفاعهم): 50

- (صاحب الرفع تعظم مادته على قدر رفعه وتضعف مادته على قدر وضعه، وصاحب الوضع بالعكس تعظم مادته على قدر وضعه وتضعف على قدر رفعه): 222

- (ولا شك أن أساس الطلوع هو النزول، وعلى قدر النزول يكون الطلوع، كما أن أساس النزول هو الطلوع، وعلى قدر ما يكون الطلوع يكون النزول): 226

- (على قدر نزول الذل، يكون طلوع العز، كثرت أو قلت): 319 - 320

- (على قدر عبوديتك تكون سيادتك قلت أو جلت): 302

- (على قدر ما تعظم العبودية تعظم فتوحات الربوبية): 412

- (الفتح يحصل للمريد على قدر التعظيم): 216

- (على قدر ما تعظم الفاقة وتشتد، على قدر ما يعظم الفتح ويجهر ويشن): 33

- (على قدر النقصان تكون الزيادة): 390

- (ومما قال لنا سيدنا: الفقير هو الذي يكون كثيرًا الوحايل، على قدر ما تعظم الوحلا للفقير على قدرها يكون الفتح): 224

- (اعلم أن الفتح يكون على قدر تشوير همة صاحبه، إن كبيرًا فكبيرًا، وإن صغيرًا فصغيرًا): 421

- (اعلم أنه على قدر ما يحصل لك مع الشيخ من الأدب، على قدره يحصل لك من القرب من مولاك، لأن الآدمي خليفة الله في أرضه): 190

- (على قدر قرب العبد من ربه تعظم همته، وعلى قدر عظم همته يعظم كلامه ويعظم فعله، وبالعكس يعني على قدر بعد العبد من ربه تصغر همته، وعلى قدر صغر همته يصغر كلامه ويصغر فعله): 450
- (الخطاب لا يبرز من الإنسان إلا على قدر مقامه): 391
- (العبارة في النظر تقصر وتنقص على قدر ما في طوية القلب، وتعظم على قدر ما في طوية القلب): 390
- (إذا عظمت الهمة حتمًا تعظم الأفعال على قدرها): 265
- (اعلم أن الهمم أصول، والأفعال فروع، وعلى قدر ما تعظم الأصول تعظم الفروع، وعلى قدر ما تضعف الأصول تضعف الفروع): 450
- (مرتبة الإنسان على قدر رفع همته أو وضعها، وترفع همة الإنسان على قدر علمه، وتوضع همته على قدر جهله): 330
- (على قدر العلم تعظم الحرية، وعلى قدر الجهل تعظم العبودية): 330
- (ما طلع العلم إلا طلع العمل معه على قدره، وما طلع العمل إلا طلع العلم معه على قدره): 332
- (الرزق الظاهر والباطن على قدر علو الهمم): 452
- (المدد على قدر الهمم): 175
- (على قدر طيش الهمة للشيء تكون قوة المدد، وعلى قدر صودها عن الشيء يكون ضعف المدد): 153
- (من عظمت همته فعلى قدر ذلك تعظم نتائجه): 413
- (الزيادة تعطى للإنسان على قدر علو همته، ونهاية علو الهمم إلى ربك المنتهى): 243
- (مادة كل واحد على قدر ضميره: القوي مادته على قدر قوته، والضعف مادته على قدر ضعفه): 293
- (على قدر ما يصدق طلبك للشيء يصدق ظفرك به): 249
- (على قدر ما يصدق طلبك بالقول والفعل، يكون ظفرك بما طلبت): 249
- (على قدر ما يعظم الجور، يعظم الظفر والتمكين، ومن لم يتخلف بالجور علما وعملًا من الملوك، لا ملك له): 149
- (سبحان من جهل ملكه في ملكه، كما جعل ملكه في ملكه، على قدر ما يعظم الملك يعظم الملك، وعلى قدر ما يعظم الملك يعظم الملك): 410
- (اعلم إياك أن تدهش إذا اشتد ضيقك. على قدر ما يعظم الضيق يعظم التاسيع. وعلى قدر ما يوسع الشر يوسع الخير، وعلى قدر ما يشتد التعب توسع الراحة): 48

- (اعلم أن موضع الخير هو موضع الشر، على قدر ما يطلع الخير ويعظم، يطلع الشر معه ويعظم): 199

- (اعلم أن الخلق على قدر ما تريهم النور يرونك الظلام، وعلى قدر ما تريهم الظلام يرونك الضوء. مهما قابلتهم بشيء قابلوك بضده، وعلى قدر الضد يكون الضد): 48

- (لأن الفساد هو أصل الصلاح، وعلى قدر ما يعظم الفساد يعظم الصلاح، والصلاح هو أصل الفساد، على قدر ما يعظم الصلاح يعظم الفساد، وكذلك سائر الأضداد على قدر ما يعظم الضد يعظم ضده): 252

- (العارف بأحكام الحقيقة، لا يشك أن الله تعالى ما أوجد موجودًا ألا يوجد ضده معه على قدره): 333

- (اعلم أن الحق المحقق ينكر على قدر ما يعرف، لأن جماله على قدر جلاله، وجلاله على قدر جماله): 160

- (كل ما يزيد في ظاهرك جلال، على قدره يزداد في باطنك جمال. وكل ما يزيد في ظاهرك جمال يزداد في باطنك على قدره جلال): 418

- (اعلم أن صاحب الباطن على قدر ما يعظم جلاله في الظاهر يعظم جماله في الباطن، وصاحب الظاهر بالعكس على قدر ما يعظم جلاله في الباطن، يعظم جماله في الظاهر): 94

- (على قدر ما تأخذ الظواهر من جمال البواطن تأخذ البواطن من جلال الظواهر، وذلك أن الجلال كله ذات فرق، والجمال كله صفات جمع، وعلى قدر ما يظهر من أثر الصفات على الذات، يظهر من أثر الذات على الصفات): 276

- (على قدر ضعف الظاهر يقوى الباطن، وعلى قدر ضعف الباطن يقوى الظاهر): 273

- (على قدر تقوية أفعال الظواهر يتقوى الخوف، وبالعكس على قدر تقوية البواطن يتقوى الرجاء، وبالعكس): 91

- (شرف المجذوب يعظم على قدر صحوه مع سكره): 138

- (أهل التجريد شرفهم على قدر فساد ظواهرهم، وأهل الأسباب شرفهم على قدر صلاح ظواهره): 260

- (على قدر تقوية التجريد يضعف الحجاب، وعلى قدر تقوية الأسباب يعظم الحجاب، وعلى قدر ضعف الأسباب يضعف الحجاب ويضمحل): 112

- (الفضل على قدر رأس المال. من اتسع رأس ماله يتسع فضله على قدره، ومن ضاق رأس ماله يضعف فضله على قدره): 337

- : (اعلم أن الإجابة على شرطين: الحيرة الصادقة والنية الصادقة في الطلب، وفي حسن الظن في عباد الله. هاتان الخصلتان على قدر قوتهما في طلب الحاجة تسرع له

الإجابة، وعلى قدر ضعفهما فيه أيضًا تضعف): 249

- (اعلم أنه على قدر ما في الصلاح من خير، على قدر ما في الفساد من خير، وعلى قدر ما في العقل من خير، على قدر ما في الحمق من خير، وعلى قدر ما في العز من خير، على قدر ما في الذل من خير، لأن هؤلاء كلهم مصنوعات الله والله تبارك وتعالى جميل، وكل ما يخلق الجميل لا يكون إلا جميلا): 196

- : (اعلم أن الوجود في الحقيقة هو منك وأنت منه، يعني على قدر ما تكون أنت منه يكون هو منك، وعلى قدر ما تكون عبدًا له يكون هو عبدًا لك، وعلى قدر ما تكون أنت سيده يكون هو سيدك ...): 88

فهرس عنصر

- (اعلم أن الحقيقة هي التي لم يتعودها الإنسان، والشريعة هي ما تعودها الإنسان، لأجل ها المعنى تجد العارفين { دأبهم التنقل أبدًا وذلك لأنهم وجدوا عنصر الزيادة فيه): 226

- (التلون من خصائصه أنه هو عنصر الزيادة كلها): 135

- (الوجود كله زيادته محصورة في الحس والمعنى، وعنصر الزيادة في الملاقاة): 228

- (الحكمة والقدرة هما عناصر زيادات الوجود علوي وسفلي، وكذلك الإنسان هما عناصر زيادته العلوية وزيادته أيضًا بالسفلية): 198

- (خمرة الجمال من عنصر الأرواح، وخمرة الجلال من عنصر الأشباح): 192

- (لا تجد عنصر الفرح كله إلا الجمع، وعنصر الحزن كله هو الفرق): 145

- (الظلمة عنصرها الفرق): 258

- (النور عنصره الجمع): 258

- (مدار الوجود كله على قلب ابن آدم لما احتوى عليه هذا القلب الشريف من أنوار الحق وأسراره، من أجل ذلك صار هو عنصر التصرفات كلها): 380

فهرسة قسمة ... وقسمة

- (فحول الرجال من أهل العلم بالله تجد عندهم تسعة أقسام من العلم بالله، وقسمًا واحدًا من علم الظاهر، ولا يوجد هكذا إلا من له قوة عظيمة، لأن الحق غيور، ما دخل مشتركًا قط): 278

- (اعلم أن السائر في بلاد الباطن لا تظهر عليه إلا الكرامات المعنوية، كما أن السائر في بلاد الظاهر لا تظهر عليه إلا الكرامات الظاهرية أي الحسية. وإن ظهرت على صاحب الباطن الكرامات الحسية تكون له قسمة من الكرامات الحسية

فهرس كل

- (كل ما تقابله بالجمال ولم يفتح عليك، اقلب المر ترى العجب، يعني اقلب جمالك جلالًا ترى سر الله واضحًا. وكذلك من قابلته بالجلال ولم يفتح لك، اقلب جلالك جمالًا، فإنك تظفر به): 301

- (كل ما هو جمال لنفسك فهو جلال للوجود، وكل ما هو جلال لنفسك فهو جمال للوجود): 443

- (كل ما يكثر جلال النفس في الظاهر، يكثر جمالها في الباطن وعلى قدره): 65

- (النفس كل ما تعطاه لا تقنع به ولو أعطيت الدنيا بأسرها، لأنها تدور على ما هو أقوى من ذلك وهو عالم الحقيقة الذي جاءت منه، لا تبلغ مناها حتى تصل إليه): 417

- (كل ما يلقى الإنسان، ما صدر له إلا من نفسه، خيرًا كان أو شرًا): 233

- (كل من عرف الحق ووحده، ما عرفه ووحده إلا بين نفسه وفلسه، وكل من جهل الحق سبحانه وكفر به، ما جهله وكفر به إلا بين نفسه وفلسه): 435

- (كل من تعزه يعزك، وكل من تذله يذلك، إلا نفسك وفلسك كلما تعزهما يذلاك وكلما تذلهما يعزاك): 435

- (كل ما يجمعك على نفسك يفرقك عن جنسك، وكل ما يجمعك على جنسك يفرقك مع نفسك): 423

- (كل من يشاهد نفسه فهو محجوب عن ربه، وكل من يشاهد ربه فهو محجوب عن نفسه): 185

- (كل من يملك نفسح حتى تكون طوع يديه في العلوي والسفلي هو الذي يملك الحقيقة بأسرها حتى تكون طوع يديه في العلوي والسفلي): 417

- (كل من كانت نفسه يقول لها: كن فيكون، فذلك هو الذي يقول للحقيقة كن فيكون): 417

- (كل من ملك نفسه يملك الوجود بأسره، وكل من ملكته نفسه فهو مملوك للوجود وما فيه، والنفس لا تملك إلا بمعرفة سياستها، والجنس كذلك): 478

- (كل من ملك التصرف بظواهر نفسه لا بد أن يملك التصرف بظواهر الوجود. وكل من ملك التصرف ببواطن نفسه يعني بمغيباتها لا بد أن يملك التصرف ببواطن الوجود وبمغيباته): 444

- (كل من يملك التصرف بالخير يملك التصرف بالشر، وبالعكس): 199

- (كل من يملكك لا بد أن تملكه، وكل من تملكه لا بد أن يملكك): 412

- (كل من صعبت عليك ملكيته بالشر فاجعل الشر خيرًا، فإنك تملكه. وكل من صعبت عليك ملكيته بالخير، فاجعل الخير شرًا، فإنك تملكه على كل حال): 406

- (كل ما يقضى بأعلى ما في الأشياء يقضى بأدنى ما في الأشياء، قال تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ** ﴾ [الزُّخرف: 84]): 197
- (كل ما يقضى الإنسان بالشيء يقضي بمقابله): 197
- (كل من يملك الأشياء بحال ولم يملكها بضده، فهو محتاج إلى خدمة الرجال وتقبيل الأرض بين أيديهم): 277
- (كل من ريض المريد في بدايته على الصلاح الاختياري فقد عرضه للفساد القهري، ولا يعرض المريد للفساد القهري إلا الجاهل بمعرفة النفس ودسائسها): 394
- (كل من تصدر لتربية المريدين قبل ورود مقام البقاء فهو ضال لنفسه ولمن تبعه، وذلك لأن صاحب مقام البقاء قد فرغ من تربية نفسه وتهذيبها، ومن فرغ من تربية نفسه وتهذيبها): 312
- (كل باق بان، وليس كل فان باق، وكل من ادعى البقاء قبل الفناء مغرور مخدوع لعبت به نفسه وكذبت عليه): 371
- (كل فان لا يقوم فناء ذاته إلا ببقاء صفاته، كما أن كل باق لا يقوم بقاء ذاته إلا بفناء صفاته): 372
- (كل شيء لا يقوم إلا بضده): 139
- (كل موضع وجدت فيه الحبيب، فيه تجد العدو. وموضع قوي فيه النور، قويت فيه الظلمة): 52، 347
- (كل ضد فهو مفتاح لضده).
- (كل من يأت شيئًا اختيارًا، على كل حال يأته ضده قهرًا): 471
- (كل من قابلته بجور يقابلك بعدل، كما أن من قابلته بعدل يقابلك بجور. هذا مع نفسك ومع جنسك بل مع الوجود كله): 149
- (كل ما انعقد لا يحله إلا ضده، وكل ما جهل لا يعلم إلا بضده، وكل ما انحل لا ينعقد إلا بضده، وكل ما علم لا يجهل إلا بضده، وكل ما فسد لا يصلح إلا بضده، وكل ما صلح لا يفسد إلا بضده): 51
- (كل من يملي عليك بالظاهر قابله بالباطن تغلبه وتملكه، وكل من يملي عليك بالباطن قابله بالظاهر تغلبه وتملكه، لأنه لا يسحق الضد إلا ضده): 53
- (أن كل من أراد أن يغلب يُغلب، وكل من أراد أن يُغلب يَغلب، وكل من أراد أن يَملك يُملك، وكل من أراد أن يُملك يَملك، وكل من أراد أن يتعظم يحقر، وكل من أراد أن يحقر يتعظم، وكل من أراد أن يكبر يصغر، وكل من يريد أن يصغر يكبر، وكل من أراد أن يعز لا بد له أن يذل، وكل من يريد أن يذل لا بد أن يعز. حاصله: الأشياء الكاملة في أضدادها): 48
- (كل ذل فهو عز، وكل عز فهو ذل، وكل ليل فهو نهار، وكل نهار فهو ليل): 54

- (وكل من لبس الذل اختيارًا حتمًا يلبس العز قهرًا، وكذلك العكس، كل من لبس العز اختيارًا حتمًا يلبس الذل قهرًا، وكل ما كان اختياري لا يكون إلا رطبًا هينًا، وكل ما يكون قهرًا لا يكون إلا شديدًا قويًا متينًا): 322

- (كل متوجه يدخل بلاد العز قبل دخوله للذل، لا يكون حتمًا دخوله إليها إلا بنفسه، لا بربه، وبالعكس أيضًا إذا رأيت أي المتوجه دخل بلاد العز بعد دخوله للذل فهذا لا يدخله حتمًا إلا بربه، وكل من دخل الأشياء بربه فهو حاصل على خيرياتها مأمون من شرها): 354

- (كل من تحقق ذله في طلب شيء، تحقق عزه بالظفر به: 111

- (كل من كان قاصدًا لمولاه صادقًا في طلبه، لو طلبه في الحجر لوجده فيه ولتجلى له فيه حتى يشاهده عيانًا ويكلمه تكليمًا وما ذلك على الله بعزيز، وأحرى في العبد الآدمي المنسوب إلى مولاه): 153

- (كل من صادق الله حقًا يسقى العسل من عروق الدفلا كما يسقى العسل من شهد النحلا، ينتفع من أدنى الناس كما ينتفع من أعلى الناس): 397

- (كل من دام في طلب شيء يستنشق أنواره ويجني ثماره): 197

- (كل من خرق العادة لأجل شيْ، أو في طلب شيء، يظفر به على كل حال): 340

- (كل من يفنى في فنه حتمًا تنخرق له العادة فيه، ومن لم يفن في فنه لا تنخرق له عادة فيه أبدًا): 248

- (كل ما تفنى فيه عن غيره يفنى فيك عن غيرك، وكل ما تفنى في غيره عنه يفنى في غيرك عنك): 363

- (كل من ظفر بحكمة من حكم الدنيا والآخرة، حكمة النفوس أو حكمة الفلوس، تجده ما ظفر بها حتى خرق العادة من نفسه فيها، ولولا ذلك لم يظفر بها أبدًا): 342

- (كل من خرق عادة الناس لا يظهر عليه إلا ما يظهر على خاصة الناس): 342

- (عز كل واحد بفنه، لا يظفر به حتى يجد أهل فنه): 360

- (كل من يواصل أهل فن بالدوام حتمًا يظفر بذلك الفن، ومن لم يواصل أهل فنه بالأقدام لا نصيب له في الفن): 345

- (كل شيء يقبل منك فيك العذر إلا الصحبة لا يقبل منك فيها عذر، يعني صحبة أهل الفن): ؟؟

- (كل من يتشبه بأهل الفن فهو منهم، كان منهم أو لم يكن منهم. ومن لم يتشبه بأهل الفن فليس هو من أهله، كان من أهله أو لم يكن): 359

- (كل فن إذا أردت التوجه للدخول إليه، أنظر شريعته فإنه لا سبيل لك للدخول إليه إلا منها): 242

- (كل من دخل الحقيقة من غير رفقة أهلها فهو زنديق مبتدع، وذلك كل فن من فنون الحقيقة أهله هم شرائعه، وكل من دخل فنًا من فنونها من غير شريعة فهو ضال تالف هالك فيها): 240

- (كل فن توجهت إليه لا تج فيه إلا الحق، وكل فن توجهت إليه لا تظفر بمقدار حبة الخردل منه إلا بعبوديتك لله في عبوديتك لأهله): 360

- (كل من دخل الحقيقة على يد شيخ عارف بالله فقد دخل الحقيقة بالشريعة. وكذلك الشريعة من دخلها من غير حقيقة تفسق، ودخول الشريعة هنا من غير حقيقة هو أن كل من اصطحب مع أحد من الخلق من غير نسبة الله فقد تفسق): 238

- (كل شريعة لم تؤد إلى حقيقة فمولاها ناقص، وكل حقيقة لم يدخلها مولاها من شريعة فمولاها ناقص): 163

- (الشرائع هو كل ما يأتي من جهة المخلوق، والحقائق هي كل ما يأتي من ناحية الحق تعالى وبقدرته): 235

- (كل ما هو جمع فهو حقيقة، وكل ما هو فرق فهو شريعة): 142

- (كل ما هو حكمة اختيارًا فهو شريعة، وكل ما هو قدرة قهرًا فهو حقيقة، وكل ما تغرسه شريعة اختيارًا لا يثمر لك إلا حقيقة قهرًا): 39

- (كل شريعة حقيقة، ولا ينعكس الأمر): 63

- (كل شريعة حقيقة، وليس كل حقيقة شريعة): 233، 343

- (كل ما تعقده الحقيقة تحله الشريعة، وكل ما تعقده الشريعة تحله الحقيقة، وزيادة الوجود كلها بين ذلك العقد وذلك الحل): 227

- (كل من تحفظ على شريعته ولازم التمسك بها يبلغ بها كل ما يريد في حقيقته، ولا تقف زيادته حتى تملكه حقيقته، فإذا ملكته فهو مقطوع يعني تقف زيادته، كل من يقبل الزيادة يقبل النقصان، وكل من يقبل النقصان يقبل الزيادة): 224

- (كل من تجده يقبل النقصان يقبل الزيادة لا محالة، والذي لا يقبل النقصان لا يقبل الزيادة): 400

- (كل من لم يكن في زيادة فهو في نقصان): 335

- (كل من نال منزلة ما نالها إلا بالتعظيم): 216

- (كل ما سوى الله حجاب عنه): 447

- (كل ما يشغلك عن مولاك فهو صنم): 43

- (كل من حيل بينه وبين مولاه، ما حجبه إلا الاشتغال بالمخلوق وكثرة الخوض فيه): 43

- (كل من تجلت له حالة لا بد أن تحجبه عما سواها، والحق ظاهر في الأحوال وفي

أضدادها، كما هو باطن في الأحوال وفي أضدادها): 472

- (كل من تراه استقر في حالة ولم يتخلق بضدها، فهو محجوب عن مولاه فيها): 388
- (كل من تراه من المتوجهين دام على حالة واحدة فاعلم أنه محجوب فيها عن مولاه، لأن كل من واجهته الحقيقة لا بد أن يتلونها): 481
- (الحقائق مترادفة، كل حقيقة تجر أختها): 163
- (كل من لم تكن له حقيقة، لا خصوصية له).
- (كل حقيقة لها وجهان: وجه علوي ووجه سفلي، وجه من جهة النفس، ووجه من جهة الوجود وما حوى يعني الخلق): 443
- (كل إنسان له هاتان الوجهتان: وجهة الربوبية ووجهة العبودية): 89
- (كل من اتصف بوصف الربوبية اختيارًا فهو مخذول ... وكل من اتصف بوصف العبودية اختيارًا فهو منصور): 335
- (كل ما هو سفلي فهو عبودية، وكل ما هو علوي فهو حرية): 312
- (ومما قال لي الشيخ نفعنا الله به: كل ما استعصى عليك من أمور الدنيا والآخرة، اهبط فيه أسفل تجد راحتك فيه): 216
- (كل من ينزل نفسه عبدًا لعبيد الله حقًّا، فهو سيد بعيد الله حقًّا وكل من ينزل نفسه سيد عبد الله حقًّا، فهو عبد عبيد الله حقًّا): 302
- (كل من يختار ويريد، يجد نفسه عبدًا من العبيد): 314
- (كل من ركنت نفسه لحال دون حال، فهو عبد لذلك الحال): 305
- (كل من توجه لأمر ولم تكن له نية معنوية أو نية حسية، لا سبيل له للدخول لذلك الأمر، لأن هذين النيتين هما مفتاح الأمور): 446
- (كل من ترفع همتك عنه حتمًا يعشقك ويطلبك، وكل من تعشقه وتطلبه حتمًا يرفع همته عنك. جرت سنة الله بذلك): 452
- (كل من تعلقت همته بشيء لم يشهد سواه في الحركات والسكون، قال تعالى: ﴿ **كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ** ﴾ [المؤمنون: 53]): 172
- (كل من تعلقت همتك به، لا تدركه إلا بصحبة أهله): 247
- (كل مقام نزلت نفسك فيه لا بد أن يظهر عليك أثره، ولا يمدك مولاك إلا منه وبه): 449
- (كل واحد مرتبته على قدر نظره يعني كل من رتعت همته في منزلة لا يجد نفسه إلا فيها ولا يلبسه مولاه إلا حليتها): 448
- (كل من صحت خلته إليك بانت حلية وصفه عليك): 248
- (كل بلد من البلدان ما تلبسك إلا لباسها، ولا تلبسك لباسها حتى تجردك من اللباس

الذي يكون عليك، يعني لباس غيرها: 350

- (كل من يجتنبه الخلق لا بد أن يحتاجوا إليه وينحازوا إليه، أحبوا أم كرهوا، كما أن كل من يجتنب الخلق لا بد أن يحتاج إليهم وينحاز إليهم، أحب أم كره): 34

- (كل من خلقه الله فهو في غاية الحكمة ونهاية الجمال، وكل ما أوجد لك وفي الوجود فأنت في غاية الاحتياج إليه): 352

- (كل ما يخلق الجميل لا يكون إلا جميلاً).

- (ومما أوصاني به الشيخ رحمه الله ونفعنا به: يا ولدي كل من قال لك شيئاً ورأيته يعظمه لك فقل له: هذا نصف الشيء وبقي النصف الآخر، لأن كل ما خلق الله في هذا الوجود جعل منه اثنين، وذلك ليتفرد هو جل ثناؤه بالوحدانية):61

- (كل اثنين لا يجتمعان ويأتلفان إلا إذا مات الحكم لواحد منهما على الآخر، وإن لم يكن ذلك فيفترقان على كل حال والحكمة في ذلك هو أن الأمور كلها كل أمر لا تكون فيه الوحدانية قولاً وفعلاً فهو باطل لا يقوم أبداً سواء كان أمراً دينياً أو دنيوياً أو أخروياً): 348

- (كل ما يليق بملك الظاهر، يليق بالملك الباطني): 267

- (كل من أراد دوام الملك دون المِلك، أو دوام المِلك دون المُلك، فهو كمن أراد أن يكون الصيف بلا شتاء، أو الشتاء بلا صيف): 411

- (كل من نزل نفسه منزلة الملك ولزمها فهو مَلِك، وكل من نزل نفسه منزلة المملوك ولزمها فهو مملوك): 408 - 409

- (كل من لم يدر سياسة ملكه لرعيته، ينقلب ملكه عبودية، فيصير الملك رعية، والرعية ملكاً. وكل نزل نفسه منزلة الملك يجد نفسه ملكاً حقاً، وكل من نزل نفسه منزلة المملوك يجد نفسه مملوكاً حقاً): 409

- (كل من أضيف للباطن فقد أضيف للملك ومن أضيف للملك فهو ملك، وكل من أضيف للمملكة فهو مملوك): 180 - 281

- (كل ما ألقي في الباطن بانت شواهده على الظاهر): 342

- (كل ما ترى في بواطنه ففي ظواهره ضد ذلك، ولا يظهر فيه حال إلا ويتبعه ضده): 36

- (كل ما يثبته لك ظاهرك فهو ثابت، ولو نفاه عنك جميع الخلائق. كما أن كل ما ينفيه عنك باطنك فهو منفي ولو أثبته لك جميع الخلائق، وذلك لأن باطنك علم وأقوال، وظاهرك عمل وأفعال): 272

- (كل من يجتمع باطنه لا بد أن يفترق ظاهره،ـ وكل من يجتمع ظاهره لا بد أن يفترق باطنه): 196

- (كل ما هو بظاهرك جمال جمع، في باطنك جلال فرق. وكل ما في ظاهرك جلال فرق، في باطنك جمال جمع): 146

- (كل من توجه إلى الله من طريق فرق الظواهر فإن فرق الظواهر يرفعه لجمع البواطن. وكذلك من توجع إلى الله من طريق جمع البواطن، فإن جمع البواطن يرفعه لفرق الظواهر): 136

- (كل من ادعى السلوك في الجذب ولم يريض الرائض نفسه على لبس الفرق الجلالي في ظاهرها زمناً طويلاً حتى يظهر صدق تهذيبها إليه والخلق كلهم خصوصاً وعموماً، فدعواه باطلة، وهو مخدوع خدعته نفسه): 147

- (كل من لم يأت لباب مولاه حكمة اختبارا، لا بد أن يأتي لباب قدره قهرا): 40

- (كل من دخل للحكمة قبل علمه بالقدرة فهو مخذول، ومن دخل للقدرة قبل علمه للحكمة فهو معطول): 476

- (كل من فعل شيئاً بالحكمة فإن قدرة الله توجد له شيئاً ضده يقابله على كل حال): 379

- (كل شيء هو مفتاح لضده): 50

- (كل شيء له شريعة وحقيقة): 466

- (كل شيء أهله في معدنه، ومعدنه عند أهله): 34

- (كل شيء له واسطة، وكل شيء له سبب): 453

- (كل شيء له واسطة، فمن ظفر بالواسطة ظفر بالشيء، ومن لم يظفر بالواسطة لم يظفر بالشيء. وكل شيء له أب، فمن ظفر بالأب ظفر بالولد، ومن لم يظفر بالأب لم يظفر بالولد. هذا في جميع ما يطلق على اسم الشيء): 453

- (كل من يشاهد من يشاهد الحق لا بد أن يشاهد الحق، وكل من يشاهد الحق لا بد أن يشاهد من أراد أن يشاهد الحق، لأن الأب لا بد له من ولد، والولد لا بد له من أب): 245

- (كل شيء أوجده الغني فهو غني بالغني، وكل شيء أوجده العزيز فهو عزيز بالعزيز، وكل شيء أوجده الكريم فهو كريم بالكريم وأغير منك عليك): 171

- (كل وجهة وفيت لها حقها كاملاً توفيك حقك كاملاً، وكل وجهة لم توف لها حقها كذلك هي لا توفي لك حقك): 141

- (كل من تتعزز عليه يتعزز عليك، وكل من تتذلل له يتذلل لك، كان ملكاً أو مملوكاً، عظيماً أو حقيراً، من أخيار الناس أو من أشرارهم): 284

- (كل ما تقابله في الوجود فإنه مرآة لك، بما تقابله به يقابلك، من بني آدم أو من الأنعام أو من الحيوانات أو من الجمادات): 457

- (كل من أردت أن يكون لك عبداً كن أنت له عبداً، وكل من أردت أن تملكه حتى يكون طوع يدك كن مملوكاً له طوع يديه تجده مملوكاً لك طوع يديك): 318

- (كل جماعة ترزق بما اجتمعت عليه): 80

- (كل اجتماع لا بد له من فرقة بالحياة أو بالممات): 399

- (يا ولدي: كل من رأينا وشهدنا من الرجال ما كان عملهم مبني إلا على السخاء): 108

- (كل ما عدى جارحة اللسان فهو فعل): 321

- (كل ما عدى القول فهو فعل، وكل ما عدى الفعل فهو قول، حتى الصمت من الفعل): 56

- (كل من فتح له في العمل ودام عليه فإن العمل ينقلب له علماً، شعر به أم لم يشعر، أحب أم كره): 334

- (كل من يرى الحق حقاً يجد نفسه بالحق، وكل من يرى الحق باطلاً يجد نفسه باطلاً، لأن الحق منك يبرز وإليك يعود، كما أن الباطل منك يبرز وإليك يعود): 161

- (كل من وصف الإنسان بشيء فقد صدق، إن وصفه بأعلى شيء فهو ذاك، وإن وصفه بأسفل شيء فهو ذاك): 419

- (كل ما يظهر على الإنسان من عظمة وتكبر وتجبر فإن الإنسان في ذلك لم يتعد طوره، وذلك لأنه ورد من حضرة العز والكبرياء والعظمة والشرف. صارت الكبرياء والعظمة هي عادته في بلاد الأولية التي ليس لها بداية، ومن جاء على أصله فلا سؤال عليه. وكل ما يظهر على الإنسان من عجز وضعف وتذلل وفقر فذلك هو خرق العادة. لأجل ذلك تجد من يخرق العادة من نفسه قليل): 341

- (كل ما تمشي فيه على نظر غيرك تخطئ فيه القليل وتصيب فيه الكثير، وكل ما تمشي فيه على نظرك تصيب فيه القليل وتخطئ فيه الكثير): 393

- (كل ما يعرض لك من شغل الغيب حاول حتى لا تقابله بغيب آخر فإنه يؤثر فيه لما كان من جنسه، لأن الجنس يؤثر في الجنس على كل حال): 349

- (كل ما يبطل به النوم، يبطل به الباطن): 107

- (كل ما تتوجه إليه، لا يكون ابتداؤه إلا شبيهاً بالمزاح، وآخره جد): 403

-(كل من هلك من أهل الحقيقة، ما كان سبب هلاكه إلا أنه لم ينحز لأهل العلويات ولا لأهل السفليات وبقي بتردد بينهما حتى أخذ مثل الحلاج وأمثاله ممن سلك هذا الطريق، وكل من نجى من أهل هذا الطريق أعني طريق الحقيقة تجده أخذ بأسفل السفليات أو بأعلى العلويات): 270

فهرس: كله - كلها - كلهم

- (اعلم أن الحقيقة كلها في الباطن جمال جمع، وفي الظاهر جلال فرق. والشريعة بالعكس أي كلها في الظواهر جمال جمع، وفي الباطن جلال فرق): 295
- (الأرواح كلها روح واحدة، جمعاً وفرقاً، كما أن الذوات في الحقيقة كلها ذات واحدة، فرقاً وجمعاً): 143
- (إذا فتشت وحققت، لا تجد عنصر الفرح كله إلا الجمع، وعنصر الحزن كله هو الفرق): 145
- (الحقائق كلها نشأت وتفرعت من حكمة وقدرة، القدرة للحقائق العلوية، والحكمة للحقائق السفلية، والكل من الله وإليه): 164
- (اعلم أن الحقائق كلها على قسمين: حقائق أرضية وحقائق سماوية): 164
- (الحقائق العلوية كلها ملك، والحقائق السفلية كلها مُلك): 412
- (من ظفر منها بشيء - أي الحقائق - ظفر بالكنوز كلها الحسية والمعنوية): 163
- (الحقائق كلها: علوية وسفلية، كلها في أولها تكون عند صاحبها أمر من الحنظل، وما دام صاحبها يصدق فيها وهي تحلو له حتى تصير عنده أحلى من الشهد): 164
- (الحقائق الجلالية كلها على قسمين: جمالية وجلالية، وزيادات الوجود كلها عند اقتران الأضداد، يعني الجلال والجمال): 227
- (كل ما تعقده الحقيقة تحله الشريعة، وكل ما تعقده الشريعة تحله الحقيقة، وزيادة الوجود كلها بين ذلك العقد وذلك الحل): ؟؟
- (قال لي الشيخ رحمه الله: اعلم يا ولدي أن الزيادة كلها حسية ومعنوية كلها في الحولا): 224
- (المدار كله على الوحلا، والوحلا هي كل ما هو خرق عادة الخلق، هي الحقيقة بعينها): 345
- (الوجود كله دائر على الزيادة وطالب لها): 226
- (الوجود كله زيادته محصورة في الحس والمعنى، وعنصر الزيادة في الملاقاة): 228
- (الوجود كله مرآة مقابلة لك، أحوالك أحواله، وأقوالك أقواله، وأفعالك أفعاله): ؟؟
- (الوجود كله لا يقابلونك إلا بما اهتممت به خيراً كان أو شراً): 87
- (الوجود كله بين أهل رياسة ظاهرية وأهل رياسة باطنية فقط): 104
- (الأمير وأتباعه وأتباع أتباعه، كلهم كرجل واحد، والقطب وأتباعه وأتباع أتباعه كرجل واحد أيضاً. ومهما تعاقد رجل من أهل الرياسة الظاهرية مع رجل من أهل الله بشيء، أو على شيء، فعقدهما صحيح ويشمل أهل الله كلهم ويشمل أهل الرياسة كلهم): 97

- (الوجود كله كرجل واحد، وأنت بمنزلة أصبع من ذلك الرجل. إذا ملكت ذلك الأصبع وهو نفسك، ملكت الوجود بأسره): ؟؟
- الوجود كله واحد، وكل مسألة في الوجود حقرتها ولم يعمل يدك معها، حتما يلجئك الحال إليها): 34
- (اعلم أن الفلوس تربط النفوس، كما تربط النفوس الفلوس، كأن الوجود كله بعضه كفء لبعض): ؟؟
- (مدار الوجود كله على قلب ابن آدم): 380
- (العوالم كلها واقفة تنظر ما يظهر من قلب ابن آدم، ما تفعله القلوب تفعله العوالم كلها، والعوالم عوالم أشباح الخلق وعوالم الوجود): 379
- (الوجود كله، كما أنه مفترق لا جمع فيه، كذلك هو مجتمع لا فرق فيه): 34
- (باطنك كله جمع، وظاهرك كله فرق): 280
- (الأمور كلها بأجمعها، ما دامت في الباطن وهي جمع مؤتلفة، ومهما خرجت للظاهر صارت فرقاً مختلفة): 275
- (الباطن أيضاً كله همم، والنتائج كلها ظواهر): 413
- (الباطن كله بدايات، كما أن الظاهر كله نهايات): 412
- (الباطن كله معاني، والظاهر كله حسيات): 276
- (ظاهر الإنسان وظاهر الوجود، في الحقيقة كله جلال. كما أن باطن الإنسان وباطن الوجود، في الحقيقة كله جمال): 276
- (الجلال كله ذات فرق، والجمال كله صفات جمع): 276
- (عالم الوجود كله ما فيه إلا ذات وصفات، كما أن عالم الإنسان بأسره ما فيه إلا ذات وصفات): 211
- (الإنسان كله، جرت عادة الله فيه، أن وصفه يعود عليه): 232
- (الإنسان كله لا يخلو إما أن يكون مربيا أو يكون متربياً، لا زائد): 394
- (تربية المشايخ للمريدين كلها ترويم على اقتحام الفساد الاختياري، لأن الفساد الاختياري حتماً يجر الصلاح الوهبي، وكلامنا هذا مخصوص بمريدي الخصوصية لا غيرهم): 394
- (الإنسان كله عالمان: عالم الراحة وهو عالم الروح، وعالم التعب وهو عالم الجسد): 217
- (الخلق كلهم ساكرون، إلا أن سكرهم على وصفين: أقوام سكروا بخمرة الجمال، وآخرون سكروا بخمرة الجلال. خمرة الجمال من عنصر الأرواح، وخمرة الجلال من عنصر الأشباح): 192

- (الخمرة الربانية ما لها لون يختص بها، بل الألوان كلها ألوانها): 192
- (الخلق كلهم حقائق، وحقائقهم مقسومة على أربعة حقائق، لا يخلو الإنسان أن يكون في واحدة منهم في الوقت): 166
- (اعلم أن الخلق كلهم ملوك، كل واحد مالك على نفسه بسلطان عقله): 97
- (الخلق كلهم، برهم وفاجرهم، يشهدون الحق ولكن لا يعرفون، ولا يرى الحق حقاً ويعرفه إلا من ملئ قلبه بأنوار المعاني): 44
- (اعلم أن عامة الناس كلهم مسجونون في سجن العادة مكبلون فيها): 341
- (الناس كلهم يعني العامة مرهونون، فالعادة هي التي سرطت لهم الخير كله): ؟؟
- (العامة كلهم مربوطون، من لم يربط بحبل خير ربط بحبل شر): 284 - 285
- (اعلم أن طريقتنا هذه، خسارتها كلها اجتمعت في بخل النفس وبخل الفلس، وخيرها كله اجتمع في سخاوة النفس وسخاوة الفلس): 269
- (اعلم أن الخير كله اجتمع في سخاوة النفوس وسخاوة الفلوس، وفضل النفوس أعظم من فضل الفلوس، وفضل النفوس كل اجتمع في مساعفة النفس ومساعفة الجنس نعني الخلق هذا مع صحبة حكيم عارف بدقائق النفوس والسلوك في بلاد النفوس. وقيل الخير كله في المساعفة، والشر كله في المخالفة): 197
- (الخير كله، بابه وزربه هو الشر): 199
- (أن الخير كله جمع في أعلى ما في الأشياء وفي أسفل ما في الأشياء والله أعلم، وهذا كله إذا كان لله وبالله ومن الله، ويكون أيضاً بشيخ مبصر أو مع أخ في الله صادق): 197
- (قارئ القرآن والمصلي والذاكر كله بمعنى واحد، والخير كله جمع في هذه الثلاثة أشياء): 63
- (الخير كله في ملاقاة الخلق جميعاً): 196
- (الخير كله مجتمع في صحبة العبد مع نفسه، ولا يجد الإنسان السبيل لمصاحبة نفسه إلا بدوام القرب مع رؤساء أهل فنه يعني بمصاحبتهم): 196
- (اعلم أننا ما وجدنا الخير كله مجموع إلا في العزلة من الخلق): 323
- (العبودية كلها اعتكاف): 307
- (العبودية كلها جلال، كما أن الحرية كلها جمال، يعني في الأصل): 304
- (العبودية كلها جلال، وهي مفتاح الجمال): 307 - 308
- (الحرث كلها خسران، وثمارها كلها ربح): 217
- (العبودية كلها ذات ... الحرية كلها صفات): 210
- (أوصاف الربوبية كلها جمع ... كما أن أوصاف العبودية كلها فرق): 313

- (اعلم أن الربوبية كلها عز، كما أن العبودية كلها ذل): 379
- (الذكر أشرف العبادات كلها): 186
- (اعلم أن الفكر هو أشرف وجوه العبادات كلها إذا اجتمع، وأما إذا تفرق فالعبادة الحسية أولى): 357
- (اعلم أن الأفعال في الحقيقة كلها سفلية وذلك لأنها من بلاد الحس ... الأقوال في الحقيقة كلها علوية وذلك لأنها من بلاد المعاني): 59
- (الكلام في الأصل كله عز وعلو): 314
- (الأقوال كلها أسماء للفنون، وليست هي الفنون، كما أن الأفعال كلها هي الفنون): 56
- (القول من أوصاف أهل بدايات الأمور كلها، والفعل من أوصاف أهل نهايات الفنون كلها): 338
- (الزيادة كلها، ما هي إلا مع وجود الاختلاف، والنقص كله ما هو إلا مع عدم الاختلاف، في الوجود وفي الإنسان): 325 - 326
- (الحكمة جعلها الله تتبع بين مقابلة الشيء مع ضده تظهر الزيادات كلها): 59
- (اعلم أن حكمة الله في هذا العالم أعني عالم الحس كلها محصور في علم أحكام الأضداد): 48
- (من حكمة الله تعالى أن جعل الأشياء كلها حسية ومعنوية، وجودها كامناً في عدمها، وعدمها كامناً في وجودها. هكذا في الأمور كلها، سواء كانت وهبية أو كسبية): ؟؟
- (الأشياء كلها لا تخرج إلا من أضدادها، لأن أصل الأصول في الحقيقة هو تلونها): 134
- (الأشياء كلها كامنة في أضدادها): 52
- (الأشياء كلها مقرونة في أضدادها): 39
- (الأشياء كلها لا تطيب إلا بأضدادها، ولا يطيب الأشياء بأضدادها إلا العارف الكامل): 478
- (الإنسان عروس المملكة والأشياء كلها عاشقة له): ؟؟
- (اعلم أن الأشياء كلها تابعة لك): 268
- (الأشياء كلها عاشقة للإنسان أكثر من عشقه لها): 219
- (انظر يا أخي وتأهل ولادة الأشياء كلها من أسفل البشر والأنعام والأعشاب والجمادات. هذا مما يدلك على تقوية السفلي على العلوي): 336

فهرس الكمال

- (طلب الاستقامة يجر إلى الكمال، وطلب الكرامة يجر إلى الظلال): 383
- (التجريد لا يكلم لصاحبه حتى يكون نفسا ودينا ودنيا): 111
- (الخير فعله الحسي يثبت فعله المعنوي، والشر فعله الحسي يثبت فعله المعنوي. والكمال هو ظهور الفعلين في الحس لأن ظهورهما في الحس يستلزم ثبوت الفعلين المعنويين): 200
- (العلم ينور البصيرة والبصيرة تنور الهمة، والهمة تنور الفعل، ومهما ظهر الفعل فذلك كمال ظهور الحق والحق إذا كمل ظهوره تخضع له رقاب أهل السماوات السبع وأهل الأرضين السبع وما بينهما وما تحتهما وما فوقهما): 160
- (اعلم أنه ما يكون باطنك مطوي على كمال إلا ويقابلك الوجود كله كمال، ولا يكون باطنك مطوي على نقص إلا يقابلك الوجود كله نقص، ولا يكون ظاهرك كمال إلا يقابلك الوجود كله نقص، ولا يكون ظاهرك نقص إلا يقابلك الوجود كله كمال): 391

فهرس: لو أَلَّفَ المؤلفون ألف ألفَ مجلد في ...

- (اعلم أننا ما وجدنا الخير كله مجموع إلا في العزلة من الخلق، فلو ألفنا وكتبنا في العزلة ما يملئ ما بين السماء والأرض ما وصلنا لها قدراً): 323
- (لو كان البحر مداداً والعشب أقلاماً تكتب اختلافات الحقيقة وتدوينها وعجائبها لم يحصوا أوصافها، وما اجتمعت أوصافها إلا في الإنسان فقط): 210
- (لو ألفت في الإنسان ألف ألفَ مجلد فيما خصه الله به لم أحص ذلك، والكلل فضل منه عليه، قال تعالى: ﴿ **وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا** ﴾ [إبراهيم: 34]): 81
- (كأنه هو أي الإنسان حجاب على نفسه، والوجود حجاب عليه، ونور الروح يخرق حجاب الجسم وحجاب الوجود ولو كانت ألف ألفَ حجاب على الروح لخرقهم نورها من عظم قوته. ولو ألف المؤلفون مائة ألف ألفَ مجلد في علم الروح ما وصلوا على الألف من حروف الاسم): 420

فهرس: ليس ... إنما

- (التذلل للعظيم ليس تذلل، وإنما التذلل حقاً هو التذلل للحقير وهو العبد): 232
- (ليس الشأن في خرق عوائد الوجود وإنما الشأن في خرق عوائد النفوس، لأن خرق عوائد الوجود يجمعك على الخلق، وخرق عوائد النفوس يجمعك على الحق): 344
- (ليس الشأن في ترك النحل لأجل لدغه، وإنما الشأن فيمن ملك النحل وأكل شهده وفاته لدغه): 97

- (الحكمة ليست في المشاهدة وإنما هي في المعرفة): ؟؟

- (ليس المطلوب منك معاندة الحكم السابق في الأزل، وإنما المطلوب منك أن تكون عبد الله في كل حال): 234

- (ليس العجب ممن يلبس المرقعة ويصوم النهار ويقوم الليل ويصطحب مع هذه الحالة، إنما الجب ممن يلبس الثياب الرفيعة ويفطر النهار وينام الليل ويصطحب مع هذه الحالة. ليس الزاهد في الدنيا من تركها، وإنما الزاهد في الدنيا من اصطحب معها. ليس الزاهد في الدنيا من وجدها وتركها، إنما الزاهد في الدنيا من استوى عنده وجودها وعدمها. ليس الزاهد في الدنيا من تركها وترك أمرها، إنما الزاهد في الدنيا من عرف الله في إقبالها وإدبارها): 223

فهرس المحال

- (لا يحجبك عن الذات إلا الصفات، كما أنه لا يحجبك عن الصفات إلا الذات، ولا ثم إلا ذات وصفات، والثالث محال، والمحال هو الذي لم يخلقه الله ولم يكونه سبحانه وتعالى):51

- (محال أن تشهده وتشهد معه سواه): 421

- (جرت سنة الله تعالى في عبده الإنسان أنه إذا شغل ظاهره بالعمل بطل علم باطنه، وإذا شغل باطنه بالعلم بطل عمل ظاهره، والجمع بين العلم والعمل في الإنسان في لحظة واحدة محال، ومن قال باجتماعهما فهو جاهل بنفسه): 283

- (جرت سنة الله بذلك أن ذاته لا تشاهدها إلا بصفاتك، وصفاته لا تشاهدها إلا بذاتك. ومن أراد أن يشهد الذات بالذات فهو جاهل بحكمة الله وسنته في خلقه، وكذلك من أراد أن يشهد الصفات بالصفات فهو جاهل بحكمة الله وسنته كيف أجراها في خلقه): 208

- (اعلم أن من حكمته تعالى، أن جعل خير النفس مع شر الفلس لا يفترقان... ومن أراد أن يجمع بين خير النفس وخير الفلس فإنه لا يقدر على ذلك، لأنه أراد أن يبدل سنة الله في خلقه: خلاف ما أراد الله تعالى فيهم. وكذلك من أراد أن يجمع بين شر النفس وشر الفلس فإنه لا يقدر): ؟؟

- (عز الأقوال لا يكون حتماً إلا مع ذل الأفعال، كما أن عز الأفعال لا يكون حتماً إلا مع ذلك الأقوال، وعز الأقوال مع عز الأفعال اجتماعهما محال، كما أن ذل الأقوال مع ذل الأفعال اجتماعهما محال): 37

- (خلاء القلب من كل واحد منهما محال، إما عامر بالظاهر، أو عامر بالباطن): 274

فهرس المرآة

فهرس مفتاح



الأمر، لأن هذين النيتين هما مفتاح الأمور): 446

- (اعلم أن باب الخير هو الخير أو الوله أو الاضطرار وهما بمعنى واحد وهو شدة الاحتياج الكثير وهذا هو مفتاح الغيوب. من ظفر بهذا المفتاح فتحت له مخازن الغيوب كلها): 33

- (وأما عبودية الخلافة اختياراً ومحبة، فهي مفتاح هذه المراتب التي ذكرنا والتي فوقها، بل هي مفتاح الخير كله): 442

- (العبودية مفتاح للربوبية): 412

- (العبودية هي مفتاح كنوز الربوبية): 215

- (الحكمة عبودية، ولا شك أن العبودية هي مفتاح كنوز الربوبية، قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الأَلْبَابِ** ﴾ [البقرة: 269]): 342

- (عبودية البدايات هي مفتاح الفناء. من لا عبودية له في البدايات، لا نصيب له في الفناء، فضلاً عما بعده. كما أن عبودية النهايات هي مفتاح البقاء): 311

- (الفناء مفتاح الملك وبابه، والبقاء تمكين الملك وقراره): 367

- (مفتاح الكمال في الأمور كلها، هو الجلال الظاهر في البدايات): 301

- (أربعة من مفاتح كنز النفس: كثرة الصمت، وغض البصر عن النظر إلى الخلق، وسخاء اليد، وكثرة الجلوس. هؤلاء حقائق ظواهر جلالية، وهي من مفاتح الجمال الباطني): 418

- (مفتاح متابعة النفس هو متابعة الجنس أعني الوسائط، إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط. كذلك مفتاح متابعة الجنس لك، أعني من المريدين، هو متابعتك لنفسك): 434-

(مفتاح العلم هو مجالسة العارفين بالله، كما أن مفتاح الجهل هو مجالسة الجهال التالفين عن الله): 330

- (ومما أوصاني قال لي: إياك أن تغفل عن التشريف والتعظيم لمن ظهر لك بعض الفتح على يده، لأن في التشريف والتعظيم للحرمة مفتاح عظيم لزيادة الإمداد والخيرات والأنوار والأسرار): 459

- (اعلم أن مفتاح خرق العوائد في العز بالله، هو خرق العوائد في الذل لله): 342

- (كما أن الظاهر هو مفتاح الباطن، كذلك الباطن مفتاح الظاهر): 176

- (اعلم أن مفتاح الملك هو الذل الظاهري والعز الباطني، مع أن الملك بنفسه هو العز الظاهري والذل الباطني. وكذلك مفتاح الملك هو الذل الباطني والعز الظاهري، مع أن الملك بنفسه هو الذل الظاهري والعز الباطني): 412

- (مفتاح العز هو الذل، كما أن مفتاح الذل هو العز، ومفتاح الحرية هي العبودية

كما أن مفتاح العبودية هي الحرية، ومفتاح الحقيقة هي الشريعة، كما أن مفتاح الشريعة هي الحقيقة، ومفتاح البواطن هي الظواهر، كما أن مفتاح الظواهر هي البواطن، إلى ما لا نهاية له من الأضداد، إذ كل شيء هو مفتاح لضده): 50

- (مفاتيح الأشياء هي أضدادها): 124، 337
- (حكمة أصلية وهي أن مفاتيح الأشياء هي أضدادها): 49
- (سمعت الشيخ نفعنا الله به يقول: مفاتيح الأشياء كلها هو التمسك بأضدادها على الدوام، بموافقة أهل الفن والقرب إليهم): 50
- (من كمال كرمه تعالى عليك، أن جعل مفتاح الأمور كلها بيدك: ثمار ما قدر غرست تجني. منك تخرج الأمور، وعليك تكون خيرياتها وشرياتها).

فهرس: من غير زيادة ولا نقصان

- (شغلك مع الله هو شغلك مع عباد الله، وشغلك مع عباد الله هو شغلك مع الله، من غير زيادة ولا نقصان، لأنه لا موجود في الحقيقة إلا الله): 64
- (كما أن الأرض الذي تغرس فيها هو الذي تجنيه منها، كذلك الخلق الذي تغرس فيهم هو الذي تجني منهم، من غير زيادة ولا نقصان): 77
- (اعلم أن هذا الفناء الذي يترجم به أهل هذه الطريقة الشاذلية، مثله كالموت من غير زيادة ولا نقصان): 74، 365
- (كما تكون مع نفسك، كذلك تكون مع الحقيقة، من غير زيادة ولا نقصان): 417
- (اعلم أنه كما للظاهر قاعدتان: قاعدة دينية وقاعدة دنيوية، كذلك للباطن قاعدتان: قاعدة دينية وقاعدة دنيوية. حكم الباطن هو حكم الظاهر، من غير زيادة ولا نقصان): 273
- (اعلم أن الباطن من الظاهر، بمنزلة مرآة مقابلة للإنسان، يعني الظاهر إنسان، والباطن مرآة، والمرآة مقابلة للإنسان، كما أن الإنسان مقابل للمرآة، والذي يفعله الظاهر يفعله الباطن من غير زيادة ولا نقصان، كما أن ما يفعله الرجل تفعله المرآة من غير زيادة ولا نقصان): 77
- (الوجود كله مرآة مقابلة لك، أحوالك أحواله، وأقوالك أقواله، وأفعالك أفعاله، من غير زيادة ولا نقصان): 88
- (الوجود كالمرآة بما تقابله يقابلك لا زائد. إن قابلته بالكمال قابلك به، وإن قابلته بالنقص قابلك به، من غير زيادة ولا نقصان): 141
- (اعلم أن الوجود وأهله كالمرآة، بما تقابلهم به يقابلونك، من غير زيادة ولا نقصان): 456

فهرس مهما

مالك لمملكتي أبحتها لك تتصرف فيها بتصرفي ...): ؟؟

- (مهما رضي العبد بالعبودية واطمأنت نفسه إليها يقول الله تبارك وتعالى: أنا أكرم من أن ترضى بعبوديته وأتركك عبداً، بل أنت أنا، وأنا أنت): 430

- (مهما أدبرت عن عالم نفسك، فأنت عائم في عوالم ربك): 427

- (مهما تكمل الأصول، يحصل الوصول على كل حال بغير شك): 435

- (مهما امتلأ القلب بالنور، يفيض نوره على الجوارح كلها): 354

- (مهما صدق الإنسان في طلبه لشيء، يمده الله في الحين من غير تراخ): 268

- (مهما تعلقت همتك بشيء أكثرت من ذكره، ومهما أكثرت من ذكره استقر حبه في قلبك): 447

- (مهام توجهت همتك لشيء انقطعت عمَّا سواه): 449

- (مهام توفرت شروط الهمة، تظهر مادة الحق تعالى، على قدر ارتفاعها وكبرها، ووضعها وصغرها في الحين): 450

- (حكمة الله تعالى لا تشفق من أحد ولا تبالي بأحد، مهما توفرت شروطها تظهر على كل حال): 310

- (العارف بالله الحكيم، مهما يرى شيئاً تعذَّر، يفهم العلة في ذلك، من أي شيء كان سبب فساده، ومن أي شيء يكون سبب صلاحه): 175

- (مهما اجتمع فيك الذكر والفكر، فإن شموس الجمع تشرق عليك وتلوح من بينهما): 191

- (مهما اجتمعت العوائد وخرق العوائد، فإن شموس الفرق تلوح من بينهما): 191

- (مهما جار الملك على الرعية، حنت الرعية إليه. ومهما حن الملك على الرعية، جارت الرعية عليه): 149

- (فمهما يدفع الإنسان فلسه يملك به بعض الوجود، ومهما دفع نفسه ملك بها الوجود كله لا محالة): 436

- (مهما اجتمع رجل من ملوك الباطن مع رجل من ملوك الظاهر، يبقى الوجود بين أيديهم مثل قطعة من عجين بين يدي خباز يصنع بها ما أراد): 98

- (مهما تعاقد رجل من أهل الرياسة الظاهرية مع رجل من أهل الله بشيء، أو على شيء، فعقدهما صحيح ويشمل أهل الله كلهم ويشمل أهل الرياسة كلهم): 97

- (أهل العلويات مهما يصعدون يجدون الله، وأهل السفليات مهما ينحدرون يجدون الله): 229

- (مهما دخلت منزلا من منازل السير شرعاً أو حقيقياً فإن ملك المنزل يطلبك أشد من طلبك إياه ويمدلك بأسراره وأنواره): 84

- (الإنسان كله لا يخلو إما أن يكون مربياً ويكون متربياً، لا زائد. مهما تنتهي تربية غيره له، يشرع هو في تربية غيره).
- (كثيراً ما تجد العارف بالله، مهما يأتيه مريد صادق، فأول ما يسلك به، يشبهه بالقوم، ثم بعد التشبيه ينقله لمنزلة الكمال).
- (ما دام الإنسان مع وسائط نفسه فهو عامي، ومهما انتقل إلى الوسائط الجنسية وكان تنقله قولاً وفعلاً فإنه ينتقل إلى مقام الخاصة): 295
- (العارف مهما يرى العبودية صارت عادة، ويفهم من نفسه أنها ركنت لذلك، يعرف أن الجمال غلب على الجلال، فيرحل نفسه من ذلك الحال إلى ضده): 306
- (مهما أعرضت عن مناجاة الجنس جاءتك مناجاة الحق من النفس، وكذلك مهما أعرضت عن معاملة الجنس جاءتك معاملة الحق من النفس): 414
- (مهما قرنت الأشياء بأضدادها، فإن نتائجها تظهر وتلوح مثل الشمس): 227
- (مهما ظهر كمال الوجود وكمال العدم في شيء، فذلك هو كمال ظهور القدرة ومهما ظهر الوجود لا يظهر بعده إلا العدم): 134
- (مهما يقف - أي الإنسان - مع شيء دون ضده يدخل عليه الفساد على قدر وقوفه، حتى لو تمادى الوقوف وطال، لاضمحل الإنسان وتلاشى): 325
- (مهما دخل في القلب توهم السوى أخرج الحق منه): 118
- (مهما قابلت مولاك بالذل غمسك في العز، ومهما قابلت مولاك بالعز غمسك في الذل): 42
- (يمتد الباطن من الظاهر ما لم تشاهد الباطن والظاهر، ومهام شاهدته في كل شيء صار الباطن يمتد منه الظاهر).
- (مهما ظهرت الذات تنقض الصفات، ومهما ظهرت الصفات تنقض الذات): 209
- (مهما كان الجمع في القلب حتماً يكون الفرق في الظواهر على كل حال): 369
- (الإنسان مهما تنورت ظواهره تظلمت بواطنه): 425
- (مهما جاعت بطنك شبعت الجوارح كلها، ومهما شبعت بطنك جاعت الجوارح كلها): 148
- (مهما توجهت إلى الظاهر أدبر عنك الباطن، ومهما توجهت إلى الباطن أدبر عنك الظاهر): 272
- (مهام غابت الزيادة ظهر النقص): 225
- (مهما ظهر وصف الموالي بطلت العبودية): 314
- (مهما حضر العبد، تخرج القدرة وتدخل الحكمة): 429
- (مهما حصل الضيق من جهة النفس حصل التاسيع من جهة الخلق، ومهما حصل التاسيع

انتهت الفهارس بفضل الله وعونه

ذكر بعض الأولياء الذين هم على حال أو على مقام
سيدي علي الجمل نفعنا الله ببركاته

- سيدي محمد بن أحمد البوزيدي }

وقال مولاي العربي لتلميذه سيدي البوزيدي رضي الله عنهما: (واعلم سيدي أن الحالة التي كان عليها شيخنا شيخ أهل وقته سيدي علي العمراني } حالة شريفة كبيرة غريبة قل من كان عليها من أولياء الله تعالى فإنه كان ظاهراً للناس خفياً عنهم بالزي الذي يتزيى به الناس وهو زي أولياء الله تعالى أهل التجريد واختفى عنهم بالسؤال الذي كان يسأل في الأسواق وبإظهار البخل فإنه كان لا يطعهم حبيباً ولا عدواً ولا قريباً ولا بعيداً إلا أنه كان لا يعرف أحداً فوجد قلبه على الدوام بإسقاط الكلف وهم { مع ما به صلاح قلوبهم، وأنت يا سيدي نحبك أن تقلل من معرفة الناس بإطعامهم البلبول بالماء والملح كما كان > وكما كان الفقراء في الزمان المتقدم ليظهر الصادق من الكاذب والحبيب من العدو فكن يا سيدي على حال شيخنا } إذ لحاله سر كبير في الوقت الذي بأيدينا وغيره).

- سيدي أحمد البدوي زويتن } (وهو تلميذ مولاي العربي الدرقاوي })

قال سيدي أحمد البدوي زويتن - تلميذ مولاي العربي الدرقاوي - في رسائله الكبرى: (اعلموا إخواني علمكم الله خيراً أني قد كنت رأيت قبل وفاة الشيخ } أني أدخلت مخزناً فيه جوهر نفيس وأنا أضم بعضه إلى بعض حتى ضممته كله وجله أسود، ورأيت أيضاً قبل وفاته رضي الله عنه وعنا به آمين أني مار بطريق متسع عليه بهاء وحسن ولم ألق فيه أحداً حتى واسطته فوجدت الشيخ الأكبر الغوث الجامع الأشهر شيخ شيخنا مولاي علي الجمل رضي الله عنه وعنا به آمين واقفاً بباب رحى جديدة عليها من الحسن والبهاء كذلك فبنفس ما رأيته ورآني جذبني بيده الشريفة المباركة بسرعة وأدخلني الرحى فوجدته هو معلمها وليس معه أحد فيها وطحن دقيقاً كثيراً وهو مضطر غاية فيمن يغربل فأقعدني في مقعد التغربل ومكنني من الغربال فوجدت نفسي

أعرف ذلك معرفة ضرورية وصرت أغربل، فحقق ذلك فضلاً وجوداً وكرماً ورحمة من الله وما توفيقي إلا بالله).

ـ سيدي الحاج علي السوس الإلغي }

(سيدي الحاج علي السوس أخذ الطريقة عن سيدي سعيد بن همو المعدري، عن سيدي أحمد بن عبد الله دفين مراكش عن مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنهم أجمعين).

قال العلامة سيدي محمد المختار السوسي (وهو ولد سيدي الحاج علي السوسي) في كتابه المعسول:

(وأخبرني ولده أبو عبد الله أنه جلس مع الشيخ سعيد بن همو المعدري - وزوجته في داخل داره بالمعدر، واشتغل واحد منهم ببعض خدمة الدار، فورد على الشيخ حال عظيم اضطربت منه ذاته، وقف شعر رأسه ولحيته، وصوتت ذاته من شدة الاهتزاز والاضطراب، وصارت تختلف عليه الألوان، وصاح صيحة بمد، فقامت السيدة زوجته هاربة ودخلت إلى البيت، فلما سكن منه ذلك الحال رجعت إليه وقالت له: ما الذي دهاك؟ أفزعتنا. فقال لها: الآن رأيت سيدي علي بن أحمد دفع الباب ودخل إلى حضرة الله تعالى، وقد جعله الله تعالى في مقام الشيخ سيدي علي الجمل }. يعين بسيدي علي بن أحمد شيخنا الإمام العارف بالله القطب الرباني والغوث الصمداني أبا الحسن سيدي الحاج علي بن أحمد الجعفري ثم الإلغي رضي الله عنه وعنا آمين. وكان إذ ذاك أرسله الشيخ سيدي سعيد } في طائفة من الفقراء إلى زيارة الشيخ سيدي مولاي العربي الدرقاوي (*) } بالجبالة وغيره، وذلك في آخر حياة سيدي سعيد. ولما رجع شيخنا ومن معه وجده توفي إلى رحمة الله تعالى، ووفاته } صبيحة يوم الأربعاء الثاني من صفر عام 1300 هـ).

(*) يعني زيارة ضريح مولاي العربي الدرقاوي }.

ذكر بعض الأولياء المدفونين بزاوية (*)

سيدي علي الجمل {

- سيدي القاسم الحلو (من تلامذة سيدي علي الجمل) دفين قبة الشيخ وراء قبره.
- سيدي محمد الشريف بن الشيخ سيدي علي الجمل (من تلامذة مولاي العربي الدرقاوي) دفن بقبة والده أمامه متصلاً به.
- سيدي المهدي ابن القاضي (أخذ عن سيدي عبد الواحد الدباغ الذي اخذ عن مولاي العربي الدرقاوي) دفن بقبة سيدي علي الجمل.
- سيدي عبد السلام ابن نونة (أخذ أولاً عن سيدي علي الجمل ثم عن مولاي العربي الدرقاوي) دفن بزاوية سيدي علي خارج قبته عن يمين الداخل من الباب الكبرى التي بالصحن وبني على قوس جيد ملتصق بالحائط.
- سيدي عبن الرحمن بن عبد السلام ابن نونة (من تلامذة مولاي العربي) دفن أمام والده المذكور متصلاً به.
- سيدي محمد بن إبراهيم (من تلامذة مولاي العربي) دفن بزاوية سيدي علي خارج قبتها.
- سيدي الحسن البناني (من أكابر تلامذة مولاي العربي).
- سيدي أبو بكر زويتن (من تلامذة مولاي سيدي العربي).
- مولاي محمد بن مولاي الطيب بن مولاي العربي الدرقاوي سيدي محمد الشرقاوي (أخذ عن مولاي عبد السلام العمراوي، عن سيدي الظاهر التسولي، عن سيدي الخضر الشجعي، عن سيدي محمد الحراق! عن مولاي العربي الدرقاوي).
- إلخ.

(*) زاوية سيدي علي الجمل توجد في حومة الرميلة بمدينة فاس.



أسئلة طرحتها على شيخي سيدي حمزة شقور
بخصوص سيدي علي الجمل

1 - قال لي شيخي: سيدي علي الجمل ولد قطباً.

قلت لشيخي: هل كان لديه التصريف آنذاك؟

فقال }: لا، التصريف أتاه بعد أن فاضل. التصريف كان له آنذاك في عالم الملكوت.

2 - قال مولاي العربي الدرقاوي } (كنت نرى تسعة أقسام من سيدي على رسول الله >، والقسمة العاشرة كنت أراه فيها سيدي علي). ما معنى هذا؟ فقال شيخي }:

تسعة أعشار، كان مولاي العربي الدرقاوي يرى بسر شيخه سيدي علي الجمل، سيدي علي الجمل أفرغ ما عنده في تلميذه مولاي العربي الدرقاوي.

3 - قال سيدي علي الجمل }: (فانفتحت الباب فدخلت في الحين، فكنت أول نهاري مع العوام، وآخر نهاري مع الخصوص) ما معنى هذا؟

فقال شيخي }: الباب أي باب الكريم، وهذه إشارة إلى العلو الكبير.

4 - قال سيدي علي الجمل }: (والله لو طلبوني أهل السماوات السبع وأهل الأرضين السبع في ساعة واحدة لقضى الله تبارك وتعالى حوائجهم في تلك الساعة جميعاً !) ما معنى هذا؟ فقال شيخي }:

سيدي علي الجمل هو السلطان وهو الحاكم، وقضى مدة طويلة في مقام الغوث، قال مولاي العربي الدرقاوي: (وأستاذنا } قد كان يسأل القراريط بفاس البالي عمره الله من حانوت إلى حانوت كالمضطر الكبير مع أنه قد عاش غوثاً جل عمره).

5 - سألت شيخي عن قول سيدي علي الجمل }: (سألت الشيخ نفعنا الله به عمن يعقد الوجود ويحله بنفسه، ويعقد نفسه ويحلها بالوجود. فقال لي: هذا من رؤوس نتائج هذا الفن) فقال شيخي: هذا مقام الغوث، لأن احلل والعقد بيده.



6 - قال سيدي علي الجمل }: (اعلم أن مما خصني به مولانا من فضله وجوده وإحسانه أن جعلني ما ذكرت النبي < بفكر أو بذكر إلا وجدته معي وأنا بين جهرة حساً لا معنى، يحدثني > بعلوم المغيبات وآخذ عنه علوم الظاهر وعلوم الباطن).

قال شيخي }: تعليم رسول الله يبقى منقوشاً في قلوب العارف.

7 - قال سيدي علي الجمل }: (سمعت الشيخ - سيدي العربي بن عبد الله - نفعنا الله به يحدث قال: كان بعض الشيوخ عارفاً بالله يقرئ عصبة من تلامذته علم الحكمة نحواً من أربعين سنة، وهو لا يقرأ معهم إلا في فروعها، وبعد الأربعين سنة طلبه التلامذة أن يدلهم على حقيقة الحكمة وحثوا عليه في ذلك، فأجابهم لذلك وقال: غداً إن شاء الله أدلكم على ما طلبتم خبراً وعياناً. فلام أصبح النهار جاءوه لذلك ودقوا عليه الباب فخرج عليهم وفي يده ولد له صغير، فطلبوا منه إنجاز ما وعدهم به، فقال لهم نعم انظروا ولدي هذا، حتى نظروا إليه فقال لهم: هو ما طلبتم مني معرفته، فعند ذلك منهم من فتح عليه في تلك الساعة، يعني من فهم كلام الشيخ. ومنهم من لم يعرف مقالة الشيخ وازداد بقوله تلفاً على تلف). قلت لشيخي: ما معنى هذا؟

فقال }: الولد الصغير معناه كيف هو، وكسيف سيصبح: هذه الحكمة الإلهية وما تصنع. هذه واحدة من الحكم الإلهية. الحكمة الإلهية: التفكر في الكون الإلهي، أن ترى في الصبي الله. الذي فهم من التلاميذ، فتح الله عليه.

الأولياء عندهم الغموض. سيدي علي الجمل كان يحب شيخه محبة عظيمة، ولهذا كان يقيد ما يقوله شيخه.

8 - سألت أيضاً شيخي عن معنى قول الشيخ (انظروا ولدي هذا حتى نظروا إليه، فقال لهم: هو ما طلبتم مني معرفته).

فقال }: انظروا ولدي هذا، أي انظروا إلى الصنع الإلهي. الولد: من زرع فيه الروح؟ من تنبه إلى الصنع الإلهي أخذ الحكمة الإلهية، ومن فهم هذا يتعلق بربي.

9 - قال سيدي علي الجمل }: (اعلم يا أخي أن أصحابي يأتوني على أنواع، بعضهم اشتدت عليه البرودة يأتي إلي يطلبني السخونة، وبعضهم اشتدت عليه السخونة يأتيني يطلبني في البرودة، وكل منهم لا يخرج من عندنا إلا مملوء بما طلب، على أحسن هيئة) سألت شيخي عن معنى هذا؟

فقال: }: السخونة معناها الجلال، والجلال القوي لا يطيقه الناس.

البرودة معناها الجمال، والجمال بلا جلال لا شيء.

10 - سألت شيخي عن معنى قول سيدي علي الجمل }: (ومما سمعت من الشيخ رضي الله عنه ورحمه يقول: قال بعض العارفين: « لو أتاني عربي بدوي يبول على ساقيته لوصلته إلى الله من حينه » . سمعت هذا منه في حال عظيم ورد عليه).

فقال }: هذه الحالة التصريف يرده من حال إلى حال، والكون آنذاك في يده. هذا المقام كبير. هذه الحالة تكون أحياناً للعارف بالله، والمريد يجب عليه أن يلازم شيخه وأن ينتظر أن تأتي هذه الحالة إلى شيخه وهو معه.

عندما تكون مع العارف بالله يجب أن تصيد فرصة الأحوال. المريد المحظوظ يصيد شيخه عند النفحات، قال سيدي أبو مدين الغوث:

وراقب الشيخ في احواله فعسى * يرى عليك من استحسانه اثرا

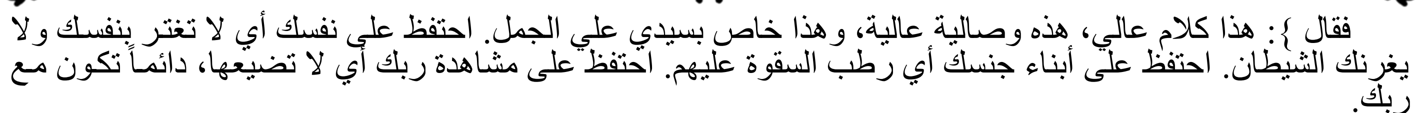
عندما تحمر عينا الشيخ وتتبدل أحواله: يجب على المريد آنذاك أن يغتنم هذه الفرصة ويطلب منه صالح الدعاء ويقول له خذ بيدي لله. الدعاء في ذلك الوقت أفضل من مئة ألف مرة دعاء في غير ذلك الوقت. هذه الفرصة إذا جاءت لا تدوم مدة طويلة، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم، إذا رأيت العارف بالله في حالة الجمال فلا تكون حينئذ تلك الفرصة. المريد المحظوظ دائماً يترقب وينتظر هذه الفرص عندما يكون مع العارفين بالله.

11 - سألت شيخي عن قول سيدي علي الجمل }: (وسمعته يقول: صاحبي هو الذي يكون حيلي لأني ما كنجلس مع أصحابنا إلا نتعلم الحيل).

فقال }: الحيلة في المعنى، أي ليطلع إلى الدرجات مع ربي، هذه ليست حيلة الدنيا وإنما يصنع الحيلة لأجل الله. هذا ولي ذكي، قال مولاي علي شقور (الولي الذي ليس بذكي ليس بولي). الذكاء معناه لا تضيع أي وسيلة، تترقى بجميع المسائل: تترقى بهذه وتترقى بهذه. الأدب كله حيلة معنوية لارتقاء الدرجات.

يوجد سلم عالي فيه درجات، والذكي هو الذي لا يظهر القوة حتى لا يتنبه له من هم في درجات ذلك السلم، وإنما يتأدب مع هذا ومع هذا ويبتسم معهم حتى يتركونه يترقى في درجات السلم.

12 - سألت شيخي عن قول سيدي علي الجمل }: (اعلم ومما أوصاني به شيخي } قال: احتفظ على نفسك واحتفظ على أبناء جنسك واحتفظ على مشاهدة ربك).



فقال }: هذا كلام عالي، هذه وصالية عالية، وهذا خاص بسيدي علي الجمل. احتفظ على نفسك أي لا تغتر بنفسك ولا يغرنك الشيطان. احتفظ على أبناء جنسك أي رطب السقوة عليهم. احتفظ على مشاهدة ربك أي لا تضيعها، دائماً تكون مع ربك.

13 - سألت شيخي عن قول سيدي علي الجمل }: (اعلم ومما أوصاني الشيخ } قال: يا ولدي إذا أردت أن تظفر بالسيد فكن عبد عبده وإياك أن تطمع أن تكون عبده، لا تكن إلا عبد عبده).

فقال }: أعطاه الذل الكبير.

14 - سألت شيخي عن قول سيدي علي الجمل }: (ومما أوصاني أيضاً أعرف أدنى ما في الناس تقضي به ما تقضي بأعلى ما في الناس، قال تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ** ﴾) [الزُّخرف: 84].

فقال }: هذا التذلل الكبير: التأدب مع أدنى الناس أي في نظر الناس، لأنه لا يمكن لنا أن نعرف من هو أدنى الناس.

15 - سألت شيخي عن قول سيدي علي الجمل }: (حكمة أصلية وهي أن مفتاح الأشياء هي أضدادها. إذا أردت أن تملك كبار الأشياء عليك بأصغرها، وإذا أردت أن تملك صغار الأشياء عليك بأكبرها).

فقال }: المقصود هو التواضع والانحناء، وإذا انحنيت طرت أي وصلت إلى الشيء العالي. الصغير يوصلك إلى الكبير، والكبير هو الله تعالى. الصغير يوصلك إلى الكبير، دون أن يشعر الصغير بذلك، وذلك بأن تتذلل للعباد وترفع عنهم الأذى.

16 - سألت شيخي عن قول سيدي علي الجمل }: (ومما أوصاني به الشيخ رحمه الله ونفعنا به: يا ولدي كل من قال لك شيئاً ورأيته يعظمه لك فقل له: هذا نصف الشيء وبقي النصف الآخر، لأن كل ما خلق الله في هذا الوجود جعل منه اثنين، وذلك ليتفرد هو جل ثناؤه بالوحدانية، ولا يكون واحداً وحده إلا هو جل ثناؤه).

فقال }: يبين النقص.

17 - سألت شيخي عن قول سيدي علي الجمل }: (ويد الله مع الجماعة بمادة الخير أو بمادة الشر، كل جماعة ترزق بما اجتمعت عليه).

فقال }: كل جماعة ترزق بما اجتمعت عليه. اللصوص يجتمعون لسرقة بنك فيرزقون. علماء الظاهر لا يفهمون هذا الكلام. اليهود الآن يسفكون

الدماء، وربي يرزقهم. الأولياء لا ينكرون على هذا ولا على ذاك ولا يتدخلون في حكم ربي. الأولياء لا يتكلمون بالشر في الكفار.

18 - سألت شيخي عن قول سيدي علي الجمل }: (اعلم أنك إذا أقررت للوجود أنه منك وأنت منه، فإن الوجود يقر لك أنك منه وهو منك، فإذا حصل هذا الإقرار بينك وبينه، فإن الوجود كله يصير عندك بمنزلة أعضائك يتحرك بتحرك همتك ويسكن بسكونها).

فقال }: الإقرار معناه إقرار بوجود الله. يتلاشى البشر ويبقى الله. الله ساكن في قلب الولي، وقلب الولي معمر بالله. كل ما عبرت به عن الأولياء فهو قليل في حقهم.

19 - سألت شيخي عن قول سيدي علي الجمل }: (اعلم أن الأمير وأتباعه وأتباع أتباعه، كلهم كرجل واحد، والقطب وأتباعه وأتباع أتباعه كرجل واحد أيضاً. ومهما تعاقد رجل من أهل الرياسة الظاهرية مع رجل من أهل الله بشيء، أو على شيء، فعقدهما صحيح ويشمل أهل الله كلهم ويشمل أهل الرياسة كلهم. وكذلك إذا خان رجل من أهل الرياسة رجلاً من أهل الله في العهد، حكم ذلك واحد، كأن أهل الرياسة كلهم خانوا الله تعالى. هذا قياس صحيح، مأخوذ من الحقيقة).

فقال }: الولي الذي يلتقي بالملك، هذا الولي يكون له التفويض من أهل الله كلهم. الولي يتكلم بربي. إذا خان رجل من أهل الرئاسة رجلاً من أهل الله، فإن هذا الرجل من أهل الرئاسة سيطحن.

20 - سألت شيخي عن قول سيدي علي الجمل }: (ومما قال لي الشيخ رحمه الله ونفعنا به، قال لي يا ولدي: جلت في بلاد التوحيد، فلم أجد فيها شيئاً أقرب وأوسع وأنفع وأسرع في السير من التلون. من خصائصه: أنه هو عنصر الزيادة كلها).

فقال }: التنوع في الألوان، لا يبقى على طبيعة واحدة. من كثرة الحال يتنوع وتتبدل أحواله. أثناء « العمارة » أو «الحضرة » يتبدل لون الإنسان، فالروح تذهب إلى الحضرة. الإلحاح يغير لون الإنسان. الجد القوي هو التلون.

21 - سألت شيخي عن قول سيدي علي الجمل }: (اعلم أنه ما نقص من الحسيات زاد في المعاني، وما نقص من المعاني زاد في الحسيات، والإنسان بينهما).

فقال }: الحس يتلف المعنى. نحن في حلقة نذكر الله، وجاء الحلوى والشاي فذهبت الغيبة التي كانت مع ربي.

22 - سألت شيخي عن قول سيدي علي الجمل }: (اعلم ومما قال لي سيدنا رحمه الله يا ولدي: عليك بالأسواق فإن فيها ربحك وتجارتك وغنيمتك، لأن صاحب الحقائق لا يليق به شيء مثل الأسواق، ومتى أردت أن تشتعل أنوار الحقائق في قلبك أدخل الأسواق ولا تخرج من الأسواق إلا وقت استراحتك).

فقال }: مشي الولي في السوق فيه رخاء للناس وفيه الخير. سر الولي يأتي بالخير والبركة، وأما فضل الولي فهو نوره. تشتغل الأنوار في الأسواق وذلك بأن تحتكَّ مع ولي دون أن تشعر.

23 - سألت شيخي عن قول سيدي علي الجمل }: (وهذا المعنى عند عامة الناس من العجائب: كون الظاهر يرجع باطناً، والباطن يرجع ظاهراً، والمعنى تنقلب حساً، والحس ينقلب معنى، مع أن هذا، إذ هم ينقلبون فيه دائماً صباحاً ومساءً ولكن لا يعلمون).

فقال }: العارف بالله يعرف عندما تتبدل أحواله من الظاهر إلى الباطن. يقع العارف بالله تجلي، فيحصل له مرض، وإذا عرض العارف بالله نفسه على طبيب فإن الطبيب يقول له بعد فحصه: ليس فيك مرض. الأحوال الباطنية للعارف بالله تغيرت إلى مرض ظاهري. العارف بالله يستر نفسه ويقول: أنا تعب شيئاً ما. الباطن معلق بالجمال، والظاهر معلق بالجلال.

24 - سألت شيخي عن قول سيدي علي الجمل }: (إقبالك على الله بذاتك، يشهدك صفات الحق، وإقبالك على الله بصفاتك، يشهدك ذات الحق. جرت سنة الله بذلك أن ذاته لا تشاهدها إلا بصفاتك، وصفاته لا تشاهدها إلا بذاتك. ومن أراد أن يشهد الذات بالذات فهو جاهل بحكمة الله وسنته في خلقه، وكذلك من أراد أن يشهد الصفات بالصفات فهو جاهل بحكمة الله وسنته كيف أجراها في خلقه. قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الأَلْبَابِ** ﴾ [البقرة: 269].

فقال }: هذه المسألة صعبة، فيها أسرار الحضرة. المناقشة فيها صعبة.

25 - سألت شيخي عن قول سيدي علي الجمل }: (كل ما استعصى عليك من أمور الدنيا والآخرة، اهبط فيه أسفل تجد راحتك فيه).

فقال }: هذه وصاية سيدي العربي بن عبد الله } الذي هو من الكمل الكبار. (اهبط فيه أسفل تجد راحتك فيه) معناه لا يبق بالك معه تظفر به. إذا قلت: [قل كل من عند الله] ترتاح. وصاية سيدي العربي بن عبد الله هذه مثل



كلمة مولاي علي شقور (والله ما كونها الله ما كان).

26 - سألت شيخي عن قول سيدي علي الجمل }: (اعلم قال لي الشيخ رحمه الله: اعلم يا ولدي أن الزيادة كلها حسية ومعنوية كلها في الوحلا. من وجد الوحلا وجد الزيادة، ومن لم يجد الوحلا لم يزد الزيادة).

فقال }: الوحلا أي ما وحل الإنسان فيها. إذا جاء ما يغضب الإنسان فاعلم أن الخير تابع له. إذا جاء الخير فاعلم أن الشر تابع له، وإذا جاء الشر فاعلم أن الخير تابع له. إذا جاءك الشر فافرح به كما تفرح بمجيء الخير، لأن الشر إذا جاء يأتي بعده الخير.

العارف بالله يعرف أن الجمال يأتي بعد الجلال، فلا يكون العارف في ضيق أثناء الجلال لأنه يعرف أن الجمال سيأتي بعده.

27 - سألت شيخي عن قول سيدي علي الجمل }: (اعلم يا أخي ومن أسرع حكمة يعالج بها الحكيم وأقوالها وأنفذها وأقربها للإجابة، أن يعالج الحس بالمعنى، والمعنى بالحس، والذات بالصفات، والصفات بالذات. هكذا سمعت من الشيخ – نفعنا الله به – وجربتها فحصلت لي إجابتها وثمرتها).

فقال }: الشيخ سيدي العربي بن عبد الله } كان يستعمل هذا العلاج، وسيدي علي الجمل استعمل هذا العلاج بإذن شيخه سيدي العربي بن عبد الله. المسألة بلا إذن لا تكون. الله له أبواب كثيرة لا يحصيها إلا هو، والطرق الموصلة إلى الله على عدد أنفاس الخلائق. كل ولي له مسائل خاصة به. هذا العلاج خاص بسيدي علي الجمل وبشيخه.

28 - سألت شيخي عن قول سيدي علي الجمل }: (وعلى قدر ما تتقوت ذات الإنسان وصفاته من ذات الوجود وصفاته في أيام حياته عاماً أو عشرة أعوام أو مائة سنة، على قدره تتقوت ذات الوجود وصفاته من ذات الإنسان وصفاته يعني بعد موته).

فقال }: العارف بالله، الذي يذبح مثلاً خمسمائة عجل في حياته، يذبحها في سبيل الله ويطعم الناس، هذا العارف بالله بعد يذبح عليه خمسمائة عجل جزاءً وفاقاً.

29 - سألت شيخي عن قول سيدي علي الجمل }: (سمعت من رجل من أهل الله تعالى، أعرفه كما أعرف نفسي، قال: خضت بحرين من العلم: بحر الظاهر وبحر الباطن، بحر الظاهر علمه وعمله، وبحر الباطن علمه وعمله، فاستخرجت منهما خطتين لم أجد لهما نظيراً. الأولى إني وجدت أقرب الخلق إلى

الله وهو أبعد الخلق من الله في قربه. والثانية وجدت أبعد الخلق من الله هو أقرب الخلق إلى الله في بعده، فافهم إن كنت ذا فهم).

فقال }: العاصي إذا قال لا إله إلا الله محمد رسول الله وتاب، يصبح أقرب إلى الله ممن كان يعبد الله مئة عام. البعيد أصبح قريباً، وهذا خاص بالمحبوبين.

سيدي أبو يعزى كان بعيداً، وكان قاطع الطريق، وعندما أصبح ولياً أصبح قريباً وفاق الذين يصلون في المساجد. حسن الخاتمة هي كل شيء، فلا يفتخر الإنسان بعبادته.

30 - سألت شيخي عن قول سيدي علي الجمل }: (الكلام أنثى والجواب ذكر).

فقال }: السؤال أنثى والجواب ذكر، فالسؤال سهل والجواب صعب. المرأة لا تتعذب، والرجل صاحب المحن.

31 - سألت شيخي عن قول سيدي علي الجمل }: (شجرة أغراس الحس تثمر بعد حين، وشجرة المعاني تغرس من حينها تثمر بلا أجل: بين غرسها وثمرها ما بين الاهتمام والفعل به).

فقال }: في زماننا إذا عملت الخير يثمر في الحين بالشر، وإذا عملت الشر يثمر في الحين بالخير.

32 - سألت شيخي عن قول سيدي علي الجمل }: (اعلم أن أعظم ما في شغلنا التهيؤ لشغلنا. تسعمائة قسمة وتسع وتسعون قسمة كلها تهيؤ، وقسمة واحدة وهي تمام الألف هي الشغل بنفسه).

فقال }: 999 قسمة التفكر في الكون الإلهي. قسمة واحدة العبادات كلها.

قال أهل الله: اجعل عملك ملحاً وأدبك دقيقاً.

33 - سألت شيخي عن قول سيدي علي الجمل }: (اعلم أن الشيخ سيدي العربي نفعنا الله به كانت له كتب عديدة كتبها بيده، مما كان يرد على قلبه. سمعته يتكلم على كناش من تلك الكتب قال: هذا الكناش حصيت فيه ثلاثة آلاف تجلي تنقص أقل من مائة، قال: فيه التجلي الذي كنت أمكث فيه ثلاثة أيام، وفيه من كنت أمكث فيه شهراً، وفيه من كنت أمكث فيه ليلة أو أقل من ليلة).

فقال }: أثناء التجلي يخرج العارف عن البشرية، ومن الأحسن أن يبقى العارف وحده (يدخل إلى البيت) أو يستلقي على ظهره، تثقل عين العراف، فلا

تبقى النظرة في الدنيا وتتحول إلى نظرة أخرى، واللسان يثقل، ينزل ثقل كبير على عين العارف وينزل جبل على صدره، ولا تبقى عنده قوة ليحرك إصبعه، ينزل ثقل كبير ورخوة حتى يكره العارف نفسه ويكره الدنيا حتى يتمنى أن تذهب روحه ليرتاح. التجلي أوله جلال، ثم يأتي الجمال حيث تقع المشاهدة ويفرح الجسم.

ما بين تجلي وتجلي آخر: ذلك هو الوقت الذي يرتاح فيه العارف بالله ليتقوى على حالة أخرى، وإلا فنا العبد.

كلما طلع مقام العارف بالله كلما زادت التجليات.

التجلي صعب جداً، والعارف بالله أثناء التجلي ما هو ميت وما هو حي، ولو كان ميتاً لكان مرتاحاً. العارف يتمنى الموت من كثلة الثقل. أثناء التجلي يكون الدعاء مستجاباً، آنذاك لسان العارف يكون ثقيلاً فالقلب يدعو وربي يسكن في القلب.

قال سيدي العربي بن عبد الله }: (وفيه من كنت أمكث فيه شهراً)، وأثناء ذلك الشهر لا يتكلم سيدي العربي مع الناس.

34 - سألت شيخي عن قول سيدي علي الجمل } عندما يذكر قول عارف بالله فإنه أحياناً يقول: قال سيدي فلان نفعنا الله به، وأحياناً يقول: قال سيدي فلان نفعنا الله ببركاته. ما الفرق بينهما؟

فقال }: لا فرق بين (نفعنا الله به) وبين (نفعنا الله ببركاته). (به) هي (بركاته)، و(بركاته) هي (به).

35 - سألت شيخي عن قول سيدي علي الجمل }: (سمعت الشيخ نفعنا الله به يقول: هل رأيتم النحل لماذا وُجدَت بينهم تلك العسل؟ لأنهم مجتمعون على الله، لا تحاسب نحلة أختها في عمل ولا تحسدها في شيء فلذلك وجدت بينهم تلك العسل).

فقال }: النحل مجموعون لله ولهذا يعطون العسل، حتى وإن كانوا مليوناً من النحل فلا تدفع نحلة أختها. الخرفان والجديان لا يعلمون العسل لأنهم يضربون بعضهم بعضاً.